د.عبدالعزيز قاسم

الحوار والتقارب المذهبي
في المشهد السعودي

مكاشفات الشيخ
حسن الصفار أنموذجاً





تصوير
أحمد ياسين

العبيكان
Obeikan

د.عبدالعزيز قاسم
الحوار والتقارب المذهبي
في المشهد السعودي
العبيكان

الحوار والتقارب المذهبي في المشهد السعودي

مكاشفات الشيخ حسن الصفار أنموذجاً



إعـداد

د. عبدالعزيز قاسم

تصوير
أحمد ياسين

العبيكان
Obeikan

© عبدالعزيز محمد قاسم، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

قاسم، عبدالعزيز محمد

الحوار والتقارب المذهبي في المشهد السعودي./ عبدالعزيز محمد قاسم .- الرياض، ١٤٢٨هـ.

٤٩٨ ص؛ ١٦,٥× ٢٤ سم.

ردمك: ٧ - ٢٨٠ - ٥٤ - ٩٩٦٠

١ ـ الحوار الوطني - السعودية ٢ - السنة والشيعة أ ـ العنوان

ديوي ٣٢٣,١٣٥١ ١٤٢٨ / ٢٦٥٩

رقم الإيداع: ٢٦٥٩ / ١٤٢٨

ردمـــك: ٧ - ٢٨٠ - ٥٤ - ٩٩٦٠



الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمـــز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمـــز ١١٥٩٥

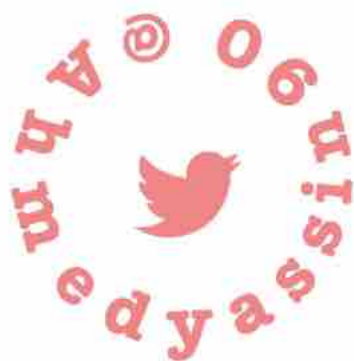
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكيـة، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.



﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥).

تصوير

أحمد ياسين



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الإهداء

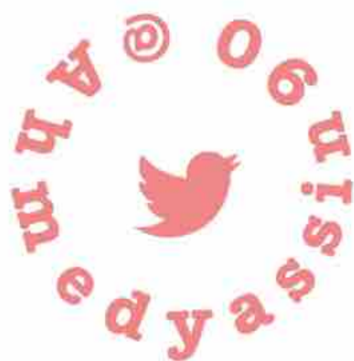
إلى أستاذي الذي علمني التسامح وحسن
الظن بإخوتي المسلمين

إلى الدكتور

عبدالقادر طاش

يرحمه الله





تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

تقديم

بقلم: محمد سعيد طيب (*)

إن المحاور الواعي المتمكن، يذهب بعيداً وراء أفكار وقناعات محاوره، ليقتحم مع قارئه نقاط التفتيش والخطوط الحمراء.. متجاوزاً المألوف من المجاملات، خاصة إذا كانت القضية ذات بعد وطني.. وكان من يحاوره شخصية مثيرة للجدل، وتحظى بهالة من التوهج والحضور الذي يجد قبولاً من فئات والرفض من فئات أخرى.

مركب صعب، ومغامرة تتطلب الكثير من الموهبة والوعي، والكثير جداً من الحرفية والذكاء، الذي يدهش ولا يفاجئ ويثير دون أن يتبسط.

وفق هذه المتطلبات.. وهذا المنحى، تأتي هذه المكاشفات للأستاذ الإعلامي النابه عبد العزيز محمد قاسم، مع ضيفه سماحة الشيخ حسن الصفار، تواصلاً لـ (مكاشفات) الجزء الأول والثاني.. التي كان الهدف منها الجمع بين الرموز والنخب الفكرية المختلفة، على أرضية حوار حضاري يورد المآخذ.. ويتصدى للتهم بكل الصراحة الممكنة والمتاحة عبر قراءة عميقة.. لأطروحات الضيف وأفكاره، مع اتصال مباشر مع معارضيه، لقطع الطريق أمام الذين ربما أساؤوا من حيث ظنوا أنهم أحسنوا.

ولعلني لا أجافي الحقيقة، إن قلت: إن تلك (المكاشفات) قد حققت نجاحاً باهراً في خلق أرضية خصبة لأجواء من الحوار الإيجابي المسؤول.

(*) محامٍ، ناشط وطني معروف.

وبقدر ما سعدت بذلك النجاح، كانت سعادتي أكبر عندما طلب مني الصديق الأستاذ/ عبد العزيز قاسم تقديم هذه (المكاشفة)، التي وجدت هوى في نفسي تقديراً للموضوع، وإجلالاً لسماحة الضيف.

فطوال حياتي - المترعة بهموم الشأن العام وكل ما يصب في خانة مصلحة الوطن والمواطن - لم أدع يوماً بأنني من زمرة من يطلق عليهم (المثقفين)، إلا بالقدر الذي يقربني من الدور الذي يجب عليهم الاضطلاع به نحو مجتمعهم، والمسؤولية التي يجب أن ينهضوا بها تجاه وطنهم.. وذلك نابع من إيماني العميق بأن المثقف إنسان بضاعته الأفكار، سواء أكانت تلك الأفكار من إبداعه، أم كانت منقولة من غيره، ولكنه آمن بها، ويرغب في أن يحياها، ويقنع الآخرين بأن يحيوها معه، والأرجح أن تلك الأفكار من النوع الذي من شأنه أن يغيِّر حياة الناس نحو الأفضل، متمثلاً بمقولة ديمقراطيس الخالدة: «إنني أفضل أن أظفر بفكرة تتقدم بها الحياة على أن أظفر بملك فارس»!.. اضطلاع بدور ريادي طليعي تنويري.. يرتكز على مبادئ الحق والخير والعدل.. التزاماً بقضايا المجتمع.. تعبيراً عن مشاعره وأحلامه وآلامه وآماله.

وكان لذلك الدور أثره في احتفائي بقامات سامقة في حياتنا الثقافية والفكرية.. نفر كريم من هؤلاء النخب كانوا محجتي وملاذي، حين تسعدني ظروفي بلقائهم، أو حين لا أعبأ بمشاق الالتقاء بهم.. ففي معايشة أمثالهم، والحوار معهم.. عمارة للعقل، ونماء للعلم، ولقاح للفهوم، فإن كان العقل ينمو بالمعرفة والتثقيف والتحصيل، فإنه يتوقد بالحوار والتواصل والمناظرة، ومن بين هذه الكوكبة، كان هنالك من أضاف إلى معارفي من خبرته وتجاربه، ومن جادلني جدال العالم الواعي المتمكن من معارفه، كما كان منهم من وافقني الرأي دون رياء، أو خالفني فيه دون استطالة.

ويأتي في طليعة تلك الكوكبة التي يرتجى منها علم وصلاح ومداواة لبعض علل وأوجاع المجتمع.. والتي أسعدتني الظروف بلقائها، والاستزادة من علمها وفكرها - وإن أتى ذلك متأخراً: سماحة الصديق الشيخ حسن موسى الصفار، العالم السعودي الشيعي، الابن البار لهذا الوطن.. العاشق له.. والمنتمي إليه دون مزايدة، والمعلن لآرائه وأفكاره في أصول المذهب وفروعه وشعائره دون تعصب وانغلاق.

استوقفتني أفكار وتوجهات سماحة الشيخ الصفار، الداعية إلى الوحدة الوطنية والسلم الاجتماعي، والعدالة، والحقوق المتساوية، والفرص المتكافئة، والمجتمع المتواد المتحاب، والرافضة للتناحر المذهبي - خاصة وأن ثقافتنا الإسلامية متهمة الآن في العالم بعد أحداث ١١ سبتمبر بأنها تعصبية، تدعم الإرهاب والتطرف، وكراهية الآخر - في حين أن المخلصين من مفكري الأمة، يناضلون لإبراز سماحة الإسلام وتعاليمه في احترام الإنسان، والتعايش بين أبناء البشر.. ولكن - وللأسف - فإن واقع التشنج والاستعلاء غير المبرر والصراع الداخلي بين دعاة الجهوية والقوى والمذاهب، يلغي كل هذه الجهود المخلصة.. إذ كيف يتسنّى إقناع الآخرين - من غير المسلمين - باستعدادنا للتعايش معهم، واحترام حقوقهم في ظل عجزنا عن التعايش فيما بيننا؟

بل وكيف نقنع الآخرين، بأننا مستعدون لقبول الرأي الآخر، والتعايش مع الأديان الأخرى والبشرية جمعاء؟

فلسماحة الشيخ حسن الصفار إسهامات مقدرة في إثراء الفكر الإسلامي.. وإشاعة ثقافة التسامح والتعددية والحوار، عبر أكثر من ٦٠ مؤلفاً، وخاصة في هذا الجانب، الذي استأثر على الكثير من جهده.. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مؤلفاته القيمة: (التعددية والحرية في الإسلام)، و(التنوع والتعايش)، و(التسامح وثقافة الاختلاف)، و(رؤية حول السجال المذهبي)، و(السلم

الاجتماعي.. مقوماته وحمايته)، إضافة إلى موقعه بشبكة الإنترنت، الذي يحتوي على أفكاره التي تبشر بتوجهات الاعتدال والتسامح والتقريب.. والتي تعبر عن قناعات يؤمن بها ويناضل من أجلها.

ففي مؤلفه (الحوار والانفتاح على الآخر) يتجلى إيمانه الراسخ بهذه الفضيلة، حيث تتمحور فكرة الكتاب حول: أن العزوف عن الانفتاح على الآخر، وغياب الحوار بين القوى والأطراف المختلفة في مجتمعاتنا، يعتبر مكمناً أساسياً من مكامن الداء، ومظهراً صارخاً من مظاهر التخلف، وتشترك عوامل عدة في تكريس هذه الحالة المرضية.. فلا بد من تضافر الجهود الواعية لإضفاء أجواء صالحة، ولخلق أرضية جديدة تنمو فيها بذور الانفتاح والحوار، لتتعارف أطراف الحوار مع بعضها، وتكتشف نقاط الالتقاء، وتتبين موارد الاختلاف، ولتثري كل جهة معارفها وأفكارها من خلال انفتاحها وحوارها مع الآخرين، وليأخذ الاختلاف مساره الإيجابي في إذكاء حالة التنافس المعرفي، شحذاً للإرادات والهمم لتقديم العطاء الأفضل والأنفع للوطن.

ومن مؤلفه (نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة) الذي أعتبره منهاجاً قويماً للتعايش بين المذاهب أقتطف هذه الاستضاءة المشعة:

«مهما كانت إشكاليات السلفيين على الشيعة، وإشكاليات الشيعة على السلفيين، فإن الجميع يعيشون في وطن واحد، لا يستطيع أحد الطرفين إبادة الآخر - ولا أظن أنه يفكر في ذلك - وهم جميعاً أهل لهذه الأرض وأبناء لترابها، ولا يحق لأحدهما المزايدة على الآخر في الأصالة وعمق الانتماء.

أما المراهنة على تغيير المعتقدات والقناعات بالترغيب والترهيب فقد ثبت فشلها، حيث كان التيار السلفي في أوج القوة والنفوذ، وتوافرت له الإمكانات المادية الضخمة، خاصة أثناء الطفرة الاقتصادية، وواتته الظروف الدولية والإقليمية أيام

الحرب الباردة والمواجهة بين الشرق والغرب أثناء الجهاد الأفغاني، بينما كان الشيعة في موقع المحاصرة والاستهداف.

فهل استطاع السلفيون، مع كل نفوذهم وتأثيرهم على مناهج التعليم، ووسائل الإعلام، ومختلف الأجهزة والمؤسسات، أن يحدثوا تحولاً أو تغييراً في معتقدات وتوجهات الوسط الشيعي؟

بل على العكس من ذلك، زادت حالة التحدي ونمت بعض التوجهات المتشددة عند الشيعة، كرد فعل على الوضع السائد.

إن بقاء حال التشنج والقطيعة، لم تعد تتحمله ظروف البلاد، وقد صرح بذلك كبار المسؤولين في القيادة السياسية، وفي طليعتهم سمو ولي العهد، الذي بادر بالدعوة إلى حوار وطني بين مختلف المذاهب والأطياف.. وجاءت توصيات اللقاء الأول والثاني، لتؤكد هذه الحقيقة، وتدعو الجميع إلى الانصهار في بوتقة الوطن، مع الإقرار بالتنوع المذهبي والفكري.

فالتعايش هو الخيار المنطقي والصحيح، ولا بديل له إلا التفريط بمصلحة الوطن وتمزيق وحدة الأمة، ومساعدة الأعداء على نيل أطماعهم ومآربهم.

فالتعايش لا يتحقق إلا بالمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، وتكافؤ الفرص، دون تمييز أو تصنيف وبالاحترام المتبادل، والتوقف عن التعبئة والتحريض من كل جهة تجاه الأخرى»(١).

وسماحة الشيخ الصفار يتسم بثقافة دينية منفتحة، تكره الجمود وتدعو إلى النقد والمراجعة، فنجده في مؤلفه (السلم الاجتماعي، مقوماته وحمايته) يدعو إلى ذلك عبر هذه الكلمات:

---

(١) نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة - حسن موسى الصفار - دار الواحة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ١٤٢٥هـ ٢٠٠٢م ص ٤٩ - ٥٠.

«إن تراثنا الإسلامي بكل مذاهبه، يحتاج إلى غربلة ممّا تراكم عليه من عصور التخلف، كل المذاهب تعاني من هذه المشكلة، ولكن الجرأة على نقد التراث، وعلى نقد السائد والمألوف لا يتحلى بها أي أحد، وإنما تحتاج إلى أشخاص لديهم الإخلاص الكافي، ولديهم الشجاعة الكافية لكي يعلنوا الحقائق، ولا يتأثروا برأي الشارع أو الرأي السائد المشهور المخالف للحق والصواب»[١].

وقد ظل سماحة الشيخ الصفار في دائرة الضوء - طوال السنوات الماضية - كضيف لوسائل الإعلام المرئية والمقروءة، والمنتديات الفكرية، والمجالس الثقافية، مؤصلاً لدعوته التسامحية في مداخلاته القيمة وإجاباته الشافية، وتحضرني الآن إجابته المفحمة لصحيفة (الحياة) رداً على تساؤلها: من كنت تمثل في الحوار الوطني؟ يرى بعضهم أنك كنت تمثل الخط المعتدل للطائفة الشيعية في السعودية؟

فأجاب سماحته: «أنا أمثل الرغبة الموجودة على مستوى الوطن، لنشر ثقافة وفكر الاعتدال والوحدة والتقارب.. في رأيي ينبغي تجاوز التصنيفات المذهبية، أنا لا أرى أنني كنت أمثل طائفة معينة أو مذهباً. وحتى المؤتمر لم يكن المقصود منه تمثيل مذهبي، وإنما هو مؤتمر لطاقات من أبناء الوطن آلمها هذا الجفاء والتباعد، والتقت لوضع منهج لتجاوز هذه الحالة.. كنت أمثل في المؤتمر هذه الرغبة وهذه الإرادة، دون أن أعطي نفسي الحق بادعاء تمثيل شريحة معينة، ولكنني أصنف نفسي ضمن هذا الاتجاه المعتدل الذي أرى أنه اتجاه الغالبية في المملكة ومن كل الطوائف»[٢].

*****

---

(١) السلم الاجتماعي، مقدماته وحمايته - حسن موسى الصفار - دار الساقي بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢م ص ٨٤ - ٨٥.

(٢) صحيفة الحياة - ٢٠٠٣/٩/٣٠م.

إن أفكار، ومعتقدات المرء قد تلتقي أو تتقاطع مع أفكار الآخرين، وللحقيقة أقول: إنني وجدت نفسي في توافق تام مع أفكار سماحة الشيخ الصفار، الداعية إلى التعايش والسماحة والحوار بين طوائف وقطاعات المجتمع.. وأستطيع أن أدعي - بلا فخر - أنني كنت من أوائل الداعين إلى حوار وطني[1] تدعو له الدولة وتنظم فعالياته وتشارك فيه النخب المتنوعة (من أولي الألباب) للوصول إلى رؤية مشتركة لخدمة قضايا الوطن.. مؤكداً أن الخطوة الأولى لإنجاح هذا الحوار تتمثل في ضرورة بدء حوار فاعل وصريح، بين النخب الفكرية والثقافية في مجتمعنا السعودي، وذلك لقناعاتي بأن ساحاتنا المحلية قد أصبحت تعاني - منذ سنوات - من احتقان فكري بسبب الفهم السلبي، لإيقاع الحياة من حولنا، التي أسهمت في تقسيم المجتمع الثقافي محدثة ما يشبه القطيعة الثقافية بين نخبه.

وسرعان ما تحولت تلك القطيعة إلى معركة، نتيجة لغياب فضيلة الحوار الفكري، وثقافة التسامح، ولجوء بعض رموز النخب الثقافية - وبانتهازية صارخة - إلى أساليب القمع والإقصاء وتأليب السلطة، وخروج الجميع بخسائر فادحة انعكست - سلباً - على تطور الفكر في الوطن، وأضرت بالمسار الثقافي وبمصداقيته وقدرته على الإقناع، وتأهله لممارسة دوره الفاعل في إشاعة الوعي وترقية الحياة.!

إن ممارسة النخب الفكرية والثقافية - بمختلف توجهاتها - لدورها في تفعيل ثقافة الحوار بروح وطنية ومسؤولية واعية، بعيداً عن الاستبداد والإقصاء والوصاية وتبني الآراء المسبقة، والتصورات النمطية، وادعاء امتلاك الحقيقة، أصبح اليوم ضرورة وطنية، لصياغة جبهة وطنية متماسكة، تأميناً للوحدة الوطنية والتصدي للتحديات الخارجية والداخلية - على حد سواء.

---

(١) مجلة روز اليوسف العدد ٣٣٢٧ وتاريخ ١٦ مارس ١٩٩٢ م.

ولا بد لنا من أن نقر ونعترف، بأننا نعيش أزمة فكرية خطيرة، وأن فكر ومعالجة الأزمة لا يمكنه أن يولد عفوياً من طائفة أو فئة بعينها - بل يأتي نتيجة مخاض شرائح واعية ومؤسسات قوية في المجتمع، تستطيع أن تقف موقف الند مع ثقافة العولمة وما تشكل حديثاً من ثقافات غرور القوة والغطرسة.. والوصاية على الآخرين.!

وفي ظل هذه التداعيات، أطبقت على عالمنا العربي أضلاع مثلث الرعب، المتمثلة في الإرهاب، والضعف الاقتصادي، والاحتلال الأجنبي على مدى الأعوام الماضية، مفرزة الكثير من الاحتقانات، والمواجهات التي كانت لها تأثيراتها السلبية على العلاقات بين الغرب والعالم العربي والإسلامي، بعد أن عصف هدير الدبابات بمقدرات التنمية والإنتاج بمنطقتنا، مؤدياً إلى تزايد معدلات البطالة، وتآكّل الطبقة الوسطى، والعجز عن تلبية الحاجات الأساسية لبعض فئات المجتمع، وتزايد الضغط على مرافق الخدمات الاجتماعية من صحية وتعليمية وسكنية، وتراجع نوعياتها ومستوياتها، وانحسار الدور المأمول للنخب المثقفة، وتدني حجم الصادرات، وازدياد نفوذ أصحاب الأموال والمنافقين والانتهازيين والتافهين والمتسلقين وعديمي المواهب والقدرات.!

إن معركتنا الكبرى - قبل التنمية - ليست بين الإسلام والغرب كما يحاول أن يظهرها بعضهم، ولكنها في حقيقتها معركة داخلية، بين الاعتدال والتطرف، وبين التسامح والتعصب، وبين الانفتاح والانغلاق.

معركة يجب أن يتصدى لها - بالدرجة الأولى - المثقفون الواعون، ومنظمات المجتمع المدني، بإشاعة ثقافة الحوار والاعتدال والتسامح والانفتاح، على الرغم ممّا يجده المثقف اليوم من العنت والرهق وهو يحاول أن يخاطب العالم لتفهم قيمه وثوابته.. العالم الذي يرى أن المقاومة والفداء ليست إلا وجهاً آخر من وجوه

الإرهاب المفخخة.. ويمكن في أحسن الأحوال - إن أحسنوا الظن بنا - تفسيرها وإيجاد المبررات لنا على أنها تعبير عن يأسنا وإحباطنا.

ففي الأوطان المتنوعة، التي تتعدد فيها الأعراق والمذاهب والطوائف، تصبح المواطنة.. هي الوسيط الذي يؤلف بين المتنافرات، وللمواطنة مقومات موضوعية مثل: الجغرافيا والتاريخ والمصلحة المشتركة والإدراك بضرورة التكامل الوجودي، وبأن كل جزء يكمل الآخر ويستقوي به، كما أن هنالك عوامل ذاتية أهمها الوعي المشترك بضرورة التوحد، والرغبة المتبادلة في تغليب الولاء الأكبر للوطن على الولاءات الأدنى (القبيلة، الإقليم، الطائفة) لذلك فإننا في حاجة ماسة إلى نسيج فكري، يتبنى هذه الحقائق ويؤمن بها - بل يذهب أبعد من ذلك لفتح باب الاجتهاد للتوفيق بين ضرورات التأهيل والتحديث، وعلى الصعيد النظري علينا أن نجري اجتهاداً جماعياً يعالج ثنائية الوافد من الماضي والوافد من الخارج ليؤصل لمرجعية ثقافية جديدة.

إن اصطلاح المواطنة - وفق النظم الدستورية - اصطلاح ذو ظلال، فهو من ناحية معيار قيمي يضبط به الأداء العام على كل مستوياته، ومن ناحية أخرى فهو مفهوم يؤطر الحقوق والواجبات، دون حصر أو استثناء - إلا وفق الدستور نصاً وروحاً - فالمواطنة أيضاً ممارسة وفعل، فبغير الممارسة لا يمكن تعميق المفاهيم الوطنية أو إحكام حياكة النسيج القيمي للمجتمع.

فالثقافة المرتجاة تبنى على أسس راسخة تجذر فرضيات، أن لا مناص لنا من التعايش السلمي مع محيطنا الإقليمي والعالمي.. وأن نلم إلماماً شمولياً بالملل والنحل والسياسات والتوجهات المحيطة بنا، وأن ندرك ما طرأ وما سيطرأ على هذا العالم من متغيرات مفهومية ومعرفية وسياسية، وكل ذلك يستلزم منا ألا ننظر للموروثات الثقافية نظرة قداسة، وألا نجعل من الهوية عقيدة.. وبهذا الأسلوب - وحده -

نستطيع التمييز بين ظواهر الأشياء وجواهرها، وبين الثابت والمتحول، وبين الممكن والمستحيل، وبين العادات والعقائد.

إن من العبارات المضيئة المناسبة في هذا المجال التي طالما شاقتني معنى ومبنى، مما تنسب لأحد علماء المسلمين: «قام الإسلام على شيئين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة».. فأين نحن كمجتمعات مسلمة من هذه العبارة، وتراثنا وموروثنا الديني مترع بثروة عظيمة، وزخم هائل من التوجهات والإرشادات التي تجعل الوحدة والسلم في طليعة الفرائض والواجبات؟

ولكي لا نذهب بعيداً فنحن - في المملكة العربية السعودية - نتطلع إلى أن نعيش في مجتمع واحد ويجمعنا وطن واحد ودين واحد ومصير واحد.. لتكون التربة مثالية لنمو غرسة السلم الاجتماعي، الذي أعني به التعايش السلمي بين جميع أفراد وطوائف المجتمع، في الوقت الذي تبقى فيه الفروقات والتباين مسلمات واقعية، وتلك سنة الله في خلقه.. وأمام ناظرينا تجارب الإنسانية المتمثلة في الكثير من المجتمعات الغربية والأوروبية، وخير شاهد على ذلك، المجتمع الأمريكي الخليط بكل شتاته، من أعراق وجنسيات ومعتقدات وثقافات، تتعايش كلها في بوتقة واحدة متجانسة لا يضرب بعضهم رقاب بعض تمذهباً وتحزباً.!

*****

وأخيراً.. أعتقد أن الوصول إلى مجتمع يعيش استقراراً نفسياً، وتصالحاً بين جميع أفراده - وإن تعددت رؤاهم وتنوعت اتجاهاتهم ليس من المستحيلات - فهي مسؤولية جماعية مشتركة.. تقع - في الدرجة الأولى - على عاتق النبهاء من أبناء الوطن: ذوي الأحلام والنهى.. وأولي العزم والحس الوطني الرفيع.!

فبداية.. يجب أن نعمل لتنقية هواء الفضاء من حولنا من ملوثات التأخر، والجهالة، والتخلف المتمثلة في تقليديتنا الموروثة التي لا تعرف ولا تعترف بثقافة المعايشة والحوار.. والتي تتبنى - بلا وعي - ثقافة إقصاء الآخر، بمنطق أن الساحة لا تتسع لاثنين.. إما أنا وإما أنت.. ثقافة ازدراء الآخر وكراهته وتهميشه وعدم الحوار معه، من منطلق عدم فهم العقلانية، والتعددية، وممارسة أدب الاختلاف، والتفرقة بين الرأي وصاحبه.. حتى اتسعت الفجوة بين الفكر والممارسة، وبين ما يقوله المرء وما يفعله - بل في ظل الغياب التام للفكر في بعض الممارسات العامة.

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة فتح نوافذ المجتمع وأبوابه لتسمح بدخول تيارات أجواء الحرية باعتبارها حقاً وليست منحة.. ونبتة قدسية تحتاج منا إلى الماء والهواء والتربة الخصبة والضوء الساطع والرعاية.. حرية مسؤولة واعية تضع في - الاعتبار الأول - حاضر الوطن وتستشرف مستقبله، وتتفاعل مع قضاياه وأمانيه وأحلامه، مصاغة من الفعل الإنساني العملي القادر، المعبر عن الإرادة الإنسانية الحرة الخيرة، النابذة للتعصب والعنصرية، وضيق الأفق الذي يعدّ الاعتراض معارضة، والمعارضة خيانة عند من يدعون أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة.

*****

وأجد من واجبي - هنا - قبل أن أختتم هذه المقدّمة - أن أعيد التأكيد على ما سبق أن أبديته في مناسبات مختلفة.. وعبر لقاءات مكتوبة أو مسموعة.. بما يعدّ في صميم موضوعنا هذا.. أو قضيتنا هذه:

نحن نمّر بمرحلة دقيقة وفاصلة.. وهذا ليس كلاماً إنشائياً مكرراً.!

نعم.. نحن نمّر بمرحلة دقيقة وفاصلة فعلاً.. ومطلوب منّا - جميعاً - أن نعي المرحلة - بكل ظروفها وإفرازاتها وضغوطاتها.. وما يحيط بنا.

لسنا جزيرة معزولة.!

ولا ينبغي أن نكون كذلك.!

المرحلة.. تتطلّب الكثير من المواءمات.!

بمعنى أن كل فئة.. ينبغي أن لا تتمسّك - وعلى نحو جامد - بكل قناعاتها السابقة - مع أنها - في مجملها - ما أنزل الله بها من سلطان.!

ولم يعد مقبولاً أن تكون رؤيتنا للإصلاح محلاً للتنافر أو الاختلاف أو اللجاج.!

وعلينا - في هذه المرحلة - أن نبحث عن القواسم المشتركة.. ونتمسّك بها.. ونبتعد عن التفرقة والغلّو والكراهية.. والاستعلاء غير المبرر!! وأن نضع المصالح العليا للوطن فوق كل الاعتبارات.. وأن تسود ثقافة التسامح والوئام - وإلا سنجد - أنفسنا - في نفق شديد العتمة، شديد الخطورة.!

إنها ليست حرباً مع الإرهاب.. إنها - في واقع الأمر - مع التخّلف والانغلاق، واحتكار الحقيقة، والزعم بخصوصية مقيتة.. وتميّز مزعوم، وغطرسة غير مفهومة!!

إن هذا الوطن ليس لفئة معينة - مهما تصورت هذه الفئة - بالوهم أو بغيره - أنها أجدى للوطن.. أو أنها أكثر حرصاً على مصالحه وتقدّمه ونهضته.

إنه وطن الجميع.. وحاضره ومستقبله هو مسؤولية الجميع.!

إنني أحترم كل الذين يرفعون راية الإصلاح.. وهم - بالتأكيد - أحسن وأفضل وأجدى من الذين ما زالوا يتثاءبون - في بلاهة منقطعة النظير -! أو أولئك الذين لا يترددّون - وبعيون قارحة.. وتطاول عجيب - في إعطائنا دروساً في الوطنية وحسن السلوك السياسي.. وبأن - هذا - ليس الوقت المناسب للإصلاح.!

أما دعاة التبرير والتغرير.. فسيكونون - هم - الخاسر الأكبر.. ولن ينفعهم - حينئذ - هذا الأدب الجم الذي يتّسمون به في جميع الفصول؛ إذ لا بد أن يجني الناس - في النهاية - حصاد ركودهم وجهلهم وتملقّهم وكسلهم وسلبيتهم.. تلك سنة الحياة، كما أن - المتسببين - ينبغي أن لا يفلتوا.. وبراءة الأطفال في أعينهم.!

نحن نتاج عقود.. من التضليل والتدليس.. والإغواء والإغراء.!

وما زالت العتمة سائدة، لكن خيوطاً ضئيلة من النور.. تنتشر هنا وهناك.. وهذا هو الجانب الإيجابي الذي نحاول جاهدين أن ينمو ويزدهر.!

*****

عفواً...

لقد أطلت على القارئ الكريم.. وأرجو أن يكون للإطالة ما يبرّرها.!

لكن.. أستميحه عذراً في أن نتأمل - جميعاً - ما يأتي:

إن المائدة الإسلامية.. مائدة ثرة.. وعامرة بكل أصناف الطعام الشهيّ.. والمتنوّع.. والحلال.!

وما زال بعضهم يصّر على أن يأكل من صنف واحد فقط.. بل يحاول وبالقسر.. في معظم الأحيان إجبار الآخرين على أن يتناولوا ذلك الصنف.. دون سواه.!!

إن المضيّ في الإصلاح.. وفي جميع مناحي حياتنا.. يمثّل - اليوم - أكثر من ضرورة.. بل ضرورة ملحّة.. لا تحتمل التأجيل أو التسويف أو التبرير.. وهي - في ذات الوقت - مسؤولية مشتركة يجب أن ينهض بها الجميع.. للتصدّي - من خلاله - أعني الإصلاح - لكل المخاطر المحتملة.. سواء لمقاومة التطرّف والتخلف، أو

لحماية الوحدة الوطنية.. أو الوقوف في وجه دعاوى التقسيم والتفكيك والاختراق الخارجي.!

إننا واحدة من أقدم الوحدات السياسية في المنطقة بأسرها.!

وهذه الوحدة.. تضم جيلاً من الكفاءات في مختلف التخصصات المشهود لهم بالجدارة والعدل ونقاء الذمة والحماس للعمل للصالح العام.. ونأمل أن تتاح لهم الفرصة - جميعاً - للاضطلاع بواجباتهم والنهوض بمسؤولياتهم، وأن لا يدعّي أحد - في يوم ما - أنه قد حيل بينه وبين أداء مسؤولية أو القيام بواجب.!

إن كل الأوطان التي اجتازت حواجز التخلف.. وأصبحت أوطاناً متقدمة - فعلاً وبكل المعايير - لم تقم على مجموعات من دعاة الجهل والتفرقة والتطرّف والجمود.. أو الأدعياء والمتسلقين والتافهين وعديمي المواهب والقدرات، ولا بالحيارى والحزانى واليائسين والمحبطين، وإنما قامت تلك الأوطان - في أجواء المحبة والتسامح والعدالة والوفاق الاجتماعي- بأيدي وسواعد الأصحاء من أبنائها المخلصين.. الأكفاء أهل العلم وذوي الاختصاص.. الذين يشغل الوطن في ضمائرهم ووجدانهم أكبر المساحات.. المدركين لقوانين الاجتماع.. والمؤمنين بأن التاريخ الإنساني لن يتوقف عن الجريان.. حتى لو وقف بعضهم بالعرض.!!

محمد سعيد الطيب

جدة: صفر ١٤٢٦هـ
مارس ٢٠٠٥م



مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين.
وبعد، فقد تشرفت بالعمل مع أستاذي الكبير الراحل د.عبد القادر طاش يرحمه الله تعالى كمعد لبرنامجه السياسي والفكري (مدارات الأحداث) الذي كان يبث من قناة (اقرأ) الفضائية، وأتذكر أنه في أواخر عام ١٤٢٠هـ وفي أثناء اجتماع دوري خاص بالبرنامج لاختيار مجموعة من الموضوعات الحديثة والفكرية التي تصلح مادة للحوار في حلقات البرنامج، استمزج يرحمه الله رأيي حيال تناول مسألة التفاهم والتقارب المذهبي بين طائفتي السنة والشيعة في برنامجنا، وكان متحمساً للموضوع ومنحازاً بشدة إلى القيام بدور إعلامي يخدم مثل هذا التفاهم الذي تحتاجه الأمة، وخصوصاً بعد أن ضرب إخوتنا في لبنان مثالاً متميزاً للتعايش بين أكبر طائفتين إسلاميتين هناك.

أخبرته يرحمه الله بما أتوقعه من ردود فعل قد تطال سمعته في الأوساط الإسلامية السنية المحلية، التي تتميز بموقف معارض في جملته لمسألة التقارب، وأبديت بعض التوجس والخوف اتكاء على ما أحمله من تراث وتربويات في محاضني السلفية التي نشأت حيال إخوتنا من طائفة الشيعة.. ابتسم كعادته يرحمه الله وقال: آن الأوان لكي يكون لأمثالنا خطوات إيجابية ومشاركة حقيقية في دفع مسيرة التفاهم والتقارب بين طوائف الأمة من أجل الالتقاء على نقاط مشتركة توحدنا ضد العدو الخارجي، وكي نتعتق من رؤية سلبية متوارثة لا تخدم أحداً..

وباشرت من فوري الاتصال بالإمام الشيعي الشهير محمد مهدي شمس الدين يرحمه الله، وكانت أطروحاته التقريبية الجريئة تمثل آنذاك أنموذجاً متميزاً يجعلها

جديرة بتسليط الضوء عليها ومناقشتها إعلامياً، إضافة إلى تمكنه يرحمه الله كعالم دين ومفكر إسلامي من الطراز الأول، إضافة إلى ثقله في طائفته، ما جعله خياراً مميزاً لنا كي نبدأ من عنده من أجل خدمة هدف التفاهم والتقارب.

وبالفعل رتبنا حلقة تبث على الهواء مباشرة من مقره في بيروت، وأتذكر الآن بعد مضي أكثر من خمس سنوات وقار ذاك الإمام وعلمه وانفتاحه، وعلى الرغم ممّا وفرته له في تلك الحلقة من مداخلات من قبل شخصيات شرعية سعودية إلا أنه استطاع ببراعته وحكمته أن يقنعنا جميعاً بأن التقارب بين طائفتي الأمة هو الحل الأمثل وبداية الطريق الصحيح كي تنهض الأمة من كبوتها، وأن اجترار الماضي بكل مآسيه لا يخدم أحداً في راهن اللحظة التي تمر بها أمتنا، فيما دعا عقلاء الطائفتين لدعم هذا الاتجاه وقطع الطريق على الغلاة من كلا الطرفين ممن يريدون أن يملوا على الأمة أجندتهم التي تفرق ولا تجمع، وتشغلها بخلافات جانبية عن عدوها المتربص بها.. وكان ذلك آخر العهد به حتى سمعت بموته بعد ذلك يرحمه الله.

*****

سمعت نتفاً من أحاديث متفرقة عن الشيخ حسن الصفار وتاريخه السياسي المعارض وتزعّمه لمدرسة الشيرازيين في السعودية، وصادف أن دعاني الناشط الوطني المعروف محمد سعيد طيب إلى داره العامرة بجدة في بدايات العام ١٤٢٤هـ وقد حلّ الشيخ الصفار ضيفاً عليها، وبادرني الشيخ بشكر أخوي على ما أقدمه من أطروحات فكرية معتدلة برأيه في ملحق (الرسالة) الذي قال: إنه يحرص على قراءته، فيما قدمت له ممتناً لثنائه كتابي (مكاشفات الجزء الأول) كإهداء أخوي.

في تلك الليلة، ألقى علينا الشيخ بحضور نخب حجازية متعددة الأطياف، كلمة حيال رؤيته للتعايش بين الطوائف والتيارات الفكرية وضرورته في راهن المرحلة التي نمر بها كدولة وكيان ومجتمع..

وفوجئت بعد أيام قليلة بمهاتفة كريمة منه وقد انتهى من قراءة الكتاب، أثنى خلال حديثه معي على منهجية الكتاب وطريقته، وأشاد بروح الحوار الذي حاولنا أن نتبناه للتقريب بين أطياف المجتمع..

لمعت من حينها في ذهني فكرة استضافته في صفحة (مكاشفات) وفتح ملف طائفته، بيد أنني لم أخبره بذلك لعلمي بأنني سأخوض في خطوط حمراء متوترة وألعب فعلاً بالنار، وقد قدّرت وقتها وتيقنت بأن اللحظة لم تحن بعد لمناقشة صريحة ومستفيضة لملف إخوتنا من طائفة الشيعة بالسعودية؛ لحساسية هذا الملف سياسياً من جهة وللتراكمات التاريخية المتوارثة في الأوساط الشرعية من جهة أخرى، فيما كانت الأجواء المجتمعية والسياسية غير ملائمة لفتح حوار مذهبي في صحيفة رسمية سعودية.

*****

في أوائل شهر جمادى الأولى من العام ١٤٢٥ هـ عقدت العزم على حوار الشيخ حسن الصفار منطلقاً من دعوة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز (كان ولياً للعهد إذاك)، وذلك إيماناً مني بالواجب الوطني وقد أضحى ملف إخوتنا سلاحاً بيد الكاوبوي الأمريكي يلوّح به في كل مناسبة، لاسيما بعد أن جثم في خاصرتنا الشمالية محتلاً عراقنا الأبيّ، إضافة إلى ما أحمله من إيمان عميق بعد تجربتي مع الشيخ محمد مهدي شمس الدين بضرورة التقارب بين طوائف الأمة، إضافة إلى أنني رأيت بعض الليبراليين المحليين يحاولون مغازلة هاته الطائفة بعد إدراكهم لعجزهم عن إيجاد جذور شعبية في الوسط الآخر على الرغم من الإمكانات الإعلامية المسخرة لكثير منهم.

كل تلك الأسباب مجتمعة دفعتني لأن أبادر في مفاتحة الشيخ حسن الصفار كي يحل ضيفاً علينا في (الرسالة) وهدفي الأساس إبراز النقاط المشتركة التي

يمكن لعقلاء الطائفتين في مجتمعنا الاتفاق عليها، تكريساً للوحدة الوطنية وتعزيزاً لنسيجنا الاجتماعي المتماسك، وتفويتاً للفرصة على الكائدين لوطن الحرمين والرسالة، ووافق سماحته مرحباً بي وبحواري..

وعكفت من فوري على كتبه وأشرطته ومؤلفاته وسألت رموزاً شيعية عن مكانته في الطائفة وعن أسماء معارضيه ومؤيديه، وتواصلت مع رموز سنية التقته وسألتهم عنه، إلى أن كوّنت صورة واضحة عن شخصيته وعن فكره إضافة إلى أصول المذهب الشيعي وفرقه وتياراته، واستعنت بالمتخصصين الذين أكرموني بالمعلومات التي يحتاجها صحافي مثلي لمواجهة هذا السياسي المعمّم، والرجل الذي تعلم المنطق ودرس علم الكلام من صغره بالقطيف والنجف وقم مروراً بعد ذلك بسنواته التي غدا خلالها معارضاً سياسياً، إذ لم أنس جذوري الصحافية في غمرة هدفي الرئيس، فأردتها مكاشفة مثيرة تحمل بعض الروح السجالية المذهبية، كما تنطوي على استفزازات مهنية تجعلني أقتنص منها (مانشيتات) كبيرة لصحيفتي.

*****

لا أدري لماذا بزغت فجأة صورة الإمام محمد مهدي شمس الدين وأنا في غمرة حماسي وسجالي مع الشيخ حسن الصفار في منزله بالقطيف، ففي الوقت الذي كان سماحته توفيقياً ويجيبني وهو ينظر إلى الأهداف الأسمى والأبعد وأنا أناكفه وأماحكه، وعلى الرغم من أنني تمكنت من استفزازه حتى خرج عن هدوئه ورتمه الوقور لمرتين، إلا أنني أشهد له بأنه كان في قمة التسامح وبعد النظر، وأعاد لي صورة شمس الدين عندما كان يتلقى أرتال التهم القاسية بابتسامة وسعة صدر مدركاً أنها تراكمات قرون ونتاج لتربية أجيال ضاربة الجذور في عمق تاريخنا الإسلامي.

وعلى الرغم من وعدي وجزمي للشيخ حسن الصفار بأنني سأنشر له المكاشفات كاملة وبحرفيتها دون تغيير، وقد قطعت له ذلك الوعد وفي نيتي إقناع

رئيس التحرير بذلك اتكاء لمساحة الانفتاح الإعلامي، إلا أنه كان في شك كبير مما وعدته به وإن لم يصرح بذلك، فقد استقرأت ذلك الشك في ملامح وجهه، وأدركت لاحقاً بعد مطالعتي للمكاشفات في صورتها الأخيرة سبب ذلك، وقد قدّرت بعدها أنني سأكون محظوظاً إذا استطعت نشر نصف المكاشفة بسبب ما تطرقنا إليه من محاور غاية في الحساسية ونقاط توتر مذهبية تفتح، لم تألفها الصحافة السعودية. وإذا كان المراقب الإعلامي الرسمي فقط هو من كنت أحمل همّه في مكاشفاتي السابقة، إلا أنه بالتأكيد سيصطف معه في هذه المرة أصوات كثيرة ومؤثرة من التيار الأقوى في المجتمع، معارضين هذه المكاشفات مع الشيخ الشيعي، وربما تصل بي المآلات إلى أن أدفع الكثير وأقله فقداني لوظيفتي!!..

وأنا ألوب في تلك الحيرة والتردد حول توقيت نشر المكاشفة، إذا بتقرير للكونغرس الأمريكي يصدر في بداية شعبان ١٤٢٥ هـ ليحسم لي الأمر، حيث تطرق ذلك التقرير السنوي إلى ملف الشيعة بالسعودية وما يعانونه من تمييز وظلم وما إلى ذلك مما يفعله كهنة العالم الجدد من خلط لبعض الحق بكثير من الباطل، فكانت الفرصة الذهبية التي أتتني كهدية من السماء، فاهتبلناها فرصة وباشرنا نشر المكاشفات كاملة والحمد لله، ما جعل الكثيرين من إخوتنا في تلك الطائفة وغيرهم لا يصدقون أعينهم وهم يقرؤون لأول مرة في تاريخ الصحافة السعودية حواراً عريضاً وصريحاً عن أحوالهم وظروفهم ومطالبهم ومعتقداتهم ما دفعهم للجزم بأن أوامر رسمية كانت وراء هذا الحوار، ووالله لم يكن الأمر كذلك، لأن الحوار أصلاً أجري قبل ذلك التقرير الأمريكي القميء الذي كان السبب الأقوى إلى جانب سياسة الانفتاح الإعلامية التي انتهجتها وزارة الإعلام في نشر هذه المكاشفات بحرفيتها.

والحمد لله فقد وجد هذا الحوار مكانه في تاريخ الصحافة السعودية كأول عمل إعلامي يناقش وضع هذه الطائفة بكل الصراحة والشفافية في صحيفة رسمية.

*****

يبقى أن أشير إلى صدى واسع ولغط كبير أحدثه نشر المكاشفات في ملحق (الرسالة)، وتلقيت عتابات عديدة ومعارضات ورسائل تبدي أسفها لنشرنا حواراً مع شيخ شيعي، إضافة إلى تناول منتديات (النت) بكل تياراتها لمادة الحوار، والعجيب أن لغطها الصاخب لم يقتصر على إخوتنا في المملكة بل كانت بالحدة نفسها وأكثر في منتديات إخوتنا الشيعة. وقد خرجت من النطاق الجغرافي المحلي لتتجاوزها إلى البحرين والكويت وإيران والعراق ولبنان وسوريا حيث تابعتها النخب الشيعية هناك، وتتالت المداخلات التي بحثت في دقائق الاختلاف وتفصيلاته، وابتعد كثير من أحبتنا المتداخلين في مناقشة مشروع الشيخ حسن الصفار للتقارب والتعايش، بل أكثر من ذلك اعتذر كثير من الشرعيين المحليين عن المداخلة عندما طلبت منهم ذلك على الرغم من دالتي عليهم لأنهم أدركوا مباشرة حساسية وتبعات وصعوبة هذا الملف الذي فتح، فيما اتجه بعضهم إلى هوايته الدائمة والقديمة بالاستعداء عند الرسمي، والحمد لله تفهم عقلاء المجتمع ما فعلته وقد حمدوا لاحقاً هذا الحوار عندما رأوا إجابات الشيخ الصفار التي تفيض بالوطنية وروح التسامح وتلك الأطروحات التقريبية بين الطائفتين إلى درجة تجريمه شتم الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وغيرها من المسائل التي تقف كسدود منيعة وعقبات كأداء في طريق التفاهم بين طائفتي الأمة.

وإن ردّد عـدد غـيـر قليل من المتـابعين أن تلك الإجـابات التي أوردهـا الشـيخ الصفار في مكاشفاته كانت تتدثر مبدأ (التقيـة) الشهير لدى الشيعة، إلا أن عدداً غيـر قليل في المقابل عدّها خطوة جيدة ومهمة في طريق التفاهم، ورأوا ضرورة التـواصل مع مـثل هـذا الصـوت العـاقل وإشـهـار طروحـاته المعـتـدلة بين أوسـاط الطائفتين، ولعل مـا قام به الشيخ الجليل والداعيـة الشهير عوض القرني من زيارة تاريخيـة للقطيف وإلقائه كلمة في مجلس الشيخ الصفـار وفتحه حواراً مع النخب الشيعية كان يصب في هذا الباب.

وأرى أخيراً أن هذه المكاشفات فتحت كوّة مهمة كي يحسم المترددون من النخب الشـرعيـة والفكرية في وطني أمرهم، ويتجـاوزوا خوفهم من سلطة العوام أو بعض النخب الشـرعيـة التي ربما كان لها موقف من مسـألة التفاهم والتقارب، ويتصدى فريق منهم للحوار مع هذه الأصوات العاقلة من الآخر الطائفي، ويرسـموا للمجتمع آفاقا متسامحة أمر بها الإسـلام أولاً ويحتاجها وطننا ثانياً، كيما تسود روح صحية جديدة في سمائنا.

ولست بالسـاذج هنـا لأتصور أن تراكماً تاريخياً عميقاً سينتهي بحوار هنا أو مـحاضـرة هناك، بل أدعـو في هذا المقـام إلى ضـرورة تأمل مـشـروع الشـيـخ حـسـن الصـفـار للتـعـايش الذي طرحـه في هذه المكاشـفـات. صـحـيح أن بعض أحـبـتنا الشرعيين رماه بما أسلفنا بالتستر خلف (التقية) أو التمترس خلف السياسة، غير أنني أرى أن المصلحـة في كل الأحـوال التـعامل مع هذا الظاهر ومـحـاولة التـفـاهم والتقـريب لمصلحـة الأمة. وأقـول هـذا ونحن فـي فسـحـة من الوقت والظروف المثاليـة المناسبة، وأخشـى أن تدهمنا الظروف السياسية بتقلباتها ومكرها، فيضيع مثل هذا الصوت العاقل أمام زعيق الغلاة وصخبهم، وما نراه اليوم في العراق من اقتتال دامٍ بين الطائفتين ربما كان مثالاً لما أرمي إليه، وكان سببه برأيي ضياع صوت العقلاء

أمام أصوات العامة المشحونين بتأليب الغلاة، فيما دخل بينهم الأمريكي باستخباراته، إضافة إلى بعض القوى الإقليمية ضمن حسابات سياسية.

في لبنان ثمة أنموذج جيد للتفاهم والتعايش، ونقول للتفاهم والتعايش وليس للتنازل عن الخصوصيات دون قناعة أو من خلال الإكراه، وتبقى هذه الكلمات صرخة غيور على أمته ولفتة محب وحادب على وطنه يرجو أن يصل صداها إلى نخبنا الشرعية الناضجة.

*****

وبودي أن أنوّه في مقدمتي هنا إلى أن الشيخ علي آل محسن قد قدم مداخلات ردّ فيها على الباحثين عبد الكريم الحطاب وبندر الشويقي، ولم أتمكن من نشرها كاملة لسببين موضوعيين، أولهما أن معظمها لم ينشر في ملحق (الرسالة)، وثانيهما أن العدل والمهنية يقتضيان إعطاء الأخوين فرصة للرد عليه؛ لأنه قد دخل في تفصيلات مذهبية، وقدّرت أن استغراقنا في هذا الباب لن ينتهي، وكذلك ربما لا يكون هذا الاستغراق في تفاصيل الخلاف هدف الكتاب الرئيس، وإن كنت موقناً بضرورة ذلك في مراحل متقدمة كخطوة لازمة في طريق التفاهم والتقارب.

وأحب كذلك التنويه إلى أن بعض المداخلات المنشورة في الكتاب قد ارتدت ثوب الشدة وقسوة العبارات وغلظتها، وقد هممت بحذف ذلك كله إلا أنني ارتأيت، بعد استئذاني للشيخ حسن الصفار، إبقاءها كي تعطي صورة حقيقية أمام الباحثين والقارئين للمشهد المذهبي السعودي طالما أردنا التوثيق التاريخي للحراك المذهبي الواقعي وليس المثالي.

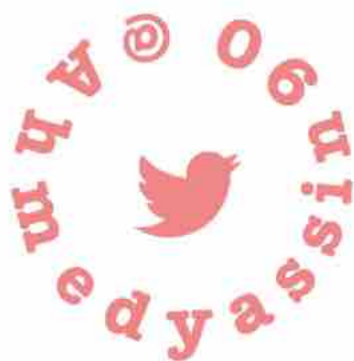
ختاماً أقدم شكراً خاصاً للشيخ حسن الصفار الذي قابل كل استفزازاتي الصحافية برحابة صدر، وكذلك لقيادة التحرير التي لولا جرأتها لما كانت هذه

المكاشفات، ولكل الإخوة الذين استجابوا لدعوتي بالمداخلة، وأساتذتي والفضلاء الذين استعنت بهم في تحرير مادة هذه المكاشفات خاصة أخي القريب إلى نفسي هاني المرشد من أبها، غير ناسٍ مدير مكتب الشيخ الصفار الأخ الدؤوب ميثم الفردان الذي تحمل كثيراً من إزعاجي، وانتهاء بزملائي في ملحق (الرسالة) أنور العسيري وأحمد العمودي وياسر باعامر ولأخويّ عبدالقادر رضوان وعادل قربان ولمخرجنا البديع مصري عباس.

عبدالعزيز محمد قاسم

جدة - ١٤٢٦/٢٥/٩ هـ

*****



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الشيخ حسن الصفار في أولى مكاشفاته مع (الرسالة):

حديث سمو ولي العهد شكّل لنا إيذاناً بمرحلة جديدة، وزادت تطلعات الناس وانتعشت آمالهم.

(التقية) إحدى ضحايا الصراع الطائفي وهو مفهوم ديني تنكّر له بعضهم وهذه أدلتي.

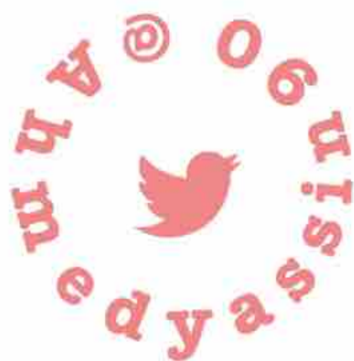
في مراحل نشأتي الأولى لم يكن لدي انفتاح على أي عالم من أهل السنة، وثقافتي في حدود البيئة الشيعية فقط.

على الرغم من دعواتنا للعلماء من أهل السنة لم يزرنا سوى الشيخ صالح الدرويش، وكان حضوره حدثاً لمجتمع القطيف.

بعض المناهج في التعليم تتحدث عن بعض الممارسات الشيعية حديثاً قاسياً، ولكن التوجيه في بيئتنا يوضح لنا الأمور بشكل يتناسب مع مذهبنا.

يجب أن يركز التعليم على المشتركات العامة وألا يكون هناك تركيز على التحريض ضد الآخر.

*****



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

بين يدي مكاشفات(*)

بعد غياب طويل عن (الرسالة) ها قد عادت (مكاشفات) من جديد لمحبيها ومتابعيها، وهذه المرة بلون مختلف جداً ولرجل معمّم مثير للجدل حتى بين أبناء طائفته. تعمدنا استضافة الشيخ حسن الصفار أحد أقطاب طائفة الشيعة بالمملكة العربية السعودية استجابةً منا لدعوات سمو ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله المستمرة، التي تحض المجتمع وأفراده وعلماء الأمة على الانفتاح وعدم الانغلاق على مختلف المذاهب، وهي الرسالة الجلية التي تتبدى دوماً في تلك الرعاية الأبوية لمؤتمرات الحوار الوطني؛ إذ يحرص - حفظه الله - في كل أحاديثه على حثّ أطياف المجتمع الفكرية على الحوار والالتقاء وبلورة أرضية نتعايش فيها جميعاً، نحن الذين نتفيأ ظلال وطن يسكن منا القلوب وننعم بخيراته..

حرصاً منا على كل ذلك ولأجل وطن متماسك النسيج ومترابط البنيان كان اختيارنا للشيخ حسن الصفار. وأعرف أن كثيرين من أحبتنا الذين لم يعتادوا ذلك، ومازالت حواجز نفسية عميقة الجذور ومترسبة من الماضي تقف حائطاً صلداً أمام أي محاولات للحوار والقفز على تلك الإشكاليات التاريخية المتوارثة، التي تقف عائقاً حقيقياً أمام أي محاولة للتفاهم والتعايش بله الاعتراف والقبول.

ربما كان في ذلك بعض الحق، وأعترف باستحالة فكّ تلك المداميك المذهبية المتمنعة، لكننا نسعى هنا إلى البحث عن صوت معتدل لدى الآخر الطائفي، شريكنا في الوطن، كي نصل معه إلى أرضية مشتركة نتعايش من خلالها تحت مظلة الوطن الواحد. وما نتمناه من الإخوة الأحبة المعترضين هو إدراك حقيقة أن اللعبة السياسية هي في الصميم من المشكلة، ولعلهم قرأوا مواقف المتربصين بمجتمعنا

(*) نشرت الحلقة الأولى كاملة في ملحق الرسالة بتاريخ ١٤٢٥/٨/١٧هـ .

وتماسكه ورسالته وهويته، كما عكسها بيان لجنة الحريات الدينية في الكونغرس الأمريكي، وما انطوى عليه من عزف فاضح وصارخ على الوتر الطائفي في بلادنا، والخلاصة أننا نأمل من الإخوة أن يتلمسوا بحق ظروف المرحلة التي نعيش، علماً بأن هذه المكاشفات أجريت قبل ذلك التقرير بأكثر من أسبوع.

أزعم أن ثالث سبب لي في اختيار ضيفي هو تقديم وثيقة تاريخية يستفيد منها المجتمع والدعاة تحديداً والأكاديميون والباحثون في جامعاتنا، وذلك عبر محاولة تقديم توثيق معقول للحراك السياسي والاجتماعي والفكري لدى شريحة كبيرة من مواطني المملكة تضرب بجذورها في تاريخ المنطقة.

ولعلها المرة الأولى في صحافتنا التي يلقى فيها الضوء على طرائق التنشئة الاجتماعية وظروف المعيشة لهذه الفئة، إضافة إلى كيفية تلقيهم للعلوم المذهبية عبر سبر دقيق ستطالعونه في حلقات الحوار.

من حق الرجل عليّ أن أشهد له بالأدب الجمّ والتواضع الكبير، كما أنه محبوب من قبل شباب طائفته نظرًا لطروحاته الفكرية والطائفية الوسطية التي تدعو للتعايش والتفاهم، وقد استقبلني بالترحاب في منزله بالقطيف، واستمهلني لغدي في إجراء المكاشفة كي يفاجئني في المساء بتقديمي كضيف لمجلسه الأسبوعي الذي تصورته حكراً على بضع عشرات، فإذا بي أمام عتاة رجالات المنطقة باتجاهاتهم الفكرية كافة. وكان ثمة رموز فكرية وصحافية ودينية ورجال أعمال موجودين في المجلس الذي امتلأ عن آخره. وقد قلب الشيخ اللعبة عليّ، فكانت المكاشفة معي لا معه.

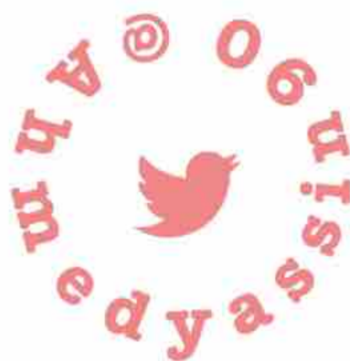
في الحوار أسمعني الإخوة كثيراً من آمالهم وهمومهم وتطلعاتهم وشعرت حقاً بوطنية حقيقية تسري في ذلك الجمع، وأعترف بأنني استمتعت بحديث صادق في مجلس مبارك وصريح، تناولنا فيه قضايا الوطن. وأزعم أنني محضت النصح وقد

صارحتهم بضرورة قراءة الخارطة الوطنية جيداً، وعدم القفز على المراحل، وعدم نسيان أن كياننا المتماسك قام على تحالف تاريخي بين الإمامين ولا يمكن لأي عاقل أن يغفل هذا.

وسنكمل لاحقاً في العدد القادم وأترككم مع ضيف مكاشفات فضيلة الشيخ حسن الصفار.

عبد العزيز قاسم

*****



تصوير

أحمد ياسين

تويتر

@Ahmedyassin90

بداية نشكر لك تفضلك بالموافقة على أن تكون ضيفاً في (مكاشفات)، ومن وحي الحوار الوطني الذي يقوده سمو ولي العهد، نترجمه واقعاً عبر هذه المكاشفة معك يا شيخ حسن. ودعني ابتداء أطلب (صك أمان) منك تجاه مريديك، فثمة حساسية شديدة لي مع الشرعيين بعد مكاشفاتي مع الشيخ عائض القرني الذي غضب بعض مريديه ومحبيه من أسئلتي الصريحة، وبعثوا رسائل عاتبة جداً في قضية الأسئلة كونها بزعمهم لم تكن خليقة بالشيخ. وعطفاً على ذلك فأنا أريد (صك أمان) منك أشهره تجاه محبيك. لم تكُ لي مشكلة مع المثقفين، فهم (ملطوشون) على أية حال ولا يتمتعون بمريدين ولا غير ذلك. وعليه أتوسم منك كلمة لتلامذتك ومحبيك كي أمضي بأسئلتي في صراحة شديدة؟

- أولاً أشكر لكم هذه الزيارة وأشكر لكم إتاحة هذه الفرصة عبر هذا الحوار للتخاطب مع القراء الكرام ومع المواطنين في مختلف المناطق ومن مختلف الاتجاهات، وأعتقد أن قراءة بعضنا بعضاً هي أول خطوة في طريق التعايش والتعارف، ومن ثم التعاون من أجل المصلحة المشتركة لديننا ودنيانا، وأعدكم بأن يكون الحديث بحرية كاملة، فلا أعتقد أن هناك شيئاً يجب إخفاؤه. أما فيما يرتبط بالنشر فأنتم تقدرون الظروف وتعلمون ما ينشر وما لا ينشر.

أما بالنسبة لي فأعتقد أنني في وضع يفرض علي ويتطلب مني أن أكون واضحاً في طرح الإجابات والأفكار والمطالب والتطلعات، وليس هناك عائق يمنعني أو يمنع أمثالي من أن يكون حراً منطلقاً في طرحه في حدود المحافظة على المصلحة العامة والالتزام بآداب الحوار والتخاطب في الإسلام.

بالنسبة للأتباع والمريدين أنا أعتقد أن الحالة الدينية أو الشيوخ والعلماء كرسوا لأنفسهم في نفوس أتباعهم موقعية وهالة من الهيبة تمنع الكثيرين من أبناء المجتمع أن يتكاشفوا معهم وأن يكونوا صريحين وجريئين في التخاطب معهم،

وأعتقد أن هذا ينبغي أن يزال، فالنبي ﷺ، حينما وقف أمامه أعرابي وكان يرتعد، قال له: هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد في مكة. كلما كان عالم الدين أكثر بساطة مع الناس استطاع أن يدخل إلى قلوبهم أكثر وأن يؤثر عليهم وأن يستقطبهم أكثر، ونحن نعيش في عصر نجد فيه كبار القادة وكبار الساسة بيدهم مصادر أزمة القوة والسلطة، ولكن الناس لديهم الجرأة في انتقادهم والاعتراض عليهم ومخالفتهم ولا ينبغي للعالم ولرجل الدين أن يتلذذ أو يرتاح بأن تكون له هيبة مانعة من الانفتاح عليه أو مصارحته. ولكن كثيراً من هذه الحالات ناتج من احترام الناس لدينهم واحترام الناس للعلماء باعتبارهم مصادر للدين.

وفي مجلسي هذا المتواضع، حاولت أن أكرس هذه العادة بأن تتاح الفرصة للناقد، حتى الناقد لي والمعترض على بعض آرائي ومواقفي وأفكاري وأن يتحدث بكل صراحة، وفي بعض الأحيان قد يتحسس بعض الحاضرين ويرى أن مثل هذه الطريقة من التخاطب لا تجوز في مجلسي، ولكنني أُطبّع الحالة وأهون من الأمر، لذلك أعدك بأنني سأتحدث مع كل من أرى منه انزعاجاً بأننا يجب أن نتقبل المصارحة والمكاشفة؛ لأنها هي الأسلوب الأمثل والمناسب لمعالجة الملفات المزمنة والحساسة.

تقية أم براغماتية مرحلية

هذه بداية تبشر بالخير يا شيخ حسن، وأنا سعيد جداً بهذا النفس الانفتاحي، وقبلها بصك الأمان منك (ضاحكاً). وكم نحن بحاجة إلى تجسير الهوة بين أجيالنا وبين علمائهم ودعاتهم. وقبل أن أباشر أسئلتي، دعني أكن صريحاً معك، بأن طيفاً غير قليل من قراء هذه المكاشفة سيصرفون حديثك ويتوجسون من أنها قد تدخل ضمن نطاق التقية أو البراغماتية المرحلية.. وأستأذنك في طلب تعليق على ما سمعت.

- هذا الموضوع سبق الحديث عنه في مناسبات عديدة، وهذا يدخلنا في بحث حول ما يثار عن الشيعة في استخدامهم للتقية، ومن المؤسف جداً أن من نتائج الصراع المذهبي التنكر لبعض المفاهيم الدينية. مفهوم ديني يجري التنكر له بسبب الصراع المذهبي. التقية ليست قضية مطروحة عند حدود المذهب الشيعي، ولكنها قضية قرآنية يطرحها القرآن ويطرحها الإسلام بشكل عام. القرآن الكريم فيه آيات عديدة تؤكد أن الإنسان إذا كان في موقع يخاف على نفسه الضرر أو يكون في موقع يسبب له مشكلة من إظهار رأيه وعقيدته فان له أن يلجأ إلى التكتم على رأيه وعقيدته حفاظاً على حياته ومصلحته. إن القرآن الكريم يقول: ﴿ **إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** ﴾ والقرآن يقول: ﴿ **إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالأِيمَانِ** ﴾ والقرآن يقول: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ** ﴾ ففي القرآن الكريم آيات تدل على هذا الأمر إضافة إلى القاعدة العامة ﴿ **إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ** ﴾ وحينما نعود إلى كتب التفسير نجد كل عالم يمر على هذه الآيات يستعرض هذا المفهوم، وفي الفقه نجد موارد مختلفة يبحث فيها الفقهاء أثر الإكراه والاضطرار.

ولكن الاحتجاج هنا يا شيخ حسن قائم على افتراض أن هذه حالات استثنائية تقدر بقدرها وفي نطاقها الأضيق والاضطرار الشديد إليها. ولكننا نلاحظ بأن الإخوة الشيعة توسعوا في ذلك وجعلوه أصلاً من أصول طائفتهم؟

- هذا التوسع فرضته ظروف يعيشونها، نحن يجب أن نناقش المبدأ.. هل التقية مفهوم موجود في الإسلام؟ حينما يعاب على الشيعة استخدام التقية وتعد مأخذاً من المآخذ عليهم، ما يفهمه عامة المسلمين أن التقية ليست موجودة في الإسلام، وهم يستخدمون شيئاً لا يصح استخدامه. ما يجب أن نميز هو أن المبدأ موجود أم لا؟ أما عن قضية التوسع فهذا يعود إلى الشخص نفسه في تقدير الظروف، وكل الفقهاء يقولون بالنسبة للحرج والاضطرار: إن شخص الإنسان هو

الذي يقدر مقدار الاضطرار حينما يجيز الفقه الإسلامي للمضطر أن يأكل الميتة. مقدار الاضطرار وظرف الاضطرار ليس الفقيه هو الذي يشخصه، وإنما يشخصه الإنسان نفسه، فهذا التوسع فرضته ظروف للشيعة أنفسهم.

هناك نقاش بين العلماء، آلتقية موردها فقط من الظالم الكافر أو أنها أيضاً تكون من الظالم المسلم؟. بعض علماء السنة ربما يقولون إن التقية من الظالم الكافر وإن الآيات الكريمة التي تحدثت عن التقية إنما هي في سياق التقية من الظالم الكافر، وبعض علماء السنة وكل علماء الشيعة يرون مفهوم التقية أوسع حيثما كان هناك حاجة واضطرار إليها. فمذهب الإمام الشافعي مثلاً: أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة عن النفس. وجاء في الموسوعة الفقهية التي أصدرتها وزارة الشؤون الإسلامية في الكويت ج١٣ ص ١٩٦:

«والحنابلة لا يقرون الصلاة خلف المبتدع والفاسق في غير جمعة وعيد؛ إذ يصلّيان بمكان واحد من البلد، فإن خاف منه إن ترك الصلاة خلفه فإنه يصلي تقية ثم يعيد الصلاة... وقد ذكر ابن قدامة حيلة في تلك الحال يمكن عدها من التقية لما فيها من الاستتار، وهي أن يصلي خلفه بنية الانفراد».

وحينما أُخذ العلماء من أهل السنة في عهد المأمون والمعتصم وامتحنوا ليقولوا بخلق القرآن استخدموا التقية إلا أربعة أو خمسة.

من ناحية أخرى فالتقية حين يبحثها الشيعة إنما يبحثونها في إطارين: الإطار الأول دفع الضرر الشخصي أو فلنقل: دفع الضرر المادي عن الشخص أو عن المجتمع. والإطار الثاني دفع الضرر عن الأمة وعن الوحدة الإسلامية ويعنون بذلك أنه إذا كانت ممارسة حكم من الأحكام المقرة في المذهب تبرز حالة من الانشقاق

في الأمة أو التمزق، فإن المذهب يجيز لأبنائه ترك ذلك حفاظاً على الوحدة لأولوية الوحدة وأهميتها، وهذا ينبغي أن يحسب للمذهب كامتياز وليس مأخذاً عليه.

مراتع الطفولة العذبة

أتصور أن هذه بداية ملتهبة واشتباك ساخن له ما بعده. ودعني أقل لك بكل صراحة بأن ردوداً مخالفة وحادة ستأتيني، وسيوضح طلبة العلم رؤيتك هذه اعتراضاً أو تأييداً في مناخ اختلاف شرعي، وسأنشر منها ما كان موضوعياً مهما كانت حدته.. وعلى نهج المكاشفات سأبدأ معك من سني الطفولة ومراحلك الأولى.. هلا حدثتنا يا شيخ حسن عن ظروف ولادتك وتنشئتك الاجتماعية التي ترعرعت عبرها.

- ولدت سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، وكانت ولادتي في مدينة القطيف، والأسرة التي نشأت فيها كانت محدودة الحال من الناحية المادية، ولكنها من الأسر المهتمة بالشأن الديني والاجتماعي؛ لأن جدي لأبي كان عالم دين، وكذلك جدي لأمي كان خطيباً، وبعض أعمامي وبعض أقربائي وحتى والدي نفسه كان يمارس شيئاً من الأدوار الدينية، حيث درس مقدمات العلوم الشرعية لمدة ثم فرضت عليه الظروف الحياتية أن يعمل وأن يصبح كاسباً في أعمال مختلفة، ولكنه بقي يمارس بعض الأدوار الدينية المحدودة، فنشأت في هذه الأسرة ونشأت في بيئة محافظة من الناحية الدينية والاجتماعية، وتعرفون طبيعة المجتمع الشيعي؛ فلديه مجموعة من المواسم والمناسبات الدينية التي تشد الإنسان إلى دينه ومجتمعه، عندنا أيام عاشوراء في مطلع كل سنة هجرية لمدة عشرة أيام يكون هناك ما يشبه الموسم الديني الثقافي الاجتماعي العام، كل أبناء المجتمع نساءً ورجالاً كباراً وصغاراً يشاركون في هذه المناسبة، وهي ذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي سبط

رسول الله ﷺ وبهذه المناسبة تعقد مجالس نطلق عليها مآتم، وهي محاضرات يميزها إثارة العواطف تجاه مأساة أهل البيت وما حدث لهم في كربلاء سنة ٦١هـ، وفي شهر رمضان وطوال لياليه تكون هناك مجالس دينية للوعظ والإرشاد، وذكر سيرة النبي ﷺ وسيرة أهل البيت - رضي الله عنهم - والأحكام الشرعية المتعلقة بالصوم والصلاة وبقية الأحكام الفقهية، وهناك اهتمام بمواسم وذكريات أئمة أهل البيت، كل إمام في أي يوم ولد حسب الروايات الموجودة في التاريخ وفي أي يوم مات، تعود المجتمع الشيعي أن يحيا يوم ميلاده وذكرى وفاته، وفي هذه المجالس يأتي الخطيب ويتحدث عن سيرة الإمام صاحب الذكرى، وكنت من صغري أذهب مع والدي لهذه المجالس، فرغبت من صغري في أن أسلك هذا الطريق، وأتقمص دور الخطيب الذي يخطب في الحاضرين في هذه المناسبات، وأتذكر أنني كنت في الصف الرابع الابتدائي وكنت في العاشرة حين بدأت أجمع الأطفال من أبناء منطقتي وأخطب فيهم كما يخطب الخطيب في المجلس الديني.

حقيقة أنا أحرص جداً على رصد هذه الأجواء التي سيقرؤها كثير من محبي (الرسالة) وأزعم بأنهم سيطالعون لأول مرة على هذه التفاصيل الدقيقة لطائفة الشيعة بالمملكة وتكون كوثيقة تاريخية واجتماعية في رصد الحالة الشيعية وظروفها. وبعيداً عن موقفي الشخصي المعارض منها وموقف أهل السنة والجماعة مما تحدثت؛ لأنني أسألك كصحافي وليس كشرعي سأناقشك مناقشة تخصصية تاركاً ذلك لطلبة العلم.. وسؤالي التالي بعد هذه التوطئة: هل أتممت حفظ القرآن في هذه السنة العاشرة؟

- لا، لم أحفظ القرآن كله، وإنما تعلمت قراءة القرآن كله، وحفظت أجزاء منه في الكتاتيب التي كانت متوافرة آنذاك، وكانت تعلّم تلاميذها قراءة القرآن، ولم تكن لدينا مدارس لتحفيظ القرآن.

بدأت أمــارس دور الخطيب مع الأطفــال من مــحلتي، فلفت ذلك نظر بعض الكبار، وبدأوا يحضـرون حتى يستمعوا، فرأوا أنني ألتقط ما أسـمع من الخطباء والعلماء وأعيد طرحه، وباعتبار أنني كنت في مرحلة مبكرة من العمر لفت هذا الأمر الانتباه فصار الكبار يدعونني لكي أخطب، فصرت - وكنت آنذاك في الثانية عشـرة - أمارس الخطابة كأي خطيب من الخطباء الموجودين في البلد، ولصغر سني كان ذلك لافتاً، وكانت هناك حفاوة من أبناء مجتمعي، وتشجيع لي على هذا المسار، ثم عندما سمع الأهالي في الأحساء أن هناك صغيراً في السن يقرأ ويحفظ ويخطب دعيت إلى الأحساء وبدأت أخطب هناك، ثم دعيت إلى مناطق أخرى إلى الكويت وإلى البحرين، وكان يشفع لي صغر سني، فهذا دفعني أكثر إلى التخصص في دراسة العلوم الشرعية بعد أن أنهيت المرحلة الابتدائية.

بعد هذا السبر العريض، بودي أن تتذكر لنا بعض أساتذتك وشيوخك الذين تأثرت بهم إبان تلك الحقبة المبكرة؟

- تأثرت بمجموعة من الخطباء في مسلكي الخطابي الذين كانوا يمارسون دور الخطابة في البلد، ومنهم الخطيب السيد هاشم السيد شرف الحسن - رحمه الله - (١٣٢٣ - ١٣٨٧هـ) من مدينة صفوى، والخطيب الشيخ عبد الحميد المرهون، والخطيب الشيخ سعيد أبو المكارم وهما موجودان يحفظهما الله، وخطباء آخرون، ولكن هؤلاء الخطباء الثلاثة وبشكل رئيس تأثرت بهم أكثر من بقية الخطباء وربما في بعض الأحيان أحفظ نسبة كبيرة من المواضيع التي يطرحونها، أحفظها وألقيها في مجالس أخرى وعلى مستمعين آخرين. بعد ذلك انفتحت على الكتاب وبدأت أقرأ الكتب وأمارس دور التثقيف الذاتي، وكوني أمارس الخطابة ساعدني ذلك على الاقتراب من العلماء.

وكان من أبرز العلماء في القطيف على المستوى الشعبي والاجتماعي الشيخ فرج آل عمران (١٣٢١هـ - ١٣٩٨هـ) وكان عالماً فاضلاً ومحلاً لثقة الناس وتقديرهم، فكنت أرتاد مجلسه يومياً خاصة في أيام عطلة الصيف، وتأثرت به كثيراً حيث كنت أستمع إلى إجابته للمستفتين والمستفسرين، وامتاز هذا العالم بانفتاحه الاجتماعي واهتمامه بالمذكرات التاريخية، وله كتاب مميز أصبح مرجعاً ومصدراً في تاريخ المجتمع والمنطقة واسمه (الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية) كان هذا العالم يكتب مذكراته يومياً، من يلتقي معه، من يحادثه من يزوره، أسفاره وأشعاره وإجاباته الدينية، يدون كل شيء، ويطبع جزءاً بعد جزء، وعند وفاته بلغ عدد الأجزاء المطبوعة خمسة عشر جزءاً، كنت أرتاح كثيراً لهذا الكتاب، وكنت أقرأه دائماً، وربما قرأته أكثر من مرة عن طريقه، تعرفت إلى بقية العلماء، حينما يذكر مثلاً أنه زامل العالم الفلاني في الدراسة أجد في نفسي رغبة في التعرف إلى هذا العالم الذي ذكره الشيخ في كتابه، فأسأل عنه وأبحث عنه، وحتى عندما سافرت إلى العراق وإيران كان في ذهني الأسماء التي ذكرها الشيخ فرج آل عمران في كتابه ممن زارهم، فكنت أسعى لزيارتهم؛ لأن أسماءهم رسخت في ذاكرتي من خلال قراءتي لمذكرات الشيخ، وهناك علماء آخرون مثل الشيخ ميرزا حسين البريكي (١٣٢٦هـ - ١٣٩٦هـ) كان هذا عالماً وخطيباً وأديباً، كنت أحضر مجالسه، وكان هو يحضر في أحايين كثيرة مجلس الشيخ فرج آل عمران.

وكنت أستمتع جداً بحديثه؛ لأنه كان منفتحاً على الكتب الجديدة التي كانت تصدر في القاهرة ككتب طه حسين وكتب عباس محمود العقاد وكتب مصطفى لطفي المنفلوطي وكتب عبدالله العلايلي وجورج جرداق وجورجي زيدان وغيرهم، وكان ينقل عبارات من هذه الكتب، وهذا ما دفعني للاطلاع على هذه الكتب أيضاً، فصرت أقرأ وأتابع هذه الكتب. ومن العلماء الذين تأثرت بهم الشيخ عبدالحميد

الخطي (١٣٣١ - ١٤٢٢هـ) القاضي السابق لمحكمة الأوقاف والمواريث في القطيف، وكان عالماً أديباً يدرس مسائل الفقه كل ليلة في مسجده بعد صلاة المغرب والعشاء، فكنت أواظب على الحضور، واستفدت من دروسه كثيراً كما كنت أحضر مجالسه، ويدور فيها حديث الشعر والأدب حيث كان شاعراً ناقداً. وتأثرت كذلك بالشيخ علي المرهون، وكان عالماً خطيباً متواضعاً يقطن في حارتنا نفسها.

ولكن أين علماء السنّة؟

أنا أتفهم تأثرك بعلماء طائفتك، ولكن اعذرني في هذا السؤال: ألم تتأثر ببعض علماء السنة ممن استمعت إليهم؟

- في ذلك الوقت لم يكن هناك انفتاح، ولذلك لم أتعرف على أحد من علماء أو خطباء السنة.

هل أستطيع القول بصراحة هنا، ومن وحي إجابتك، بأن هناك نوعاً من السياج الفكري المضروب حول أبناء الطائفة.. لكأن الآخر المذهبي (تابوا) بالنسبة لكم؟

- نعم، في بداية حياتي كانت ثقافتي ونشأتي في حدود البيئة الشيعية في القطيف، ولم يكن لدي انفتاح على أي عالم أو خطيب من أهل السنة، نعم، كان لدي بعض الانفتاح على بعض الكتب من خلال ما أسمع عنه من الشيوخ والعلماء، حينما يتحدثون عن كتاب من الكتب أهتم بالاطلاع عليه ومطالعته، وعلماء الشيعة مكتباتهم شاملة، مثلاً الشيخ فرج آل عمران له مكتبة، كتب السنة فيها ربما كانت تضاهي كتب الشيعة، وكذلك مكتبة الشيخ ميرزا حسين البريكي، فكنت أطلع على كتب أهل السنة، وأطالعها وأقرأها، فعلماؤنا كانوا يستدلون ويستشهدون ببعض الآراء في التفسير والفقه لعلماء أهل السنة، ولكن كتواصل اجتماعي لم يكن في بيئتنا انفتاح على علماء من خارج المذهب الشيعي. أما السياج المضروب حول أبناء الطائفة فالآخرون يتحملون مسؤوليته لموقفهم الحادّ من الشيعة الذي ينتج رد فعل طبيعي.

نحن نتحدث عن أربعة عقود خلت.. لا أدري يا شيخ حسن هل مازال عدم الانفتاح هذا قائماً لحاضرنا الذي نعيش.. وفي منطقة القطيف تحديداً؟

- هناك انفتاح عام فرضته وسائل الإعلام والتواصل الحديث وكذلك الأسفار والاختلاط في الجامعات والوظائف، ولكن على المستوى الاجتماعي مازال هناك شيء من الانغلاق من قبل الطرفين، الآن تبرز صورة أخرى، فالشيعة يرغبون في الانفتاح ويلحون للتواصل، ولكن الطرف الآخر هو المتحفظ، أنا شخصياً أذهب لزيارة الشيوخ من أهل السنة والقضاة في المحكمة الكبرى في القطيف، ولكننا فشلنا لحد الآن في إقناع أحد منهم في أن يتزاور معنا، ولم تحدث إلا حالة واحدة؛ إذ إن أحد القضاة في السنة الماضية وافق أن يحضر في منتدى الأستاذ جعفر الشايب وهو الشيخ صالح الدرويش، وكان حضوره حدثاً لمجتمع القطيف.

ندرك يا شيخ حسن أن التراكمات التاريخية الحاصلة تحتاج إلى بعض الوقت لفك مداميك أزمتها التاريخية.. هذا إذا استطاع الوسطيون والعقلاء فكها..

- نحن الآن في مرحلة توصيف الحالة، ولسنا في مرحلة التحليل، ففي التحليل هناك كلام كثير..

لا بأس، فلنعد إلى قراءتك في تلك الحقبة. لكأنها اتجهت اتجاهات دينية صرفة. ألم تك بموازاة ما ذكرت قراءات أخرى في الأدب والشعر والفكر؟

- قراءتي في تلك الحقبة في المجالات الأدبية والفكرية بالفعل كانت قليلة إلا في حدود كتابات طه حسين وكتابات عباس محمود العقاد والمنفلوطي، وهذه طبعاً محسوبة ضمن المجال الأدبي، ولكنها تخدم المعارف الدينية، كنت اقرأ ما يخدم المعارف الدينية في تلك المرحلة الابتدائية.

هل ثمة شخصية معينة تعهدت الطفل حسن الصفار آنذاك بالرعاية والتوجيه والمتابعة لما يقرأ؟

- لم يكن الأمر كذلك، بل كان رغبة واجتهاداً شخصياً، ولم يكن عندنا من العلماء من هو مهتم بأن يجمع حوله طلاباً ومريدين وأن يربيهم، أغلب العلماء الذين تعرفت إليهم يقتصرون على المستوى العام، يخطبون في الجمهور خطابات عامة، وربما كان لبعضهم طلاب يدرسون عندهم العلوم الدينية، ولكن هذا بشكل محدود، وكان لمجالس بعض العلماء دور في تنمية بعض الكفاءات الأدبية والثقافية بشكل عفوي. كانت الحركة العلمية في القطيف آنذاك مصابة بحالة من الفتور والشلل، وكان عدد العلماء محدوداً في القطيف وعدد طلاب العلوم الدينية كان محدوداً، ولكن فيما بعد حدث نوع من الاندفاع والإقبال، وخرج كثير من الطلاب للدراسة في الحوزات العلمية، فأصبح لدينا الآن عدد وفير من العلماء وطلاب العلوم الدينية، ولكن في تلك الحقبة وأنا أتحدث عن ١٣٨٥هـ كان عدد العلماء في القطيف محدوداً ويعدون على أصابع اليد في كل محافظة القطيف وقراها ومدنها. كان هناك عدد من الخطباء، ولكن ليس كل خطيب عالماً.. قليل منهم درس العلوم الشرعية، وكثير منهم كان يقتصر على قراءة التواشيح والأشعار والسير التاريخية.

بالنسبة للمدارس التي درجت فيها: أحكومية كانت أم كتاتيب؟

- نعم، درست المرحلة الابتدائية في مدرسة زين العابدين بالقطيف، والمتوسطة بمدرسة الأمين المتوسطة بالقطيف.

تبقى لسن المرحلة الابتدائية كثير من الذكريات العذبة التي لا تمّحي. ما الذي تتذكره من أحداث وعلقت بذاكرتك ولم تبارحها وأنت الآن أمامي في هذا العمر شيخ حسن؟

- الذي أتذكره أن بعض المدرسين من الفلسطينيين والأردنيين كانوا يتحدثون لنا في بعض الأحيان عن وضع فلسطين وعما يجري في الأردن، وكان بعضهم يسرب بعض الأفكار فيما يرتبط بالقومية العربية وفيما يرتبط بمصر وبجمال عبدالناصر، ففي ذهني لمحات، كنت أسمع في المدرسة بعضاً من هذه الأشياء؛ لأن أغلب المدرسين كانوا غير سعوديين، فكنت أسمع منهم عن بلدانهم، وكانت المدرسة تمثل لي انفتاحاً على نسق جديد بخلاف البيئة التي كنت أعيش فيها، هذا ما لفت نظري في تلك المرحلة، والشيء الآخر الذي أتذكر أننا كطلاب في تلك المرحلة كنا نعيش حالة من الشدة من قبل الإدارة ومن قبل المدرسين، كان هناك انضباط صارم وتعامل قاسٍ من قبل المدرسين على الطلاب، أتذكر الكثير من الحالات التي كان يضرب فيها الطلاب عند أقل خطأ بالعصا وكيف كان بعضهم يُخرج إلى الشمس، وقد يعاقب كل الفصل عقاباً جماعياً عند حصول خطأ من بعض الطلاب.

هذه كانت حالة عامة في كل مدارس المملكة.. لكن اعذرني في سؤال لـ (معلم الصبية): هل سبق لك وأن وضعت على الفلقة وبرّحت بك العصا في قدميك بتلك الأزمنة؟

- لم يحصل أن وضعت على الفلقة.. لكن حصل في بعض الأحيان أن كانت عقوبات بسيطة، وكان من أسبابها أنني كنت في أيام المناسبات الدينية باعتباري أمارس الخطابة أتغيب أو أقصر في بعض الواجبات، ولكن فيما بعد تفهمت الإدارة وتفهم المدرسون وضعي، فصاروا يخاطبونني (بالمطوع)، وعرفوا عني هذا التوجه، وأتذكر هنا قصة طريفة هي أن مدير مدرسة زين العابدين الابتدائية في القطيف الأستاذ سعد الرحيل وهو من قبيلة الخوالد من قرية عنك من قرى محافظة القطيف يسكنها إخواننا السنة باعتباره يعرف الأعراف والتقاليد الموجودة في المجتمع، ويسمع عني أنني حسب التعبير (ملاّ) وخطيب لذلك كان يعاملني تعاملاً

مميزاً ويغض الطرف عن غيابي في المناسبات الدينية خاصة في مناسبة عاشوراء التي أكون فيها مشغولاً بالخطابة لمدة عشرة أيام، وأذكر أنه في عام ١٣٨٨هـ كنت مرتبطاً بالخطابة في الأحساء فجئت إلى المدير وقلت له: إنني سأقرأ في الأحساء ولذلك احتاج إلى إجازة عشرة أيام، ولم يكن متعارفاً أن يأخذ طالب إجازة عشرة أيام، ولكن قدر ظرفي وسمح لي بالذهاب إلى الأحساء وفوجئ بطلب آخر حين قلت له: إنني لا أستطيع أن أذهب وحدي وإنما معي زميل بالصف، وإنني سآخذه معي مرافقاً. فسمح لمرافقتي بذلك وسافر معي هذا الزميل، وكنت في الصف السادس الابتدائي، وعندما انتقلت إلى المرحلة المتوسطة صاروا يطلبون مني دوراً في الإذاعة الصباحية، وبالفعل كنت أدير أغلب البرامج، حتى ظهرت عندي بواكير الشعر في تلك المرحلة، فبدأت أنظم الشعر وكان شعراً بسيطاً، وأهميته تنبع من أنني كنت أتحدث فيه عن قضايا المدرسة، وكان الجميع يعاملونني باحترام باعتبار أنني كنت أمارس الدور الديني والخطابي.

التعايش الطائفي الفريد

ذكرت في إجابتك هذه قرية (عَنك) وقبيلة (الخوالد) السنية وتعامل المدير معك. لكأنني أستشف تعايشاً طائفياً صورته إيجابية جداً. غير ما ترسّخ في الذهنية البعيدة عنكم. هلا صححت لي.

- على مستوى الناس كان هناك تداخل وتواصل طيب بين السنة والشيعة في منطقة القطيف، تعلمون أن أكثرية أهل القطيف هم من الشيعة، ولكن يوجد بعض القرى التي بها أهل السنة كقرية عنك ودارين وأم الساهك وبعض القرى الأخرى، كانت علاقتهم مع الشيعة علاقة طيبة، هناك تواصل اجتماعي في الأفراح والأتراح حتى إن بعض علماء السنة في المنطقة كانوا يدرسون عند بعض علماء الشيعة، وكان

والدي يحدثني أن إمام الجماعة في دارين اسمه السيد إبراهيم كان يأتي إلى تاروت ويتلقى علومه في اللغة العربية والنحو على يد علماء الشيعة، ويتواصل معهم ويتواصلون معه، وأهل عنك إلى الآن يتميزون بعلاقات طيبة مع بقية مواطني القطيف.. كانت السوق الرئيسة في المنطقة في القطيف، كانت سوقاً شعبية عامة، فكان السنة والبدو من المناطق كافة يأتون إليه ويشترون ويبيعون، وبعضهم عندما يهاجرون إلى البادية يتركون أموالهم وصكوكهم أمانة عند أهالي القطيف، وكان هناك تداخل اجتماعي وتداخل مصلحي واقتصادي، ولم تكن هناك تشنجات ولا فواصل ولا حواجز بين السنة والشيعة، وأنا أتحدث عن القطيف والحال في الأحساء أوسع وأفضل؛ لأن هناك تداخلاً في أغلب المناطق بين الشيعة والسنة، وكان بينهم علاقة طبيعية، وأخبرني بعض أدباء السنة في الأحساء ومن شخصياتها المعروفة أنهم درسوا في كتاتيب شيعية وعند علماء ومدرسين شيعة، وكان يحضرون مجالس ومنتديات الشيعة، ولم تكن الحالة متشنجة بل كانت طبيعية وطيبة.

أمريكا واللعب على الوتر الطائفي

ولكن يا شيخ حسن، وأنا أنصت لك الآن، وأقارنه بما نسمعه من تشكٍ دائم وحسينيات متتالية منكم تجاه الآخر الطائفي واتهامه بالإقصاء والأحادية وجملة من التظلمات، أجد بعض المفارقة. ما نحن بصدده مسألة وطنية تهمنا جميعاً كمجتمع وأفراد، خاصة في هذه الظروف التي نعيشها الآن، ولا يخفاك، وأنت السياسي المحنك، محاولات راعي البقر الأمريكي الجاثم بخاصرتنا الشمالية في العراق ومزايداته ولعبه على هذا الوتر الطائفي الساخن والحساس. هلا أوضحت لنا وجهة نظرك.

- هناك عوامل استجدت، العامل الأول: أن أجهزة الدولة أخذت في التشكل شيئاً فشيئاً، في الماضي كانت تدار الأمور بالبساطة، لم تكن هناك دوائر حكومية

متعددة لمختلف التخصصات، كان هناك أمير وشرطة وشيء محدود كما هو شأن كل المناطق في المملكة، كان الوضع أقرب إلى حالة البساطة والعفوية، لكن شيئاً فشيئاً بدأت تشكل أجهزة للدولة وبدأت تتكون قوانين لمختلف المجالات والأمور، مع هذا التشكل لمؤسسات الدولة لم تكن هناك مراعاة لخصوصية المجتمع الشيعي في مجاله الديني وفي مجاله الاجتماعي، فأصبح الإنسان الشيعي يصطدم بهذه القوانين التي لا تأخذ خصوصيته بعين الاعتبار، هذه نقطة. أما النقطة الثانية فالموظفون الذين شغلوا هذه الدوائر الرسمية والحكومية غالباً من غير أهل المنطقة؛ لأن المسؤول كان يوظف من يعرفه ويعرف كفاءته وقدرته، فبدأ الشيعة يشعرون ويتساءلون: لماذا يبعدون من الدوائر والمؤسسات؟ وخاصة على مستوى المديرين، هذا أوجد عندهم حساسية وتساؤلات، ولا يزال إلى الآن أغلب الأجهزة الحكومية إن لم يكن كلها لا مجال فيها لابن المنطقة لمواقعها الإدارية، وأنا هنا لا أتحدث كشيعي أو سني وإنما كابن لهذه المنطقة قطيفي يعيش في القطيف، والمؤسسات الحكومية موجودة، وهو لديه كفاءة لا تقل عن كفاءة غيره، لكنه يجد نفسه مستثنى، ولا يمكن أن يكون مديراً في رتبة متقدمة كمحافظ أو مدير شرطة أو رئيس بلدية أو لأي جهاز أو مؤسسة، وهذا أثار في نفوس الشيعة التساؤل، قوانين وقرارات لا تراعي خصوصيتهم خاصة في المجال الديني والثقافي، الوظائف والمناصب أيضاً تستثنيهم وأضيف إلى ذلك عاملاً آخر مفاده أنه بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران دخلت المنطقة وضعاً جديداً، وأصبحت التعبئة الطائفية جزءاً من الصراع في المنطقة، فالشيعة ارتفعت معنوياتهم وبدؤوا يسمعون إذاعة الجمهورية الإسلامية في إيران ويتفاعلون مع ما يطرح هناك، ومن ناحية أخرى كان السنة يعبِّؤون ضد الشيعة دينياً وثقافياً من خلال الخطب والفتاوى في تلك الحقبة. وهي معروفة.. هذا كله أوجد هذا التشنج الذي يشكو منه الواعون والمخلصون من الطرفين.

اسمح لي يا شيخ حسن، وقد تركتك تكمل ولم أجادلك بسبب أنني سأناقشك بالتفصيل عن ملابسات الثورة الإيرانية وتأثيراتها عليكم وعلى المنطقة. ولكنني أزعم بطبيعية هذه المآلات والتشنجية المصاحبة لها - وعندما نضع هذه القضية بكل ملابساتها السياسية والدينية على طاولة التشريع العلمي والقراءة التاريخية والعلمية لها - أننا سنرى حتمية النتيجة عبر هذا السياق. دعنا إذن نترك هذا الموضوع وسؤالي لك: هل مازلتم بعد الحوار الوطني وتوجيهات الأمير عبد الله تشعرون بما ذكرت؟

- بعد الحوار الوطني زادت تطلعات الناس وانتعشت آمالهم، فتوصيات الحوار والكلمات التي ألقيت بين يدي سمو ولي العهد وحديث سموه الصريح يشكل إيذاناً بمرحلة جديدة ومازلنا في مرحلة التوقع والانتظار؛ إذ لم تتحدد آلية معينة لتطبيق تلك التوصيات بعد.

وتلك مسألة أخرى، وأستأذنك في العودة بزمام الحوار إلى مبتدئه.. متى أكملت المرحلة الابتدائية؟

- أكملت المرحلة الابتدائية سنة ١٣٨٨هـ.

لأعد إلى مهنتي وأسألك سؤال "معلم الصبية": كم كان تقديرك؟

- لم يكن ممتازاً، كان جيداً جداً، ولا أريد أن أدافع عن نفسي ولكن انصراف هوايَ إلى العلوم الشرعية والدينية قد يكون هو السبب.

سأنتقل هنا طالما كان هذا التقدير الوسط يا شيخ حسن، وأنت داعية للوسطية، إلى المرحلة الخطيرة في عرفنا نحن المعلمين، وهي مرحلة المتوسطة بسبب علامات البلوغ وحشرجة الصوت والشعور بالرجولة وما يتبعه من عناد ساذج.. ما الذي علق بذاكرتك من المرحلة المتوسطة؟

- في المرحلة المتوسطة بدأت علاقتي مع الإدارة ومع المدرسين تصبح مميزة، وبدأت أمارس دوراً في إذاعة الصباح، وصار يعتمد عليَّ في حل بعض مشكلات الطلاب حينما يكون بعض الطلاب بينهم مشكلات أو بعض التقصير في الواجبات المدرسية. فالإدارة أو المدرسون - باعتباري "ملا" - يطلبون مني أن أتحدث معهم، فبدأت آخذ دوراً داخل المدرسة لا أذكر شيئاً أكثر من هذا.

وماذا عن معلميك ومدى تأثرك بهم؟

- علاقتي بالمعلمين كانت طيبة.. ولم يكن هناك تأثر بهم؛ لأن مصادر التأثر خارج المدرسة كانت هي الأكبر. والشيء الجديد بالنسبة لي كان درس اللغة الإنجليزية في المدرسة المتوسطة، وأذكر أن جدتي أم والدي -رحمها الله - كانت تقول لي: إذا أردت أن تقرأ القرآن وكنت تحدثت باللغة الإنجليزية فيجب أن تطهر فمك أولاً.

هذا يكشف لك حالة التحفظ التي كانت عندنا، أنا لم أكمل المرحلة المتوسطة؛ إذ غادرت للعراق لأكمل الدراسات الشرعية.

فما أكملت الصف الثالث المتوسط، فقد كنت عازفاً عن هذه الدراسة وكنت أجد نفسي أضيع وقتي، لذلك طلبت من والدي أن يسمح لي بالسفر إلى العراق والالتحاق بالحوزة العلمية وسافرت بالفعل إلى هناك.

تفرقة طائفية أم توجس موهوم؟

هنا سأسألك بكل صراحة. لطالما سمعت التشكي من قبل أبناء الطائفة لديكم حول التمييز في المدارس. وسؤالي لك يا شيخ حسن. هل شعرت بشيء من التفرقة الطائفية في المدارس الحكومية؟

- في ذلك الوقت لم يكن لدي شعور بالتفرقة الطائفية، وكانت الأمور عادية وطبيعية، فقط كانت بعض المناهج الدينية في التعليم تتحدث عن بعض الممارسات

والتوجهات الشيعية حديثاً قاسياً، تعدها بدعاً وشركاً، ولكن كان التوجيه في بيئتنا ومجالسنا يوضح لنا الأمور بشكل يتناسب مع مذهبنا.

أفهم من حديثك بأن ثمة تحصيناً طائفياً قوياً يحقن به الطالب من طائفتكم قبل التحاقه بالمدارس الحكومية؟

- ليس تحصيناً وإنما هي الحالة الطبيعية. الولد يتأثر بوالديه وبأحضان عائلته. ليس هناك تحصين مقصود يمارس، لم تكن عندنا مؤسسات، لا أذكر أن أحداً كان يدرس هؤلاء الطلاب الصغار ويعلمهم، لكن الحالة الطبيعية كانت تنتج ذلك؛ لأن التصاق الولد بعائلته كبير. لم تكن هناك برامج تليفزيونية ولا كرتونية ولا برامج مسلية أو برامج رياضية ينصرف إليها الطفل، لذلك كانت علاقته بوالديه وعائلته قوية جداً يعايشهم دائماً ويعايشونه، وبشكل طبيعي يأخذ دينه وعاداته وأعرافه. ولكن المدرسين الذين يدرسون المواد الدينية آنذاك لم يكونوا متحمسين للتركيز على القضايا الخلافية خاصة وأنهم كانوا في الغالب من خارج المملكة، وبعضهم من بيئات منفتحة.. لذلك كانوا يدرسون المنهج كما هو ولا يؤكدون كثيراً على مثل هذه الأمور. ولكن ما حصل بعد ذلك أن أصبح مدرسو هذه المواد غالباً من أبناء المملكة خريجي كليات شرعية، في هذه الكليات تصبح لديهم توجهات أكثر عقدية يركزون عليها. هنا دخل الطلاب الشيعة مرحلة جديدة ومازالوا يعيشونها حتى الآن. ولا تكاد تمر سنة دون أن تحدث مشكلة ما بسبب المواد الدينية؛ لأن مدرس المادة الدينية يأتي ولديه رسالة تبليغ أو تبشير يريد أن يهدي هؤلاء الناس الضالين أو الذين يمارسون البدع والانحرافات حسب رأيه، فتحصل المشكلات، في تلك الحقبة لم نكن نعاني من هذه الحالة.

يا شيخ حسن، أنت رجل تتسم بالواقعية. واسمح لي بمناقشتك بأسلوب علمي. لو عكست لك المسألة وأخذت إيران مثلاً أو أي دولة مشابهة أخرى، من الطبيعي

جداً أن تتحكم الطائفة الكبرى والأيديولوجيا الأوسع إضافة إلى منهج قام كيان دولة عليه، من الطبيعي أن يبشر دعاتها بأيدلوجيتهم في كل اتجاه، لسنا بدعاً من الأمر، ولسنا في حالة استثنائية كي يلقى كل اللوم علينا في أوقات سياسية صعبة وحساسة.. أتمنى أن تكون رسالتي واضحة هنا.

- إن مرحلة الطفولة لا تحتمل الصراع داخل عقل الطفل، ولذلك نجد مثلاً في إيران أن إدارة التعليم لا تترك مجالاً لمثل هذه المشكلة.. مناهج التعليم الديني في مناطق السنة في إيران وضعت وفقاً للمنهج السني وليس طبقاً للمنهج الشيعي. ولذلك أرى أنه من الصحيح فيما يرتبط بالمادة الدينية أن يكون التعليم للقيم الدينية العامة التي تشكل جامعاً مشتركاً أو أن يكون التعليم مشتملاً على كل الآراء بإيراد رأي المذاهب في أي مسألة، أو أن تأتي إلى مجتمع ضمن مذهب معين وتسلط معلمين مبشرين على أطفال في مرحلة التكون، وهذا يجعل الطفولة ساحة لصراع فكري ونفسي لا يتحمله الأطفال.

وطن واحد.. ومنهج واحد

سأصارحك يا شيخ حسن بتوجسي الشديد من الدعوة التي تقول، لسبب بسيط يتمثل بأننا وطن واحد، لا بد من أن ينتظمه منهج واحد متسامح. أما فكرة التقسيم القديم إلى مناطق شيعية وسنية فهذا إن صح قبل ٤٠ سنة فليس صحيحاً الآن بعد أن تشكّل الكيان وانتظم تحت وطن واحد!

- سيحتاج هذا إلى أمرين: الأمر الأول أن نجعل التعليم خاصة في مراحله الأولى يركز على المشتركات. والأمر الثاني أن لا يكون هناك ما عبر عنه في بعض الندوات بالمنهج الخفي بحيث لا يكون هناك دور تبشيري في مرحلة الطفولة، هذا المعلم الذي يأتي إلى منطقة شيعية يجب أن يأخذ هذه القضية بعين الاعتبار، إذا

أراد أن يبشر بفكره ومذهبه فله الحق، لكن عليه أن يتحدث إلى البالغين الراشدين، أما أن يأتي إلى أطفال في المرحلة الابتدائية أو المتوسطة ويقول لهم: آباؤكم مشركون وأمهاتكم أمهات بدع وعائلاتكم كلها ستدخل نار جهنم فهذا غير مقبول ولا معقول!

ولأن المناطق أصبحت مختلطة سنة وشيعة، فإذا كان الصف يحتوي على طلاب سنة وشيعة ويأتي المدرس ليتحدث مثل ذلك الحديث فإنه يوجد تحريضاً للطلاب على بعضهم بعضاً وهذا ما يحدث الآن في بعض المدارس.

إذا كان هناك سنة وهناك شيعة ويأتي المدرس ليتوسع في شرح زيارة القبور ويقول: هؤلاء قبوريون ويعبدون غير الله بزيارتهم للقبور والذين يتوسلون بالأئمة والأولياء مشركون وما إلى ذلك، فستصبح هناك جدليات ونقاشات بين الطلاب أنفسهم، وبالتالي يقسم الصف، فهذا شيعي، وهذا سني، وأنت مشرك، وأنت رافضي، وأنت وهابي، هل هذا من المناسب في وطن واحد؟

وعليه يجب أن يركز التعليم على المشتركات العامة أو إذا كانت هناك مصلحة في ذكر رأي المنهج الرسمي السائد فلا يكون هناك تركيز على التحريض ضد الآخر.. ووصف الطرف الآخر بالشرك والابتداع فهو غير صحيح، مثلاً: في الحجاز يقيمون الموالد، فحين تأتي وتقول إن إقامة الموالد من البدع وفيه ضلال وفيه شرك كما توجد عبارات في المناهج تقول بهذا وهو يرى أن أسرته تحتفل بمولد الرسول ﷺ فكيف سيعالج الطفل هذا التناقض؟

ولذلك يجب أن نجنب التعليم هذه الخلافيات.

سأتجاوز حديثك عن سنة إيران، لأن لي فيها كثيراً من الوقفات والملاحظات التي سأقفها لاحقاً معك، بيد أنني سأتطوع بلفت نظرك إلى تلك المراجعات

الصريحة التي تبدت في بعض رموز التيار الديني المحلي ودعاته، والذين أدركوا خطورة المرحلة، ولعلك رصدت هذا يا شيخ حسن، وليس حديثي تأييداً لما طرحت، بيد أنني أتمنى أن يتجاوز الغيورون من الطائفتين هذه الإشكاليات ليتعايشوا تحت مظلة وطنية نفيء إلى ظلالها دون طعن عقدي.. دعني أعُد هنا للفتى حسن الصفار الذي تقولب وتمشيخ في حقبة مبكرة من عمره، ألم يؤثر ذلك عليك في مسيرتك لاحقاً؟

- لا أعرف ماذا تقصد بالتأثير.!!

(مبتسماً) تتذكر مقولة الإمام الشافعي في تصدّر الغلام، ورميت من سؤالي إلى أنك لم تشب بين أقرانك كأي فتى، ولم تأخذ طفولتك بشكل كامل وطبيعي. والسؤال: ألم تؤثر هذه المرحلة التي عشتها (متمشيخاً) على نفسيتك وطرائق تفكيرك واختياراتك الآن وأنت في عقدك الرابع؟

- باعتباري كنت راغباً ولم يكن أحد قد فرض عليَّ هذا التوجه ووالدي لم يكن متشجعاً لكي أذهب للدراسة الدينية في البداية، وكان سبب ذلك خوفه عليَّ من أن أذهب إلى العراق وأتغرب في سن مبكرة، لذلك كنت مرتاحاً لتوجهي. أشعر بالفعل بأنني لم أمارس اللعب بالمقدار الكافي في مرحلة الطفولة كبقية أقراني؛ إذ كنت أمارس بعض الألعاب لحقبة وجيزة وبسيطة، ولكن بالفعل هذا التقولب في هذه المرحلة المبكرة حرمني من الاسترسال في مرحلة الطفولة، لكنني أشعر بامتلاك حصيلة ما من التجارب في مجال العمل الديني والاجتماعي لبدايتي المبكرة.

الشيخ حسن الصفار يعلنها مدوية في ثاني حلقات مكاشفاته:

المراهنة على الأمريكيين مراهنة على سراب؛ فهم لم يأتوا أبداً لحماية الأقليات أو نشر الديمقراطية.

المطلوب منا الآن هو تصليب الوحدة الوطنية وسدّ الثغرات التي ينفذ منها العدو، وليس تبادل الاتهامات.

الموقف حساس، والمشروع الأمريكي للهيمنة على المنطقة خطير، وهم يلعبون على وتر الأقليات والصراعات الطائفية.

كتاب (الكافي) لا يدرّس أبداً، ونحن الشيعة لا نتعامل معه كما يتعامل إخواننا السنة مع الصحيحين.

في حوزاتنا العلمية لا ندرس كتاباً للتجييش الطائفي ضد إخواننا السنة، بل أغلب كتبنا الدراسية وخاصة في علوم اللغة العربية والمنطق هي لأهل السنة.

ليس هناك تحصين قادر على استيعاب كل أبناء المجتمع، واخترقنا بسبب ضعف الحركة الثقافية الدينية والغبن.

لماذا يتحول الأمر إلى تشكيك في الولاء والانتماء بالنسبة للشيعة دون غيرهم؟

*****

بين يدي مكاشفات(*)

دعوني أعترف بأنني لم أتوقع أن يحظى الجزء الأول من مكاشفات الشيخ حسن الصفار بكل هذا الاهتمام من قبل النخب الفكرية المحلية، فقد فاق ما كنت أتوسمه حينما تلمست رضا وقبول الكثيرين من قراء (الرسالة).

صحيح أنني كنت مستشرفاً بعض ذلك، بيد أنني توقعت أيضاً ردة فعل عنيفة من قبل أطياف إسلامية عُرفت عنها حدّة الموقف، إلى جانب روح المفاصلة الطائفية حيال مسألة الشيعة برمتها.

يكفيني على أي حال ما وجدته من استشعار المجتمع ونخبه وقادته لأهمية ما قدمنا، عبر إتاحتنا الفرصة لشريحة من أبناء الوطن كي يعبّروا عن أنفسهم وهمومهم في إطار حوار داخلي ومراجعات وطنية خلاقة تتم عبر المنابر الشرعية المتاحة.

لكم نحن بحاجة إلى مناقشات تتسربل الشفافية وتعتمد المكاشفة بروح وطنية حقيقية، وخصوصاً في هذا الظرف المجتمعي الحسّاس، حيث تخيّم اللعبة السياسية الخطيرة على أجوائنا كشعب ووطن.

نزعم أيها السادة أن ما نفعله هو جزء من مسؤوليتنا المهنية الوطنية، وأننا بما نقدمه سنفوّت الفرصة على سيد العالم الأشقر الذي استمرأ دسّ أصابعه في أحشائنا، وبات منذ ١١ سبتمبر يكيل لنا الاتهام تلو الاتهام، ويسوق لنا الإدانة تلو الإدانة، خالطاً في ذلك الحق بالباطل، ومشهراً في وجه العالم لافتة مكافحة الإرهاب، ومقوضاً في طريقه مئات المشروعات الإنسانية والخيرية التي تنبعث من

(*) نشرت الحلقة الثانية في ملحق الرسالة بتاريخ ١٤٢٥/٨/٢٤هـ.

هذا البلد المعطاء، بل وصل به الأمر إلى حد توجيه الإملاءات بما يجب علينا أن نقرأه وندرسه ونتعلمه، سالكاً في غيّه هذا ألاعيب السياسي وخبثه.

لقد تابعناه قبل أيام وهو يستضيف في الكونغرس أحد المارقين على المجتمع ممن يحسب نفسه على إخواننا الشيعة، كيما يؤلّب على وطن محفوظ بعين الله، وعلى مجتمع متماسك وملتف حول رايته الشرعية، ومستعد للتضحية بالغالي والنفيس كيما يحافظ على وحدة شعبه وترابه.

هكذا اصطف المدعو علي آل أحمد إلى جانب آخرين مبثوثين في لندن ونيويورك، ينفثون أحقاداً قميئة، ويضعون في يد ذلك الذئب الأمريكي المتسربل بشعاراته الكاذبة عن حقوق الإنسان والديمقراطية، أدلة (علقمية) موهومة يشهرها في وجه قادتنا كي يدلل على هرائه الذي ما فتئ يلوح بها في وجهنا أينما يمّمنا.

في هذه الأجواء يبدو من الضروري أن يكون بعض طلبة العلم وأولئك العلماء الذين يتخذون موقفاً حدّياً من مسألة التعايش، على وعي كامل بأنّ أي عبارة تنطلق دون تأمل للعواقب، أو أي تصريح لا يحيط بالمتغيرات التي تموج من حولنا، سترتد سلباً علينا جميعاً. ويجب أن يفهم سادتنا هؤلاء بأنهم - عبر إطلاق الفتاوى الطائفية على عواهنها - قد يكررون دون وعي ما تفعله جوقة المعارضة الخارجية الزاعقة، وهو ما سيضر بموقفنا السياسي الحسّاس أمام العالم.

فليتقِ الله أولئك في وطنهم ودينهم. ولعل من المناسب هنا أن أشير إلى أن بعض القوم قد بعثوا بخطابات كيدية تنال من توجه كاتب السطور، ما يدفعني إلى أن أسجل هنا بعيدًا عنهم، أنني راضٍ عن اجتهادي الذي رجوت به وجه الله تعالى، وهو وحده العالم بالسرائر، دافعي في ذلك واجب أكيد لوطن أدين له بالحب والعشق والإخلاص ولا يزايد عليّ في حبه أحد. وإلى الحلقة الثانية من مكاشفات الشيخ حسن الصفار.

عبد العزيز قاسم

سنبدأ هذه الحلقة يا شيخ وأنت تلحّ على أبيك للانتقال إلى العراق وسؤالي هنا: هل كانت هذه حالة عامة لديكم في القطيف، حيث يُرسل الطلاب النوابغ من عائلات الشيعة الكبيرة العلمية إلى الحوزات؟ ولماذا العراق يا شيخ؟ لماذا لم تك إيران مثلاً؟

- كان شائعاً في الماضي أن العائلات العلمية ترسل أبناءها أو تربي أبناءها على الدراسة الدينية، ولكن في المرحلة التي نشأت فيها كانت هناك حالة من الفتور، حتى إن العائلات العلمية لم تعد ترسل أبناءها أو توجههم للدراسة الدينية، لذلك أصبحنا في القطيف نعيش حالة انقطاع لتواصل الأجيال في العائلات العلمية العريقة، عائلات من مائة سنة وأكثر كانوا يتوارثون الدور العلمي والديني، ولكن انقطع في تلك الحقبة، فكان الذين يذهبون للدراسة العلمية الدينية عدداً قليلاً ومحدوداً جداً وأسباب ذلك عديدة اجتماعية واقتصادية. في الماضي هناك فرص للدراسة في القطيف: مدارس وحوزات، ولكن تقلصت هذه الفرص، وبالتالي أصبح دارس العلم الذي يريد أن يدرس العلوم الدينية لا بد له من أن ينتقل من صغر سنه إلى الخارج، وما كان الأهل يحبذون إرسال أبنائهم وهم صغار، وحينما يكبر الواحد منهم يكون قد شق طريقه في حرفة من الحرف أو مهنة من المهن، ولذلك كنا نعيش مرحلة من الركود والفتور على المستوى العلمي الديني، فكان الذين ذهبوا للدراسة الدينية في ذلك الوقت عدداً قليلاً ربما وصل إلى عشرين أو إلى خمسة وعشرين، وكانوا أكبر مني سناً. فالسفر في تلك السن لم يكن مألوفاً.

أما لماذا النجف وليس إيران......

معذرة قبل الإجابة على هذا السؤال، ولكن طرأ لي سؤال عن سبب السفر إلى النجف، والقطيف بها الحوزات، وكانت تسمى - كما في كتبكم التي اطلعت عليها - بالنجف الأصغر..

- ذاك كان في مرحلة سابقة، أما في المرحلة التي أتحدث عنها فقد كان هناك جمود كبير على المستوى العلمي والديني في منطقة القطيف.

إذن لماذا لم تذهب إلى إيران؟

- كل المجتمعات الشيعية العربية كانت دراستهم في العراق وليس في إيران، والمرجعية الدينية الشيعية تاريخياً في العراق وليست في إيران، وليس هناك تاريخياً ارتباط بين شيعة المنطقة بشيعة إيران، إنما كان ارتباطهم مع العراق ومع الحوزة العلمية في العراق؛ لأنها المنطقة الأقرب، وثانياً بسبب اللغة العربية، وثالثاً لأن الحوزة العلمية المركزية بالنسبة للشيعة في العالم كلهم بما فيهم إيران كانت في النجف. لم تكن الحوزة في إيران قد أخذت تمركزها ومكانتها في العالم الشيعي إلا بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، والتضييق الذي حصل للحوزة العلمية في النجف من قبل حزب البعث الحاكم في العراق آنذاك.

مرجعيات الشيعة: أعاجم أم عرب؟

سأتوقف معك هنا يا شيخ حسن. قلت للتو بأن المرجعيات عربية. بيد أنني عندما أستعرض المرجعيات الشيعية الكبرى، أجدهم من العجم، مثلاً: بشير النجفي باكستاني، إسحق الفياض أفغاني، السيستاني ومحمد سعيد الحكيم إيرانيان.. من الواضح أن ثمة التباساً.

- السيد محمد سعيد الحكيم عراقي عربي، ومن أصل عربي وليس إيرانياً، وجده السيد الحكيم كان من قادة ثورة العشرين في العراق، والسيد محسن الحكيم كان مرجع الشيعة في العراق وإيران، وشارك في الثورة التي قاومت الاحتلال البريطاني في العراق، فهو عراقي وليس إيرانياً. في تلك المرحلة كانت المراجع والعلماء العرب كثيرون، في العراق مثلاً من آل كاشف الغطاء كبار العلماء في

الحوزة العلمية كانوا من العرب، الشيخ جعفر كاشف الغطاء من كبار العلماء والمجتهدين، وأهم كتاب فقهي يعتمده الشيعة الآن فقهاؤهم وعلماؤهم ويستفيدون منه اسمه (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) مؤلفه من أصل عراقي وهو جد الجواهري الشاعر العراقي المعروف، وعرفوا باسم الجواهري نسبة إلى كتاب (جواهر الكلام) للشيخ محمد حسن النجفي، وكان من كبار مراجع الشيعة، والشيخ محمد رضا آل ياسين أيضاً مرجع شيعي كبير عراقي، والشيخ مرتضى آل ياسين والسيد محمد باقر الصدر من عائلة الصدر والصدر الثاني السيد محمد صادق أيضاً عراقي عربي، فكان هناك مراجع كثيرون من العراق من العرب وعندنا من لبنان مراجع مثل السيد محسن الأمين العاملي وكبار العلماء السابقين في التشيع هم أيضاً عرب، الشيخ المفيد عربي بغدادي العلامة الحلي من الحلة في العراق. كبار العلماء كانوا من المنطقة العربية، لكن خلال العقود الثلاثة الماضية مرت بالنجف والحوزة العلمية محنة كبيرة جداً وبالتالي كانت الفرصة متاحة أمام الإيرانيين لكي يواصلوا دراستهم العلمية، لكي يتطوروا، وتصعبت الأمور على العراقيين أنفسهم إضافة أيضاً إلى أن هناك مراجع أيضاً هم من المنطقة الخليجية، من البحرين عندنا مراجع كبار مازال إلى الآن هناك من يقلدهم كالشيخ يوسف البحراني (توفي سنة ١١٨٦هـ) هذا فقيه كبير وعنده كتاب مهم (الحدائق الناظرة في فقه العترة الطاهرة) وهو كتاب مفصل في الفقه، ويستفيد منه العلماء، والشيخ حسين العصفور (توفي سنة ١٢١٦هـ) أيضاً من البحرين ومازال كثير من أهل البحرين يقلدونه، والشيخ أحمد زين الدين الأحسائي (توفي سنة ١٢٤١هـ) من الأحساء وكان مرجعاً قلده قسم كبير من الإيرانيين، وعندنا في القطيف الشيخ علي الخنيزي (توفي سنة ١٣٦٣هـ) والشيخ عبدالله المعتوق (١٢٧٤ - ١٣٦٢هـ) وعلماء كثيرون كانوا مراجع. أما الحالة الموجودة الآن فهي أن أكثر المراجع والفقهاء من

الإيرانيين فبسبب ما عاشه الشيعة في المنطقة العربية من إقصاء ومن تهميش.. فالشيعة في العالم العربي عاشوا تهميشاً حتى في بلد مثل العراق يمثل الشيعة فيه أغلبية، ولكنهم كانوا مهمشين وكانوا يعانون من الضغوط، وهذا أصبح واضحاً، بقي أن أشير إلى أن المرجعية الدينية لا تتأثر بالاعتبارات المادية والسياسية.

عودة إلى ذهابك إلى النجف.. وأنا إزاء رصد تاريخي ربما أكثر منه صحافياً زاعماً بأنها مادة بكر أقدمها لقارئ (الرسالة). هلا وصفت لنا يا شيخ حسن وصفاً مفصلاً طريقة تلقي طالب العلم الشيعي دروسه في الحوزة العلمية الشيعية.

- ذهبت إلى النجف في بداية سنة ١٣٩١هـ وعشت مع المجموعة القطيفية أو السعودية من القطيف والأحساء، كان هناك عدد من الطلاب وبعضهم قد مضى عليه مدة بالنجف وكانوا يولون عنايتهم للملتحقين الجدد، وكانت دراستي على أيديهم، كما درست على يد بعض العلماء اللبنانيين وبعض العلماء العراقيين، ودروسنا مثل الحلقات العلمية التي توجد في المساجد لم تكن دراسة منتظمة على شكل صفوف وعلى شكل دراسة أكاديمية، وإنما كانت لكل طالب الحرية في أن يختار الدرس الذي يريد والمدرس الذي يريد، هناك دروس موجودة في الحلقات بالمساجد، وفي هذه المرحلة تكون الدروس في اللغة العربية في النحو والصرف وهناك دروس في المنطق ودرس في مبادئ الفقه وأصول الفقه.

سأدخل ببعض التفصيل كي يستطيع قارئي مقارنته بما لديه. ما هي كتب الفقه التي تدرسونها؟

- في البداية هناك ما يطلق عليها (الرسالة العملية) أي: الكتاب الفقهي للمرجع الشيعي الموجود، كل مجتهد يأتي يبين آراءه في الأحكام الشرعية وليس ملزماً بآراء الفقهاء السابقين وإنما يجتهد ويطرح آراءه في كل المسائل الفقهية، هذه

الآراء تجمع ثم تطبع ويطلق عليها (الرسالة العملية) أي: الرسالة التي يعمل بها (المقلد) وفي بعض الأحيان يأخذ المرجع الرسالة التي عملها المرجع الذي قبله ويعلق عليها وكل مرجع متصدٍّ للمرجعية لا بد من أن يكون له كتاب يحمل آراءه الفقهية؛ لأنه يجب أن يبدي آراءه في كل مسألة من المسائل في كل أبواب الفقه من الطهارة إلى الديات.

في بدايتنا ندرس هذا الكتاب من أجل أن يكون الطالب عارفاً بتكليفه ولو سئل أجاب بحسب آراء المرجع الموجود. بعد أن ننهي (الرسالة العملية) ندرس كتاباً آخر اسمه (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي الشيخ جعفر بن الحسن (٦٠٢ - ٦٧٦هـ) فقيه عراقي. وهو كتاب فقهي عبارته رصينة وموسع في كل أبواب الفقه. بعد أن ننهي هذا الكتاب ندرس كتاباً آخر اسمه (اللمعة الدمشقية) وشَرْحها، ومؤلفها الشيخ محمد بن مكي العاملي من جبل عامل - لبنان (٧٣٤ - ٧٨٦هـ) وشارحها الشيخ زين الدين العاملي (٩١١ - ٩٦٥هـ) والكتابان يدرسهما الطلاب العرب والعجم.

واللمعة الدمشقية نسبة إلى دمشق؛ لأن المؤلف ألفها في دمشق، هذه موسوعة مفصلة في كل أبواب الفقه، فيها نوع من الاستدلال، بعد اللمعة الدمشقية يدرس كتاب آخر اسمه (المكاسب) للشيخ مرتضى الأنصاري (١٢١٤ - ١٢٨١هـ) وكان من كبار العلماء في النجف الأشرف، ومن اسمه (المكاسب) يرتبط موضوع الكتاب بالكسب والتجارة والبيع وكل ما يرتبط بهما، وهو كتاب يمهد ذهن الطالب لمرحلة استنطاق الحكم الشرعي، بعد كتاب المكاسب تنتهي الدراسة الكتابية الفقهية إن صح التعبير، وينتقل الطالب إلى ما يطلق عليه (البحث الخارج) يحضر محاضرات المجتهدين التي تتحدث ليس ضمن مكان معين وإنما هو يلقي المسألة وأدلتها ويطرح رأيه ويفسح المجال للطلاب حتى يناقشوه فيها، ومن خلال الحضور في هذا المجلس والمناقشة تتكون عند الطالب ملكة استنطاق الحكم الشرعي. وهناك منهج لدراسة أصول الفقه يمر بكتب عدة آخرها (الرسائل) للشيخ مرتضى الأنصاري و(كفاية

الأصول) للشيخ محمد كاظم الخراساني (١٢٥٥ - ١٣٢٩هـ) وبعدها يكون بحث الخارج في الأصول إلى جانب بحث الخارج في الفقه.

وبعد الحضور لسنوات في هذه المحاضرات إذا أثبت الطالب من خلال مناقشته مع الأستاذ ومن خلال حواره مع زملائه أو كتاباته أنه قادر أُطلق عليه لقب مجتهد، وأعطي إجازة الاجتهاد من الأستاذ، بمعنى أن هذا الطالب أصبح قادراً على استنطاق الحكم الشرعي.

طبعاً ممارسة الاجتهاد لا تحتاج إلى إجازة، لكن من أجل أن يعرف الناس أن هذا مجتهد، ومستوى الاجتهاد متفاوت، هناك عالم وهناك من هو أعلم منه، وقد تعارفت الشيعة خاصة في العصور المتأخرة على القول بتقليد الأعلم، فعلى الناس أن لا يقلدوا أي مجتهد بل يبحثوا عن أعلم مجتهد باعتبار أنه ما دام أعلم فقوله أقرب للصواب وإلى الاطمئنان كما في أي مجال من مجالات العلوم، يؤخذ برأي من عرفت أعلميته وأفضليته فيكون هو المرجع الأعلى، وقد لا يكون واحداً بل قد يكون طبقة من أفراد عدة عادة ما يكونون ثلاثة وبالكثير ستة أو سبعة، هؤلاء هم الذين يدّعى لهم الأعلمية، قد لا تتوحد كل الآراء على أن شخصاً بعينه هو الأعلم فيصبح عندنا طبقة من المراجع يدعى لهم الأعلمية وغالباً ما يكون من بينهم الأبرز الذي يطلق عليه المرجع الأعلى.

هذا بالنسبة للفقه، ولكن تهمني جداً مسألة العقائد التي في تصوري تمثل مفاصلة حادة واختلافاً أشدّ بينكم وبين الطوائف الأخرى، ماذا عن كتب العقائد؟

- في العقائد عادة ما يدرس كتاب (تجريد الاعتقاد) للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (توفي ٦٧٢هـ) وله شروح عديدة وأكثر من نصفه في الفلسفة عن الوجود والعدم، وعن الماهية ولواحقها، والعلة والمعلول، والجواهر والأعراض، والقسم الآخر في التوحيد والنبوة والمعاد والإمامة.

ويدرس (الباب الحادي عشر) وهو فصل من كتاب للشيخ الحسن بن المطهر الحلي (توفي ٧٢٦هـ) وهو في التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد.

وفي السنين الأخيرة صار الطالب يبدأ بدراسة كتاب (عقائد الإمامة) للشيخ محمد رضا المظفر من العلماء العراقيين المجددين المصلحين، وكل هذه الكتب تطرح المعتقدات الشيعية بأدلتها بعيداً عن التشنج وتكفير الآخر وتجريحه أو التعبئة ضده.

كتاب الكافي ومنزلته

يبقى أن أسأل عن كتاب شهير، وسمعته لدينا كما تعلم، وهو كتاب الكافي. من يقينياتنا فيه أنه بالنسبة لكم بمنزلة كتاب الإمام البخاري.. في أي المراحل تدرسونه؟

- كتاب الكافي لا يدرس أبداً ولا يعد كتاباً عقدياً ولا كتاباً فقهياً وإنما يعد مجموعة حديثية، بمعنى أنه مصدر من مصادر الحديث، ونحن الشيعة لا نتعامل مع كتاب الكافي كما يتعامل إخواننا السنة مع الصحيحين، لا يرون ما في كتاب الكافي من أحاديث كلها صحيحة وإنما على المجتهد أن يدرس كل حديث من الأحاديث، يدرس سند الحديث ومتنه مقارنة له بالنصوص الأخرى، وبعد ذلك يعطي رأيه في صحته من عدمها، ولذلك قد لا يتفق الفقهاء بأن حديثاً بعينه يعد صحيحاً فقد يرى بعضهم أنه صحيح ويرى البعض الآخر أنه غير صحيح، وهذه هي الإشكالية، وهي أن إخواننا السنة يحاسبون الشيعة على ما ورد في كتاب الكافي وهذا خطأ كبير ناتج من الخلط في الموضوع.

كتاب الكافي لا يدرس أصلاً في حوزاتنا العلمية، وليس كتاباً عقدياً ولا فقهياً، ولا يصح محاسبة الشيعة على كل حديث ورد فيه.

بكل صراحة أنا مندهش من إجابتك، ما يجعلني أتساءل اتكاء إلى موروثي الفكري حيال قضية الشيعة: أما سمعته للتو هو رأي الشيخ حسن الصفار العالم الشيعي السعودي؟.. أم إن ما ذكرته معبّر عن رأي جملة علماء الشيعة العرب والعجم؟

- بل كل علماء الشيعة يتحدثون عن هذا الأمر، كانت هناك مدرسة عند الشيعة يطلق عليها (مدرسة المحدثين الإخباريين)، هذه المدرسة كانت ترى صحة ما في الكتب الأربعة (الكافي) و(تهذيب الأحكام) و(الاستبصار) و(من لا يحضره الفقيه) فهي عندها بمثابة الصحيحين عند أهل السنة، وهذه المدرسة كانت هي السائدة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة. أما قبل هذا التاريخ وبعده فالاتجاه السائد يمثل المدرسة الأصولية التي لا ترى صحة كل ما في هذه المجاميع الحديثية. ولو أن أي شخص اطلع على أي كتاب فقهي واحد من كتب الشيعة الاستدلالية لوجد هذه الحقيقة واضحة أمامه؛ لأن الفقيه يأتي بالمسألة ويقول: الدليل عليها رواية وردت في كذا ولكن هذه الرواية صحيحة أو غير صحيحة مقبولة أو غير مقبولة. أبرز الفقهاء المراجع المعاصرين عند الشيعة ولعلكم سمعتم عنه هو السيد أبو القاسم الخوئي وكان المرجع الأعلى للشيعة، له كتاب موسوعة اسمه (معجم رجال الحديث) ثلاثة وعشرون مجلداً، كل رواة الحديث عند الشيعة تحدث عنهم في المعجم مرتبين على حروف الأبجدية، في مقدمة كتابه تحدث بشكل وافٍ عن رأيه ورأي الشيعة المحققين في الكافي وفي الكتب الأربعة، قال تحت عنوان (روايات الكتب الأربعة ليست قطعية الصدور) في مقدمة الجزء الأول ما نصه: (ذهب جماعة من المحدثين إلى أن روايات الكتب الأربعة قطعية الصدور، وهذا القول باطل من أصله، إذ كيف يمكن دعوى القطع بصدور رواية رواها واحد عن واحد. ولا سيما أن في رواة الكتب الأربعة من هو معروف بالكذب والوضع، على

ما ستقف عليه قريباً في موارده إن شاء الله تعالى). فالثابت عند الشيعة أن الكافي مجرد مصدر حديثي فقط، ومن هنا عتابنا على بعض العلماء عندما يحاكموننا على أساس أحاديث وردت في الكافي. المحاسبة عليه تشبه أن نحاسب أهل السنة على كل أحاديث مسند الإمام أحمد بن حنبل.

أو على الأحاديث الواردة في كنز العمال أو على أي مصدر لا يعدونه من الصحاح، أنا لا أستطيع أن أحاسبك عندما تقول: إن هذا الحديث موضوع أو ضعيف غير مقبول. فالشيعة بالنسبة لكتبهم الأربعة الحديثية يتعاملون معها على هذا الأساس.

مرحلة التجييش الطائفي

التجييش الطائفي.. لأقف هنا قليلاً معك. يدرك كلانا بأن هناك تراكمات تاريخية بين الطائفتين، وأقدّر لك روحك وأطروحاتك التوافقية، لكن لا بدّ من سؤالك بشفافية عن التجييش الطائفي ضد أهل السنة.. في أي المراحل يتعرض لها الطالب الشيعي؟

- في الحوزة العلمية لا ندرس كتاباً للتجييش الطائفي ضد السنة، على العكس من ذلك أغلب كتبنا الدراسية وخاصة في علوم اللغة العربية والصرف والمنطق هي لأهل السنة، في علوم النحو نحن نبدأ بدراسة شرح الآجرومية لابن آجروم الصناهيجي، وبعده ندرس قطر الندى لابن هشام، وبعده ندرس ألفية ابن مالك إما بشرح ابنه، ابن الناظم أو بشرح ابن عقيل، وبعد ذلك ندرس (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) أيضاً لابن هشام، هذه هي الكتب النحوية التي ندرسها في الحوزة، وفي الصرف ندرس الكتب الصرفية لسنيّين مثل: (شذا العرف في فن الصرف) لأحمد الحملاوي، وفي المنطق والبلاغة ندرس للتفتازاني كمختصر المعاني والبديع، أما

الكتب الفقهية فهي تعرض آراء المذهب وربما تشير إلى الرأي المخالف. وليس في مناهجنا الدراسية تجييش؛ لأن الكتب العلمية هي كتب دراسة، والتجييش عادة ما يكون للعامة، أما الدراسة فتكون علمية. بل على العكس من ذلك غالباً ما تنحو دراستنا الفقهية والأصولية إلى المقارنة، فيستعرض رأي السنة إلى جانب رأي الشيعة سواء أكان في الفقه أو الأصول مع المناقشة العلمية الموضوعية.

ومناهجنا الدراسية مناهج معلنة ومطروحة ويمكن لأي شخص أن يطلع عليها.

ولكن يا شيخ حسن، التحاماً بالواقع الموجود والتاريخ الذي لا يمّحي، بودي سؤالك بعيداً عن المثالية المتوخاة: أين هي جذور الانفصال بين الشيعة والسنة الذي أدى بهما إلى هذا الحال.. هل هي مثلاً في مسألة سبِّ طائفة الشيعة للصحابة رضوان الله عليهم جميعا؟

- هي تأتي من عاملين، الأول أن الشيعة كانوا أقلية محكومة، وكان الفقه في أغلب الحقب للمذهب الرسمي الذي هو مذهب أهل السنة، وفي كثير من الحقب كان يُمارس نوع من القمع والاضطهاد للشيعة كما في الدولة الأموية والعباسية والعثمانية، وحينما يمارس نوع من القمع على جماعة يتكون لديهم رد فعل يكون في تمسكهم أكثر بمذهبهم ومحاولة التحصين لأنفسهم ولأجيالهم من الرأي السائد ولا يمكن الإنكار أنه كان هناك صراع في عمق التاريخ... فجذور الانفصال تكمن في عدم احترام حرية الرأي الآخر وفي قمع معتنقيه.

بداية الخلاف كما هو معلوم خلاف سياسي حول مسألة الخلافة والإمامة، لكنه ما لبث أن تحول إلى إيجاد مبررات دينية وشرعية لكل طرف، وهناك تكونت المذاهب وتكونت التوجهات..

عفواً لاختلافي معك هنا يا شيخ حسن، قلت إن الشيعة كانوا دوماً أقلية محكومة، وأتصور أن ذلك غير صحيح، هناك الدولة الصفوية التي قامت بالمذابح

تجاه أهل السنة، وهناك الدولة االبويهية، والحمدانية.. هل أذكرك بالدولة الفاطمية وتاريخ الحاكم بأمرها؟

- نعم، الشيعة ضمن الخلافة الإسلامية العامة كانوا أقلية، وقامت لهم بعض الدول في مناطق من العالم الإسلامي ولبعض الحقب، فالفاطميون حكموا في شمال إفريقيا ومصر وبعض بلاد الشام، والحمدانيون في منطقة الموصل وحلب، والبويهيون حكموا الجزء الغربي من إيران والعراق، والصفويون حكموا في إيران.

فحكوماتهم كانت ضمن مقاطع زمنية وجغرافية لا تنفي كونهم أقلية في المجمل الزمني والواقع العام.

أما الحديث عن تعامل هذه الحكومات مع أهل السنة فهذا يحتاج إلى بحث موضوعي بعيداً عن تأثير الانتماءات المذهبية في كتابة التاريخ وسرد وتحليل أحداثه، بالطبع لا يمكن تبرئة هذه الحكومات خاصة وأن الفكر والفقه الشيعي لا يسبغ عليها الشرعية؛ لأن للحكم الشرعي مواصفات لم تتحقق عند أغلب هذه الحكومات المنتمية للشيعة، وكان الحكم الشاهنشاهي في إيران محسوباً على الشيعة، لكن علماءهم لم يسبغوا عليه الشرعية، وأخيراً أسقطوه.

لكن ذلك لا يعني القبول بكل ما يثار حول هذه الحكومات وخاصة إذا كان من طرف خصومهم.

ذهبت بنا تاريخياً يا شيخ حسن عن نشأة الخلاف بين الطائفتين، وربما لن أتجادل معك كثيراً وأترك تفنيد ما قلت لطلبة العلم ليعلقوا. ولكن لي سؤال هنا عن جوهر التشيع. لكأني أتلمس. وأنا العامي، بأنه سياسي بالدرجة الرئيسة. بمعنى أن دعائمه قامت على أفكار سياسية..

وجوهر التسنن أيضاً انطلق من موقف سياسي إذا أخذنا الخلافة كمحور تمايز وافتراق.

وأريد بكلامي هذا أنه ليس من الصحيح أن جهة تعد نفسها تمثل الاتجاه الديني وأن مواقفها انطلقت من الدين وجهة أخرى انطلقت مواقفها من مصلحة سياسية. هذا التصوير خطأ وفيه خلط للمسألة، فكلا الطرفين يعدُّ نفسه منطلقاً في موقفه السياسي من مبررات دينية، ولكل منهما مدرسة عقدية ومذهب فقهي.

فبعد وفاة رسول الله ﷺ حصلت بيعة الخليفة الأول في سقيفة بني ساعدة فكانت تأسيساً للموقف السني في الخلافة، وحصل اعتراض عند بني هاشم وعدد من الأصحاب الذين رأوا أولوية الإمام علي بن أبي طالب، فكان ذلك تأسيساً للموقف الشيعي المعارض القائل بإمامة أهل البيت عليهم السلام مع التسليم بالواقع حفاظاً على وحدة الأمة ومصلحة الدين.

وكان من الطبيعي أن يدافع كل من أتباع الاتجاهين عن رأيه وموقفه ملتمساً المبررات والأدلة الشرعية. وبمرور الزمن وتوالي الأحداث أصبحت هناك مدرستان وثقافتان متمايزتان. وفي القرن الثاني بدأ تكوّن المذاهب الفقهية حيث برزت شخصيات بعض المحدثين والفقهاء، والتف حولهم تلامذة وأتباع، كالإمام مالك والإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل.

ولا أحد ينكر مكانة أئمة أهل البيت العلمية، فليس مستكثراً عليهم أن يكون لهم مذهب، فالإمام جعفر الصادق مثلاً كان أستاذاً لأبرز العلماء والفقهاء في عصره، وكانوا يعترفون له بالفضل.

عذراً يا شيخ حسن، سأشهر لك مسألة الإمام الغائب ولكأنه أحد أركان المذهب الشيعي، وهي فكرة سياسية بالدرجة الأولى؟

- وأحد أركان السنة قائم على أساس أن الإمامة والخلافة تكون بالاختيار وتكون بالقوة والغلبة وهي فكرة سياسية أيضاً.. فالسنة أيضاً مثل الشيعة إذا رأينا

أن الخلافة هي جوهر الخلاف. أصل الخلاف لم يكن حول رؤية الله في الآخرة حتى نقول إن الخلاف قائم على رؤية دينية. أصل الخلاف قام على فكرة من يتولى هذا الموقع والمنصب. الفارق أن السنة كأمر واقع أصبح بيدهم الحكم، لكن الشيعة لم يكن الحكم بيدهم، وبالتالي من الخطأ القول بأن أصل مذهب الشيعة أصل سياسي. إنما نقول: إن أصل الافتراق كان حول قضية سياسية أخذ السنة فيها طريقاً وأخذ الشيعة طريقاً آخر. أرجو أن تكون الفكرة واضحة.

لعلني أستدرك عليك هنا يا شيخ بأن الخلافة كانت ربما منشأ الخلاف، ولكن جوهر الخلاف تحول بعد ذلك إلى أصول الإسلام كالنص القرآني ثبوتاً وتأويلاً والعصمة والصحابة والصفات والقدر وتوحيد الربوبية والألوهية وغيرها من الأصول.

- نعم، منشأ الخلاف كان حول الإمامة والخلافة ثم تطور وتشعب، لأن الشيعة يرون أن معالم الدين تؤخذ عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. وعند الخلاف بين قولهم وقول غيرهم فالراجح المتبع قولهم، أما السنة فيرون الأخذ من سائر الصحابة والتابعين.

أما الكلام عن الخلاف في الأصول أي في جزئيات وتفاصيل أصول الإسلام فهو صحيح لا في ذات الأصول حيث يتفق السنة والشيعة على الإيمان بالله تعالى ووحدانيته وعلى الإيمان بالنبي محمد ﷺ وبالآخرة وبمرجعية الكتاب والسنة، ليس هناك اتفاق على كل التفاصيل والجزئيات، وحتى بين أهل السنة ليس هناك اتفاق على كل التفاصيل والجزئيات المرتبطة بأصول الدين، فهناك أشاعرة وهناك معتزلة وهناك سلفية وهناك صوفية.. كما أنه ليس هناك اتفاق بين الشيعة على كل التفاصيل العقدية أيضاً.

أما ثبوت النص القرآني فهو أيضاً متفق عليه بين السنة والشيعة، وحتى الرأي الشاذ الذي يقول بالتحريف في القرآن لا يناقش في ثبوت النص القرآني الموجود، بل يقر به ويؤمن به ويعمل به، لكنه يرى لشبهة أن هناك نقصاً وحذفاً من القرآن، وهو رأي مردود لكنه لا يتنكر لشيء من النص القرآني.

والخلاف حول فهم الآيات وتأويلها موجود بين المذاهب وداخل المذاهب نفسها كما هو معلوم.

لذلك أتحفظ على القول بأن بين الشيعة والسنة خلافاً في الأصول، لأنه يوهم بأن الخلاف في ذات الأصول، كما يوهم بأن هناك اتفاقاً بين كل السنة على كل تفاصيل الأصول، أو بين الشيعة وهذا ليس دقيقاً.

ولكن في المقابل يا شيخ حسن لم تجبني على مسألة الإمام الغائب، ليتك تدلي لنا برؤيتك حيالها؟

- يتفق المسلمون سنة وشيعة إلا من شذ على الإيمان بظهور إمام مهدي آخر الزمان من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، لورود أحاديث صحيحة متواترة عن رسول الله ﷺ بالإخبار بذلك.

لكن الشيعة ينفردون عن السنة بالإيمان بأن هذا الإمام المهدي المنتظر هو محمد بن الحسن العسكري وأنه ولد في الخامس عشر من شهر شعبان سنة ٢٥٥هـ وقد تحدث عن ولادته ابن الأثير في تاريخه وابن خلكان في عدد من كتبه وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة، والنسابة أبو نصر البخاري. ولا يزال موجوداً لكنه غير ظاهر ومعروف للناس وهذا هو معنى الغيبة.

ولدى الشيعة منطلقات وأدلة وإجابات على التساؤلات المثارة حول هذا المعتقد، حيث كتبوا عنه الكثير من الكتب والرسائل، ومن منطلقاتهم ما ورد عن رسول الله ﷺ

من أمر الأمة بالتمسك بالثقلين، كتاب الله وأهل بيت رسول الله ﷺ، في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عنه ﷺ: «... **وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وأهل بيتي**»، وأخرج الترمذي عنه ﷺ: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل البيت، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلُفوني فيهما**»، وورد مثل هذا النص في معظم المصادر الحديثية، وفي هذا الحديث دلالة على استمرار وجود الإمامة في العترة النبوية، وعدم انقطاعها إلى يوم القيامة.

وقد أشار بعض علماء السنة إلى مثل هذه الدلالة، يقول ابن حجر الهيتمي: «إن الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة، وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك: بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة».

ومرة أخرى يقول: «وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت، إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض، ويشهد لذلك الخبر: «**في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي**».

ومن منطلقات الإيمان بوجود المهدي: ما صح عندهم من روايات أهل البيت - رضي الله عنهم -: **أن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة**. وقد أشار ابن حجر العسقلاني إلى هذه الحقيقة في شرحه لأحاديث البخاري، حيث قال ما نصه: «وفي صلاة عيسى عليه السلام خلف رجل من هذه الأمة، مع كونه في آخر الزمان، وقرب قيام الساعة، دلالة للصحيح من الأقوال: **إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة**».

ومنها: الأحاديث الواردة عنه ﷺ في أن الخلفاء اثنا عشر، كما جاء في صحيح البخاري عن جابر بن سمرة قال: «**سمعت النبي ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً**

كلهم من قريش»، وجاء في صحيح مسلم: «**ولا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**».

والأئمة الاثنا عشر هم المصداق المناسب لهذه الأحاديث، ولا بد من استمرار وجود إمام منهم إلى يوم قيام الساعة. إضافة إلى ما ورد عن أئمة أهل البيت حول الموضوع، وقولهم عند الشيعة حجة شرعية. وحيث تمت لدى الشيعة الأدلة على هذا المعتقد آمنوا به كأي قضية دينية تتجاوز المعادلات المادية المعتادة وتدخل ضمن الإعجاز، كما هو الحال بالنسبة للاعتقاد ببقاء نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وإنه لم يقتل ولم يصلب كما يدعي المسيحيون وأن الله رفعه إليه، كما نص القرآن على ذلك وسيعود ويأتم بالإمام المهدي كما ورد في صحيح البخاري ومسلم: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**».

وبعد فإن الاعتقاد بالإمام الغائب لا يناقض شيئاً من أصول الإسلام، وإنما هو جزئية عقدية يؤمن بها من ثبتت لديه بالدليل والبرهان، ومن يرفضها لعدم ثبوتها لديه لا يخرج عن الإسلام.

كما لا يصح النظر إليها من خلال المقاييس المادية العادية فتبدو كأنها تخالف العقل ويستسخفها الوجدان؛ إذ كيف يبقى إنسان حياً طوال هذه المدة؟ لأن هذا يعني رفض أشياء دينية أخرى من هذا القبيل كولادة عيسى ابن مريم دون أب وبقائه إلى نزوله آخر الزمان وما شابه من المعتقدات التي قام الدليل الشرعي عليها، فيؤمن بها المسلم وإن خالفت ما هو معتاد كمعجزات الأنبياء وغيرها.

ويتطلع المسلمون جميعاً سنة وشيعة لظهور الإمام المهدي إن شاء الله حتى يوحد الأمة ويقودها والبشرية إلى شاطئ العدل والأمن والسلام.

النجف وطلب العلم

يبقى لطلبة العلم لدينا أن يدلوا برأيهم حيال ما تجادلنا، وأعود إليك في النجف، كم كان عمرك وقتها؟

- كان عمري وقتذاك ١٤ سنة.

أنتظر منك أن تحدثني عن مشاهدات الفتى حسن الصفار وحياته هناك كرصد توثيقي.. مَن من أقرانك السعوديين كان معك وقتذاك.. وهل التقيت بالشاعر العراقي الشهير الجواهري وهو ابن النجف؟

- كان المحيط الذي عشت ضمنه في النجف من الطلاب السعوديين والبحرينيين. كانت لديهم مجالس أسبوعية وفي المناسبات الدينية يجتمعون، وأحدها في منزل الشيخ أحمد بن منصور آل سيف من علماء تاروت - القطيف (١٣٢٦ - ١٤٠٦هـ) والآخر في منزل الشيخ منصور بن عبدالله البيات من علماء القطيف (١٣٢٥ - ١٤٢٠هـ) ومجالس أخرى عند بعض الطلاب والفضلاء الأحسائيين والبحرينيين.

وكان قد جاء إلى النجف في تلك الحقبة بعض الشخصيات الأدبية من القطيف بسبب ظروف سياسية حصلت لهم في الوطن، فأقاموا في النجف مدة حتى تقشعت الغيوم وعادوا إلى القطيف، ومنهم السيد حسن باقر العوامي وهو محامٍ وأديب ووجيه اجتماعي، وقد استفدت من التواصل معه؛ لأنه كان يشجع الطلاب والعلماء على الحركة والنشاط، وينتقد حالة الركود والجمود، وكان يوجه رسائل مطولة وناقدة لبعض المراجع والقيادات الدينية مبدياً ملاحظاته على واقع الحوزة العلمية والإدارة المرجعية، واطلعت على عدد من تلك الرسائل، فكان صوتاً يكسر حاجز الهيبة والتقديس ويشجع على النقد والاعتراض.

ومنهم الشيخ عبدالله الخنيزي قاضي محكمة المواريث والأوقاف حالياً في القطيف، ولم يكن قد ارتدى الزيّ الديني هناك، وهو معروف في الوسط الأدبي والشيعي بكتابه (أبو طالب مؤمن قريش) الذي دافع فيه عن إسلام أبي طالب وأثبته وناقش المرويّات المضادة، واعتقل بسبب ذلك سنة ١٣٨١هـ في المملكة ثم أفرج عنه بعفو ملكي، بعد سنوات من هذه القضية جاء إلى النجف لظروف سياسية، وقد التقيت في مجلسه بعض الشخصيات الأدبية من العراق ومصر ولبنان.

ومن الطلاب السعوديين ذوي الاهتمامات الثقافية في النجف كان الأستاذ عبدالعلي بن يوسف آل سيف حيث لم يقتصر على الدراسة التقليدية في الحوزة بل التحق بكلية الفقه، ونال شهادة البكالوريوس وألف كتباً عدة وكانت مكتبته ثرية بالكتب الثقافية والأدبية، وعلاقاته بالمثقفين واسعة، وكانت لي به صلة طيبة. وهو الآن محامٍ ورجل أعمال في تاروت/ القطيف.

وقد كان للشيخ إبراهيم بن عبدالله الغراش - وهو إمام جماعة في أحد مساجد القطيف الآن - دور كبير في رعايتي للسنة الأولى من ذهابي للنجف فقد اشتركت معه في استئجار منزل، ولم يقصر هو وعائلته في رعايتي كما درست عنده مبادئ اللغة العربية، وكان مهتماً بالنحو، ومعه حفظت ألفية ابن مالك لأنه كان كفيف البصر وكنت اقرأها عليه وأتابعه للحفظ.

وفي بعض الأحيان كنت أحضر مجالس بعض المراجع كمجلس السيد الخوئي (١٣١٧ - ١٤١٣هـ) ومجلس السيد الشاهرودي، ومجلس السيد محمد باقر الصدر (١٣٥٣ - ١٤٠٠هـ) ومجلس الشيخ علي كاشف الغطاء، ومجلس الشيخ محمد أمين زين الدين (١٣٣٣ - ١٤١٩هـ) وهي مفتوحة يستقبل فيها المراجع المستفتين والزائرين في ساعات محددة كل يوم، وتلقى فيها الخطابات في المناسبات الدينية.

كما تعرفت في النجف بشكل مباشر على الشخصيات العلمية والأدبية التي كنت أسمع وأقرأ عنها كالعالم الباحث أسد حيدر، وكنت قرأت كتابه القيم (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) في ستة أجزاء وأعجبت به واستفدت منه. والعالم المؤلف الشيخ باقر شريف القرشي صاحب المؤلفات الكثيرة عن أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم -. والخطيب الشهير الدكتور الشيخ أحمد الوائلي والخطيب المعروف السيد جواد شبر. كما صرت أتردد على المكتبات العامة للمطالعة فيها كمكتبة أمير المؤمنين ومكتبة الإمام الحكيم. وحضرت بعض الاحتفالات والمهرجانات الدينية والأدبية، وكانت قد ضعفت وتقلصت تلك الحقبة بسبب الضغوط الأمنية.

ولم ألتقِ بالشاعر الكبير الجواهري وهو كان يعيش في بغداد، ولعله كان خارج العراق آنذاك، والأجواء الدينية التي كنا نعيشها في النجف كانت سلبية تجاهه؛ لأنها تعده خارج الحالة الإسلامية، وإن كانت موقعيته الأدبية محل احترام.

وفي النجف وعيت معركة الإسلام مع الاتجاهات المناوئة كالشيوعية والرأسمالية والصراع مع البعثيين والقوميين، ولم أكن في القطيف قبل هجرتي إلى النجف منفتحاً على هذه الآفاق؛ لأنني كنت أعيش جواً تقليدياً محافظاً.

أما في النجف فقد قرأت باهتمام كتابي السيد محمد باقر الصدر (فلسفتنا) و(اقتصادنا) وتابعت قراءة أعداد مجلة (الأضواء) التي كانت أصدرتها جماعة العلماء، كما شدتني كتابات الشيخ محمد أمين زين الدين (إلى الطليعة المؤمنة) و(الإسلام: ينابيعه وغاياته) و(العفاف بين السلب والإيجاب) ومن خلال ما كنت أسمعه في اللقاءات والجلسات وما لحظته من ضغوط على الحوزة العلمية والحالة الدينية من قبل البعث الحاكم في العراق، توضحت أبعاد معركة الإسلام مع الاتجاهات الأخرى إلى حد لم أكن أدركه سابقاً، وما كنت أعيش مثل هذه الأجواء في القطيف، ولم يكن لدينا احتكاك مع هذه التوجهات والتيارات، لكن في العراق واجهناه..

سأستوقفك هنا وأقاطعك رافعاً لافتة اعتراض كبيرة يا شيخ حسن. للتوّ قلت إنكم هنا في القطيف لم تتأثروا بهذه الأيديولوجيات والأفكار، ولم تك لكم احتكاكات. وأنا أزعم لك العكس وأبرهن لك. فالقارئ لتاريخ المنطقة سيلاحظ من فوره بأنه قد سادت منطقتك كثير من الأيديولوجيات السياسية كالشيوعية والبعثية والقومية والناصرية وحتى الإسلامية، هل أنا بحاجة لتذكيرك بالحزب الشيعي السعودي، واتحاد شعب الجزيرة، وحزب البعث العربي الاشتراكي، ومصدري هو رفيق دربك حمزة الحسن، سرد ذلك في قراءة تاريخية لمنطقة القطيف.. فكثير من أبناء الشيعة انخرطوا في هذه التنظيمات.. كيف تعلق؟

- حينما ذهبت للنجف الأشرف انطلقت من جو تقليدي في القطيف، لم أحتكّ ولم أطلع من خلاله على التوجهات الفكرية والسياسية الأخرى، وذلك لحداثة سني ومحدودية دائرة انفتاحي، لكنني في النجف انفتحت على آفاق هذا الصراع الإسلامي مع التوجهات الأخرى.

وفي القطيف هناك امتدادات للتوجهات الفكرية والسياسية التي ظهرت في الوطن العربي آنذاك كالشيوعية والبعثية والقومية والناصرية كما حصل في مناطق أخرى من المملكة أيضاً.

لكنها كانت حالة نخبوية ولم تصل إلى مستوى التيار الشعبي، كما أن الوضع السياسي والديني في المملكة لم يكن يسمح لهذه التوجهات بأن تظهر وجودها ونشاطها، بينما كانت هذه التوجهات علنية وبعضها كالبعثيين يمارسون الحكم في العراق، وهذا هو المتغير الذي عشته هناك.

دعنا نترك الفتى حسن الصفار.. وندلف إلى الشيخ العالم.. وأسألك وأنت في مرحلتك الآن.. لِمَ يتلقف شباب الشيعة هذه التيارات؟ ولماذا لديهم الاستعداد لمثل

هذه الأيديولوجيات. هل لعدم قناعاتهم بأدبيات الطائفة مثلاً؟ لأنني أعرف أن نصف المشاركين في مظاهرة أرامكو الشهيرة كانوا من طائفة الشيعة.. بم تفسر هذا؟

- هذه الأفكار والتوجهات شقت طريقها إلى المجتمعات الإسلامية عامة، ووجدت لها متجاوبين في مناطق مختلفة من المملكة، ولعل من عوامل انتشارها في المجتمع الشيعي أمران:

الأول: وجود شعور بالغبن والاضطهاد يدفع إلى التفاعل مع الشعارات الثورية.

الثاني: ضعف الحركة الثقافية الدينية حيث كانت الحالة الدينية تقليدية لم تمتلك آنذاك لغة معاصرة، ولم يكن لها عطاء فكري ثقافي يملأ أذهان الشباب ويجيب على تساؤلاتهم، إضافة إلى محدودية فرص العمل الديني والثقافي من الناحية الرسمية عند الشيعة، حيث لا مجال لهم لإنشاء مكتبة أو طبع كتاب أو إصدار مجلة أو قيام مؤسسة ثقافية.

وقد تعرفت فيما بعد إلى بعض من ينتمون لهذه التوجهات فوجدت أن انتماءهم أقرب إلى الحالة السياسية منه إلى الاقتناع الفكري أو التقمص الأيديولوجي، بالطبع هناك منتمون أيديولوجيون.

اسمح لي بأن أبدي لك استغرابي، وأستأذنك في سرد رؤيتي للمسألة. وأنظر إليها من زاوية أخرى غير التي نظرت بها أنت.. ألم يكن ثمة تحصين ديني قوي لأبناء الطائفة.. بحيث لا ينخرطوا في حزب شيوعي أو بعثي أو أي أفكار وافدة.. خصوصاً وأن أعدادهم كما ذكرت قبلاً كانت كبيرة نوعاً ما؟

- ليس هناك تحصين قادر على استيعاب كل أبناء المجتمع، في أي مجتمع إنساني، ففي نجد مثلاً مع أن الحالة الدينية حاكمة وتحت تصرفها إمكانيات هائلة، لكن ذلك لم يمنع من ظهور مثل عبدالله القصيمي، ومن وجود أتباع لمختلف الأحزاب والتوجهات الفكرية والسياسية.

وإذا صح أن الإقبال على هذه التوجهات في المجتمع الشيعي كان أكبر من بقية مجتمعات المملكة، فيبدو لي أن ذلك للعاملين السابقين، الشعور بالغبن ومحدودية النشاط الديني، إضافة إلى أن وجود أرامكو في المنطقة واجتذابها للموظفين والعاملين وفيهم عناصر ذات اهتمامات ثقافية وسياسية من مختلف مناطق المملكة، ومن مناطق أخرى من العالم العربي، والانفتاح النسبي الذي كان في أجواء الشركة، لعل ذلك هو ما خلق أرضية أكثر خصوبة لتلك التوجهات.

السؤال الأهم: الولاء والانتماءات

لعل هذا السؤال يشجعني على فتح مسألة حساسة، وسبق لي استئذانك في الحديث بكل حرية وصراحة. ما أنا بصدد مناقشته معك هو ذلك الاتهام الدائم الذي يوجه لطائفة الشيعة حيال ولائهم وانتمائهم الفعلي والحقيقي، وربما عرض لك هذا الموضوع مراراً.. وبودي أن أثبته هنا معك يا شيخ حسن، وخصوصاً أن المرحلة التي نمرّ بها ككيان ومجتمع حرجة سياسياً واجتماعياً وفكرياً. بودي أن أسمع منك حول هذه القضية التي توجه لشيعة المنطقة الشرقية.

- ولاءات أو انتماءات هذه تدخل ضمن حالة التهريج والتشهير، هذه الاتهامات التي توجه للشيعة هي من مظاهر معاناتهم وناتجة عن الأجواء السلبية التي صنعت تجاههم. فوجود تيارات فكرية وسياسية لا يخص مجتمع الشيعة، والمعركة التي كانت قائمة بين السلفيين والحداثيين في المملكة ليست على ساحة المجتمع الشيعي، فلماذا يتحول الأمر إلى تشكيك في الولاء والانتماء بالنسبة للشيعة دون غيرهم؟

إن أحزاباً وتيارات فكرية وسياسية ظهرت في المجتمعات السنية في مختلف البلدان كما هو معروف، وكان ينظر إليها ضمن التحليل السياسي والاجتماعي، فلماذا التمييز الطائفي ضد الشيعة حتى على صعيد التحليل والتفسير للظواهر الاجتماعية.

يا شيخ حسن أتفهم كثيراً ما اعتراك من استفزاز إلى درجة أن تطلق على هذا السؤال بأنه تهريج. وأتكئ على السياسي فيك لتتفهم حساسية الموقف الذي نعيشه ككيان ومجتمع، ودخول الذئب الأمريكي على الخط واللعب بوتر الطائفية والشيعة، والضغط على الرسمي لدينا وآخرها تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن الحريات الدينية.. ومثلك يدرك تماماً أن مجموعات من الشيعة يحتضنهم الغرب في الولايات المتحدة وبريطانيا تحديداً وهي مجموعات معارضة.

- من الطبيعي أن يسعى الأمريكيون وغيرهم للاستفادة من الثغرات ونقاط الضعف، وأن يبحثوا عن مختلف وسائل الضغط والتدخل في الشؤون الداخلية، والمطلوب هو تصليب الوحدة الوطنية وسدّ الثغرات التي ينفذ منها العدو، وليس تبادل الاتهامات التي تعمّق الهوّة بين أبناء الوطن.

أما ما ذكرته عن مجموعات شيعية يحتضنها الغرب فهو مبالغة وتضخيم وتهويل، قد يكون هناك أفراد من الشيعة يعبرون عن آرائهم بطريقة لا نقبلها، لكن اتهامهم جميعاً بالارتباط بالجهات الخارجية أمر ينبغي التأكد منه وأعتقد أن فيه مبالغة وتهويلاً.

عفواً.. عفواً يا شيخ حسن، وأرجو ألا تتحسس من السؤال السابق. فعندما قلت: احتضانهم للمجموعات المعارضة قصدت بمثل ما يفعلون مع سعد الفقيه ولجنته المزعومة، فهي ليست حالة شيعية خاصة بل هي حالة عامة..

- قلت: إن الأمر في حدود أفراد لا يصح التعبير عنه بمجموعات، وأرجو أن توضع المسألة في سياقها السياسي وأن لا تعطى تفسيراً طائفياً.

لك ذلك.. لنقل إنها أصوات شيعية معارضة.

- أصوات شيعية. موجود من السنة كما هو موجود من الشيعة. لماذا حينما يكون هناك سني في الغرب يحاسب كفرد وحينما يكون شيعي يحاسب كطائفة؟

فيقال: شيعة أو أصوات شيعية؟ هل يطلق على سعد الفقيه مثلاً أو المسعري أو البقية اسم معارضة سنية؟ هم يحاسبون كأشخاص دون الإشارة إلى صفتهم المذهبية؟ لماذا حينما تأتي المسألة للشيعة يحاسب الفرد كطائفة وتحاسب هذه الطائفة كلها؟ أليس هذا تنميط خارج الموضوعية ومظهر للتمييز الطائفي؟

أودّ أن أقول: إن المزايدة على الشيعة في الموقف من أمريكا أمر مرفوض، فإن الشيعة هم من بدأ المواجهة مع الأمريكيين في الشرق الأوسط، وليس السلفيون، ففي الوقت الذي كان هناك تحالف بين الجهات السنية والأمريكيين فيما يرتبط بأفغانستان، كان الشيعة في إيران ولبنان ومختلف المناطق يعلنون الرفض والمواجهة للأمريكيين، وأعتقد أن هذا الأمر واضح معروف.

وإذا كان الوضع في العراق قد سبب انفتاح بعض الشيعة على الأمريكيين فإن ذلك يأتي بعد أن شبعت جهات سنية كثيرة من التعامل مع الأمريكيين، وفي سنة العراق مثل ما في الشيعة جهات تهادن وجهات تقاوم، فلا داعي لإعطاء المواقف السياسية صبغة مذهبية.

وبعد صدور تقرير الخارجية الأمريكية عن الحريات الدينية في السعودية بادرنا بإعلان رفضنا التدخل الأمريكي في شؤوننا الداخلية.

فيجب التوقف عن الاتهامات والمزايدات؛ لأنها لا تخدم الوحدة الوطنية بل تفيد الأعداء.

أردت بأسئلتي التي سمعت التنبيه إلى حساسية الموقف الذي نعيشه، ودخول الغرب وأمريكا تحديداً على الخط واللعب بوتر الطائفية والأقليات في مجتمعنا، والضغط على الكيان والمجتمع والرسمي في إملاءات لا تنتهي..

- أوافقك الرأي أن الموقف حساس وأن المشروع الأمريكي للهيمنة على المنطقة خطير، وأنهم سيحركون كل أوراق الضغط، وسيلعبون على وتر الأقليات والصراعات الطائفية.

كل هذا صحيح وباعث على القلق لدى كل مسلم واعٍ ومواطن مخلص، ولكن كيف نواجه هذا التحدي؟ وكيف نفوّت الفرصة على الأعداء؟

أعتقد أن هناك أمرين أساسيين:

الأول: معالجة الثغرات ونقاط الضعف والجد في مسيرة الإصلاح والتطوير التي تحدث عنها خادم الحرمين الشريفين في افتتاح الدورة الجديدة لمجلس الشورى وأكدّ عليها سمو ولي العهد والنائب الثاني.

الثاني: تصليب الوحدة الوطنية وتجاوز آثار الصراعات المذهبية والتمييز الطائفي.

أما إثارة الشكوك في ولاء هذه الجهة أو تلك فهو يقدم أفضل الخدمات للأعداء.

كما أنه ينطلق عادة من الأوهام والظنون وأساليب التنميط والتعميم غير الموضوعية، كما هو الحال في إثارة بعضهم لقضية ابن العلقمي وجعل ذلك عنواناً للتاريخ الشيعي. وهي قضية مختلقة، فهل درست أنت شخصياً موضوع ابن العلقمي؟

والله ياشيخ حسن لست سوى صحافي من غمار الصحافيين البؤساء، ولست متخصصاً في التاريخ. ولكن الذي أعلمه حقاً أن ابن العلقمي هذا قام بالخيانة التاريخية التي تلبسته مذاك، واستحق غضب كل الأمة مذ ذلك التأريخ، بسبب عمله القذر في خيانة الخليفة العباسي ومساعدته للتتار..

- هل تعلم أن اتهام ابن العلقمي بالخيانة الذي يرسله بعضهم إرسال المسلمات وكحقيقة ثابتة، غير ثابت على مستوى البحث العلمي التاريخي؟ وقد ناقشه مؤرخو الشيعة كالسيد حسن الأمين في كتابه عن الغزو المغولي، ورده بأدلة واضحة.

ودعك من السيد حسن الأمين الشيعي فإن باحثاً سعودياً سنياً هو الدكتور سعد بن محمد حذيفة الغامدي أستاذ التاريخ في جامعة الملك سعود في الرياض، قد ناقش هذا الاتهام بموضوعية وإنصاف، ضمن كتابه (سقوط الدولة العباسية) وطبع في الرياض سنة ١٤٠١هـ وتبنته الجامعات السعودية كمرجع معتمد، وأعيد طبعه سنة ١٤٠٣هـ، وقد توصل الدكتور الباحث إلى أن اتهام ابن العلقمي بالخيانة لا يقوم على دليل، بل هناك أكثر من إحدى عشرة حقيقة تاريخية واجتماعية تدحضه، وأن مصدر الاتهام خصومة مذهبية وتعصب طائفي.

لكن المؤسف صدور قرار من جهة دينية بجمع الكتاب من المكتبات وإحراقه ومنع تداوله، حتى النسخ الموجودة في مكتبة الجامعة محجوبة لا يطلع عليها أحد إلا بإذن خاص - كما أخبرت بذلك - كل هذه الإجراءات اتخذت بحجة أن الكتاب يدافع عن الرافضة.

فهناك إصرار على الاتهامات المفتعلة ورفض مناقشتها حتى من كاتب سني سعودي التزم الموضوعية والإنصاف.

ولو فرضنا أن شخصاً من الشيعة قد أساء وارتكب خيانة فهل كل الشيعة في تاريخهم يحاسبون بذلك؟ أليس في أهل السنة من الحكام والسياسيين وغيرهم من انحرف وأساء وخان؟ فهل يصح اتهام كل السنة؟

إننا نعاني كثيراً من الصور النمطية ومن الأحكام التعميمية، حينما تحصل أعمال إرهابية من قبل جهات سنية يقال: شرذمة من الإرهابيين والمغرر بهم، ولا تعمم على كل السنة أو السلفيين، ولكن حينما يحصل شيء من قبل أفراد من الشيعة تصدر الأحكام الشاملة والتعميمية، هل هذا من العدل؟

موقف الشيعة من أمريكا

بعيداً عن صحة أو عدم صحة ما ذكرت، أعترف لك بأن ثمة إشكالات وهمية من كلتا الطائفتين تُوورثت عبر تاريخ صراعهما، وآن الأوان لينبري عقلاء الطائفتين لإزالة هذه الأوهام ويبقى الخلاف خلافاً رئيساً لا يمحوه حسن الصفار ولا عبدالعزيز قاسم.. ودعني أعد إلى السؤال الذي استفزك.. لعلي أقدم لكم شكراً وطنياً خاصاً لموقفكم الوطني عبر بياناتكم المتكررة وآخرها تعليقكم على تقرير لجنة الحريات الأمريكية، ما أعطاني انطباعاً بإدراككم اللعبة الأمريكية القذرة.. ونقدر لكم كمجتمع التحامكم بقيادتكم في كياننا..

- أريد أن أقول وأعلنها بصوت واضح لكل المسلمين ولكل أبناء المنطقة بمختلف اتجاهاتهم بأن المراهنة على الأمريكيين مراهنة على سراب. الأمريكيون وهم يعلنون ذلك إنما يريدون حماية مصالحهم وهم في تحالف معلن مع إسرائيل، ويعلنون دعمهم ورضاهم وغطاءهم لكل الممارسات الصهيونية العدوانية. وبذلك لا يمكن المراهنة على الأمريكيين، هم لم يأتوا من أجل الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان ولن يأتوا من أجل حماية هذه الأقلية أو تلك الأقلية، وإنما يأتون من أجل مصالحهم، ولذلك أنا أحذر كل المسلمين وكل العرب وكل أبناء المنطقة من أن ينخدعوا بهذا السراب الأمريكي، وأوجه اللائمة أكثر لحكوماتنا لتبادر هي باستعادة شعوبها ولا تترك الفرصة أمام المخططات الأمريكية لتكون هناك مبادرة للإصلاح السياسي ولمعالجة المشكلات المطروحة. أما أن تبقى الأمور في المنطقة العربية والإسلامية كما هي عليه فهذا هو ما يخدم الأمريكان.. الذي يتعامل مع الأمريكيين لا ينفع الأمريكيين أكثر مما تنفع الأنظمة حين تحافظ على الواقع كما هو في هذه الأنظمة، إذا لم تبادر للإصلاح وإذا لم تبادر للتغيير فهي تخدم الأمريكيين أكثر مما يخدمهم هذا العميل أو ذاك المخدوع.

عودة للنجف وأجواء الحوزة

بعيداً عن الهمّ الأمريكي الذي أصبح كالدرن في الصدر. دعنا نعد لك في النجف كي تكمل لنا مشاهداتك وتلقيك العلم. كم بقيت هناك؟

- بقيت سنتين فقط ثم ساءت الأحوال، وبدأت حملة اعتقالات في أوساط العلماء والطلاب حتى السعوديين هناك واعتقل عدد من الطلبة السعوديين من أهل القطيف.

متى كان ذلك؟ وهل كانت هذه الاعتقالات التي طالتكم بسبب أنشطتكم السياسية؟

- لم يكن بسبب نشاط سياسي ولكن بتهمة أنهم جواسيس للحكومة السعودية، وهي حلقة ضمن مسلسل إجراءات حكم البعث لمحاربة الدين والحوزة العلمية.

أفي عهد أحمد حسن البكر كان هذا أم في عهد عبدالكريم قاسم؟

- كان في عهد أحمد حسن البكر. ولم ندرك عبدالكريم قاسم، وبالتالي خرجنا من النجف. أغلب الطلبة القطيفيين خافوا عدا بعض الكبار الذين اطمأنوا أنه ليس عليهم شيء وبعضهم رجع إلى بلده وترك الدراسة، وبعضنا - وأنا منهم - التحقنا بالحوزة العلمية في قم وذهبنا إلى إيران.

متى كان ذلك؟ واعذرني في مقاطعتي للتوثيق في الذي تسرد.

- كان ذلك عام ١٣٩٣هـ وذهبنا إلى قم بالطبع في عهد الشاه، وكانت للتو قد تأسست فيها مجموعة من الطلاب العرب من العراقيين الذين هجّروا إلى إيران بحجة أن أصولهم إيرانية، ومن اللبنانيين الذين طالت بعضهم الاعتقالات في العراق ومن الخوزستانيين العرب.

وقد احتضننا المرجع الأبرز آنذاك في إيران السيد محمد كاظم شريعتمداري وكانت له مؤسسة للدراسة العلمية والعمل الديني والثقافي باسم (دار التبليغ الإسلامي) وكان مرجعاً منفتحاً، أقام علاقة مع المؤسسات الإسلامية السنية كرابطة العالم الإسلامي، وفي أثناء وجودي في قم جاء وفد من الرابطة برئاسة الشيخ أبي الحسن الندوي، وجرى لهم استقبال طيب وحصل حوار جميل للتقريب بين فئات الأمة وأتباع المذاهب الإسلامية.

وكانت تصدر من (دار التبليغ الإسلامي) مجلة (الهادي) باللغة العربية وفيها كتابات لعلماء من أهل السنة، وكان يتصدر هذا النشاط الثقافي المنفتح السيد هادي خسروشاهي، والشيخ محمد علي التسخيري والشيخ محمد مهدي الآصفي، والشيخ محمد سعيد النعماني وغيرهم من الأسماء التي أصبح لها دور معروف بعد انتصار الثورة الإسلامية.

كم كان عددكم أنتم السعوديين هناك؟

- لعلنا كنا خمسة عشر من السعودية.. ثم زاد العدد فيما بعد، فبقيت في قم ولكن لم يطل بقائي في قم، بقيت سنة واحدة فقط.

يا ساتر.. أنت المحبّ للمذهب.. لم تستطع أن تتأقلم في تلك الأجواء؟

- كنت أبحث عن جو آخر عربي يكون أقرب للبلد وأتأقلم معه أكثر. فأحد العلماء الذين نزحوا من العراق اختار الكويت وهو المرجع السيد محمد الشيرازي. جاء إلى الكويت عام ١٣٩١هـ وعمل على تأسيس مدرسة دينية، وزرت المدرسة وارتحت إلى أجوائها ومناهجها ومدرسيها، فقررت الالتحاق بها سنة ١٣٩٤هـ، فتابعت الدراسة فيها مع التواصل مع البلد.

وأنت تسرد لي هذا التاريخ، كنت أفكر من أين تجلبون المال.. بصيغة أخرى: من كان يصرف عليك أنت حسن الصفار سواء في أثناء إقامتك في النجف أو في قم؟ أمِن أموال المحسنين أم من الحوزة الدينية، أم أن أهليكم هم من يبعث الأموال؟

- الحوزة العلمية والمراجع الموجودون يعطون رواتب لكل الطلبة ولكنها رواتب محدودة.

هل هي من الخُمس الذي يصلهم؟

- نعم، من الخُمس الذي يصلهم، يعطون كل الطلبة رواتب، وكل مرجع متصدر للتقليد والمرجعية وتصله أخماس يعطي راتباً، لم يكن هناك راتب موحد من مؤسسة يقال لها حوزة.. وإنما كان كل مرجع تصله أخماس حسب سعة مرجعيته.. يعطي مبلغاً أكبر، وإذا كانت مرجعيته محدودة يعطي مبلغاً أقل حتى إنه كان عندنا أحد المراجع كان يعطي خبزاً يومياً لكل الطلبة بإعطاء حوالات للخبازين. وبالتالي يجمع الطالب من أكثر من مرجع، عادة يكونون أربعة أو خمسة مراجع يعطون، وأذكر أن أكثر ما وصلنا إليه كان في حدود عشرة دنانير عراقية في الشهر، وكان الدينار يساوي أكثر من عشرة ريالات سعودية، وقيمته الشرائية آنذاك جيدة، بالنسبة للطلاب الإيرانيين أو الأفغانيين كانوا يكتفون بهذا المبلغ أما الخليجيون باعتبار أن عائلاتهم متمكنة وهم يعيشون حياة أكثر رفاهية فعادة يدعمهم الأهل، فبالنسبة لي كان والدي يدعمني كما أن الذي يمارس الخطابة في المواسم الدينية في محرم أو في رمضان يعطى مكافأة.. فكنا نستفيد من هذه المكافآت التي نعطاها مقابل محاضراتنا إضافة إلى دعم الأهل والراتب الذي كنا نتلقاه من المراجع، وبذلك يغطي الإنسان مصروفات حياته.

المال.. والثقل الاجتماعي للمرجعيات

والله يا شيخ حسن.. قضية الخمس هذه تعطي علماءكم ثقلاً نوعياً ومكانة مميزة وتأثيراً في الشعبي والسياسي على حد سواء.. بل إن الروايات التي رصدت الثورة الإيرانية تقول: إن البازار في إيران هم من دعم الخميني وأسقط الشاه..

- بالفعل فإن الخمس عند الشيعة هو الذي يؤمن استقلالية مراجعهم ومؤسساتهم الدينية. والخمس فريضة إسلامية إلى جانب الزكاة، لكن الشيعة يرونه في كل ما يكسب الإنسان ويغنم فعليه الخمس فيما زاد على نفقاته ومصارفه طبقاً للآية الكريمة: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ.....﴾ الآية. أما المذاهب الإسلامية الأخرى فترى الآية خاصة بغنائم الحرب.

*****

طارحاً مشروعه للتقارب المذهبي.. الشيخ حسن الصفار في ثالث مكاشفاته:

آن لنا بعد ١٤ قرنا من الصراع والانشغال بالاختلاف والفشل في تغيير الرأي أن نجرب عصراً جديداً في التحاور والتقارب.

إنني أرفض وأدين سب الشيخين ومن ينال منهما متطرف أو جاهل.

أعلن براءتي من التسجيل المدبلج المبثوث في مواقع الإنترنت وهو مكذوب عليّ.

لا أؤيد دخول أي كتاب شيعي فيه طعن وإساءة للمذاهب الأخرى إلى المملكة.

نقطة الخلاف الرئيسة التي تفرعت عنها كل الاختلافات الأخرى بين السنة والشيعة تكمن في موضوع الإمامة.

أجمع أهل السنة والشيعة على كمال القرآن وأنه ما بين الدفتين من عند الله لم ينقص منه حرف واحد.

الاتجاه السائد عند المراجع الشيعة وفي حوزاتهم العلمية هو العزوف عن السياسة.

الخميني طرح ضرورة تصدي الفقهاء لإقامة حكم الإسلام، وحوّل رأيه إلى مشروع سياسي عملي.

أعترف بأن بعض الشيعة يسيئون كثيراً بالتعرض للخلفاء بالسب، ولكن لا ينبغي أن تحاسب الطائفة كلها بذلك.

*****

بين يدي مكاشفات(*)

سأخصص هذه المقدمة للحديث حول مسألتين كان من الضروري التطرق إليهما خصوصاً وأن كمية النصائح التي تلقيتها وإلى جانبها الرسائل المحتجة قد زادت عن ذي قبل.

أولى المسائل أن الإخوة الأحبة ينسون في غمار اشتغالهم بالمكاشفات قراءة ونقداً أن المُحاور هو في النهاية صحافي، يروم من حواره مادة صحافية فيها ما يستقطب القراء، في ذات الوقت الذي تخدم فيه الصالح العام وتلتزم بأدبيات المهنة التي يجب امتثالها، وبالتالي فهو لن يتمكن من إيقاف الضيف عند كل جزئية، وإلا لتشعب الحوار وطال، وربما أصبح أقرب للمناظرة الشرعية أو الأكاديمية في الفرق والطوائف منه للحوار الصحفي، وتلك مكانها قاعات الجامعات وليس الصحف والمجلات. وقد جرت العادة في مكاشفات على إتاحة الفرصة للمعارضين لما ورد على لسان الضيف للإدلاء بآرائهم واعتراضاتهم بعد أو في أثناء نشر المكاشفات. على الرغم من ذلك فإنني أزعم أنني بذلت جهدي في الإبقاء على شيء من السجالية المعقولة في الحوار دون تجاوز الحد الذي سيدفع الآخرين إلى الإضراب عن مكاشفات، وهو ما فعلته أسماء شهيرة طلبناها واعتذرت.

المسألة الأخرى، وأظنها الأهم، هي أنني أتمنى على كل مهتم بالشأن العام والوطني، وخصوصاً من إخوتنا في التيار الإسلامي عبر أطيافه المتعددة، أن يتأملوا مشروع الشيخ حسن الصفار الذي يطرحه اليوم ويتضمن فتح حوار للتفاهم بين طائفته وبين التيار الإسلامي العريض في ساحتنا المحلية.

(*) نشرت في ملحق الرسالة بتاريخ ١٤٢٥/٩/١هـ.

خلاصة مشروعه أو لعلها نقطة الانطلاق فيه حسبما فهمت منه هي أن قروناً طويلة من محاولات الطائفتين تغليب وجهة نظرها على الطائفة الأخرى لم تفلح. بل ثمة مآسٍ تاريخية ومذابح لم يستفد منها سوى أعداء الأمة، وقد آن الأوان ليلتقي عقلاء الطائفتين ويحدّدوا معالم عريضة كي يتعايشوا على أسس من القبول والتعددية، دون أن يتعرض أحدهما إلى مسلمات الآخر، بمعنى أنه لو قام أحد من طائفته بشتم الصحابة فإن مرجعياتها هي التي ستقوم بردعه وإسكاته، وفي المقابل أيضاً فإنه إذا ما كفّر أحد من السنّة، دون بيّنة أو إثبات، أو غالى في خصومته تجاه أحد الشيعة الذين لا يشتمون الصحابة ولم يتعرضوا لمسلمات السنّة، فعلى عقلاء طائفته أن يردعوه. كل ذلك لجمع الكلمة ووحدة الصف في هذا الظرف التاريخي الذي تعيشه الأمة.

يضيف الشيخ الصفار في حوار جانبي جاد معه بأن هذا هو أوان المشروع كي يلتقي الإسلاميون على هذه القواسم المشتركة، لأن البديل المطروح هو العلمانية التي ستخترق المجتمع من أقصاه إلى أقصاه بفعل الضغط الأمريكي والغربي عموماً عبر أجهزة إعلامه والسياسي لديه. ويضرب الصفار مثالاً بالدول القريبة والبعيدة الإسلامية منها والعربية حينما غزاها تيار التغريب. والخلاصة هي أننا أشد حاجة لأن نتماسك في قلعة الإسلام وحصنه الأخير.

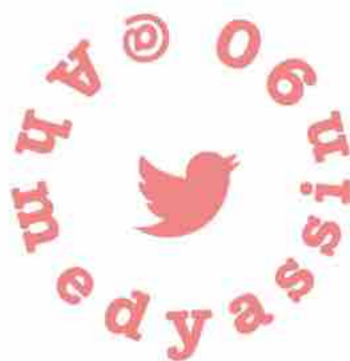
ما أود أن أنتهي إليه هنا، هو دعوة ورجاء للرموز لدينا وخصوصاً الجيل الشاب من الدعاة والأقدر على فهم الحراك العالمي من حولنا، بأن يلتقوا الرجل ويستمعوا إليه، ويكسروا حواجز لا تستند إلى قول إن دعوته هي مجرد تقية أو ما شابه، مع أنها ليست بالحاجز الذي يمنع الدعاة من الحوار معه، ولتكن الظروف العالمية التي تحيط بنا هي الحافز على الاستماع للرجل إذا أبيتم أن تكون الشرعية هي الأرضية المشتركة.

أيها الأحبة: نحن إزاء فئة موجودة بيننا لها علينا حق المواطنة، وهي شريكة لنا في هذا الوطن، ولا خيار أمامنا سوى أن تكون الكلمة السواء هي الصلة بيننا وبين أفرادها ورموزها.

هي بإذن الله نصيحة صادقة لا تبتغي غير وجه الله عز وجل.. وإلى المكاشفة الثالثة.

عبد العزيز قاسم

*****



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

تركناك في الحلقة الماضية عند قضية الخمس التي حسدتكم عليها يا شيخ حسن كونها تعطي علماءكم استقلالاً مادياً وثقلاً لدى السياسي والشعبي، وأعود بك إلى إيران.. دعني أسألك عن الوضع السياسي وقتما جئتها. وقد أتيتها في عصر الشاهنشاه الكبير محمد رضا بهلوي. هل أطمع منك بإضاءة للمحيط السياسي الذي عشته هناك، وأنت في سن السادسة عشرة وواعٍ بالمجتمع الذي تعيشه.. هلا سلطت لنا الضوء؟

- في الحوزة العلمية غالباً ما تكون الاهتمامات دينية وعلمية، ولا يكون فيها تداول للشأن السياسي، وغالباً ما يكون في الأجواء المحافظة وجود المذياع أو التلفاز شيئاً ثانوياً.

يا ساتر.. حتى لديكم أنتم، لا تلفاز ولا إعلام ولا صور.. ظننتها حالة محلية خاصة بنا.

- في حوزاتنا العلمية أيضاً كان يسيطر التيار المحافظ الذي يتوجس من أي جديد أو تجديد ويصر على التمسك بالسائد والمألوف، وكانت هناك رغبة في إبعاد الحوزة عن السياسة، وعن تأثير التيارات المرتبطة بالاتجاهات الغربية.

ولكن في مقابل هذا التيار كان هناك تيار إصلاحي يدعو إلى الانفتاح والتطوير والتجديد.

وفي تلك المرحلة كان يدور في إيران وحوزة قم صراع قوي بين التيارين، فالإمام الخميني كان له أتباع يتحركون في معارضة الشاه، والدكتور علي شريعتي كان يقود نشاطاً ثقافياً يخالف توجهات الحوزة العلمية، والشيخ مرتضى المطهري كانت له حركة نشطة في أوساط الجامعات، لكننا كطلاب عرب لم نكن قريبين من

هذه الأجواء بل كان كبارنا يحذروننا من تجاوز الاهتمامات الدراسية حتى لا تؤثر على مستوانا الدراسي ولا تسبب لنا مشكلات في إيران بعدما لاقيناه في العراق.

لم تتأقلم مع أجواء إيران، وانتقلت إلى الكويت يا شيخ حسن متى كان ذلك؟

- ١٣٩٤هـ ذهبت إلى الكويت، وفي الكويت كان هناك المرجع الشيعي السيد محمد الشيرازي وكان معه مجموعة من العلماء. والسيد الشيرازي إضافة إلى أنه كان مرجعاً وفقيهاً كان أيضاً ضمن حالة الصحوة الإسلامية، كتاباته وأفكاره كانت واضحة في هذا السياق، واستفدت منه كثيراً، ويمكن أن أقول إن الجانب الفكري والثقافي والحركي في حياتي كان من خلال مدرسة السيد محمد الشيرازي. كان له درس في تفسير القرآن ليلياً في مجلسه العام كل ليلة يفسر آية من القرآن الكريم وكان تفسيره يفتح أمامنا آفاقاً، لم يكن تفسيراً تقليدياً لمعاني الكلمات أو سبب نزول السورة أو الآية، وإنما الأهم أنه كان يشتق ويستنبط من الآية مفاهيم اجتماعية، سياسية وفكرية، وكان يحرّض المسلمين كثيراً للنهضة ومواجهة الغرب والاستعمار، وكان له درس أسبوعي في الأخلاق موجه لطلاب العلوم الدينية، كيف يكون طالب العلم في سلوكه وفي نشاطه وفي أخلاقه وفي تعامله مع المجتمع؟ في كل أسبوع يختار نقطة من النقاط ويركز عليها، وأفادنا كثيراً وأنا استفدت وتربيت أكثر من استفادتي من أي حوزة أخرى ضمن مدرسة السيد الشيرازي في الحوزات الأخرى، ما جعلني أشعر أن هناك عالماً أو مرجعاً أتربى على يده، أستفيد منه تربوياً وفكرياً ربما لأن سني ودراستي لم تكن تؤهلني لأن أتعامل مباشرة مع العلماء الكبار ومع المراجع، لكن في الكويت باعتبار أن العدد كان محدوداً وشخصية السيد الشيرازي كانت شخصية مميزة أبوية فاحتضننا، ولست وحدي أنا، إنما كان يتعامل مع كل الطلاب على هذا المستوى. كان مع السيد الشيرازي أحد تلامذته وهو السيد محمد تقي المدرسي الذي أصبح الآن مرجعاً من المراجع، كان هذا يقود حركة

إسلامية، وكانت له قراءة جيدة لتجربة حزب التحرير وحركة الإخوان المسلمين والحركة الإسلامية في إيران، أنا وقتها لم أكن أعرف عن التنظيمات وعالم الحركات والأحزاب ولكنني في مدرسة السيد الشيرازي بدأت أنفتح على هذا العالم، وبدأت أعرف أن الجماعة لديهم تنظيم ولديهم حركة تستهدف الوضع في العراق، يريدون أن ينظموا الشعب في العراق لمواجهة حزب البعث ولمواجهة التيارات الأخرى المخالفة للإسلام، وعشت في أجوائهم الحركية والأجواء التنظيمية التي كانوا فيها، واستفدت كثيراً من السيد محمد تقي المدرسي ومن أخيه السيد هادي المدرسي الذي كان مقيماً في البحرين ويتردد على الكويت.

الحالة الكويتية: تنافر أم تعاون؟

أنا متفاجئ بأنكم تقرؤون لعلماء ودعاة سنة يا شيخ حسن، ولعلي أتبع هذا بسؤال عن علاقتكم بالإخوة السنة في الكويت. هل هي كما المعتاد حالة التنافر الطائفي والاجتماعي المعهود؟

- كانت الحالة في الكويت طبيعية من حيث العلاقة بين السنة والشيعة؛ لأن المذهب السائد في الكويت هو المذهب المالكي، ولم يكن لديهم موقف حاد من الشيعة، ولأول مرة عشت جواً منفتحاً مع السنة على الصعيد الاجتماعي، فقد رأيت شخصيات من أهل السنة يزورون السيد الشيرازي من علماء ومثقفين ورجال أعمال، وكان السيد الشيرازي يزور ديوانيات ومجالس لشخصيات من أهل السنة، وقد رافقته في بعض هذه الزيارات، كما كانت الصحافة الكويتية تنشر لكتّاب شيعة وتغطي المناسبات الدينية الشيعية، وكانت مجلة أسبوعية لأحد الصحفيين الشيعة باقر خريبط اسمها (صوت الخليج) كنا نتابعها، تتناول قضايا المجتمع الشيعي، فلم يكن هناك تشنج ولا قطيعة ولا تنافر آنذاك.

بودي أن أستفهم منك هنا عن علاقة الشيرازي، وأنت أيضاً يا شيخ حسن، بالحركات الإسلامية السنية. للتو قلت بأنه تأثر بمنهج الإخوان المسلمين، وأدبيات حزب التحرير، ولا أخفيك أن هذا مفاجئ لي تماماً، فقد ظننت بالقطيعة بينكم وبين قيادات الحركات الإسلامية السنية(*).

- مدرسة السيد الشيرازي لأنها من مدارس الصحوة الإسلامية في الوسط الشيعي كانت منفتحة على سائر المدارس الصحوية الإسلامية بل وعلى سائر الحركات التغييرية والثورية.

وكان السيد الشيرازي وكذلك السيد المدرسي يذكران القيادات الفكرية والحركية السنية بالكثير من التقدير والاحترام كأبي الأعلى المودودي وأبي الحسن الندوي والشيخ حسن البنا.

وكانت شخصيات سنية كويتية أو مقيمة في الكويت أو تأتي لزيارة الكويت تلتقي مع السيد الشيرازي ومع تلامذته البارزين، كالسيد المدرسي.

وممن أذكر أسماءهم من شخصيات أهل السنة الذين تواصلوا مع السيد الشيرازي آنذاك الشيخ حسن أيوب والسيد يوسف والسيد هاشم الرفاعي والدكتور إسماعيل الشطي والدكتور علي فهد الزميع والدكتور عبدالله فهد النفيسي، وكذلك شخصيات من الأمراء والأسرة الحاكمة في الكويت كرئيس الأركان آنذاك مبارك عبدالله الجابر وبعض رجال الأعمال والوجهاء السنة المشهورين كالحاج يوسف الغانم والشيخ عبدالعزيز العدساني وغيرهم من الأسماء التي لا أذكرها الآن، كانت تحصل بينهم وبين السيد الشيرازي زيارات ولقاءات.

(*) هذا السؤال وجوابه لم ينشرا في الجريدة لضيق المساحة.

وبعض المدرسين في جامعة الكويت من مصر وسوريا والأردن كانوا من أتباع الحركات الإسلامية كالإخوان المسلمين وحزب التحرير، كان بعضهم يتواصل مع أجواء السيد الشيرازي.

أنا شخصياً كنت أحضر بعض هذه اللقاءات لكن لم تحصل بيني وبين تلك الشخصيات علاقة مباشرة آنذاك، لكنها كانت أجواء جديدة ومفاجئة بالنسبة لي خصوصاً مع المقارنة بالقطيعة والانغلاق التي كنا نعيشها في المملكة.

فكان مريحاً جداً ما رأيته من اندماج وطني بين الشيعة والسنة في الكويت حيث كان هناك وزراء ونواب من الشيعة وكتب الشيعة كانت تطبع وتباع بحرية.. وكنت أقتني مختلف الكتب في الكويت لكن دخولها إلى المملكة كان أمراً مقلقاً بالنسبة لي، وأحسب ألف حساب حينما أصطحب معي بعض الكتب الشيعية، وأذكر مرة أني أخذت معي كتاب (مع الله في السماء) وهي مقالات علمية للدكتور أحمد زكي كان يكتبها في افتتاحيات مجلة العربي، وكنت مطمئناً لأن المؤلف سني والكتاب علمي، ولكن المفتش - ويبدو أنه لم يكن له حظ من المعرفة - صرخ حينما قرأ عنوان الكتاب: هذا يدعي أنه ذهب إلى الله في السماء؟ إنه كافر، أشهد بالله إنه كافر، وأخذ الكتاب مني وهو يؤنبني ويوبخني ولم أجد نفسي قادراً على إفهامه وإقناعه.

عفواً يا شيخ حسن. أتصور أن حديثك هنا ربما به بعض الحساسية الملتبسة. إذ إن هذا المنع الذي تشتكي ينسحب على الكل بلا تمييز طائفي ربما تلوّح بكلامك به. وكثير من المثقفين يشتكون، وأنا نفسي أعددت كتاب (مكاشفات) ومنعته رقابة المطبوعات على الرغم من أن مادته منشورة بالكامل في الصحافة، ولم أتلقّ سوى التهنئة عليه عندما نشر، فلا أتصور بأن في الأمر تمييزاً. ويبقى أنني معك في ضرورة إعادة النظر في معايير الفسح، وقد نوقش هذا الأمر في ملتقى المثقفين بشفافية وتكلم الكثير فيه.. (*)

(*) هذا السؤال وجوابه لم ينشرا في الجريدة لضيق المساحة.

- أنا أعرف أن بعض كتب الوزير غازي القصيبي ممنوعة، وأن هناك مطالبة من جهات مختلفة بإعادة النظر في معايير الفسح، لكن رفض الكتاب السني استثناء، بينما الأصل رفض أي كتاب شيعي، وأنا لا أطالب بإدخال كتب فيها إساءة للدولة، أو إساءة لأي مذهب آخر، فإذا كان هناك كتاب شيعي فيه طعن وإساءة للآخرين فلا أؤيد دخوله إلى المملكة؛ لأنني ضد هذا النوع من الثقافة التي تثير الفتن، لكنه ليس من الصحيح منع الكتب العلمية كتفسير القرآن وكتب الفقه والعقيدة والتاريخ. لا يصح أن تمنع لأنها تعبر عن وجهة نظر الشيعة، فإن المواطنين الشيعة يحتاجونها باعتبارها مصادر ومراجع لثقافتهم ومعارفهم الدينية. كما أنها تساعد الآخرين على معرفة إخوانهم الشيعة.

فمثلاً: الكتب الفقهية الشيعية التي تعرض أحكام الصلاة والصوم والحج لا يستغني عنها أبناء المذهب، فإذا منعت عنهم يضطرون لتوفيرها بطرق ملتوية كالتهريب، وتباع في السوق السوداء بسعر مضاعف، وقد أخذت أنموذجاً منها وهي الرسائل العملية الفقهية للمراجع المعاصرين كالسيد السيستاني وذهبت إلى الجهات الرسمية وطلبت الترخيص لدخولها وتابعت لشهور دون نتيجة، ولا أرى أي مبرر لمنع مثل هذه الكتب، أرجو أن تنشروا هذا الكلام وأنا أتحمل مسؤوليته.

قراءات المرحلة

أشكر لك هذه الشجاعة الأدبية، بيد أن الأمر في يد رئيس التحرير وليس بيدي، على الأقل أتملص بحجتي هذه يا شيخ حسن من أمانة المسؤولية، وأستأذنك في ترك هذا المحور وسؤالك عن قراءاتك في هذه المرحلة وأنت في الكويت، فما هي الكتب التي كنت تحرص عليها؟

- كنت أعيش في مدرسة السيد الشيرازي ضمن أجواء حركية يقودها السيد محمد تقي المدرسي، الذي برز اسمه فيما بعد كزعيم (لمنظمة العمل الإسلامي) في

العراق، وهي فصيل شقيق لحزب الدعوة في المعارضة العراقية. وكان معه عدد من كوادر هذه الحركة الذين هاجروا من العراق، ولم تكن الظروف في الكويت تسمح لهم بنشاط علني معارض للنظام العراقي آنذاك، لكنهم كانوا يقومون بنشاط تربوي وثقافي.

وفي هذه الأجواء انفتحت على الأفكار الحركية والسياسية فقرأت أغلب كتب المودودي والندوي والبنا والسيد قطب والغزالي وفتحي يكن، وقرأت عدداً من الكتب عن القضية الفلسطينية ولا أزال أذكر أن أول كتاب سياسي قد شدّني هو مذكرات أبو إياد - صلاح خلف (فلسطيني بلا هوية).

وفي تلك الحقبة برزت شخصية الإمام موسى الصدر في لبنان وحركته (أمل) وكنا نتابع أخباره، وجاء في زيارة للكويت فكنت سعيداً جداً بلقائه واستماع محاضراته وأحاديثه.

وكان هناك تواصل مع أجواء الحركة الإسلامية المعارضة لنظام الشاه في إيران حيث كانت تصلنا محاضرات وكتابات الإمام الخميني والدكتور علي شريعتي والمهندس مهدي بازركان.

وكانت بعض العناصر القريبة من الإمام الخميني الذي كان مقيماً في النجف آنذاك تأتي وتبقى أياماً معنا في المدرسة، ومن أبرزهم الشيخ محمد المنتظري ابن المرجع الشيخ المنتظري، وكنا نستمتع جداً بالأخبار التي ينقلها ونتفاعل مع الأفكار التي يطرحها، ومن هناك بدأ انفتاحي على الساحة الحركية في إيران وتعرفت إلى بعض رموزها وقياداتها قبل سقوط الشاه بخمس سنوات تقريباً.

يتبادر إلى ذهني سؤال عن مدى إتقانك للغة الفارسية طالما كنت هناك في إيران ومع الملالي؟

- أستطيع قراءة الصحف والكتب الفارسية، كما أفهم ما أسمع من دروس ومحاضرات باللغة الفارسية، ولكنني أجد صعوبة في التحدث باللغة الفارسية إلا بمقدار تمشية الحال.

والله شيء عجيب، فالمفترض العكس يا شيخ. فكثيرون يتقنون الحديث ويجدون الصعوبة في الكتابة والقراءة.

- لعل السبب أنني كنت أعيش في وسط علمي يعرف اللغة العربية، فالعلماء الإيرانيون في الحوزة العلمية يدرسون اللغة العربية وقواعدها، فلم أكن مضطراً للتخاطب معهم باللغة الفارسية، وبعضهم كان يحبّذ أن نتكلم معه باللغة العربية ليكسب منا طريقة النطق بألفاظها، وأذكر هنا مثلاً أن السيد الخامنئي قائد الجمهورية الإسلامية، كنا نلتقيه بداية ذهابنا إلى إيران، بالطبع لم يكن في هذا الموقع القيادي آنذاك، فكنا نزوره في بعض الليالي قبل أن تتشنج الأوضاع الأمنية في طهران، فكان يرتاح جداً للتحادث معه باللغة العربية، ويقول: إنه يرغب في ذلك.

من ناحية أخرى لم أكن أستسيغ التحدث بلغة فارسية مكسرة، وهو الأمر الطبيعي لبداية التحدث بأي لغة جديدة، وربما لهذين السببين لم أمتلك القدرة الجيدة على التحدث باللغة الفارسية، إضافة إلى ضعف العزم والإرادة.

الخميني الرجل الأخطر

سؤالي التالي يتعلق بالرجل الأخطر في تاريخ الفقه الشيعي برمته وقصدت الخميني، هل أدركت الرجل في العراق قبل ذهابه إلى باريس؟

- حينما كنت في النجف كان الإمام الخميني مقيماً فيها، وكان يؤم الجماعة في مسجد قريب من منزله اسمه مسجد (الترك) أي: الأتراك، وله مجلس يومي عام يستقبل فيه الزائرين، كما كان يذهب بعد صلاة العشاء كل ليلة إلى مقام الإمام

علي رضي الله عنه في وقت محدد، وسمعت الطلاب والعلماء يتحدثون عن دقة التزامه بالوقت، فهو يكون هناك في وقت معين دون تقديم أو تأخير طول السنة، وقد صليت خلفه بعض الأيام، وزرته أكثر من مرة في مجلسه، كأي طالب علم، دون أن تكون لي أي علاقة مباشرة معه أو مع جماعته؛ لأنني كنت طالباً صغيراً ليس لدي ما يدفعني لهذا المستوى من العلاقة والارتباط.

وفي تلك السنوات طرح رؤيته حول إقامة الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه، وطبعت في خمسة أجزاء صغيرة تحت هذا العنوان، فكان طرحاً جديداً في الحوزة العلمية والوسط الديني، وصار محل جدل وأخذ وردّ، لأن غالبية المراجع والفقهاء في النجف لم يكونوا مع هذا الرأي، كما كان بعضهم يتحفظ على الطرح السياسي والعمل السياسي في الحوزة العلمية، ولكن الإمام الخميني كان جاداً وجريئاً في طرحه، وقد تحصلت على تلك المحاضرات المطبوعة (الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه) وقرأتها بانشداد واندهاش.

سأقف معك قليلاً في محطة الخميني. ما فعله يشكل فاصلة تاريخية بالمذهب والفكر الشيعي وخصوصاً في طرحه لمسألة ولاية الفقيه.. فهو حلّ إشكالية كبيرة ومعضلة عصيبة كانت تواجه الشيعة، وانطلق بالملالي إلى عالم السياسة دون انتظار المهدي الغائب. هلا حدثتنا بالتفصيل عن ذلك.

- الاتجاه السائد عند المراجع الشيعة وفي حوزاتهم العلمية هو العزوف عن السياسة، وأن عالم الدين يتلخص دوره في دراسة العلوم الشرعية وتدريسها وإفتاء الناس في أمور دينهم.

ويرون أن دخول علماء الدين في السياسة يشغلهم عن وظيفتهم الأساسية، ويدخلهم في الصراع مع السلطات التي ستعدهم منافسين ومزاحمين لمواقعها، كما

أن في العمل السياسي نوعاً من الظهور والبروز والتطلع لأدوار ومناصب لا تنسجم مع صفات الورع والزهد والتواضع التي ينبغي أن يتحلى بها العالم.

لكن ذلك لم يمنع العلماء والمراجع من التصدي لمواجهة الهيمنة الاستعمارية والاحتلال الأجنبي، كما حصل في إيران لمواجهة النفوذ البريطاني في مسألة امتياز التبغ ومواجهة الغزو الروسي، وفي العراق لمقاومة الاحتلال البريطاني حيث قاد العلماء ثورة العشرين سنة ١٩٢٠م وانتهت بطرد البريطانيين.

أما حين يحصل انحراف وظلم في السياسة الداخلية من قبل السلطات الوطنية، فإن العلماء يحاولون إيصال نصائحهم للحاكمين ويضغطون عليهم عبر زعماء العشائر والشخصيات النافذة.

وعند العلماء الشيعة حذر شديد من التصعيد الذي يؤدي إلى إراقة دماء أو انتهاك حرمات أو حصول فتنة داخلية.

ويرى كثير من العلماء أن مهمة إقامة حكم إسلامي وفق المذهب لا تتحقق إلا على يد الإمام المنتظر، لكن الإمام الخميني طرح ضرورة تصدي الفقهاء لإقامة حكم الإسلام وأن لا تترك أمور بلاد المسلمين بيد مثل البعثيين أو أتباع التوجهات الغربية المخالفة للإسلام، وأنه ليس صحيحاً أن تتعطل أحكام الشرع حتى ظهور الإمام المنتظر، وكان قد سبقه إلى هذا الرأي بعض العلماء كالشيخ مهدي النراقي (المتوفى ١٢٤٤هـ) لكنه بقي في حدود الطرح العلمي.

فجاء تبني الإمام الخميني لهذا الرأي ليحوله إلى مشروع سياسي عملي تحقق من خلاله تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران.

والسؤال الذي يفرض نفسه: أينحصر قيام الحكم الشرعي في الفقه الشيعي في صيغة ولاية الفقيه التي تبناها الإمام الخميني؟

هناك رأي آخر بإمكانية قيام حكم شرعي باختيار الأمة لممثليها وسلطاتها طرحه الشيخ النائيني (١٢٧٧-١٣٥٥هـ) ضمن رسالته بعنوان (تنبيه الأمة).

وجدد طرحه الشيخ محمد مهدي شمس الدين تحت عنوان (ولاية الأمة على نفسها).

الحالة الشيعية اللبنانية

بما أنك طرحت اسم محمد مهدي شمس الدين، بودي سؤالك هنا عن الحالة الشيعة اللبنانية، أرى أنها حالة مختلفة عن الحالة الشيعية العراقية والكويتية والإيرانية، فهي أنموذجية فريدة، ولديهم رؤية متسامحة وبعيدة النظر في قضية التعايش والانفتاح. ولدي شعور داخلي في تأثر حسن الصفار بالمدرسة اللبنانية.. هل أنت معي في ذلك؟ ولماذا اللبنانيون فقط؟

- طبيعة التنوع القائمة في المجتمع اللبناني، والمشاركة والمحاصصة لكل طوائفه في الحكم - بحيث لا تسيطر طائفة أو تهمش أخرى - جعل اللبنانيين يقبلون التعايش، وكان علماؤهم ومفكروهم منسجمين مع هذه الحالة، ومدافعين عن مكاسبها، فلو أن شخصاً من المسلمين أساء للمسيحية فإن المؤسسات الدينية الإسلامية هي التي تبادر إلى الاحتجاج عليه وردعه، وكذلك لو أن شخصاً من المسيحيين أساء للإسلام فإن المؤسسات الدينية المسيحية هي أول من يعترض عليه ويحاسبه.

وعلى الصعيد المذهبي لو أساء شيعي في لبنان للسنة فإن المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى هو أول جهة تبادر لردعه، ولو أساء سني للشيعة فإن دار الإفتاء ستقوم بدورها بإيقافه عند حده.

فهناك قناعة بضرورة التعايش، وحماية الاحترام المتبادل.

أوافقك الرأي فيما ذكرته من تميّز المدرسة اللبنانية، وأقر بتأثري بها وخاصة بأفكار وطروحات الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الذي كانت لي به صلة خاصة وثيقة حيث ترددت كثيراً عليه، وكان يتفضل بزيارتي حينما كنت مقيماً في دمشق أو حين أسافر إليها، وكلما زار المملكة لحج أو عمرة أو لقاءات رسمية أخبرني بقدومه فأحرص على الذهاب إليه في جدة أو المدينة أو الرياض.

أما التواصل الهاتفي فلم ينقطع بيننا حتى أثناء مرضه في باريس وإلى قبل يومين من وفاته في بيروت.

قرأت أبحاثه القيمة وتناقشت معه حول الكثير من أفكاره وطروحاته للاستزادة والاستفادة.

وحينما أطلعته على كتابي (التعددية والحرية في الإسلام) فرح به كثيراً وأشاد به وكتب له مقدمة ضافية ضمنها تأييده وتقديره للكتاب، وذلك دليل لطفه وتواضعه، ورعايته وتشجيعه لهذه التوجهات المنفتحة.

اسمح لي بإبداء رأيي هنا، فما ذكرته جانب.. ولكن جانب التعايش والقبول بالآخر هو ما يميز الحالة الشيعية اللبنانية.. استشرافها الأبعد أيضاً ورؤاها (المتعصرنة) إن صح التعبير والمتقدمة عن مثيلاتها في العراق. التقيت شخصياً قبل خمس سنوات محمد مهدي شمس الدين واستضفناه أنا وأستاذي الراحل د. عبدالقادر طاش - رحمه الله - في قناة اقرأ. وكانت رؤى الرجل غاية في التقدم والدعوة للائتلاف. نسمع الآن الرؤى نفسها لمحمد حسين فضل الله. هل لي بتعليق منك عن سبب هذه الرؤى المتقدمة لعلماء لبنان؟

- يبدو لي أن لهذا التميز الذي أشرت إليه وأوافقك عليه سببين رئيسين:

الأول: هو واقع التنوع ومستوى الانفتاح الفكري الذي تعيشه الساحة اللبنانية، فعالم الدين هناك يطلع على الأفكار والطروحات الأخرى، ويلتقي مع التوجهات المختلفة، ويعيش ضمن مجتمع له مصالحه المرتبطة مع الأطراف الأخرى.

أما في إيران والعراق فحالة التنوع والانفتاح ليست على هذا المستوى.

الثاني: في إيران والعراق هناك مؤسسة دينية متجذرة تتمثل في المراجع والحوزة العلمية، وفي هذه المؤسسة تتكون مراكز قوى وتوجهات قد تتحفظ تجاه أي تجديد فكري ثقافي وتمارس ضغوطها المكثفة ضده، ولهذا تقل الجرأة في إيران والعراق على الإجهار بالأفكار الإصلاحية والتجديدية.

أما في الساحة اللبنانية فليست هناك مؤسسة دينية ضاغطة تعوق طرح الأفكار التغييرية والمخالفة للسائد والمألوف.

مكامن الخلاف بين الطائفتين

دعني أدخل معك في صلب موضوع الخلاف بين السنة والشيعة.. أطلب منك الآن يا شيخ حسن أن تخلع جبة وعمامة عالم الدين الشيعي وتتمثل لنا رجلاً موضوعياً ومحايداً طلبنا منه أن يحدد لنا نقاط الاختلاف الرئيسة بين الطائفتين.. فما الذي سيقول؟

- أرى أن نقطة الخلاف الرئيسة التي تفرعت عنها كل الاختلافات الأخرى تكمن في موضوع الإمامة. وبالتالي تحديد المرجعية الدينية.

وذلك لأن للإمامة عند الشيعة شقين:

الأول: موقع القيادة السياسية الخلافة أو الإمارة، حيث يعتقد الشيعة بالنص على الإمام علي من قبل الرسول ﷺ وأنه الأولى بالخلافة وبعده الأئمة من أهل

البيت - رضي الله عنهم - لكن هذا الجانب أصبح قضية تاريخية، لا داعي الآن للنزاع حولها، ومادام الخلاف في الأحقية والأولوية ضمن الإطار النظري والاعتقادي فالأمر سهل لا يستلزم الخصام.

الشق الثاني: وهو الأهم يتمثل في تحديد المرجعية الدينية التي تؤخذ منها معالم الدين وأحكام الشرع بعد رسول الله ﷺ.

أهل السنة يرون أن المرجعية هم الصحابة؛ فعنهم تؤخذ سنة رسول الله ﷺ، ومنهم نفهم ما اشتبه علينا من كتاب الله.

والشيعة يرون أن المرجعية تتحدد في أهل البيت ولا يؤخذ من أحد ما يخالف ما صح عن أهل البيت.

وينطلقون في هذا التحديد من أمر رسول الله ﷺ، الذي ورد بصور عدة روتها كتب الصحاح والأحاديث المعتمدة كقوله ﷺ فيما أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم ٢٤٠٨ عن زيد بن أرقم قال: **قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة. فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي».**

وأورد الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة الجزء الرابع ص ٣٥٥ حديث رقم ١٧٦١ عنه ﷺ قوله: **«يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي»** وأكدّ الألباني على

صحة الحديث من طرق عدة وأن له شواهد من أحاديث أخرى، وردّ على من ضعّف الحديث. وأخرجه الترمذي والطبراني والإمام أحمد وغيرهم.

انطلاقاً من هذا الحديث فهم الشيعة أن النبي قد حدد المرجعية من بعده بالكتاب والعترة خاصة وأنه جاء في سياق الحديث عن مغادرته للدنيا وأنه تارك في الأمة هذين الثقلين، وأن الأخذ منهما فقط هو العاصم من الضلال.

وكذلك ممّا فهموه من أحاديث أخرى بهذا الاتجاه ومن اعتقادهم بأفضلية أهل البيت فإنهم يحددون المرجعية في أخذ معالم الدين بهم إلى جانب الكتاب العزيز.

وهنا مكمن الاختلاف بينهم وبين أهل السنة، الذي تشعب إلى جزئيات مختلفة في العقيدة والفقه، حيث يأخذ أهل السنة بما ورد عن سائر الصحابة والتابعين بينما لا يأخذ الشيعة إلا ما ورد عن أئمة أهل البيت أو ما يوافقه.

أما الرواية الأخرى الواردة في بعض مصادر أهل السنة عنه ﷺ: «**كتاب الله وسنة نبيه**» فإنها غير ثابتة عند الشيعة، وليست بقوة الرواية الأولى «**كتاب الله وعترتي**» في مصادر أهل السنة. كما أنه لا تعارض بين الروايتين؛ فما عند أهل البيت إلا ما أخذوه عن جدهم رسول الله ﷺ وقد أشار ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة إلى وجه الجمع بين الروايتين.

يا شيخ حسن ما أعرفه في هذه الموضوع أن أهل السنة ليس لديهم أي موقف تغليبي في هذه المسألة لأجل كون الصحابي من آل البيت أو من غيرهم بل لأجل العلم والفضل، ومع ذلك فالمروي عندهم عن علي وابن عباس وجعفر الصادق وزين العابدين بن علي كثير، وعموماً سأتجاوز هذه النقطة وأستفسر عن بقية موضوعات الخلاف؟

- بقية موضوعات الخلاف فرعية عن هذا الأصل، وقد كتب أحد علمائنا وهو السيد مرتضى العسكري كتاباً من مجلدين تحت عنوان (معالم المدرستين) رصد فيه التوجهات الأساسية المميزة لكل من مدرستي أتباع أهل البيت وأتباع الصحابة.

واسمح لي هنا بمداخلة قصيرة في نقطتين قبل تجاوز هذا الموضوع:

الأولى: حينما نتحدث عن أهل البيت فالمقصود بهم الدائرة التي حددها رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهم ونقله الشيخ ابن تيمية في رسالته (حقوق آل البيت) قال: **عن أم سلمة: إن هذه الآية** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ **لما نزلت أدار النبي ﷺ كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم - فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً»** وعقّب ابن تيمية بقوله: وسنته تفسر كتاب الله وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه. فلما قال: «**هؤلاء أهل بيتي**» مع أن سياق القرآن يدل على أن الخطاب مع أزواجه، علماً أن أزواجه وإن كن من أهل بيته كما دل عليه القرآن فهؤلاء أحق بأن يكونوا أهل بيته، لأن صلة النسب أقوى من صلة الصهر. انتهى كلامه.

الثانية: أن المروي عن أهل البيت في مصادر أهل السنة نسبة إلى ما روي عن غيرهم ونسبة إلى ما هو معروف من علم أهل البيت هو شيء قليل وليس كثيراً كما تفضلتم، ولعل ذلك راجع إلى الظروف السياسية التي كان يعيشها أهل البيت، فلو أخذنا صحيح البخاري أنموذجاً فإننا نجد أن ابن حجر العسقلاني في مقدمة فتح الباري يذكر مثلاً الأرقام الآتية: عدد الأحاديث المروية في صحيح البخاري عن أنس بن مالك ٢٦٨ حديثاً، وعن عبدالله بن عمر ٢٧٠ حديثاً، وعن أبي هريرة الدوسي ٤٤٦ حديثاً، وعن أم المؤمنين عائشة ٢٤٢ حديثاً، أما عن الإمام علي بن أبي طالب ففيه ٢٩ حديثاً، وعن السيدة فاطمة الزهراء حديث واحد.

يا شيخ حسن، كل ما ذكرت سيرد عليه إن شاء الله طلبة العلم لدينا والعلماء، وسيوضحون موقف أهل السنة من كل ما ذكرت في هذه المسائل التخصصية والحوادث التاريخية التي تشكل تباينات حادة لا يمكن أن يقفز الشيخ حسن الصفار ولا أي شخص آخر عليها، و تبقى لها تراكماتها النفسية الممتدة عبر الأجيال. ودعني هنا أطرح بصراحة ما يتحسس منه أهل السنة ويدخل في صميم العقيدة لديهم تجاه الآخر الطائفي. قضايا تمثل مفاصل، كسبّ الصحابة رضوان الله تعالى عنهم أجمعين، مصحف فاطمة. ومسائل عديدة تدخل في صلب إيماني كمسلم سني وأرى الآخر الطائفي ضدها تماماً، لا أدري يا شيخ حسن.. كيف لي أن أتقبل الشيعي وهو يسبّ صحابة رسول الله ﷺ؟ أنتظر تعليقك هنا بشفافية.

- دخلت في حوارات كثيرة مع علماء من أهل السنة من مختلف البلدان، والتقيت كثيراً من علماء الشيعة العاملين في مجال التقارب والتقريب بين المسلمين، ووجدت أن الإشكالات التي يطرحها أهل السنة على الشيعة ناتجة عن أحد أسباب ثلاثة:

الأول: عدم الاعتراف بالحق في الاختلاف، حيث يحاسب بعض السنة الشيعة على آرائهم المخالفة لهم، وكأنه يلزم أن يوافق الشيعة على كل آراء السنة وإلا فهم محاسبون. ما يجب الاعتراف به أن هناك مدرستين متفقتين في الأصول الأساسية للدين، متمايزتين في جوانب تفصيلية من العقيدة والفقه.

كما هو الحال في التمايز داخل مدارس السنة من أشاعرة ومعتزلة وسلفية وصوفية، وداخل مدارس الشيعة من أصولية وإخبارية وشيخية.

أما القول بأنه يجب اتباع كتاب الله وسنة رسوله فهو ما يتفق عليه الجميع لكن هناك اختلافاً في الفهم وقبول بعض المرويات، فالكتاب والسنة لا يحتكرهما أحد؛ لأن كل طرف يدعي أنه يسير حسب الكتاب والسنة.

وبعد أربعة عشر قرناً من الصراع والانشغال بالاختلاف والمراهنة الفاشلة لكل طرف من أجل أن يغيِّر الآخر أو يلغيه، آن لنا أن نعترف بالتعددية وحق الاختلاف، ونجرب عصراً جديداً في التحاور والتقارب والاحترام المتبادل.

الثاني: المحاسبة على الآراء والتصرفات الفردية من قبل بعض العوام، أو من قبل جهات متطرفة من الشيعة، وأعترف هنا بأن بعض الشيعة مثلاً يسيئون كثيراً بالتعرض للخلفاء بالسب أو الشتم، لفهم خاطئ لديهم أو رد فعل لمواقف متطرفة من السنة، ولا ينبغي أن يحاسب المذهب كله والطائفة كلها بذلك، وإلا كان الغرب محقاً في محاسبة كل المسلمين والعرب، على تصرفات الإرهابيين والمتطرفين من المسلمين.

الثالث: سوء الفهم لحقيقة وواقع الآراء الشيعية بقصد أو بغير قصد، إما لعدم الاطلاع أو للاعتماد على نقولات المناوئين، أو لإبراز الآراء الشاذة في المذهب، وعندنا في المملكة مثلاً لا يسمح بدخول كتب الشيعة ولا فرصة لهم لعرض آرائهم في وسائل الإعلام، وبعض العلماء لا يكلف نفسه عناء مراجعة مصادر الشيعة المعتمدة، فيبقى على تصورات خاطئة تجاه الشيعة.

سألت مرة أحد القضاة في المحكمة الشرعية في القطيف: هل اطلعت على شيء من مصادر الشيعة الفقهية حول مجال عملك في القضاء وأنت تقضي في مجتمع شيعي، كالأحوال الشخصية والحدود والخصومات؟ فقال: لم أطلع؛ إذ لا وقت لدي ولا أشعر بحاجة لذلك.

وكأنموذج لسوء الفهم ما يثار حول الشيعة من القول بتحريف القرآن، مع أن كتبهم في التفسير والفقه والعقيدة تصرح بالقطع بصيانة القرآن عن التحريف، كما أن واقعهم الفعلي على الصعيد الإعلامي والثقافي والاجتماعي لا شيء فيه غير

هذا القـرآن المتـداول بين المسلمين، تلهج بـه إذاعـاتهم، ويقـرؤونه في صلواتهم، ويعلمونه لأبنائهم، ويتلونه في مجالسهم. ووجود روايات في كتب الشيعة تتحدث عن وقوع نقص في آيات القرآن يشبهها ما جاء في كتب السنة عن ذلك، وإن كان السنة صنعوا لها مخرجاً هو القول بنسخ التلاوة، وما أشبه من المخارج.

صحيح أن هناك رأياً شاذاً لعدد محدود من علماء الشيعة قبلوا تلك الروايات، وقالوا بأن هناك ما أنقص وحذف من القرآن، ولكن علماء الشيعة رفضوا هذا الرأي وعارضوه، وكتبوا الكتب في نقضه. فلماذا الإصرار على تكرار هذه الشبهة وإثارتها؟...

سأضطر إلى مقاطعتك يا شيخ حسن، بودي أن تدلل على حديثك بعلمية بدلاً من الإنشائيات العامة. هلا طرحت لنا أسماء شيعية قالوا بما ذكرت، كي نقارن ونحاجج ونقبل حتى..

- علماء الشيعة الذين صرحوا بالاعتقاد بصيانة القرآن عن التحريف ورفضوا تلك الروايات كثيرون من الصعب حصر عددهم وأسمائهم ولكن أذكر بعض النماذج:

الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ) قال في رسالته التي وضعها لبيان معتقدات الشيعة: «اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين. وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، ومن نسب إلينا أنا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب».

الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ) قال في (أجوبة المسائل السروية) راداً على روايات التحريف: «إن الأخبار التي جاءت بذلك أخبار آحاد لا يقطع على الله بصحتها، فلذلك وقفنا فيها ولم نعدل عما في المصحف الظاهر على ما أمرنا به حسب ما بيناه».

الشـــريف المرتضى علي بن الحـــسين (ت ٤٣٦هـ) قـال في أجـوبة المســائل الطرابلسيات: «القـرآن مـعـجزة النبـوة ومـأخذ العلوم الشـرعـيـة والأحكام الدينيـة، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمـايته الغـاية، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيـه من إعرابه وقراءته وحـروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيـراً ومنقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟ إن من خالف في ذلك من الإمامة والحشوية، لا يُعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحـاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته».

الشـيخ الطوسي مـحـمـد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) نفى التـحـريف بشكل واضح صريح في مقدمة تفسيره (البيان).

الشيخ الطبرسي أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ) صـرح بذلك أيضاً في مقدمة تفسيره المعروف (مجمع البيان).

العلامـة الحلي أبو منصور الحسن بن يوسف ابن المطهـر (ت ٧٢٦هـ) قال في إجابة على سؤال حول تحريف القرآن في أجوبة المسائل المهناوية بقوله: «الحق أنه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيـه (القرآن) وأنه لم يزد ولم ينقص ونعوذ بالله تعالى من أن يُعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك».

هذه أسماء من السابقين وأما من المعاصرين فنذكر:

الشيخ كاشف الغطاء محمد الحسين (ت ١٣٧٣هـ) قال في كتابه (أصل الشيعة وأصـولها): «إن الكتـاب الموجـود في أيدي المسلمين هو الكتـاب الذي أنزله الله إليـه للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وإنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا إجمـاعـهم (الشـيعـة)، ومن ذهب منهم أو من غيـرهم من فـرق المسلمين إلى وجـود نقص فيه أو تحـريف فهو مخطئ. نص الكتاب العظيم ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ**

لَحَافِظُونَ﴾ والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه، ضعيفة شاذة، وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، فإما أن تؤول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها عرض الجدار».

الطباطبائي السيد محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ) خصص فصلاً وافياً من تفسيره (الميزان) في ٣٠ صفحة أثبت فيه بالأدلة العلمية القاطعة نفي التحريف وردّ على الروايات والقائلين بها.

السيد الخوئي أبو القاسم (ت ١٤١٣هـ) كتب فصلاً ضافياً في تفسيره (البيان) بلغ ٤٠ صفحة فنّد فيها القول بالتحريف وأكد صيانة القرآن عن أي زيادة أو نقصان.

الإمام الخميني (ت ١٤٠٩هـ) جاء في تقرير دروسه الأصولية (تهذيب الأصول) بحث لإثبات صيانة القرآن ورد شبهة التحريف ومن كلامه: «إن الواقف على عناية المسلمين بجمع الكتاب وحفظه وضبطه، قراءة وكتابة، يقف على بطلان تلك الشبهة المزعومة، وما ورد فيه من أخبار حسبما تمسكوا، إما ضعيف لا يصلح للاستدلال به، أو مجعول تلوح عليه إمارات الجعل، أو غريب يقضي بالعجب، أما الصحيح منها فيرمي إلى مسألة التأويل والتفسير، وإن التحريف إنما حصل في ذلك، لا في لفظه وعباراته. إن الكتاب العزيز هو عين ما بين الدفتين لا زيادة فيه ولا نقصان».

جميل كل ما ذكرت، ولكنني يا شيخ تتملكني الحيرة تجاه ما سمعت منك وبين يدي قصاصة مصورة تنقل عن الكليني في أصول الكافي (١ / ٢٣٨)، عن جعفر بن محمد قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة وما يدريهم ما مصحف فاطمة مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد. وأنت تقول: ليس عندنا من يقول: إن مصحف فاطمة هو قرآن آخر. أإزاء تناقض أنا أم إزاء سهو منك؟

- الرواية موجودة في (الكافي) وليس فيها دلالة على التحريف ولا على قرآن آخر، وإنما هي تتحدث عن كتاب لفاطمة حجمه يعدل حجم القرآن ثلاث مرات لكن ليس فيه شيء من القرآن. وهذا ما أجمع عليه شراح الرواية من علماء الشيعة كالشيخ المجلسي في مرآة العقول والمازندراني في شرح أصول الكافي.

وقد جاء في هذا الباب من الكافي ثماني روايات، صحّح المجلسي في شرحه منها روايتين، قال عن اثنتين: إنهما حسنتان والأربع الباقيات إحداها سندها مرسل والثانية ضعيف والثالثة والرابعة سندهما مجهول.

وتصرّح إحدى تلك الروايات بأن مصحف فاطمة روايات سمعتها فاطمة الزهراء وأملتها على علي رضي الله عنه فكتبها لها. وتشير رواية أخرى بشكل صريح إلى أنه ليس في مصحف فاطمة قرآن وإنما معارف دينية، حيث جاء فيها عن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: «مصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد». وجاء في رواية أخرى أن مصحف فاطمة هو وصاياها: «وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة».

وهكذا فليس في أي من الروايات إشارة إلى التحريف أو إلى أن مصحف فاطمة بديل عن القرآن.

ولعل الالتباس جاء من تسميته بالمصحف باعتباره يطلق على القرآن، ولو راجعنا كتب اللغة لرأينا أنه كان يطلق على الكتاب المجموع مصحفاً كما في لسان العرب والقاموس والصحاح، وقبل أن يتحدد إطلاقه عند المسلمين على القرآن، وقد أورد ذلك الحافظ أبو بكر بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦هـ) في كتابه (المصاحف) وذكر مثلاً أن خالد بن معدان - من كبار علماء الشام والتابعين - كان علمه في مصحف له أزرار وعرى.

وقرأت أخيراً كتاب الدكتور ناصر الدين الأسد (مصادر الشعر الجاهلي) فوجدته يقول: كانوا يطلقون على الكتاب المجموع لفظ المصحف ويقصدون به مطلق الكتاب، لا القرآن وحده.

فتسمية كتاب فاطمة الجامع لرواياتها أو وصاياها بالمصحف، هو ضمن هذا الإطلاق اللغوي لا أكثر.

بل القرآن كامل

وأيضاً يا شيخ حسن أود لفت نظرك إلى إجماع أهل السنة على كمال القرآن وأنه ما بين الدفتين من عند الله لم ينقص منه حرف واحد، وقد انعقد الإجماع على ذلك منذ العصور الأولى فلا مخالف له مطلقاً. فليس الأمر لدينا بما قلت به قبل قليل.

- أخي الكريم لا يليق بقداسة القرآن الكريم أن يترامى المسلمون فيما بينهم الاتهام بتحريفه، فيتهم السنة الشيعة بذلك ويتهم الشيعة السنة بذلك، فإنه قد أعطى فرصة التشكيك عند المستشرقين والعلمانيين المناوئين للإسلام.

وأنا أعلم أن إجماع أهل السنة وإجماع الشيعة على كمال القرآن وأنه ما بين الدفتين من عند الله لم ينقص منه حرف واحد، أما قولك: ليس لديكم ما يشير إلى النقص والتحريف فاسمح لي بالمصارحة حتى تكون المكاشفة متبادلة.

فكما يوجد في كتب الشيعة روايات عن النقص والتحريف في القرآن كذلك يوجد في كتب السنة، لكن علماء السنة يؤولونها ونحن مع تحفظنا على بعض أنواع التأويل كنسخ التلاوة لكننا نقبل كلامهم برفض النقص والتحريف، فلماذا لا يقبلون تأويلنا لرواياتنا بل رفضنا لها ويصر بعضهم على توجيه الاتهام لنا؟

وأنت كمثقف متحرر إن شاء الله أعرض عليك بعض النماذج من الروايات في كتب أهل السنة فماذا تفهم منها؟

في صحيح البخاري (باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت) في حديث طويل رواه ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال: «**إن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف، ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو أن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم**». إلى آخر الحديث.

وفي صحيح مسلم باب (لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً) عن أبي حرب بن الأسود عن أبيه قال: **بعث أبو موسى الأشعري إلى قرّاء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرؤوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقرّاؤهم، فاتلوه، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنّا كنّا نقرأ سورة، كنّا نشبّهها في الطول والشدّة ببراءة، فأنسيتها، غير أنّني قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. وكنّا نقرأ سورة كنّا نشبّهها بإحدى المسبّحات، فأنسيتها، غير أنني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة.**

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل في حديث زر بن حبيش قال: **قال لي أُبي بن كعب: كائن تقرأ سورة الأحزاب، أو كائن تعدها؟ قال: قلت له: ثلاثاً وسبعين آية. فقال: قط، لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله، والله عزيز حكيم.**

وفي المستدرك على الصحيحين في باب تفسير سورة التوبة عن عبدالله بن سلمة عن حذيفة رضي الله عنه قال: **ما تقرؤون ربعها (يعني براءة) وإنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب.** قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه أي: **الشيخين.**

وفي سنن ابن ماجه (باب رضاع الكبير) عن أم المؤمنين عائشة قالت: **لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها.**

وأحاديث أخرى في مختلف المصادر، وأكرر قولي: إنني لا أتهم أهل السنة بالقول بالنقص والتحريف، وأقبل منهم توجيههم وتأويلهم لهذه الروايات. وأرجو أن يقبلوا من الشيعة موقفهم تجاه الروايات الواردة في مصادرهم، وأن ننزه جميعاً ساحة القرآن عن أن تكون صحته وصيانته محل جدل وأخذ وردّ. فهو قرآننا جميعاً ومصدر ديننا وعزتنا.

المشكلة الأكثر حدّة والحاجز الأصلب

أوضحت وجهة نظرك يا شيخ حسن في قضية مصحف فاطمة وجزمت لنا بأن قرآنكم هو قرآننا، ولكن مسألة سبّ الصحابة رضوان الله عليهم وسبّ شيخي الإسلام أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - هي من المسائل الشائكة بين الشيعة والسنة. ما هو تعليقك يا شيخ؟

- الشتم والسِّباب ليسا من خلق المسلم ولا من خلق العاقل، وأنا أرفض وأدين سب الخلفاء الراشدين والصحابة، وأرى أنه ينطبق عليه أكثر من عنوان للتحريم والمنع.

وأعتقد أن هذه المسألة جزء من تاريخ سيئ عاشته الأمة الإسلامية، كانت هناك قوى تضطهد الشيعة، فكان رد فعل بعض الشيعة على ذلك الاضطهاد هو

السب والشتم لرموز أهل السنة، ولا بد من الاعتراف بأن الدولة الأموية ومؤسسها معاوية بن أبي سفيان هي التي سنت وشرّعت التجرؤ بالسب والشتم على الخلفاء والصحابة بإعلان سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على المنابر، وقد أورد مسلم في صحيحه أن معاوية أمر سعد بن أبي وقاص بسب الإمام علي وعاتبه على عدم السب، كما جاء في (باب من فضائل علي) عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال: **أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه..** الحديث.

وأستغرب من محاولة بعضهم التكلف في تأويل هذا الحديث بأنه لا يدل صراحة على أمر معاوية بالسب، وقد جاء في صحيح سنن ابن ماجة للألباني حديث رقم ٩٨ عن سعد بن أبي وقاص قال: **قدم معاوية في بعض حجاته، فدخل عليه سعد، فذكروا علياً فنال منه (في الهامش أي: نال معاوية من علي) فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسمعته يقول: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»، وسمعته يقول: «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله»؟.**

ومن المعروف تاريخياً أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز هو الذي رفع سب الإمام علي، جاء في (تاريخ الدولة الأموية) للشيخ محمد الخضري وهو مرجع معتمد لدارسي التاريخ في جامعاتنا السعودية: «ومن أعماله (عمر بن عبدالعزيز) العظيمة تركه لسب علي بن أبي طالب على المنابر، وكان بنو أمية يفعلونه، فتركه وكتب إلى الأمصار بتركه، ووضع مكان ذلك ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ** ﴾ الآية».

وقد جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل حديث رقم ٢٧٢٨٤ عن أبي عبدالله الجدلي. قال: **دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيُسب رسول الله فيكم؟ قلت: معاذ الله. قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سب علياً فقد سبني».**

فإذا كان علي رضي الله عنه على مكانته وفضله وهو عند الشيعة لا يوازيه أحد بعد رسول الله ﷺ ومع ذلك يُسبّ ويُلعن على المنابر عشرات السنين، ويسكت على ذلك علماء السنة وفقهاؤهم فإن ذلك يخلق الجرأة على سبّ غيره من الخلفاء والصحابة.

وكما لا يقبل التبرير في سب الشيخين أبي بكر وعمر كذلك لا يصح التبرير لمن سب علياً بأنه اجتهد فأخطأ، ويجب أن يكون حكم سب الخلفاء الراشدين والصحابة واحداً، أما أن يكون سب علي اجتهاداً خاطئاً لا أكثر ويحظى من قام به بالتقديس، وسب غيره كفر وضلال فهذا ليس منطقياً.

وليس معنى كلامي أنني أبرر لمن يسب الخلفاء والصحابة، وإنما أدعو لفهم ظروف حدوث هذه الظاهرة السلبية التي يجب أن نتجاوزها بحسن العلاقة بين الطرفين السنة والشيعة حتى يحرص كل منهما على احترام مشاعر الآخر، وحتى نحترم جميعاً رموزنا الإسلامية.

إن من يسبّ الشيخين أبا بكر وعمر من الشيعة هم إما متطرفون أو جاهلون، أما الحالة العامة عند الشيعة فلا تمارس ذلك ولا تقبله، وإذاعات الشيعة وفضائياتهم في إيران ولبنان والعراق خير شاهد على ذلك، وهذه خطب الجمعة لهم تذاع على الهواء وصحافتهم تنتشر في الآفاق، وليس فيها شيء من ذلك.

بل حصل هذا العام أن عالماً في قم هو الشيخ يعقوب رستكاري طبع كتاباً فيه إساءة للشيخين فاعتقلته الحكومة الإيرانية، وصادرت كتابه، وحاسبت جهة النشر، وبثت الخبر وكالات الأنباء، كما نشرته أكثر من صحيفة.

الخوارج أم الأمويون؟

عفواً يا شيخ حسن، لكأن مغالطة تاريخية هنا. أليس أول من سبّ وكفَر الصحابة هم الخوارج الذين كفروا علياً وعثمان وشتموهما، ثم أخذت الشيعة هذا السباب لتدافع عن علي وتسب عثمان وأبا بكر وعمر وانتشر ذلك وفشا حتى أصبح معروفاً ثم كان من معاوية ما كان من سب علي رضوان الله تعالى عنهم أجمعين.

- الخوارج فئة محدودة مرفوضة من السنة والشيعة، ولم تكن لهم قدرة على تحويل سبهم لعلي وعثمان إلى ظاهرة عامة، لكن معاوية الذي يقدسه أهل السنة بسلطته وإمكاناته، جعل ذلك أمراً لازماً، ويتعرض من يخالفه للمحاسبة من قبله كما يبدو من عتابه لسعد بن أبي وقاص، ومن حوادث مذكورة في التاريخ. وأنا لا أريد أن أقف عند هذه المسألة طويلاً؛ فلست من دعاة الانشغال بالصراعات التاريخية.

أيضاً هنا مسألة تقديس أهل السنة لمعاوية. أتصور أن هذا الفهم منك غير صحيح، والذي أعرفه أنهم لا يقدسونه بل يعدونه صحابياً وكاتب وحي وصهر النبي، ويعتقدون أن صحابة قبل الفتح أفضل منه في الجملة، ويعتقدون أن علياً أفضل منه، وأنه هو المحق، وأن معاوية هو المخطئ فأين التقديس؟ وهذه مسائل مهمة لا بدّ وأنا أبحر معك فيها من أن نشير إليها.

- أهل السنة أحرار في أن يقدسوا معاوية أو لا يقدسونه، ولست في موقع المحاسبة على ذلك، ولكنني أقول: كما يتلمسون الأعذار لمعاوية في سبه للإمام علي بنفي ذلك تارة واعتباره اجتهاداً خاطئاً ضمن صراع سياسي تارة أخرى، فليتلمسوا الأعذار أيضاً لمن شط وتطرف من الشيعة وسب الشيخين. إنك من سؤالك تقول: ثم كان من معاوية ما كان من سب علي رضوان الله تعالى عنهم أجمعين. فالساب والمسبوب تترضى عنهم فتعاملوا مع الشيعة بالدرجة نفسها من التسامح.

وبالمناسبة ذكرت أن فقهاء السنة سكتوا، والذي أعرفه من كتب التاريخ أنهم لم يسكتوا، وقد بينوا وردوا ووضحوا حرمة ذلك، وقد نقله أهل العلم في كتبهم بل ربما كان خروج العلماء مع ابن الأشعث أحد أسبابه هذه القضية، وعودة إليك بودي أن أسألك أنت عن موقفك من مسألة سبِّ الصحابة.

- لا أريد المناقشة كثيراً في هذا الأمر، لكن استمرار سب الإمام علي على المنابر من عهد معاوية سنة ٤١هـ إلى تولي عمر بن عبدالعزيز سنة ٩٩هـ دليل على ضعف الاعتراض، أما موقفي شخصياً فقد أعلنت مراراً في الفضائيات والمقابلات الصحفية وفي الخطابات المختلفة أنني أرفض وأدين سب الشيخين وأنه ينطبق عليه أكثر من عنوان للتحريم والمنع.

على الرغم من أن مقطعاً صوتياً راج لك في شبكة الإنترنت به بعض النيل من صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين؟

- هذا المقطع الصوتي تبثه مواقع طائفية متطرفة، تعلن عداءها للشيعة والتحريض عليهم، وتحارب أي مسعى للحوار والتقارب بين السنة والشيعة، فهي ليست مصدراً موثوقاً، وهو تسجيل مدبلج، ومن المعروف عالمياً لزوم الفحص والتحري للتأكد من أي تسجيل منسوب لأحد، فحين كان يبث خطاب لصدام حسين قبل إلقاء القبض عليه، أو تسجيل لابن لادن أو الظواهري، فإن الجهات الأخرى تأخذ فرصة للتأكد من صحة نسبة الخطاب كما يعلن ذلك عادة. مع أنهم شخصيات مشهورة وأصواتهم معروفة.

وأنا أعلن براءتي من هذا التسجيل المدبلج وأذكر بقوله تعالى: ﴿ **إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ** ﴾.

يا شيخ حسن، أسعد والله كمسلم أنك لا تنال من الصحابة، وترى أن ذلك محرم لا يجوز، وطالما هذا موقفك فالحمد لله، ولكن بودي هنا أن أثبت هذا التحريم منك، ولربما يأتي قارئ ويقول: إن الشيخ لم يذكر أبداً في إجابته بأنه يرى حرمة التحريم. فبودي تثبيت ذلك.

- ما أعلنته وذكرته كان صريحاً واضحاً من الإدانة والرفض والتحريم والمنع، ولكنني أتساءل: لماذا يصر بعضهم على وضع الشيعة دائماً في قفص الاتهام وأن عليهم أن يثبتوا براءتهم يومياً مما ينسب إليهم؟ بينما يتم تجاهل الفتاوى والآراء التي تكفّر الشيعة وتحرّض عليهم وتشجع على انتهاك حقوقهم الإنسانية المشروعة؟ لماذا يطل علينا أحد الدعاة البارزين قبل مدة قصيرة من فضائية مشهورة ليتحدث عن كفر الشيعة الذين يقولون بأن جبرائيل جاء بالنبوة لعلي، ولكنه أخطأ وخان بإعطائها لمحمد، قل لي بربك: من هم هؤلاء الشيعة الذين يتحدث عنهم؟ وفي أي مصدر من مصادرهم قرأ هذه الفرية؟ هل هذا من فقه الواقع أن نقول للناس جواباً معوّماً يكرّس حال التفرقة وسوء الظن دون أي مستند أو دليل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

قبل أن نغلق هذا الملف، وحتى لا تجرفنا مسألة التوافقية التي يرومها كلانا على حساب الواقع. بودي هنا أن تعلق على مقولة لأحد الدعاة السنة مصرحاً بأن الشيعة معروف ملازمتهم للسب، بل حتى الدول التي حكمت من الشيعة كالبويهية والصفوية فعلت ذلك، وليس الأمر مقتصراً على السب بل يرون كفر الصحابة وردتهم عن الدين، والأهم من ذلك تأصيل ذلك في كتبهم، ومن ذلك ما كتبه الخميني في كتابه كشف الأسرار ص ١٢٦/١٢٧/١٣٠/١٣٧/١٧٦ سب عظيم وشتم واتهام، وفي كتاب محمد الرضى الرضوي بعنوان: كذبوا على الشيعة ص ٢١٠: إن تظاهر الخلفاء بالإسلام إنما كان خدعة للإسلام وكيداً له وإن صلاتهم وصيامهم كانت كلها نفاقاً ودجلاً وتضليلاً) هل من تعليق لك يا شيخ حسن؟

- لا أرى داعياً للتعليق على هذا الكلام فهو أنموذج لإطلاق الاتهامات والادعاءات بغير حق، فالقول بأن الشيعة معروف ملازمتهم للسب قول يكذبه الواقع الذي تعيشه أنت وأمثالك وتراه جلياً واضحاً، فالشيعة في إيران لهم الآن دولة يحكمها علماؤهم منذ ربع قرن، وهي من أقوى دول المنطقة وأكثرها كثافة بشرية، ولديها وسائل إعلامية عالمية كالفضائيات والإذاعات والصحف وبمختلف اللغات، وكانت علاقاتها مع دول المنطقة متأزمة جداً خلال الحرب العراقية الإيرانية، فهل كان الإيرانيون يلهجون بسبِّ الخلفاء؟ وهل ضبطتم على وسائل إعلامهم برامج سب وشتم؟

والشيعة في لبنان يشكلون أكبر طائفة وأقوى حركة، وقد أنزلوا بالصهاينة هزيمة نكراء اضطرتهم للانسحاب من جنوب لبنان، ولديهم وسائل إعلامهم الواسعة الانتشار كفضائية (المنار) فهل سمعتم منهم سباً وشتماً للخلفاء والصحابة؟

والشيعة في العراق وبعد ثلاثة عقود من الاضطهاد تخلصوا من الديكتاتورية والقمع وانفلات الوضع هناك، ومع كل ما أصابهم ومع التفجيرات التي استهدفت رموزهم وشعائرهم الدينية ومع محاولات الأعداء لخلق فتنة طائفية هل سمعتم من مراجع الشيعة في العراق أو قياداتهم السياسية أو وسائل إعلامهم سباً وشتماً؟

والمراكز الشيعية في الغرب وهي تعيش في ظل حرية التعبير والإعلام هل لديهم خطاب سب وشتم؟

فكيف يقرر هذا الداعيةُ الملازمةَ من الشيعة للسب؟ ولماذا لا تردون عليه أنتم وأمثالكم من أهل السنة؟ وكيف تجد مثل هذه الأكاذيب والأباطيل مع مخالفتها الفاضحة للواقع فرصة للانتشار والقبول؟

أما الكلام المنسوب للإمام الخميني في (كشف الأسرار) فأنا لم أقرأه لكنني قرأت عن الكتاب أنه قديم، ألفه الإمام الخميني في مطلع شبابه، ثم رفض إعادة طبعه قبل وبعد قيام الجمهورية الإسلامية، وقد تشكلت مؤسسة لحفظ آثاره وطبعها وأهملت هذا الكتاب، وكتب الدكتور إبراهيم شتا الدسوقي من مصر وهو متخصص في الأدب الفارسي أن الترجمة العربية للكتاب مشوهة جداً وغير صحيحة.

بالطبع لا يمكنني أن أنكر أن في الشيعة فئة متطرفة تسب وتشتم، ولها كتابات وخطابات في هذا الاتجاه، لكنها محدودة المساحة والتأثير، وتطرفها يأتي رد فعل للتطرف المضاد من الآخرين ضد الشيعة. وعلى الواعين أن يعملوا لكي تتجاوز الأمة هذه الأفعال السيئة وردود فعلها الخاطئة.

وحين نطرح التقارب والحوار وتصحيح العلاقة بين أطراف الأمة إنما هو لإنقاذ الساحة الإسلامية من تخريب المتطرفين في الجانبين.

*****

الشيخ حسن الصفار مواصلاً مكاشفاته الجريئة في حلقتها الرابعة:

مستعدون لميثاق شرف إسلامي نتجاوز به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية، ونؤكد فيه على وحدة الأمة وعلى مرجعية الكتاب والسنة.

أقترح أن تقوم جريدة (المدينة) بفتح حوار مع مختلف الأطراف الإيرانية المعنية بالموضوع حول واقع السنة في إيران.

لقد قال السنة كل ما لديهم، وقال الشيعة كل ما لديهم، ولن يضيف أحد منهم شيئاً جديداً إلى ركام السجال المذهبي، فإلى متى الانشغال والاجترار؟

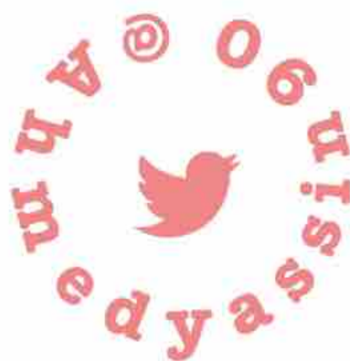
مواجهة الشيعة لحكم صدام لم تأخذ منحى طائفياً، لإدراكهم بأن صدام يمثل حالة سياسية طغيانية وليس حالة مذهبية.

أراهن على الجيل الواعي من العلماء والدعاة في الصحوة الإسلامية والاتجاه السلفي بأن إدراكهم للتحديات الخطيرة يجعلهم أكثر مرونة تجاه الآخرين.

يجب أن نبدأ بإيقاف الإثارة لكل الترسبات عبر وقف التعبئة والتعبئة المضادة، وتجريم ثقافة التحريض على الكراهية.

لا يصح أبداً أن تطرح قضية أهل السنة في إيران وكأنها في إطار المقايضة والمساومة مع الشيعة في السعودية؛ فالكل مواطنون يجب أن يتمتعوا بحقوقهم.

*****



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

بين يدي مكاشفات(*)

كتبت في مقدمة الحلقة الثانية من مكاشفات الصفار أنوه إلى حساسية المرحلة التي نمر بها ككيان ومجتمع، وإلى ضرورة تمتين الوحدة الوطنية وقطع الطريق على أولئك (العلقميين) المبثوثين في لندن ونيويورك الذين ما فتئوا يكيدون للوطن وتماسكه ووحدته. وذكرت بالاسم علي آل أحمد من طائفة الشيعة الذي ألقى بياناً حول وضع طائفته في الكونغرس الأمريكي قبل أسبوعين. وقد فوجئت خلال الأسبوع الماضي بالرجل يتصل بي في عملي، لكنني للأسف لم أكن موجوداً وقت اتصاله، ثمّ أرسل لي رسالة على بريدي الإلكتروني طالباً مهاتفتي وشرح موقفه.

والحقيقة أنني أسفت جداً لعدم تمكنه من الاتصال بي، فقد نمّقت في نفسي كلاماً أحببت أن يسمعه، هو ومن هم سادرون في طريق الكيد للوطن ومواقفه، وها أنا الآن أكتب له ولهم طالما أنهم يتابعون هذا الملحق وهذه المكاشفات.

واهمون أيها السادة إن اعتقدتم أن هذا الغرب الذي تعيشون بين ظهرانيه هو من سيصغي لكم ويؤمن بحقوقكم، فالتاريخ القريب والبعيد تجاه منطقتنا يشي تماماً بعكس ذلك، فما أنتم سوى أدوات يستعملها للضغط على وطننا وابتزازنا، وحالما تصبحون عديمي الفائدة بالنسبة إليه سيلقيكم في مزبلته الشهيرة، فيما تلاحقكم لعنات الأمة كلها. هل أذكركم بما فعله بشاه إيران الذي ظل يعيش في المنافي شريداً طريداً بعد أن كان خادمهم المخلص وكلبهم المطيع في المنطقة.

البراغماتية والنفعية، أيها السادة، هي أسّ التعامل في عرفهم، واقرؤوا - طالما أنتم بين ظهرانيهم - لعرّابهم الأول في التربية جون ديوي عن صحة ما نقول. هذا

(*) نشرت الحلقة الرابعة في ملحق الرسالة بتاريخ ١٤٢٥/٩/٨هـ.

الكاوبوي القبيح الذي وثقتم به، ومعكم أعضاء الحزب الأمريكي العربي المندسين بيننا الذين يهتفون له ويعلقون آمالهم عليه، ألم يغضّ الطرف عن صدام وهو يسحق إخوتكم من طائفة الشيعة في جنوب العراق في مذبحة أليمة أمام سمعه وبصره؟ أترى لو كان إلهكم الأشقر ممتثلاً ما يتبجح به علينا نحن دول العالم الثالث من حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية التي لا يراها خليقة إلا به فقط، أتراه يترك ذلك الظالم الأرعن يبطش بإخوتكم بحواماته التي لم تكن لتحلق من دون إذنه؟

إذا لم تقنعكم هذه ولا تلك، فهاكم مثالاً فاقعاً لعميل قام بمثل ما تفعلون الآن من تأليب وشحن قميء، وهو الذي أقنع الأمريكي بالولوغ في هذا المستنقع الذي علق به والحمد لله في العراق، وخان وطنه وأمته حتى أصبح رمزاً للعلقمية الحديثة والعمالة الوضيعة. وهو الذي ركب أول دبابة أمريكية وجاء عليها تجاه عراقنا الأبي. لو سألتم عنه أيها السادة لعرفتم أنه الآن ملقى في زاوية حقيرة من المشهد العراقي الذي حلم يوماً ما أن يكون سيده بلا منازع. بل إنه متهم بالتزييف والسرقة، المهنة الخليقة دوماً بخونة الأوطان.

وبعد، فإن ما تقوم به يا أستاذ أحمد من وضع يدك في يد ذلك الأمريكي يضر بموقف إخوتك هنا في الطائفة ممن حكّموا عقولهم بعد أن خرمتهم التجارب وعلمتهم السنون، وعرفوا أن الطريق الأصوب والحكيم هو في منهج مخالف تماماً لما تفعل، وتمسكوا بوحدة وطنهم وترابه، والتفوا حول مجتمعهم وقادتهم يقدمون مطالبهم بطريقة عاقلة ومتدرجة ككل الشرائح في أرجاء هذا الوطن، هذا إن كنت مهتماً حقاً بشأن طائفتك، ولست معنياً فقط بشأنك الخاص وطموحك السياسي!!.

وإلى الحلقة الرابعة من مكاشفات الشيخ حسن الصفار.

عبد العزيز قاسم

انتهينا في الحلقة الماضية يا شيخ حسن إلى حديثك بشأن ما كتبه الخميني في كتابه كشف الأسرار، واعتذارك بعدم قراءتك للكتاب. وطالما دخلنا في صميم الخلاف العقدي، والمفاصلة الفكرية المتراكمة عبر قرون، بودي هنا يا شيخ حسن وأنا أعيش هذا الحاضر المتوتر، وأستشرف بقلق مواطن وغيرة مسلم المستقبل القريب، لأسألك عن رؤيتك في الخروج من كل هذه المآزق التاريخية مع توابعها الجانبية كيما نصل إلى نقطة التقاء بيننا وبينكم. أنا أتكلم هنا على مستوى الطائفتين في عموم العالم الإسلامي، وليس على مستوى المملكة فقط؛ لأن العدو متربص الآن بالكل. ويتهيأ لاجتثاثنا وهويتنا..

- طريق الأمة للخروج من هذه المآزق التاريخية واضح جلي، يتمثل بالأخذ بقيم الإسلام التي تأمر بالعدل والإحسان، واحترام حقوق الآخرين ﴿ **وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ** ﴾، وكذلك بالاستفادة من تجارب المجتمعات البشرية الأخرى التي تتعاطى مع التنوع الديني تعاطياً إيجابياً. فلسنا الأمة الوحيدة التي تتعدد فيها المدارس والمذاهب، فاليهود والنصارى والسيخ والهندوس والشنتو وكل الديانات القديمة والجديدة حصل فيها تنوع وتعدد في الاتجاهات والمذاهب، فلننظر كيف يتعايش الآخرون فيما بينهم؟ ويفترض فينا أن نكون أفضل منهم ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾.

إن دولة مثل (سنغافورة) تقع في قارتنا آسيا جنوبها الشرقي، تتكون من أربع مجموعات عرقية: صينيين ٧٥٪، ماليزيين ١٥٪، هنود - باكستانيين ٧٪، أوربيين ٢٪ كما تتعدد فيها الديانات إلى ست ديانات: البوذية والطاوية والكونفوشية ٥٤٪، الإسلام ١٨٪، المسيحية ١٣٪، الهندوسية ٤٪.. وتتعدد فيها الأحزاب السياسية حتى تصل إلى عشرين حزباً مسجلاً رسمياً.

ومع هذه التعددية تعيش سنغافورة استقراراً داخلياً، ووئاماً وانسجاماً بين هذه الأعراق والديانات، وينشط الجميع في صنع تجربتهم الوطنية المتقدمة، وبناء واقعهم الاقتصادي المتطور.

لقد عاش الأوروبيون فيما بينهم قروناً من الحروب والصراعات الدينية والسياسية، ولكنهم تجاوزوها، وتنعموا بالسلم الداخلي، وحققوا الوحدة على مستوى أوروبا.

وأكثر من ذلك فإن بين اليهود والنصارى صراعاً عقدياً دموياً طويلاً، يسبق خلافاتنا بخمسمائة عام، لكنهم الآن تجاوزوا كل ذلك على مستوى التعايش والتحالف.

فهل يستعصي على أمتنا وشعار دينها السلم والسلام ﴿ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ وهي تحمل رسالة الرحمة للبشرية جمعاء ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ إن تحقق السلم والوئام في داخلها بين مذاهبها المختلفة؟

ولوضع النقاط على الحروف أرى أن تجاوز الصراع الطائفي يتم عبر الأمور الآتية:

أولاً: الإقرار بجامعية الإسلام للطرفين وعدم تكفير أحد من أهل القبلة مع الاعتراف بحق الاختلاف.

ثانياً: الاحترام المتبادل ورعاية حقوق المواطنة لكل مسلم في وطنه مهما كان مذهبه.

ثالثاً: تجريم الإساءة من أي طرف للآخر والتحريض على الكراهية دون أن يمنع ذلك عرض كل طرف لآرائه.

رابعاً: تشجيع الحوار في القضايا المختلف فيها عقدية أو فقهية أو تاريخية؛ ليفهم كل طرف الآخر على حقيقته، وليكتشفوا مساحات الالتقاء وموارد الاختلاف.

خامساً: المشاركة والتعاون في خدمة القضايا العامة للإسلام والأمة.

وهنا أطالب بأن تستوعب المؤسسات الإسلامية العامة كل المذاهب الإسلامية، فلا يصح أن تكون مؤسسة بعنوان رابطة العالم الإسلامي، أو الندوة العالمية للشباب الإسلامي، أو ما شابه، خاصة بمذهب دون آخر.

بل للمؤسسات أنظمة

عفواً، ما أحببت أن أتفرع وأبعد عن السؤال الأصل، ولكن يا شيخ حسن لهذه المؤسسات التي ذكرت للتو نظام معلن ومبادئ منشورة، بالقدر نفسه الذي هو للمؤسسات الموجودة في قم وطهران والنجف، ففيها مؤسسات ومدارس لها مبادئ، من قَبِلها قَبِلوه فيها، ومن لم يقبلها لم يجد له موطئ قدم، ولعل المسألة هنا تحتاج لبعض الواقعية والموضوعية أكثر من الحساسية التي تشعرون بها..

- المؤسسات التي تحمل عنواناً إسلامياً دولياً عاماً ينبغي أن تستوعب كل المسلمين، وأن لا تستثني طائفة أو مذهباً، سواء أكانت في المملكة أو في إيران أو في أي بلد آخر، ما دامت تتصدى لقضايا تهم الجميع، إلا أن يكون عنوانها خاصاً.

وطالما استطردنا فدعني استمرئ الأمر وأستدرك عليك بشأن ما أوردته في حديث سابق لك، ولا أدري أهو من سبق اللسان أم لا، بأن خصومكم الطائفيين يقولون: إن (زيارة القبور هي عبادة لغير الله، بدعة، حرام.. قبوريون) أتصور يا شيخ حسن بأنه لا يوجد طالب علم فضلاً عن عالم يقول بأن زيارة القبور بدعة أو حرام، وأيضاً لقب القبوري لا يطلق إلا على من يدعو المقبور ويستغيث به من دون الله، ويصرف شيئاً من أنواع العبادة له مع الله أو من دون الله، أما زيارة قبر النبي ﷺ

فهي مشروعة مطلوبة محبوبة مرغوبة، أجزم لك بهذا وقد تربيت على هذه الكتب السلفية.

- أقصد ما يتعلق بزيارة القبور من السفر إليها وزيارة النساء لها، والعبادة لله تعالى عند قبور الأنبياء والصالحين، وبناء المشاهد والمساجد على قبورهم، والتوسل إلى الله تعالى بهم، وسائر التفاصيل المرتبطة بالموضوع التي هي موضع خلاف بين المدرسة السلفية وبقية المسلمين سنة وشيعة.

ولكن كيف نبدأ؟

عودة إذن لأصل السؤال، ولكي لا نبقى في اليوتوبيا والأماني يا شيخ حسن، سؤالي هنا: ماذا عن تلك الترسبات النفسية عميقة الجذور في كل الطائفتين، لن أكون مثالياً وأقول: إننا سنزيلها، ولكن كيف يمكن تخفيف احتقانها وتشنجها؟

- سؤال مهم جداً يجب أن يجتهد الواعون ودعاة التقريب والإصلاح في الإجابة عليه، وأرى أن هناك ثلاثة عوامل تساعدنا في التغلب على هذه الترسبات النفسية العميقة الجذور في كلا الطائفتين حسب تعبيرك، هي:

أولاً: إيقاف الإثارة لهذه الترسبات ومنع تغذيتها وتنميتها، عبر وقف التعبئة والتعبئة المضادة، وتجريم ثقافة التحريض على الكراهية، وتبادل الطعن والاتهام والتجريح. كانت هناك ثقافة تبث التحريض والكراهية ضد المخالف في الرأي وخاصة في تيار إخواننا السلفيين، هناك كلام قاسٍ وعنيف ضد المخالفين لهم في الرأي، سواء أكانوا الشيعة أو الصوفية أو التوجهات الإسلامية الأخرى التي تختلف معهم في الرأي. يجب أن يتوقف الدعاة في الطرفين عن تعبئة جمهورهم تجاه الطرف الآخر، وإبرازه كجهة خطر، وقد نشرت بعض الآراء والفتاوى التي تعدّ الرافضة أي: الشيعة أخطر على الإسلام من اليهود والنصارى. إن وجود حالة تعبوية تحريضية يمنع من إزالة تلك الترسبات بل يغذيها.

بل أكثر من ذلك علينا أن نوقف الانشغال بالخلافات العقدية والمذهبية، فهناك أخطار مشتركة على كل الدين وكل الأمة هي الأحق بالاهتمام والانشغال، وهناك تخلف عميق يلفّ حياتنا السياسية والاقتصادية حريّ بنا أن نعمل جميعاً لتجاوزه.

لقد قال السنة كل ما لديهم، وقال الشيعة كل ما لديهم، ولن يضيف أحد منهم شيئاً جديداً إلى ركام السجال المذهبي، فإلى متى الانشغال والاجترار؟

ثانياً: نشر ثقافة التسامح وقبول التعددية واحترام الرأي الآخر واستخدام لغة الحوار.

ثالثاً: صنع واقع التعايش القائم على العدل والمساواة ومراعاة حقوق الإنسان وحقوق المواطنة. وتشجيع الاندماج والانفتاح الإسلامي والوطني.

هنا يا شيخ حسن، لي جملة اعتراضات لا بدّ لي من سردها، أولها ما صدر من كتب ومجلات ونشرات من طائفة الشيعة في سبّ وشتم وثلب الصحابة ودعاة الدعوة السلفية أكثر مما تتهم به الإخوة السلفيين، إضافة إلى أنه مليء بالمغالطات، ولعل تحميل هؤلاء وحدهم تبعة التحريض والكراهة والكلام القاسي العنيف منهج غير علمي...

- لا أنكر أن في الشيعة متطرفين متشددين تصدر منهم إساءات لبعض الخلفاء والصحابة ولبعض رموز أهل السنة والجماعة، في كتب أو مجلات أو نشرات، كما لا يمكنك أن تنكر أن هناك كتباً وفتاوى وخطباً من قبل جهات سنية تكفر الشيعة وتحرّض عليهم وتتهمهم بأبشع التهم وأسوأ الصفات، ونحن الآن يجب أن نسعى لتجاوز هذه الحالة السيئة التي لا تليق بأمة تحمل رسالة الإسلام، وتعيش في عصر تتسع فيه الأحلاف والتكتلات، وتنشأ فيه أقوى الاتحادات بين مجتمعات مختلفة وشعوب متباينة.

وبدل أن نستغرق في إعداد الملفات ضد بعضنا من سبٍّ أكثر، ومن إساءة للآخر أكثر، دعونا نتجه لميثاق شرف إسلامي يضع حداً لهذه المهاترات.

وأقول لكم عن نفسي وعن مساحة واسعة من مراجع الشيعة وعلمائهم إننا مستعدون لميثاق شرف إسلامي نتجاوز به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية، يؤكد على وحدة الأمة، وعلى مرجعية الكتاب والسنة، وعلى الاحترام المتبادل، وخدمة المصلحة العامة.

أما ما أشرت إليه من اعتراض علمائكم على قضية التبرك وما أسميته بالشركيات الفاقعة، فإن من حق أي عالم أو جهة أن تبين رأيها، لكن بلغة علمية، وبالالتزام بأدب الخطاب الإسلامي، ولا يناسبه التشكيك في دين المخالفين لها بالرأي، أو اتهامهم بالشرك والضلال، إنها لغة يجب تجاوزها واستبدال لغة الحوار والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بها.

لأكن معك أكثر واقعية وأكثر صراحة ونحن نناقش هذا المعضلات الحاضرة بين الطائفتين، والله المستعان، برأيك يا شيخ، من يعلق الجرس؟ وبمعنى آخر صريح، على من تقع مسؤولية البدء في مناقشة ومباشرة هذه الأطروحات الداعية للتفاهم؟ أعلى عاتق السياسي بالدرجة الأولى أم على عاتق علماء الدين والدعاة؟

- كان يجب أن تكون مسؤولية البدء بعهدة علماء الدين والدعاة ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء ﴾ لكن ظروف الواقع تجعلني أعتقد بأن السياسي هو المسؤول بالدرجة الأولى.

جميل.. أنت حددت لنا السياسي هنا، ولكن هلا أكرمتنا بأسبابك.

- القيادة السياسية في كل بلد مسؤولة عن حقوق مواطنيها بمختلف مذاهبهم وطوائفهم، فإذا ما طبقت العدل والتزمت المساواة وتكافؤ الفرص، فسيجد الجميع أنفسهم أمام واقع التعايش، واحترام حقوق بعضهم بعضاً.

لا بأس بما ذكرت، ولكنك يا شيخ حسن أنت أسقطت رؤيتك على الحالة الشيعية السعودية، وكان سؤالي بأفق متسع يشمل الحالة الإسلامية عامة.

- وقد قصدت بجوابي أيضاً الحالة الإسلامية في كل بلاد المسلمين، لكنني أرى أن أغلب البلدان الإسلامية لا تعاني كثيراً من المشكلة الطائفية.

(متفاجئاً) عفواً.. عفواً.. كيف ذلك يا شيخنا.. وما الذي نقوله عن إخواننا السنة في إيران؟ بل تذكر بعض التقارير أنهم يشتكون من اضطهاد وممارسات طائفية بأضعاف ما تشتكون أنتم هنا.

- اسمح لي وبمناسبة حديثك عن وضع السنة في إيران، الذي يطرحه كثيرون حين يجري الحديث عن المواطنين الشيعة في المملكة أودّ هنا التأكيد على النقاط الآتية:

١ . لا يصح أبداً أن تطرح القضية وكأنها في إطار المقايضة والمساومة، فالسنة في إيران مواطنون يجب أن يتمتعوا بحقوقهم بغض النظر عن وضع الشيعة في البلدان الأخرى، والشيعة في المملكة مواطنون يجب أن يتمتعوا بحقوقهم بغض النظر عن وضع السنة في البلدان الأخرى.

٢ . نحن في بلد له خصوصيته، فهو مهبط الوحي، وله حكومة تتبنى تطبيق الإسلام والتزام الكتاب والسنة، قبل أي حكومة أخرى في العالم الإسلامي. ويهمنا أن نقدم وضعنا في المملكة كأنموذج للآخرين، وإذا قصرّ الآخرون في التزاماتهم تجاه شعوبهم فإن ذلك لا يبرر لنا التقصير ولا نقبله لأنفسنا.

٣ . أنني لا أعطي نفسي حق التكلم عن الإيرانيين من الشيعة والسنة، ويمكن التخاطب معهم مباشرة، وأقترح على جريدتكم الموقرة أن تفتح حواراً مع مختلف الأطراف الإيرانية المعنية بالموضوع من حكومية وشعبية سنية وشيعية حول واقع السنة في إيران، إذا كان يهمكم هذا الأمر، ورأيتم ذلك مناسباً.

والله يا شيخ حسن دعوة مقبولة، ولا أظن أن القائمين على الصحيفة يمانعون في أي عمل نخدم به وحدة الأمة، وستكرمنا أنت شخصياً بتسهيل الأمر إن وافق المسؤولون.. ولكن.. سامحني فما زلت غير مقتنع بما ذكرت عن أهل السنة في إيران، وقد أقمتَ أنت حسن الصفار هناك حقبة لا بأس بها. ودعني ألتفَّ عليك بشكل ما، وأستفسر منك عمَّن قتل إمام أهل السنة في إيران أحمد مفتي زادة، وعمَّن قتل ناصر فرقاني، ومن حرم أهل السنة حتى من حق التمثيل النيابي في الوقت الذي يوجد فيه نواب للبهائيين والوثنيين المجوس. وأتمنى أن تجيب بصراحة؛ لأن ما ستذكره هنا سيسجل عليك تاريخياً؟

- أخي الكريم أنت تلاحظ الآن أن الولايات المتحدة الأمريكية حينما بدأت ممارسة الضغوط على المملكة العربية السعودية صارت تلوِّح بورقة الحريات الدينية وحقوق الأقليات المذهبية كما ورد في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية أخيراً.

وكلنا نعلم أن أمريكا أعلنت الحرب على الجمهورية الإسلامية منذ قيامها، وهي التي حرضت نظام صدام حسين لشن الحرب على إيران، وفرضت الحصار الاقتصادي، وأمريكا الآن تدير معركة شرسة مع إيران حول برنامجها النووي، في ظل هذه المعركة من الوارد أن تقوم أمريكا بإثارة المشكلة الطائفية داخل إيران، فتحصل بعض الاغتيالات والأحداث، ولا نبرئ الحكومة الإيرانية من الأخطاء، فقد تكون هناك اختراقات في بعض أجهزتها، وقد كشفت هي عن ذلك، وقد تكون هناك توجهات وتصرفات طائفية عند بعض الأجهزة أو المسؤولين كما قد يندفع بعض السنة هناك لمواقف خاطئة، كل ذلك أمر وارد.

وشخصياً لست مطلعاً على حقيقة ما ذكرت من اغتيال وقتل بعض شخصيات السنة في إيران.

لكن لدي بعض المعلومات العامة عن أوضاع السنة في إيران، من خلال مدة بقائي هناك، وعبر معرفتي ببعض الشخصيات السنية الإيرانية المقيمة في طهران، ولم أزر مناطقهم.

فقد قرأت في الدستور الإسلامي الإيراني مادة تنص على الاعتراف بالمذاهب السنية هي المادة الثانية عشرة، وقد وردت فيها الفقرة الآتية: «المذاهب الإسلامية الأخرى التي تضم المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي فإنها تتمتع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسمهم المذهبية حسب فقههم، ولهذه المذاهب الاعتبار الرسمي في مسائل التعليم والتربية الدينية والأحوال الشخصية (الزواج والطلاق والإرث والوصية) وما يتعلق بها من دعاوى في المحاكم. وفي كل منطقة يتمتع أتباع أحد هذه المذاهب بالأكثرية فإن الأحكام المحلية لتلك المنطقة في حدود صلاحيات مجالس الشورى المحلية تكون وفق ذلك المذهب، هذا مع الحفاظ على حقوق أتباع المذاهب الأخرى».

كما علمت أن مناهج التعليم الديني في المدارس الحكومية في مناطق السنة في إيران هي بالفعل طبق مذاهبهم، وقرأت ما كتبه الأستاذ فهمي هويدي؛ الصحفي المصري المعروف عن وضع السنة في إيران في كتابه (إيران رؤية من الداخل)، وكانت نظرته إيجابية.

كما أعرف وجود مستشارين اثنين من أهل السنة لرئيس الجمهورية الإيرانية لشؤونهم. وأعرف وجود مستشار لوزير الداخلية الإيراني أيضاً حول شؤون أهل السنة.

أما قولك: إن أهل السنة في إيران محرومون من حق التمثيل النيابي فهذا غير صحيح أبداً؛ فهم يشاركون في الانتخابات ولهم في هذه الدورة الحالية لمجلس الشورى واحد وعشرون نائباً، وهذه معلومات معلنة يمكن الحصول عليها.

كما أن كتب أهل السنة وخاصة المصادر تطبع في إيران وتدخل إليها وقد اشتريت شخصياً كثيراً منها من مكتبات قم وطهران يوم كنت هناك. وهناك مشاركة سعودية في معارض الكتاب الدولية في إيران.

ولأهل السنة في إيران معاهدهم وحوزاتهم الدينية، وتصدر لهم مجلة رسمية في منطقة (زاهدان) بعنوان (نداء الإسلام) باللغة الفارسية فيها آراؤهم وأخبارهم.

وقد حشرتني - سامحك الله - في هذا الموضوع، وما كنت أحبذ التحدث فيه إلا بمقدار ما يخدم قضية الوحدة والتقريب، وإلا فلست في مقام الدعاية للإيرانيين، ولا موقع الدفاع عن أخطائهم.

وإذا كانت لأهل السنة مشكلات في إيران أو مطالب فمن حقهم المشروع طرحها والسعي لمعالجتها ضمن إطارهم الوطني دون أن يفسحوا المجال لأي تدخل أجنبي، كما أننا نرفض أي تدخل خارجي في قضايانا الوطنية.

أنموذجا العراق ولبنان

والله يا شيخ حسن لن أتجادل معك وأنا متأكد من أن بعض الباحثين في هذا الشأن سيدلون بآرائهم تصحيحاً أو موافقةً. واسمح لي بالانتقال إلى مثال إيجابي، ودعني أضرب هنا مثالاً حياً لقضية التعايش والتفاهم، هناك أنموذجا لبنان والعراق. برأيك، هل يقدم هذان الأنموذجان للأمة ما تصبو أنت إليه حسن الصفار من تفاهم بين سنة وشيعة تجاوزوا خلافاتهم التاريخية وتعاونوا لحاضرهم ومستقبلهم؟ هل من تعليق؟

- لعل الأنموذج اللبناني في التعايش والتفاهم بين الطوائف والاتجاهات في ظل المشاركة الشعبية واحترام الحريات العامة يعد من أفضل النماذج في المنطقة العربية مع ما فيه من ثغرات وإشكالات.

وفي العراق لم تكن الحالة المذهبية متشنجة، فالمذهب الحنفي السائد عند أهل السنة في العراق لم ينتهج ثقافة مذهبية تعبوية ضد الآخر، والشيعة في العراق تبنى أكثر علمائهم الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والوئام الوطني، ومن أبرزهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ عبدالكريم الزنجاني والشيخ محمد الخالصي.

وثورة العشرين في العراق ١٩٢٠م لطرد الاستعمار البريطاني من أكبر شواهد الوحدة الإسلامية الوطنية في العراق.

وفي ظل حكم البعث ومع كل ما أوقعه من الظلم والاضطهاد على الشيعة وهم الأكثرية ومع أن صدام جعل الهيمنة الأساسية لعشيرته وجماعته وهم محسوبون في الانتماء الاجتماعي من أهل السنة، إلا أن مواجهة الشيعة لحكم صدام لم تأخذ منحى طائفياً، لإدراكهم أن صداماً يمثل حالة سياسية طغيانية وليس حالة مذهبية، بدليل بطشه بالعلماء الواعين والشخصيات الوطنية من أهل السنة.

ومن يطلع على أدبيات وخطاب الحركات الإسلامية الشيعية في العراق كحزب الدعوة الإسلامية ومنظمة العمل الإسلامي والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وغيرها يرى ثبات هذا الموقف لديهم بوضوح.

وبعد سقوط نظام صدام فشلت لحد الآن كل محاولات جرّ الطائفتين إلى صراع طائفي على الرغم من التفجيرات والاغتيالات المشبوهة التي استهدفت رموزاً من الجانبين. ونرجو أن يتمسك الشعب العراقي بهذا الوعي الإسلامي الوطني وأن يوحدوا صفوفهم في مواجهة الاحتلال الذي يمثل الآن موقفاً مشتركاً بين السنة والشيعة. حتى يتجاوز العراق محنة الاحتلال ويستعيد استقلاله وسيادته ببناء حكم تعددي ديمقراطي يحترم حقوق كل أبنائه من مختلف الطوائف.

ويبقى أن أشيد هنا بالروح السائدة عند شيعة العراق، على الرغم من أنهم أكثرية في العراق، حيال تعاملهم مع إخوانهم السنة وبقية الطوائف والمذاهب في العراق.

يا شيخ حسن لي وقفتان. وأتصور هنا - واسمح لي - أن في حديثك الذي ذكرت بعض المغالطة. فشيعة العراق وقفت غالبيتهم، باستثناء مجموعة مقتدى الصدر، مع المحتل الأمريكي بل تجاوز الأمر إلى التواطؤ معه. أقول ذلك باللفظ المستفز حتى..

- لن أستجيب للاستفزاز، ولكنني أقول إن الشعب العراقي مجاور لنا وجزء من أمتنا بشيعته وسنته، وأخشى أن يكون التجريح في وطنيتهم ومواقفهم مضراً بالقضية العراقية وبعلاقتنا المستقبلية معهم.

فالشعب العراقي كله غيور على وطنه ولا يقبل أحد منهم بالاحتلال وإن كانوا سعداء لسقوط صدام، لكن أحداً لم يكن قادراً على تحدي الهياج الأمريكي الذي مهّد له صدام بحماقاته، وحتى الإرادة الدولية الرسمية والشعبية لم تستطع ذلك.

أما حصر المقاومة للاحتلال الأمريكي في هذه المرحلة بالعمل العسكري فهو محل نقاش في وسط الشعب العراقي، والذي يبدو لي أن أغلب القوى الدينية والسياسية في العراق من مختلف الأعراق والطوائف ليست مع خيار التسرع في المقاومة العسكرية.

وهناك فئة اتجهت للعمل العسكري من السنة والشيعة.

وأرجوك أخي الكريم أن لا تمذهب المواقف السياسية، وإلا فالأكثرية السنية في العراق أيضاً لم تقاوم الاحتلال ولا أستخدم تعبيرك «وقفت مع الاحتلال»، فالأكراد اضطرتهم ظروفهم للتعاطي مع الاحتلال فهل هم من الشيعة؟ والشعب الأفغاني بأكثريته تعاطى مع الاحتلال الأمريكي فهل أكثريته من الشيعة؟

علينا أن نتحلى بالموضوعية والإنصاف وخاصة في هذا الظرف الحساس الذي تمر به الأمة وأن لا نكون عوناً للشيطان على إخوتنا اقتباساً من الحديث النبوي: «لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم».

واسمح لي ثانية في الاستدراك عليك يا شيخ حسن في النقطة الثانية. زعمت أن الأكثرية للإخوة الشيعة في العراق، ولكن هذه الأكثرية يختلف بعضهم عليها إذا ما جمعنا أهل السنة والأكراد مقابلهم..

- لا يزعجني أن يكون أهل السنة هم الأكثرية في العراق، ولا يهمني إثبات أن الشيعة هم الأكثرية، وسيظهر سجل الناخبين وصناديق الاقتراع واقع الأمر. لكنني أرصد في كلامك يا أستاذ عبدالعزيز شيئاً من التناقض عند الحديث عن التعامل مع الأمريكيين، لا تحسب الأكراد على السنة وهم أول من تعاطى معهم وحظي بالحماية الجوية الأمريكية لأكثر من عشر سنوات، وعند الحديث عن التصنيف العددي للطوائف تحسب الأكراد في عداد أهل السنة، أليست تلك إذن قسمة ضيزى؟

ويبدو لي أن الشعب العراقي أثبت نضجاً وحدوياً ووعياً وطنياً يتجاوز ما كان متوقعاً؛ لأن الحكم السابق قد حفر أخاديد من الفتن والمشكلات، كنا قلقين من تفجر براكينها بعد سقوطه، لكن ما أظهره الشعب العراقي من تلاحم وتماسك مع حدوث مؤامرات ضخمة على وحدته أمر يبشر بالخير إن شاء الله.

كان يمكن أن تتفجر انفعالات شيعية طائفية بعد تفجيرات العاشر من المحرم في كربلاء والكاظمية، أو بعد الانفجار الذي أودى بحياة الزعيم السيد محمد باقر الحكيم في النجف، لكن وعي المرجعية الدينية في النجف ووعي سائر القيادات من الطرفين قد فوّت الفرصة على الأعداء.

وحينما تسرع بعض الشيعة لأخذ بعض مساجد أهل السنة التي بناها النظام السابق في مناطق شيعية، بادر المرجع الأعلى السيد السيستاني بإصدار فتوى بإعادة تلك المساجد لأهل السنة، وإرجاع أئمتها إليها مكرمين معززين، وتحمل السيد السيستاني نفقات ترميم وإصلاح تلك المساجد كما نقلت ذلك بعض وسائل الإعلام.

إن هذه الحالة من النضج عند الشعب العراقي تستحق الإشادة وأن ندعمها لا أن نعكرّ أجواءها بإثارة الإشكاليات الطائفية من وحي ما نعيشه في مناطقنا.

والله هذه (صيدة) بما في عامياتنا يا شيخ حسن، ولعل دروس المنطق أيام الطلب في النجف لم تذهب سدى وتجلت في إجابتك هنا. ولكن دعني أثبت هنا في المقابل دور إخوتنا السنّة الرائد في العراق، وبثهم للأدبيات التصالحية وتمتين هذا التكاتف الاجتماعي.. وقد رأينا على شاشات الفضائيات مساعدات أهل الفلوجة السنية تتسارع إلى النجف.

- وقبل ذلك مساعدات أهالي النجف للفلوجة؛ لأنها أسبق زمنياً.

يا شيخ حسن، القضية هنا ليست قضية مزايدات، بل دعوة شفيقة ووطنية عالية الصوت كي تسود مثل هذه الأجواء الودية..

- المزايدات مرفوضة والإنصاف مطلوب.

أنتقل إلى أنموذجين آخرين، وهما أنموذجا البحرين والكويت، لكأن لدى الطائفتين في الكويت تماسات وأجواء غير إيجابية عكسها في البحرين، حيث التعاون والتنسيق، ما سبب هذا التشنج في الكويت؟ وسبب الانسجام والتلاحم في البحرين؟

- حسب اطلاعي لا توجد مشكلة في الانسجام بين السنة والشيعة في الكويت، وليس هناك تشنج بين السنة والشيعة. واسمح لي بهذه المناسبة أن أقول إن وجود كلام من هذا العالم السني ضد الشيعة أو من هذا الخطيب الشيعي ضد السنة لا يهم الناس كثيراً مادامت أمور حياتهم لا تتأثر بذلك الكلام، ويتعاملون مع القضية ضمن حد معين من التفاعل. ولكن المشكلة هي في تحوّل ذلك الكلام المضادّ إلى ممارسات إجرائية تنال من حقوق الناس.

التوتر الطائفي في الكويت

عفواً.. ذكرت عدم وجود تشنج ولا أدري يا شيخ حسن، ولكنني أشعر ببعض التوتر الطائفي هناك. هل أذكّرك بشريط الكاسيت للمدعو ياسر الحبيب وما صرح به من سبٍّ كريه بغيض لصحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم أجمعين؟

- سمعت عن هذا الشريط وهو عمل فردي سيئ، أصدر تجمع علماء الشيعة في الكويت بياناً يتبرأ منه ويستنكره، وصاحب الشريط ليس عالماً ولا خطيباً وليس ذا موقعية دينية أو اجتماعية، وقبل الجميع بتحويل الأمر إلى القضاء ليأخذ مجراه وهذا ما حصل.

وكما تحصل من بعض أفراد الشيعة مثل هذه الممارسات الخاطئة فإنه يحصل مثلها من قبل بعض أفراد السنة، حيث حصل إطلاق نار قبل سنتين على حسينية للشيعة في الكويت، وصدرت أشرطة وكتابات تحريضية ضد الشيعة، لكن الحكومة الكويتية والشعب الكويتي سنة وشيعة يدركون خطورة الإثارات الطائفية فيحاصرونها ويقضون عليها في مهدها من هذا الطرف أو ذاك.

ما دام الأمر كذلك فالحمد لله، وأنا والله سعيد بسماع ذلك، لنذهب للبحرين ونستشرف رؤيتك حيال الطائفتين هناك؟

- في البحرين أيضاً الوضع جيد، فليس هناك مشكلة في العلاقة بين السنة والشيعة، بل هناك تداخل اجتماعي عبر التزاوج والتزاور والشراكة المصلحية في الأعمال والتجارات، وقبل أسابيع قليلة شاهدت حواراً على شاشة العربية ضمن برنامج (إضاءات) مع أبرز العلماء السلفيين في البحرين الشيخ عادل المعاودة الذي أثنى على العلاقة الطيبة بين الشيعة والسنة في البحرين.

ولعلكم تعلمون أن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في البحرين نصفه من علماء السنة ونصفه من علماء الشيعة برئاسة وزير الشؤون الإسلامية نائب رئيس الوزراء الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة.

ألست معي يا شيخ حسن في أن هذه النماذج التي سردنا ورصدنا معاً ملامح التعاون بين الطائفتين فيها عبر استقراء جغرافي قريب، كانت المصلحة المشتركة هي الأرضية التي التقوا عليها، والأرضية السياسية بالخصوص، كل ذلك دفعهم إلى أن يلتقوا ويتحدوا. إذا سحبنا ذلك إلى مشهدنا المحلي، أليس الأجدر والأولى للتيار الديني في كلتا الطائفتين تنسيق مواقفهما - والمشترك بينهما كبير - عبر الحفاظ على روح التدين في البلد مقابل دعاة العلمنة والتغريب وإقصاء الدين وتلك الأصوات النشاز المتحررة.

- بلى، كان يجب أن تكون الأجواء عندنا أقرب وأسبق إلى حالة الوئام والانسجام، لما لبلادنا من موقع ديني متميز، فحالة التقارب بين المذاهب في المملكة ستترك تأثيرها الإيجابي على العالم الإسلامي كله، بينما يكون لحالة التنافر المذهبي في المملكة انعكاس سلبي على الأمة كلها، كما حصل بالفعل.

لكن هناك أمرين فارقين لوضعنا في المملكة عن البلدان المذكورة:

الأول: أن الحكومة ملتزمة بنهج إسلامي معين هو المنهج السلفي.

الثاني: أن المدرسة السلفية لها موقف حاد صارم تجاه الرأي الآخر. ومن نماذجه ما نشرتموه في ملحق (الرسالة) بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٤٢٥هـ ضمن مقال لأحد كبار العلماء رداً على الدكتور عبدالعزيز التويجري، يخرج فيه الشيعة من دائرة الدين الإسلامي، ويرفض عدّهم إخوة في الدين، ونص كلامه: «وأما قولك: إن الشيعة إخوة لنا في الدين والوطن، فنقول: هم إخوان لمن ارتضاهم إخواناً له، أما من عرف حقيقة ما هم عليه من الاعتقاد الموجود في كتبهم ومراجعهم والذي يتكلمون به في دعائهم ومحاضراتهم فإنه لا يعدّهم إخواناً له، والمواطنة غير الأخوّة في الدين»، وهذا الكلام مفهومه تكفير الشيعة كما هو واضح.

أنا متفاجئ يا شيخ حسن من حديثك.. ولماذا لم تعدّه رأياً فردياً.. بالطريقة نفسها التي حاججتني بها حيال شريط ياسر الحبيب. أتساءل هنا بصوت عال.. لماذا تحسب هذا على الشيخ صالح فقط؟

- سامحني الله وإياك يا أستاذ عبدالعزيز.. إن ياسر الحبيب مجرد شاب متحمس لا يمثل موقعية ولا مرجعية، ورأيه لا يتعبد به أحد، بينما هذا الشيخ جزء من مرجعية رسمية ولرأيه تأثير على قطاع واسع يثق به.

وليكن.. لماذا تسحب رأيه فقط على تيار عريض في أرجاء الوطن كله، وقد جلست أنت تحديداً في الحوار الوطني الذي رعاه سيدي سمو ولي العهد مع جملة من الدعاة والعلماء.

- أتمنى أن يصدر من ذلك التيار العريض ما يخالف هذا الكلام وينكر عليه، وأشير هنا إلى نقاط:

أولاً: أننا في دولة لا تمنح جنسيتها إلا للمسلم، فكيف نصمت على من يكفر شريحة من مواطني هذه الدولة وحملة جنسيتها؟

ثانياً: يأتي هذا الكلام في وقت تتعالى فيه الأصوات ضد التكفير والتكفيريين، حيث صدر أكثر من بيان من هيئة كبار العلماء، وصرح ولاة الأمر بذلك. فكيف سُكِت على هذا الأمر المخالف لسياسة الدولة والمواقف المعلنة للمؤسسة الدينية ضد التكفير؟

ثالثاً: والبلاد تعاني من خطر الفئات الإرهابية، ألا يخشى أن تستفيد هذه الفئات من مثل هذه الآراء في توجهاتها الإرهابية.

وإليك هذه الفتوى لعالم آخر من كبار العلماء منشورة في كتاب أصدرته هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية من قبل مكتبها في الأحساء ونصف أهلها من الشيعة جاء في الكتاب المطبوع تحت عنوان (١٠٠ سؤال وجواب في العمل الخيري) سنة ١٤٢٣هـ ص ١١-١٢: «يجب على المسلمين من أهل السنة بغض أهل البدع ومقتهم وتحقيرهم كالرافضة والمعطلة والقبوريين والإباضيين، كما يجب على المسلم عند كثرتهم وتمكنهم في البلاد البعد عنهم للتخلص من شرهم، فإن لم يقدر أو لم يكن له حيلة في الهجرة جاز له تأليفهم ودفع شرهم بما يندفعون به ولو بجزء من الزكاة، واعتبروا من المؤلفة قلوبهم.

لا يجوز مساعدتهم لما فيه من تقوية لمعنوياتهم وإظهار لبدعتهم، فإن تمكنهم يكون فيه إذلال وإهانة لأهل السنة، فعلى المسلم من أهل السنة أن يسعى في كل ما فيه إهانة للمبتدعة، فلا يتخذهم عمالاً وخداماً، كذا لا يخدمهم ولا يتعامل معهم بما يقوي معنوياتهم أو يروج منتجاتهم، ولا يشتري من بضائعهم، لكن إذا لم يستطع التخلص من شرهم جاز له دفعهم بقدر ما يخلصه من أذاهم».

مثل هذه الآراء والمواقف الصادرة من علماء لهم مكانتهم وباسم مؤسسات لها موقعيتها من الطبيعي أن تعرقل مسيرة التقارب والوئام في المجتمع السعودي وعلى مستوى الأمة.

ويشهد الله أني لا أذكر ذلك هنا للتشهير بأحد منهم، فهي آراء منشورة ومعلنة، ولكنني آمل أن تكون هناك مراجعة لها من قبلهم، وتفكير في مدى مناسبة طرحها في هذا الظرف الحساس.

بين التفاؤل والتشاؤم

يا شيخ حسن، وأنا أستمع إليك، والكلمات تخرج بحرقة وحدّة منك، دعني أباغتك بهذا السؤال: هل أنت متفائل بعد كل ما ذكرت بالتقارب؟

- نعم، إنني أشعر بتفاؤل كبير على الرغم من كل ذلك.

جميل، ولكن من قرأ لك ما سبق، أو أوقعه حظه العاثر مثلي كي يستمع منك إلى حديث يغلي بالصدق والمعاناة والشكوى ليجزم بغير ما أجبت، هلا أبنت لنا أسباب تفاؤلك.

- من أسباب تفاؤلي توجه القيادة السياسية في البلاد لتكريس منهج الحوار والانفتاح بين شرائح المجتمع السعودي عبر مؤتمر الحوار الوطني الذي دعا إليه ورعاه سمو ولي العهد.

وإتاحة الفرصة نسبياً لمختلف الأطراف بأن يعبروا عن آرائهم بعد أن كان المجال محتكراً لطرف واحد، مما يعني تعرف الأطراف على بعضها واستنهاض الرأي العام الوطني لصالح الاعتدال والوحدة والتقارب.

وأعتقد أن ارتفاع مستوى الوعي العام عند الناس، وتطور وسائل الإعلام والاتصالات، أوجدت مصادر أخرى لمعلومات وآراء الجمهور في الطائفتين، عن بعضهما، يتجاوز ما كانوا يسمعونه من تعبئة من جهاتهم الدينية.

كما أنني أراهن على الجيل الواعي من العلماء والدعاة في الصحوة الإسلامية والاتجاه السلفي، بأن إدراكهم للتحديات الخطيرة وانفتاحهم على الرأي الآخر،

يجعلهم أكثر مرونة تجاه الآخرين، وأفضل تقويماً لهم، متجاوزين بذلك الآراء المعلبة والمواقف النمطية.

وقد التقيت بعدد من الفضلاء منهم، فوجدت لديهم أرضية واستعداداً طيبا.

مضطر لمقاطعتك؛ لأنني أتوسم فيك طرح بعض أسماء هؤلاء العلماء الواعين بتعبيرك الذين تراهن عليهم يا شيخ حسن..

- بعيداً عن التصنيف والمراهنة أقول إنني التقيت بعدد من العلماء والدعاة، وسمعت منهم كلاماً طيباً يدعو إلى التفاؤل. وعلى رأسهم سماحة المفتي الراحل الشيخ عبدالعزيز بن باز، ورئيس مجلس القضاء الأعلى الشيخ صالح اللحيدان، ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السابق الدكتور عبدالله التركي، والوزير الحالي الشيخ صالح آل الشيخ، ووزير العدل الدكتور عبدالله آل الشيخ، وفضيلة الشيخ سلمان العودة، والدكتور الشيخ عوض القرني، والدكتور الشيخ عائض القرني، والشيخ إبراهيم أبوعباة، والدكتور حمد الصليفيح، والشيخ محمد الدحيم، والدكتور حمزة بن حسين الفعر الشريف، وغيرهم. وبعض هذه اللقاءات تمت في إطار مؤتمر الحوار الوطني، وكان لي لقاء جميل مع الدكتور مانع الجهني الأمين العام السابق للندوة العالمية للشباب الإسلامي في مقر الندوة بالرياض، كما تكررت زياراتي للشيخ محمد بن زيد عضو هيئة كبار العلماء ورئيس المحاكم الشرعية في المنطقة الشرقية في منزله ورئاسة المحاكم بالدمام، وكان لي لقاء طيب مع الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي في أثناء مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية في البحرين، كما ألتقي عادة قضاة المحكمة الشرعية الكبرى في القطيف.

وأنا أرصد بدقة ما تذكر من أسماء ولعلني انتبهت إلى إغفالك اسمين علمين مهمين في أثناء حديثك عن دعاة الصحوة وهما سفر الحوالي وناصر العمر. بصراحة شديدة هل ثمة مشكلة معهما؟

- للآن لم تتح لي فرصة اللقاء معهما، وأتمنى ذلك، وليست هناك مشكلة ولا عائق يمنعني من اللقاء بهما، فاختلاف الرأي، أو تباين الموقف لا يصح أن يكون مانعاً من التلاقي. ولكنني أستأذنك في إكمال عوامل تفاؤلي، وقد قاطعتني غفر الله لي ولك.

العامل الثالث ارتفاع مستوى الوعي العام عند الناس، فلم يعد الجمهور الشيعي والجمهور السني يتلقى كل مواقفه وكل معارفه من مصادر تقليدية، سابقاً كان الشيعي يتلقى مواقفه ومعارفه من الحسينية ومن الشيخ ومن الخطيب الشيعي، والسني أيضاً يتلقى مواقفه ومعارفه من خطبة الجمعة والشيخ السني، الآن انفتحت مصادر أخرى للمعرفة والمعلومات. هذه الفضائيات والإنترنت، والكتب، فبدأ الناس هم يرون وهم يكتشفون وهم يلاحظون، يتعرفون على بعضهم بعضاً بشكل مباشر. السني الذي كان يسمع في الماضي أن الشيعة يعملون كذا ويفعلون كذا، أصبح الإعلام والفضائيات تحديداً تنقل لهم بثاً مباشراً لما يفعله الشيعة.. وبالتالي لن يكذب عقله ونظره ويصدق شيخاً في زاويته، وكذلك يسمعون حديث علماء الشيعة ويرون مواقفهم.

هنا يا شيخ ستأخذني الطائفية والتخصص قليلاً لأعلق عليك وأقول بالقدر نفسه الذي نرى فيه شباب وعوام الشيعة في خط متوازٍ تماماً مع ما ذكرت، وهم يتابعون ويقرؤون لعلماء السنة بلا أي تلقينيات مسبقة أو أن يأخذوا معلوماتهم تجاه السنة من مشايخ الحسينيات..

- نعم، هناك انفتاح شيعي على العلماء والمثقفين من أهل السنة، كثيرون كانوا يتابعون محاضرات الشيخ الشعراوي في تفسير القرآن، ويقرؤون للشيخ محمد الغزالي، ويسمعون الآن ويقرؤون للشيخ يوسف القرضاوي وأمثالهم من العلماء الذين يتحدثون بلغة واعية معاصرة.

اللقاء التاريخي الأهمّ

عوداً إلى موضوع لقاءاتك مع العلماء. أتصور أن لقاءك مع الشيخ ابن باز - رحمه الله - تبعه كثير من اللغط واللبس والاتهامات التي تصاحب عادة هذه الأخبار، ولأهمية الرجل وكارزميته أود منك الحديث بالتفصيل عن هذا اللقاء. فمتى كان اللقاء؟

- كان اللقاء في شهر ذي القعدة سنة ١٤١٦هـ.

هل كان بمبادرة منك أم بطلب من الشيخ؟

- كان برغبة ومبادرة مني.

هل يمكن لك أن تسرد لي ولقارئي دوافعك وبواعثك لذلك؟

- لديّ قناعة بأن اللقاء مع أي شخصية يتيح تعرفاً أفضل عليها، وحصل أنني قرأت لبعض الشخصيات وعنهم، لكن اللقاء بهم أضاف لمعرفتي بهم بعداً جديداً، من هنا أحرص على لقاء أي شخصية تثير اهتمامي. لذلك كنت راغباً في لقاء سماحة الشيخ ابن باز.

من ناحية أخرى فإنني أعتقد أن صورة المواطنين الشيعة ليست واضحة لدى المؤسسة الدينية في بلادنا، وأن الكتابات والتقارير المغرضة أوجدت تشويهاً كبيراً لتلك الصورة، وساعد على ذلك انغلاق الشيعة وانطواؤهم على أنفسهم بسبب الظروف التي أحاطت بهم، فصممت على المبادرة لكسر هذا الحاجز، والانفتاح مباشرة على القيادات الدينية السلفية المؤثرة. من أجل أن تسهم اللقاءات في توضيح الصورة، وتدشن مرحلة الحوار والتفاهم.

هل يمكن لك أن تحدثنا عن ماهية الموضوعات التي تطرقتم إليها مع الشيخ؟

- التقيت بسماحته في مجلسه بدار الإفتاء وبحضور جمع من المشايخ والأفراد لعلهم مراجعون أو من العاملين في الدار، ومعي ثلاثة من الإخوة[1]، فرحب بنا أجمل ترحيب، وبعد الحديث المتعارف عن أخبار وأوضاع البلاد، أشار سماحته إلى ما يبلغه عن وجود بدع ومخالفات للعقيدة في مناطقنا، فأصغينا لقوله، ثم استأذنته بالحديث لأشكره على استقباله لنا، وعقبت على ما ذكر سماحته بأن قسماً مما يبلغكم ليس صحيحاً ولا دقيقاً، وهناك قسم يعود إلى اختلاف الرأي والاجتهاد بين المذاهب، وذكرت له أن علماء الشيعة في المنطقة ألفوا كتباً أبانوا فيها حقيقة آرائهم ومعتقداتهم، فسأل عن تلك الكتب فذكرت له منها كتابين:

أحدهما كتاب للشيخ علي أبي الحسن الخنيزي الذي كان مرجعاً وقاضياً في القطيف (١٢٩١-١٣٦٣هـ) بعنوان: (الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية) ويقع في مجلدين كبيرين يبلغان ٩٥٠ صفحة.

والثاني: كتاب (الدعوة في كلمة التوحيد) للشيخ محمد صالح المبارك (١٣١٨-١٣٩٤هـ) الذي كان هو الآخر قاضياً للشيعة في القطيف. فأبدى رغبته في الاطلاع عليهما.

وهكذا استمر الحديث وانتهى بشكل ودّي طيب، ودعانا للبقاء للغداء عنده، فاعتذرنا لارتباطنا بموعد الطائرة، وسألنا: هل لديكم سيارة تنقلكم للمطار؟ فلما أجبناه أننا سنأخذ سيارة تقلنا، أمر بتوفير سيارة من دار الإفتاء لإيصالنا للمطار.

وزرته بعدها بشهور مرة أخرى بصحبة إخوة من الإحساء والقطيف ومنهم المحامي الأديب السيد حسن باقر العوامي، فاقتصر الحديث على الترحيب ولم

---

(١) الدكتور توفيق السيف والمحامي صادق الجبران والشيخ حسين رمضان القريش.

يطرح سماحته شيئاً آخر، وألحّ كثيراً على دعوتنا للغداء لكن كان لدينا ارتباط آخر، وأتذكر أن السيد حسن العوامي كان متحمساً لإلغاء ذلك الارتباط والاستجابة لدعوة الشيخ ومازال يعاتبني إلى الآن: لماذا فوّت علينا ضيافة سماحة الشيخ ابن باز؟

وعند وفاته - رحمه الله - بادرت مع بعض طلبة العلم من القطيف والأحساء للذهاب إلى منزله في الرياض، وقدمنا العزاء لأولاده وأسرته الكريمة.

ما ذكرته شيء يسرّ كل فرد منتم: لهذا الوطن، ولكن السؤال الذي يطرح في هذا الصدد، أين أنتم من لقاء سماحة الوالد مفتي عام المملكة الآن الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ وهو كما نعرف صاحب الصدر الواسع والرؤية الوطنية المتسامحة؟

- قبل ثلاث سنوات طرح عليّ أحد المسؤولين الكرام هذا السؤال، فأبديت له رغبتي في لقاء سماحة المفتي الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، فوعدني بسعيه لترتيب اللقاء، وبادر إلى تكليف مدير مكتبه بمتابعة الموضوع، وتابعت مع هذا المدير، لكن اللقاء لم يحصل بعد، ولا أدري هل التأخير لضعف المتابعة أو لظروف سماحة المفتي؟

العودة للقطيف

لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ويتيسر اللقاء مع الوالد، اسمح لي بالعودة إليك يا شيخ في الكويت.. كم من الزمن مكثت في الكويت[*]؟

- بقيت في مدرسة الرسول الأعظم ﷺ في الكويت ثلاث سنوات، وكنت خلالها أسافر لبرامج المواسم الدينية كشهر رمضان وأيام عاشوراء للبلاد أو إلى

(*) لم ينشر هذا السؤال وجوابه في الجريدة لضيق المساحة المخصصة.

مسقط في سلطنة عمان، وبعد ذلك عدت للاستقرار في بلدي القطيف. وكانت عودتي في سنة ١٣٩٧هـ.

جيد، عدت بعد هذا الترحال إلى القطيف. ولا شك ياشيخ في أنك قد أتيت بفكر غير الذي ذهبت به، وقصدت أنه أكثر شمولية. والسؤال: ما هي الأنشطة التي باشرت ممارستها لدى عودتك(*)؟

- عدت إلى القطيف باندفاع كبير واهتمام جادّ للقيام بدور تربوي توجيهي في أوساط الشباب، ونشاط ثقافي عام في الوسط الاجتماعي.

كانت الحالة الدينية في القطيف تقليدية راكدة، والخطاب الديني كان وعظياً يقتصر على تبيين الأحكام الشرعية وسرد السير التاريخية، عدا بعض النماذج القليلة من العلماء والخطباء، لكنهم كانوا يراعون الأجواء العامة التقليدية أيضاً.

وفي بعض المواسم الدينية كان يأتي للمنطقة بعض العلماء من العراق كالسيد حسن القبانجي والسيد حسين الشامي والسيد مرتضى القزويني والشيخ محمد علي التسخيري، فيحصل لهم إقبال جماهيري كبير، لما يرونه في خطاباتهم من تطوير وتجديد.

وكانت العوائق الرسمية تمنع من دخول الكتب الشيعية التثقيفية ومن قيام الأنشطة الثقافية العامة. وهناك شعور عام بالغبن.

فجيل الشباب كان يعاني من الضياع، أكثريتهم يعيشون اللامبالاة، والجهل الثقافي، وقسم تأثر بالتيارات غير الإسلامية، والفئة المتدينة كانت تقليدية تشعر بالعجز واليأس تجاه المشكلات والتحديات.

(*) لم ينشر هذا السؤال وجوابه في الجريدة لضيق المساحة المخصصة.

هنا وفقني الله تعالى وبعض الإخوة من طلبة العلوم الدينية لوضع برامج للاهتمام بجيل الشباب، ولنشر الثقافة والوعي الديني في المجتمع، وكان من أبرز الأنشطة التي توجهنا إليها ما يأتي:

تشجيع عدد من الشباب من كل مدينة للتوجه لدراسة العلوم الدينية. وبحمد الله فإن أغلب المناطق الآن تحصد ثمار تلك الحقبة بوجود علماء وخطباء فيها من أولئك الذين وفقنا الله لتشجيعهم.

نشر الكتب والتسجيلات الدينية بقدر المستطاع.

تشكيل حلقات لدراسة القرآن الكريم والتدبر في آياته كنا نطلق عليها هيئات في مختلف المناطق، والاجتماع مرة في الأسبوع في بيت أحد الشباب من كل منطقة، وهو يدعو أصدقاءه وزملاءه، ونشرح لهم في كل جلسة بعض الآيات وندعوهم للتدبر فيها.

إقامة الندوات والمحاضرات والاحتفالات في المناسبات الدينية وتشجيع الشباب على أدائها وكتابة وإلقاء المواضيع فيها. إضافة إلى إلقاء الخطابات الدينية والتثقيفية التوعوية في المناسبات الدينية كشهر رمضان وأيام عاشوراء بلغة تتجاوز الطرح التقليدي.

بالطبع كنت واحداً من طلبة العلم الذين يتحركون على هذا المستوى وكان هناك آخرون لهم دور مشكور ونشاط مؤثر، وأذكر منهم هنا المشايخ من آل السيف الشيخ توفيق وأخويه الشيخ فوزي والشيخ محمود آل سيف، فقد شجعهم والدهم الحاج محمد تقي السيف - رحمه الله - على طلب العلم الديني وكان من رجال الأعمال المهتمين بالشأن الديني والاجتماعي، وله صلة بالكثير من المراجع والعلماء والخطباء الشيعة في مختلف البلدان. وأخذهم إلى الحوزة العلمية في النجف الأشرف، لكنهم

لم يرتاحوا للأجواء التقليدية السائدة هناك، فلما اطلعوا على برامج مدرسة الرسول الأعظم في الكويت رأوا فيها البديل الأفضل، فكانوا معي من خير الزملاء، وكانوا يتواصلون مع المنطقة، وقاموا بدور كبير في تربية الشباب وتوجيه الناشئة ونشر الثقافة والوعي.

وأذكر كذلك الشيخ يوسف سلمان المهدي والشيخ حسن مكي الخويلدي من مدينة صفوى، وكذلك الشيخ موسى أبو خمسين وأخاه الشيخ حسين أبو خمسين من الأحساء وغيرهم ممن كان لهم دور في بعث الحالة الدينية وتنشيطها في المنطقة. جزاهم الله جميعاً خيراً.

لأقف معك هنا. قلت في بداية إجابتك إن بعض الشباب لديكم تأثر بتيارات أخرى غير إسلامية في المنطقة. هلا حددتها وأسميتها لنا(*)؟

- هي امتداد للتيارات الفكرية والسياسية التي نشأت أو وفدت إلى مناطق مختلفة من العالم العربي، وتسللت إلى مجتمعنا السعودي، كالشيوعية والبعثية والناصرية والقومية.

تماس الصحوتين.. السنية والشيعية

سؤالي التالي يا شيخ، هذه المناشط الدعوية لديكم أو الروح الصحوية التي أسلفت القول عنها، هل تأثرت بأجواء الصحوة الإسلامية والانبعاث الديني السني.. بمعنى آخر، هل كانت من وحيها ومتوازية معها أم كان العكس وخرجت بسببها وفي اتجاه مضاد لها(**)؟

(*) لم ينشر هذا السؤال وجوابه في الجريدة لضيق المساحة المخصصة.

(**) لم ينشر هذا السؤال وجوابه في الجريدة لضيق المساحة المخصصة.

- لم يكن لدينا تواصل مع أجواء الصحوة داخل المملكة بسبب الحواجز الطائفية القائمة، لكن قراءاتنا في أدبيات الحركات الإسلامية السنية ومتابعاتنا لأخبارها شكل جزءاً من أرضية ثقافتنا ونشاطنا الديني كالجماعة الإسلامية في باكستان ودار الندوة في الهند وحركة الإخوان المسلمين بامتداداتها المختلفة وحزب التحرير.

وبالتالي لم تكن ثقافتنا في اتجاه مضاد بل في مسار موازٍ، وإن كان الواقع الذي نعيشه يفرض علينا نوعاً من المشاعر المذهبية والاهتمامات الطائفية كرد فعل للضغوط والمضايقات.

لكن التركيز كان على صنع الشخصية الإسلامية، وتحصين الناشئة والشباب من الانحرافات الفكرية والسلوكية، وتشجيع المجتمع على النهوض والتطوير في واقعه الديني والثقافي والاجتماعي.

ما تطرحونه وقتذاك، وبصراحة شديدة.. أكان طرحاً إسلامياً عاماً يا شيخ حسن، ودون الدخول في السجال الطائفي. أم من نظرة طائفية ضيقة(*)؟

- في الأصل كنا مهتمين بتحفيز الشباب نحو الثقافة والوعي، وتوجيههم نحو التدين؛ لأن أكثر الشباب آنذاك ما كانوا يهتمون بحضور صلاة الجماعة في المساجد، ولا تعلم المسائل الشرعية، وكانت تنتشر في أجواء بعضهم الانحرافات الفكرية والسلوكية. فكان تركيزنا بهذا الاتجاه لاستقطاب الشباب نحو الحالة الدينية. ولم يكن لدينا تركيز على مسائل الخلاف المذهبي، إلا بمقدار التفاعل مع بعض الأحداث والإثارات.

والأدبيات التي كنا نتداولها وننشرها في صفوف الشباب كانت ضمن مسار الصحوة الإسلامية العامة، ومن أبرزها كتب المرجع السيد محمد الشيرازي، التي

(*) لم ينشر هذا السؤال وجوابه في الجريدة لضيق المساحة المخصصة.

تركز على إعادة الثقة بالإسلام كمنهج ونظام، وتستنهض المسلمين لاستعادة مجدهم وحضارتهم، وتردّ على التيارات المناوئة والمخالفة للإسلام، وأذكر منها كتاب (عبادات الإسلام) و(في ظل الإسلام) و(كيف انتشر الإسلام) و(الفضيلة الإسلامية) و(أنفقوا لكي تتقدموا) وأمثالها.

وكذلك كتابات الأستاذ السيد محمد تقي المدرسي، ومما كنا ننشره منها: (بحوث في القرآن الحكيم) و(الفكر الإسلامي مواجهة حضارية) و(الإسلام ثورة اقتصادية).

وكُتُب أخيه الأستاذ السيد هادي المدرسي التي كانت تجتذب الشباب بلغتها العصرية وأسلوبها الجميل، وأذكر منها: (حوار ساخن مع الطرف الآخر) و(لا للرأسمالية لا للماركسية نعم للإسلام) و(كيف كنا ولماذا) و(ألف باء الإسلام) هذه الكتب وأمثالها كما هو واضح من عناوينها كانت بالاتجاه الإسلامي العام. إضافة إلى الكتابات التي تطرح سيرة أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - من الزاوية الحضارية والقيمية.

هذه الكتب التي ذكرت. هل كانت تدخل مجتمعنا بشكل نظامي وتوزع(*)؟

- هذه الكتب كان أغلبها ممنوعاً من الدخول بعدّها كتباً شيعية ولمؤلفين شيعة، وكنا نشتريها بأغلى الأسعار من السماسرة والباعة في السوق السوداء الذين يجلبونها بمختلف الطرق، فالكتاب الذي نشتريه من مكتبات البحرين بعشرة ريالات، حينما يصل إلى البلاد نشتريه بثلاثين ريالاً أو أكثر. وكنا نسعى إلى نشر كتب إسلامية سنية أيضاً.. مثل كتب الندوي وكتب سيد قطب وكتب محمد الغزالي وكتب يوسف القرضاوي..

(*) لم ينشر هذا السؤال وجوابه في الجريدة لضيق المساحة المخصصة.

ولكن كيف هو موقف الطائفة؟

جميل منك هذه الروح الانفتاحية يا شيخ حسن، وقد ظننت أنها تلبستك بعد أن اخترمتك السنون وعلمتك التجارب، فإذا بي أكتشف الآن أنها موجودة لديك منذ عقدين أو أكثر. ولكن الاستفهام الذي يتبادر إلى ذهن صحافي مثلي وهو يرصد الحالة الشيعية ويتساءل عن مدى قبول إخوتك في الطائفة لمثل هذه الأطروحات التوفيقية أو التقاربية... بشكل صريح يا شيخ حسن، أتصور أن المراجع التقليدية لديكم ضد هذا النفس الوسطي تماماً، ولا بدّ لهم أن اعترضوا عليك وقاموا بشيء من الاحتكاك أو المعارضة الداخلية لك في الوسط الشيعي السعودي؟

- بشكل عام مراجع الشيعة وعلماؤهم يدعون إلى الوحدة والتقارب، وحالة الحدّية والتطرف تجاه الإخوة السنة محدودة، نعم هناك قلق عند بعض الأوساط الشيعية المحافظة، من أن يكون التقارب مع أهل السنة على حساب المبادئ والقناعات المذهبية، لأن أهل السنة هم في موقع القوة والسلطة، فقد يفرضون أو يطلبون ممن يتقرب إليهم من الشيعة التخلي عن بعض قناعاته المذهبية.

وهنا نواجه مشكلة أعتقد أنها موجودة عند أهل السنة أيضاً هي تضخيم وتعظيم بعض المسائل الجزئية وعدّها من ثوابت المذهب وأساسياته وأركانه، وبالتالي فإن مناقشتها أو إبداء رأي آخر تجاهها هو مؤشر للتنازل العقدي والتخلي عن الثوابت، وفي بعض الأحيان قد يقاوم الاتجاه التقليدي الشيعي أو السني التغيير والتطوير حتى في بعض العادات والممارسات الشكلية بدعوى أنها قد تكون مدخلاً لتنازلات أخرى، ضمن عنوان سد الذرائع.

وللإنصاف فإنني لم أواجه معارضة في الوسط الشيعي السعودي لانفتاحي على أهل السنة، بالعكس هناك ارتياح عام لذلك، بيد أن هناك تشكيكاً في قبول

الطرف الآخر للانفتاح، وكثيراً ما يأتيني بعض الشيعة بكتابات وفتاوى ضد الشيعة أو يتحدثون عن ممارسات عدائية جرت لهم من بعض السنة ليقولوا لي: أين هو تأثير انفتاحك على هؤلاء؟ وما فائدة دعوتك للتقارب والوحدة معهم وهم مصرّون على تكفيرنا والتشكيك في ديننا وممارسة التمييز الطائفي ضدنا؟ وأذكر قبل مدة أن تحدث أحد الدعاة السلفيين البارزين ممّن يعرف الناس عن لقاء حصل لي معه، إلى إحدى الفضائيات المشهورة. وكان حديثه قاسياً على الشيعة، فانهالت عليّ المكالمات والعتابات: أهذا من تقول عنه إنه منفتح وواعٍ؟ أمع مثل هذا يجدي التقارب والانفتاح؟

لا أبرر لشيخنا الجليل الذي ذكرت، ولكنني أعلم يقيناً وأتلمس رؤاه الانفتاحية ومعضلته مع مريديه.. وأستأذنك في العودة لأصل السؤال ولن تهرب مني يا شيخ حسن، وسؤالي: طالما ذكرت لنا بأنك لم تجابه في الوسط الشيعي المحلي بمعارضة، فهلا فسرت لنا تلك الفتوى التي قرأناها في الإنترنت والتي وضعها خصومك، وهي من مرجعية رفيعة لديكم وهو السيد الخوئي الذي قال نصاً: (وأما حسن الصفار فسبق أن أجبنا على سؤال وردنا.... وتكرر الجواب لبعض القطيفيين بأن أمره لمريب ولا يوثق به ولا بتصرفاته، وما ذكرتموه يؤكد انعدام الثقة منه).. هلا فسرت لنا حقيقة هذه الفتوى القاسية بحقك؟

- هذه الفتوى ترتبط بخلاف وصراع بين تيارين ومرجعيتين؛ لأن السيد الخوئي كان له رأي مخالف لتصدي السيد محمد الشيرازي للمرجعية، ولأنني كنت منتمياً لمرجعية السيد الشيرازي، وداعماً لها جاءت هذه الفتوى كما هو واضح وصريح من سياق السؤال والجواب.

وأودّ أن أؤكد هنا أنني أحترم شخصية السيد الخوئي ومقامه، فهو كان المرجع الأعلى وزعيم الحوزة العلمية، وهو في مقام الأب، فحتى لو واجه الولد موقفاً سلبياً

من أبيه، فإن ذلك لا يصحّ أن يسقط احترامه. وهي حدث قديم تجاوزه الزمن، لكن بعض مواقع الإنترنت تروج له في سياق التشهير والتهريج.

صحيح.. تاريخها أمامي، وهي في ٢٥ شوال ١٣٩٩ هـ.. عموماً، سأسايرك وأترك الماضي.. وأتجه للحاضر.. يبدو لي يا شيخ حسن أنك واجهت وتواجه معارضة شديدة من التقليديين في الوسط الشيعي السعودي.. ما مدى صحة هذا الظن؟

- الصراع بين الخط التقليدي المحافظ، والخط الذي يتطلع إلى التجديد والتطوير، قائم في كل المجتمعات الشيعية والسنية، وقد يكون ذلك مظهراً لصراع الأجيال، وحرص التقليديين على الاحتفاظ بمواقعهم، أو لاختلاف البيئة الاجتماعية والثقافية لكلا الطرفين.

وإذا كنت واجهت معارضة شديدة في الماضي، فأعتقد أنها الآن تراجعت كثيراً، لارتفاع مستوى الوعي عند الناس، ولأن الحالة التي أمثلها أصبحت تياراً له ثقله وموقعيته، يضم عدداً كبيراً من العلماء والخطباء والمثقفين والناشطين اجتماعياً.

أشير هنا إلى أن المرجع الأعلى للشيعة الآن وهو السيد السيستاني يمارس نهجاً استيعابياً، لمختلف التوجهات في الطائفة، ويشجعها على التقارب والتعاون، والقبول بالتعددية والاختلاف في الرأي، مما يساعد على تخفيف الصراعات الداخلية، كما هو ملاحظ من دوره في الساحة العراقية.

سأكون صريحاً معك هنا يا شيخ حسن، وسأسوق ما يرميك به معارضوك الحاليون في الوسط الشيعي من أن نشاطك وأفكارك المطروحة هو سعي شخصي منك لأخذ الخُمس وما إلى ذلك. بل أكثر من ذلك، رؤاك السياسية هي نوع من التزلف للحكومة السعودية كيما تقتعد لك مقعداً رسمياً. وقائمة تهم سمعتها وتتردد في دهاليز الوسط الشرعي والملالي. كيف تعلق على ذلك؟

- كل من يعمل في الشأن العام عليه أن يتوقع وجود معارضين له، يخالفونه في الرأي، أو يثيرهم بروز دوره وتصديه، وعلى الإنسان أن لا يطمع في رضا كل الناس عن شخصه ودوره، أو موافقتهم جميعاً على كل آرائه وتوجهاته، فكما لديه رأي، للآخرين آراؤهم، ومن حقهم التعبير عنها، وليس هناك صاحب رأي وموقف محقاً كان أو مبطلاً لم تواجهه معارضة في مجتمعه. إن ما نتمناه في مجتمعاتنا ترشيد أسلوب الخلاف، بأن يتجه إلى مناقشة الرأي والموقف، بدل التجريح والتسقيط الشخصي، وأن يطرح كل طرف مشروعه ورؤيته البديلة، بدل أن ينشغل بنقد الآخرين فقط والعمل ضدهم.

ومن وحي تجربتي الشخصية فإنني استفدت من وجود المعارضين لاكتشاف الثغرات ومواضع الخلل في طروحاتي ومشاريعي، فالإنسان ليس معصوماً، وقد يفيده مخالفه في تشخيص نقطة ضعفه، فعليه عدم المكابرة، والمبادرة إلى الإصلاح والتصحيح.

كما أن وجود المعارضين يستثير همة الإنسان وتحديه على الصعيد الشخصي وعلى مستوى التيار الذي معه، فيذكي حالة التنافس في سياقها الإيجابي.

أسأل الله لي ولمن عارضني الهداية والصلاح والعفو والمغفرة.

*****

الشيخ حسن الصفار في ختام مكاشفاته:

- الوحدة الوطنية على أساس الإسلام هي أمانة في أعناقنا جميعاً، وعلينا مسؤولية تأكيدها وإزالة أي غبار يلحق بوجهها الناصع.
- أنصح إخواني بأن لا ينطلقوا في مواقفهم من الحماس وحده بل يُعملوا عقولهم ويأخذوا خصائص بلدانهم بعين الاعتبار.
- نقدّر للدكتور غازي القصيبي تعاطفه ومساعيه الوطنية، وقد نشأ مع الشيعة في منطقة الأحساء والبحرين.
- لست مع بعض الممارسات التي تحدث في عاشوراء التي فيها إيذاء للنفس وتشويه للصورة أمام الآخرين.
- بندر بن سلطان وناصر المنقور وأحمد الكحيمي كان لهم دور في إنجاح الحوار بيننا وبين الحكومة السعودية.
- ليس صحيحا أن المرجع الديني هو الذي يقرر للشيعة في بلدانهم مواقفهم السياسية الوطنية.
- قد يقوم المرجع الديني بدور سياسي في موطن مرجعيته إذا اقتضت المصلحة الدينية ذلك وكانت الظروف مناسبة.
- دور المرجعية في المجتمع الشيعي يشبه دور المفتي في المجتمع السني.
- انفتاح الشيعة على الثقافة السنية أكثر من انفتاح السنة على الثقافة الشيعية؛ لأنهم لا يعيشون التعبئة الطائفية.

*****

بين يدي مكاشفات(*)

توالت عليّ احتجاجات عديدة، وعتب كثير من الإخوة ممن تفاعلوا مع مسألة التقريب والتفاهم بين طائفتي الأمة، بسبب نشر (الرسالة) لمداخلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي الأسبوع الماضي، وكم فرحت بأصواتهم التي جدّدت الأمل عندي بأن ثمة من يشترك معي في رؤيتي التي أروم بعد أن كانت جلّ الاتصالات السابقة والمعاتبات قصراً على تيار معارض تماماً.

تمثّل رأي هؤلاء الإخوة في أننا - ونحن إزاء معضلة تاريخية - نحاول تخفيف احتقانها وجمع الأمة على كلمة سواء وعلى أرضية من القواسم المشتركة العريضة، لا يصح أبداً أن نسمح للأصوات التي تهدم بأن تواصل نهج الشرذمة، وهي التي قد تكون غير مقتنعة من قبلُ بمشروع التفاهم والقبول وتحديد أطر للتعاون والتعايش. فأمثال هؤلاء سيحاولون تقويض كل أساسات الفكرة عبر التوسل بالصراعات الجانبية والعقدية واستدعاء ركام السجالات التاريخية على مدى ألف وأربعمائة عام مضت، والتي لن نضيف لها سوى رصيد سيّئ جديد. وإذ تقبّلت منهم ابتداء وجهة النظر هذه، فإنني خالفتهم تماماً في محاولة الإقصاء التي عبّروا لأسباب عدة في مقدمتها عن أننا دعاة حوار ولا يصح ابتداءً حجبُ أي صوت مخالف، وليس من نهج مكاشفات أبداً منذ انطلاقتها إقصاء أي رد مهما كان مخالفاً لمنهجنا. أيضاً ليس من الموضوعية بمكان السماح للشيخ حسن أن يبدي كل رؤيته على مدى أربعة أسابيع دون أن نعطي الطرف الآخر وصاحب الحضور الذي لا ينكر حقه في إبداء رأيه وتحليل وتفنيد ما طرحه الشيخ، طالما كانت المداخلة متلفعة بأدب الحوار العلمي دون التجاوز إلى الشخصي أو الطائفي.

(*) نشرت المكاشفة في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة بتاريخ ١٥رمضان ١٤٢٥هـ.

أما ثالث هذه الأسباب فهي التي استخلصناها من تجربة مكاشفات على مدى ست سنوات، إذ رأينا أن مثل هذه السجالات عادة ما تبدأ متشنجة ويعتورها كثير من الاحتقان وسوء الظن، لكن العقلاء والوسطيين ما يلبثون أن يتبيّنوا خلالها إيجابيات ُغمّيَ عليها في أثناء السجال، ويتلمّسون بعض الحق في رؤى الضيف بعد انجلاء غبار المعركة، ما يترتب عليه تفاهم عاقل ورصين بعيد عن الصحافة وإثارتها. ونزعم أننا أفلحنا كثيراً في ما سبق من السنوات في دفع من يوصفون بالصقور في تياراتهم الفكرية أو طوائفهم إلى الجلوس مع بعضهم بعضاً، وتبديد كثير من الهوة النفسية شديدة التعقيد بينهم وجملة من المسائل التي اختلفوا عليها، ما يجعلني في هذا الصدد متفائلاً حيال هذه المسألة أكثر من ذي قبل لأن الطروحات التي أوردها الشيخ الصفار خلال المكاشفات الماضية تميزت بنَفس تصالحي بعيد النظر يروم التقارب والتفاهم بين أبناء الأمة، إضافة إلى عقلانيتها وُبعدها عن المثالية وتجاهل معطيات الواقع بكل مرارته، والتاريخ بكل ركامه. وقد ذكّر الرجل - وهو يسوّق لمشروعه - بالمستجدات السياسية وضغوط الغربي التي قلبت الوضع السابق رأسا على عقب، ما يجعلني أجزم بأن كل ذلك سيحتم على عقلاء الطائفتين النظر مليا في هذه الطروحات التي أخشى - إن لم يقبلها ويهتبلها عقلاء الوطن وقادته الآن - أن تفرضها الوقائع السياسية والحراك المجتمعي، أو تحددها الأصوات المتشنجة من كلا الطرفين.

وبالمناسبة فإن الطروحات التقاربية التي قدمها الشيخ حسن قد أثارت جدلا عريضا في الوسط الشيعي، ومن تسنى له أن يقرأ ردود الأفعال لديهم عبر المواقع الإنترنتية فسيرى أن الأخوة الشيعة منقسمون بشدة حيالها..

بقي أن أشير - وأنا أتلقى المداخلات التي سنباشر نشرها من الأسبوع القادم - إلى استغراق المتداخلين في الجزئيات الفقهية والخلافات العقدية، وهي على

أهميتها، ستكون عائقاً أمام نقاش حقيقي لمشروع الشيخ حسن الصفار الذي طرحه عبر هذه المكاشفات، ما سيبقينا داخل هذه الدائرة نلوب في ذات التيه الطائفي. وعليه أتمنى على الإخوة الدعاة ممن رفعوا لافتة الوسطية أو تدثروا بدثارها أو حتى أولئك الذين يتفرجون على هذا الحراك الطائفي والوطني المهم وهم صامتون، خشية مريديهم وحساباتهم الشخصية، أن يدلوا بدلوهم ويعلنوا مواقفهم الحقيقية وقناعاتهم بشفافية بمثل ما فعل الشيخ عوض القرني، وألا يتركوا الساحة للأصوات المعارضة فقط. والله تعالى أعلم وإلى نهاية هذه المكاشفات الطويلة مع الشيخ الصفار.

عبد العزيز قاسم

*****

سأنتقل يا شيخ حسن إلى محور آخر وأتركك مع طائفتك كي يختار الله الطريق الأصلح لنا جميعاً. ذكرت للتو أن مرجعيتكم هو السيد السيستاني، وبين يدي قصاصة للدكتور (فؤاد الإبراهيم) مؤلف كتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي) يحدث بأن المرجعيات لدى طائفة الشيعة في القطيف، بالإضافة إلى السيستاني في النجف، هم خامنئي ومحمد صادق الروحاني والشيرازي في إيران، ولبعضكم محمد حسين فضل الله في لبنان. هلا فككت لنا هذه الفسيفساء المرجعية؟

- لأن اختيار المرجع الديني عند الشيعة يتم على المستوى الأهلي، وليست هناك جهة تفرض أو تقرر مرجعية معينة، وإنما يختار كل مكلف المرجع الذي يطمئن إلى توافر الشروط الشرعية فيه وأبرزها الاجتهاد والعدالة، وهناك شرط الأعلمية على المشهور بين الفقهاء، لذلك يعتمد الناس على رأي العلماء المحليين الموجودين في القطيف والأحساء والمدينة المنورة، وكل واحد من هؤلاء العلماء حسب معرفته وتشخيصه يختار المرجع الذي يطمئن إليه ويرشد أتباعه إليه.

من هنا يحصل التعدد في المرجعيات، وغالباً ما يكون هناك مرجع تختاره الأكثرية، وهو حالياً السيد السيستاني. وليست هناك فوارق مهمة بينهم إلا في بعض المسائل الفقهية القليلة، وقد تحصل بعض الفوارق بين المرجعيات في المواقف السياسية أو الثقافية، أو أساليب إدارة المرجعية، لكن انعكاس هذه الفوارق على الواقع المحلي محدود؛ لأن العلماء المحليين هم المؤثرون بالدرجة الأولى في واقع المجتمع الشيعي.

اسمح لي بسؤال صريح هنا يا شيخ حسن، وقد استفزك سؤال سابق عن الولاءات، لكنني لا بدّ أن أسألك من وحي تخصصي في الرياضيات والمنطق الذي يقول: ألا ينبني على هذه التبعية الفكرية الشديدة الالتزام والولاء تبعيات أخرى كالتبعية السياسية مثلاً؟

- إن كنت تقصد بالتبعية السياسية، بأن المرجع الديني هو الذي يقرر للشيعة في بلدانهم مواقفهم السياسية الوطنية وشكل علاقتهم مع حكومتهم ومجتمعهم فهذا غير صحيح إطلاقاً لأمرين:

الأول: عزوف أغلب مراجع الشيعة عن التدخل في الشؤون السياسية وتصديهم لدور الإفتاء في المسائل الشرعية، بحيث أصبح الارتباط بين الجمهور الشيعي والمرجع ضمن هذه الدائرة.

الثاني: قد يتصدى المرجع الديني للشأن السياسي في وطنه؛ لأنه صاحب رأي في الموضوع أو لاستدعاء الظروف ذلك، لكنه لا يتدخل أبداً في الشؤون السياسية للبلدان الأخرى، وإنما يترك ذلك للقوى الشيعية الموجودة في تلك البلدان؛ لأنهم أعرف بظروف بلادهم. ولم يحصل أن تدخل المراجع في شؤون بلدان المنطقة، وكمثال قريب حاضر ما حصل في البحرين قبل الانفتاح الذي قاده ملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى، وبعده، فإن المراجع لم يتدخلوا مثلاً في شأن الانتخابات البرلمانية، وانقسمت ساحة الشيعة في البحرين حيث قاطع بعضهم وشارك بعضهم، لكن المشاركة والمقاطعة تمت بقرارات من القوى المحلية دون تدخل من المراجع.

إن المجتمعات الإسلامية سنة وشيعة تأخذ العلم الشرعي، والأحكام الدينية من العلماء الثقاة أينما كانوا، فالحدود السياسية لا تمنع الاستفادة من علمهم ورأيهم، فشيخ الجامع الأزهر يأخذ برأيه مسلمون خارج مصر، وكبار العلماء في المملكة كالمفتي الراحل ابن باز يأخذ برأيه مسلمون في بلدان مختلفة، والشيخ يوسف القرضاوي أصبحت له مكانة مرجعية في بلدان إسلامية كثيرة، ولا أحد يرى أن أخذ العلم الشرعي من فقيه معتمد خارج البلاد يشكل تبعية سياسية.

إنني أرى أفضلية أن تكون المرجعية الدينية من المجتمع نفسه وضمن الوطن، لكن ذلك مشروط بتحقق مواصفات المرجعية والإفتاء، وكانت مرجعية الشيعة في القطيف والأحساء محلية إلى ما قبل خمسين سنة تقريباً. وأرجو أن تتاح الفرصة للحوزات العلمية الشيعية داخل البلاد لتساعد على الوصول إلى هذا المستوى إن شاء الله.

دور المرجعية الشيعية

أما وقد نفيت أي ولاءات سياسية تتبع المرجعية الفكرية، بودي هنا سؤالك يا شيخ حسن عن الدور الحقيقي للمرجع الشيعي. ليتك توضح لنا، ونحن نسمع بهذه المراجع ولا نعرف أدوارها الحقيقية وعملها وما تقوم به، والمساحات التي تتحرك فيها؟

- يقوم المرجع الديني عادة بالأدوار الآتية:

استنباط الأحكام الشرعية والإجابة على الاستفتاءات.

رعاية الحوزة العلمية بتصديه لتدريس الأبحاث العالية في الفقه وأصوله، وتوفير المكافآت للأساتذة والطلاب، ومعالجة المشكلات التي قد تواجه الحوزة سياسية واجتماعية ومالية.

إعطاء الإجازات والوكالات للعلماء المحليين في مختلف المجتمعات لينقلوا فتاواه وليستلموا الحقوق الشرعية نيابة عنه. وليتصدوا للمهام الدينية التي تحتاج إلى إذن المجتهد كالقضاء.

ممارسة دور الأبوة والرعاية للمجتمع بتشجيع ودعم المؤسسات الدينية، وتوزيع الخمس على الفقراء والمحتاجين.

وقد يقوم المرجع الديني بدور سياسي في موطن مرجعيته إذا اقتضت المصلحة الدينية ذلك وكانت الظروف مناسبة.

أستأذنك في أن أطلب توضيحاً أكثر.. وأن تقرب لنا بأمثلة في واقعنا السني؟

- يمكن التمثيل لدور المرجعية في المجتمع الشيعي بدور المفتي في المجتمع السني، مع بعض الفوارق كما في جهة التعيين حيث يتم تعيين المفتي رسمياً، بينما يختار المرجع أهلياً.

بالمناسبة يا شيخ حسن، أسماء شيعية عميقة. مثل أحمد الكاتب وأحمد الكسروي الذي اغتاله بعض الشيعة في الكويت والبرقعي وموسى الموسوي وغيرهم ممن نقدوا أصول وقواعد الشيعة، ونقدوا بعض الانحرافات التي خرجت عن منهج آل البيت عليهم السلام. كيف تنظرون إليهم؟

- من كان لديه رأي ينكر به ضرورة من ضرورات المذهب المجمع عليها، يُنظر إليه باعتباره خارج المذهب، ولكن ضمن دائرة الإسلام، مادام يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر والثوابت التي اتفق عليها المسلمون.

وهناك فرق بين صنفين من هؤلاء الأشخاص، صنف يحصل له رأي مخالف للمذهب دون ملابسات أخرى، وهذا تجري مناقشته والحوار معه ليعود إلى دائرة المذهب، وإن لم يقتنع وكان ينشر رأيه ويبشر به، فإن العلماء يتصدون للردّ عليه وتبيين مواقع الخلل في رأيه حتى لا يتأثر بقية أبناء المذهب.

وصنف من هؤلاء الأشخاص يتعدى دائرة إبداء الرأي للقيام بدور عدائي ضد المذهب والطائفة، بالتحالف مع الخصوم، أو الارتباط بجهات مشبوهة، وهنا يتم اتخاذ موقف رادع ضده على المستوى الاجتماعي والثقافي.

وقد تختلط الأوراق، وتنشأ اتهامات وظنون سيئة وتحصل مواقف انفعالية غير منضبطة نتيجة للحساسية الشديدة الدينية عند الشرقيين بشكل عام بمختلف أديانهم ومذاهبهم، والتي قد تكون في بعض الأحيان على حساب حقوق الإنسان وحرية التعبير عن الرأي.

سأتجاوز قضية التصنيف وإسقاط الأسماء التي سقتها لك، وأعود إلى المحور الأصل، وأعكس السؤال عملاً بمبدأ العدل والإنصاف وأستفهم منك - وقد عشت يا شيخ حسن تلك الأحداث والحقبة التي نرصد الآن تاريخها - في المقابل قيادات إسلامية سنية تأثرت بفكر وأطروحات بعض أئمتكم الشيعة بالقدر نفسه الذي تأثرتم أنتم بالكتّاب والمفكرين من أهل السنّة.

- من المعروف أن عدداً من العلماء المفكرين السنة قد تأثروا كثيراً بأفكار السيد جمال الدين الأفغاني وفي طليعتهم الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا، وكانت مجلته التي أصدرها في باريس (العروة الوثقى) منبعاً لأفكار النهضة الإسلامية الحديثة.

وأعرف أن كتب العالم المجدد السيد محمد باقر الصدر (فلسفتنا) و(اقتصادنا) و(البنك اللاربوي في الإسلام) كانت مصادر معتمدة في مجالها للكثير من العلماء والمفكرين السنة.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران حصل انفتاح كبير على الثقافة الشيعية من قبل العلماء والمثقفين السنة واستلهموا من التجربة الإيرانية سياسياً وفكرياً.

ولكن يمكن القول إن انفتاح الشيعة على الثقافة السنية أكثر من انفتاح السنة على الثقافة الشيعية، ولعل من أسباب ذلك أن الشيعة لا يعيشون تعبئة تمنعهم من

الانفتاح على الرأي الآخر، ولا كانوا يخشون من التأثر بالرأي الآخر، بينما نجد شيئاً من هذا القبيل في بعض الأوساط السنية.

إن في الثقافة الشيعية ثراءً معرفياً مهماً في مختلف المجالات لا ينبغي لعالم أو مثقف سني أن يحرم نفسه من الاطلاع عليه، والاستفادة منه، وخاصة فيما يرتبط بعطاء أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - وسيرتهم العطرة.

إن الإسلام يشجعنا على الانفتاح على الرأي الآخر لنعرفه على حقيقته، ولعل فيه شيئاً نستفيده منه، يقول تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ** ﴾ وورد في الحديث كما في الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها**».

وإذا كنا مطالبين بأن نطلع على ما يمكننا من نتاج الفكر الإنساني بشكل عام فكيف نتردد في الاطلاع على نتاج بعضنا بعضاً داخل الإطار الإسلامي؟

هل المذهب الجعفري هو المذهب الخامس؟

عفواً يا شيخ حسن أنت هنا في هذه الجزئية تطرح الفكر الشيعي في مقابل الفكر السني. ولكأنك تمرّر أو توحي من خلال حديثك الآنف بأن المذهب الجعفري يدخل في نطاق المذاهب الإسلامية كمذهب خامس، وأنه مذهب يأخذ منه أهل السنّة وأئمة السلف السابقون. هل ما شعرت به صحيح؟

- لا شك في أن مذهب أهل البيت - رضي الله عنهم - عريق في تاريخه وأصالته، وقد أخذ كبار أئمة أهل السنة وعلمائهم عن أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - وأستحضر هنا كلمة للعالم المصري المعروف الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (الإمام الصادق) قال: «ما أجمع علماء الإسلام على اختلاف طوائفهم على

أمر، كما أجمعوا على فضل الإمام الصادق وعلمه، فأئمة السنة الذين عاصروه تلقوا عنه وأخذوا، أخذ عنه مالك - رحمه الله، وأخذ عنه طبقة مالك، كسفيان ابن عيينة وسفيان الثوري، وغيرهم كثير، وأخذ عنه أبو حنيفة مع تقاربهما في السن، وعدّه أعلم الناس؛ لأنه أعلم الناس باختلاف الناس، وقد تلقى عليه رواية الحديث طائفة كبيرة من التابعين، منهم يحيى بن سعيد الأنصاري، وأيوب السختياني وأبان بن تغلب وأبو عمرو بن العلاء، وغيرهم من أئمة التابعين في الفقه والحديث، وذلك فوق الذين رووا عنه من تابعي التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين الذين أشرنا إلى بعضهم».

وإذا كان الأئمة الأربعة لهم مذاهب فهل يستكثر على الإمام جعفر ومن أئمة أهل البيت أن يكون لهم مذهب؟

إن بعضهم يشكك في صحة ما يرويه الشيعة من مذهب أهل البيت، ثم لا يقدم بالطرق التي يراها صحيحة ما يمثل مذهباً لأهل البيت موازياً للمذاهب الأربعة، فتكون النتيجة أن لا مذهب لأهل البيت، إن كل إمام من أئمة المذاهب جاء مذهبه عن طريق تلامذته القريبين منه، وكذلك مذهب أهل البيت نجده عن طريق تلامذتهم القريبين منهم، إننا إذا شككنا مثلاً في مرويات أبي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني وزفر بن هذيل عن شيخهم أبي حنيفة فمن أين نجد مذهبه إذن؟

وإذا لم نقبل مرويات صالح بن الإمام أحمد وأخيه عبدالله بن أحمد، وأحمد بن محمد الأشرم وعبدالملك الميموني وأحمد المروزي وإبراهيم ابن إسحاق الحربي وأمثالهم، وما جمعه بعد ذلك أبو بكر الخلال عن الإمام أحمد بن حنبل فكيف لنا بالوصول إلى مذهبه وآرائه الفقهية؟

وكذلك الحال لن نجد مذهب أهل البيت وفقههم إلا عبر تلامذتهم القريبين منهم.

ولا يعني ذلك القبول بكل ما روي عن أهل البيت، كما لا يمكن القبول بكل ما روي عن رسول الله ﷺ، وعن بقية الصحابة، وأئمة المذاهب، بل لا بد من التحقيق والتمحيص مع أخذ تلك الحقيقة بعين الاعتبار.

وبعد فإن المذهب الجعفري واقع قائم، وأتباعه ليسوا أقل من أتباع كل مذهب من المذاهب الأربعة، ونتاجهم المعرفي ليس أقل من غيرهم، ولا تصح المزايدة على الشرعية، فكل مذهب يرى أتباعه توافرها فيه، فلا بد من أن نعترف ببعضنا ونتبادل الاحترام ونتعاون على البر والتقوى كما أمرنا الله تعالى.

سأقف وقفات عدة أمام حديثك هذا يا شيخ حسن، أولاها أن أئمة أهل البيت لهم منزلة واحترام، وما نقل عنهم بسند صحيح معتبر وفق أدوات الترجيح وليس وفق الاستحقاق الوراثي كما هي عقيدتكم أنتم الشيعة، وليس هناك كبير إشكال في فقههم، وإنما في المنسوب إليهم من الأغاليط والخرافات التي ينزه أهل السنة علماء أهل البيت عن الوقوع فيها، وقد تساءلت عن رأي أهل البيت عليهم السلام في القضايا الفقهية؟ أتصور أن المشكلة ليست في الفقه بل في القضايا الاعتقادية المنسوبة إليهم بمغالطات من وجهة نظر السنة.. أي: التباين الاعتقادي والتناقض الأصولي..

- أعيذك بالله يا أستاذ عبدالعزيز من الطرح الاستعلائي، ومن أسلوب المصادرة للرأي، فالشيعة لا يقولون بالاستحقاق الوراثي، وإنما يقولون بالنص في الإمامة، وإذا كان النص قد ثبت عندهم في سلسلة العترة الطاهرة فهذا ليس معيباً ولا قادحاً، فقد أخبر القرآن الكريم عن استمرار النبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام: ﴿ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾.

وأما الأغاليط والخرافات فالشيعة أيضاً ينزهون النبي ﷺ وأهل البيت عنها، لكن عدّ كل ما خالف رأيكم أغاليط وخرافات فمصادرة وتسرع، ومن حق الآخر أن ينظر إلى ما لديكم كذلك.

والمفروض أن ندخل ساحة الحوار بأدب الأسلوب النبوي الكريم: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

وإذا كان من الطبيعي أن يعتقد كل طرف أنه على الحق ومع الصواب، فإن من غير الطبيعي أن لا يعترف بوجود الطرف الآخر، وأن لا يقبل الانفتاح على ما لديه والتحاور معه.

ثم إن التنكر لمذهب أهل البيت - رضي الله عنهم - لم يقتصر على الجانب العقدي كما ذكرت، وإنما حتى الجانب الفقهي من مذهبهم مغيّب.

أسأل الله أن يعيذنا جميعاً من آفة الاستعلاء، وأرجوك يا شيخ حسن أن تتفهم طبيعة أسئلة مكاشفات، وسأمضي في محاججتك ولن أتوقف. ففي مقابل حديثك الأول، أنت تتحدث وتقول: الشيعة، ونحن الشيعة، والشيعة قالوا، والشيعة فعلوا.. وأتصور أن المسألة تحتاج من كلينا إلى تحرير؛ لأنه كما يعرف عامي مثلي من أهل السنة أن الشيعة مصطلح فضفاض يدخل أو ينضوي تحته عشرات الجماعات والفرق، غير الاثني عشرية أو الجعفرية. لا أدري أين ميزانك؟ ولماذا اختزلت الفكر الشيعي في مذهب واحد؟ وأنت تطلق مصطلح الشيعة.. إلى من تصرفه يا شيخ؟

- وهل السنة كلهم رأي واحد وقالب واحد؟ ألا يوجد فيهم أشاعرة ومعتزلة، وأصحاب رأي وأصحاب حديث، ومذاهب أربعة ومع المذهب الظاهري وغيره يكونون أكثر، وفيهم سلفية وصوفية؟ لكنني أعرف أنك - حينما تتحدث عن أهل السنة - تنتمي إلى المدرسة السلفية المنتمية إلى المذهب الحنبلي، وهي جزء لا يبدو

أنه الأكبر من ساحة أهل السنة، وأنت تعلم أنني أنتمي إلى مذهب الإمامية الاثني عشرية وأتحدث عن مذهبهم، وأن عنوان الشيعة حين يطلق ينصرف إليهم، فهم الأكبر مساحة ضمنه فإذا أُريد غيرهم احتاج الأمر إلى قرينة صارفة، فأين الفضفاضية والاختزال أيها الأخ الكريم؟

الصفار والثورة الإيرانية

تركناك وأنت في السعودية تقوم بأدوارك الدعوية بين طائفتك، وبثّ الروح الإسلامية بينهم. كم بقيت هنا في القطيف؟ وإلى أين كانت محطتك التالية؟

- بقيت في القطيف إلى ما بعد عاشوراء مطلع سنة ١٤٠٠هـ، حيث انتقلت إلى طهران في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وذلك في أعقاب الأحداث التي حصلت في القطيف أيام عاشوراء، فقد تفجر غضب أهالي المنطقة ضد الأمريكيين الذين كانت تهديداتهم تتوالى على الجمهورية الإسلامية في أثناء احتلال السفارة الأمريكية في طهران، وكانت أيام عاشوراء فرصة للشباب المتعاطفين مع الثورة الإسلامية في إيران والغاضبين من الهيمنة الأمريكية، ليظهروا مشاعرهم من خلال مواكب العزاء التي تعارف عليها الشيعة في مختلف أنحاء العالم، وكان العزاء ممنوعاً خارج الحسينيات، وهي القاعات التي يجري فيها إحياء مناسبة عاشوراء، لكن الأجواء الحماسية والاندفاع الشبابي وما يختزنه الناس من شعور بالغبن، دفعنا للجرأة بالخروج بمواكب العزاء إلى الشوارع، في أكثر من منطقة، وقد تخلل بعضها بعض الشعارات السياسية إلى حدّ رفع بعض صور الإمام الخميني، والدولة عدّت هذا عملاً سياسياً ونوعاً من المظاهرات، وتوافق ذلك مع ما كان يحصل في الحرم من حادثة جهيمان العتيبي، فاتخذت الجهات الأمنية موقفاً صارماً، ووصل إلى حد إطلاق النار، وسقط عدد من الضحايا، كما تم توقيف عدد كبير من المشاركين أو

المتهمين بالمشاركة في هذه المسيرات التي حصلت في أكثر من منطقة.. في القطيف وفي صفوة وفي سيهات وفي مناطق مختلفة.. فكان ذلك سبباً لتشنج الأوضاع ولخروجي من البلد.

اسمح لي يا شيخ حسن. لكأنك تبسّط الأمور إلى حدود لا يتقبلها عقل. لو انتقلت أنت حسن الصفار إلى موقع الرسمي ونظرت إلى هذا الأمر مستصحباً الظرف السياسي الحسّاس، سواء من قبل حركة جهيمان السلفية المتشددة أو من أجواء الشحن الثوري الإيراني ودعوة الخميني إلى تصدير الثورة وخصوصاً في الخليج. لا أبررَ هنا للسياسي بقدر ما أضع الأمور في نصابها. ثمة شحن شديد، وكان لا بدَّ للرسمي من أن يحزم ويكون صارماً وإلا ستفلت الأمور، فالقضية كانت ستأخذ منحىً سياسياً يهدد وحدة الوطن. وليست - كما قلت - مجرد رفع الجرأة في ممارسة العبادات؟

- حديثي عمّا حصل كان استرسالاً ضمن الإجابة على سؤال آخر، وما ذكرته هو صورة توصيفية مختصرة، ولست بصدد التحليل والمناقشة للحدث. فليس في الأمر تبسيط كما لا داعي للتضخيم والتهويل الذي أشرت أنت إليه.

وإذا كانت الأمور يحكم عليها بنتائجها فقد أدى ذلك الحزم والصرامة إلى تصعيد في الحالة، تبلورت على شكل عمل معارض في الخارج، استمر حوالي أربعة عشر عاماً، حتى تم التفاهم مع الحكومة وعاد الإخوة إلى البلاد عام ١٩٩٤م.

المعارضة في المنطقة

عفواً يا شيخ حسن، ما هذا؟ أتريد أن تفوّت عليَّ ضربتي الصحافية ببضعة أسطر، وتختزل أكثر من أربع عشرة سنة مهمّة من تاريخ شيعة السعودية السياسي بسطور قلائل؟ حنانيك يغفر الله لي ولك. سأقف مع سنوات معارضتكم بالتفصيل،

وأسأل: أكانت للحكومة الإيرانية آنذاك يدٌ طولى في دعمكم و توجيهكم إلى هذه المعارضة للحكومة السعودية أم إنها فقط مجرد مستضيف كما فعل الملك فيصل - رحمه الله - بالإخوان المسلمين؟

- من حقك كصحفي أن تحرص على ما يخدم دورك المهني الإعلامي، ولكنني حريص على الإخلاص لهذه القضية الوطنية ضمن الظروف الحساسة المعاشة.

أما سؤالك عن الدور الإيراني، فأجواء الثورة آنذاك كانت ملتهبة ضد الأمريكيين، وتفاعلات احتلال السفارة الأمريكية وأزمة الرهائن الأمريكيين، ومحاولات التدخل العسكري الأمريكي، جعلت لغة التعبئة والحماس والثورة هي الحاكمة على الإعلام الإيراني، الذي كان يجد أصداءه في المنطقة ومختلف بلدان العالم الإسلامي، كما هو واضح لمن عايش تلك المرحلة أو قرأ عنها.

لكن الإيرانيين كانوا مشغولين بأنفسهم، ولم يتمكنوا بعد من إنجاز بناء دولتهم الجديدة، ثم حصلت عندهم مشكلات داخلية عاصفة، وفاجأتهم الحرب العراقية، لكل هذه الأمور لم يكن هناك توجه إيراني لتبني دعم معارضة للمملكة، كنا نستفيد من فرصة البقاء في إيران، ونستغل فرصة عدم إحكام أجهزة السلطة الجديدة سيطرتها على الأمور لممارسة نشاطنا الإعلامي والسياسي، وإذا كان الملك فيصل قد وفّر للإخوان المسلمين الذين استضافتهم المملكة بعض الوظائف، وعيّن لهم مخصصات مالية كما فهمت من كلامك، فإننا لم نحصل على مثل ذلك في إيران، فكنا نتحمل نفقات حياتنا وعملنا بأنفسنا، ولم ينخرط أحد منا في أي وظيفة رسمية أو أهلية، بل واجهنا صعوبات كبيرة على المستوى القانوني لتحصيل الإقامات، حين بدأت تترتب أوضاع الأجهزة الأمنية هناك.

نعم كانت لنا صداقات وعلاقات مع بعض العلماء والقيادات الثورية كما أشرت سابقاً، وكنا نستفيد منها لتمشية بعض أمورنا.

ولم يُبدِ الإيرانيون اهتماماً بالوضع في المملكة إلا بعد ما حصل في مكة للإيرانيين في حج عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م. ونحن قررنا الخروج من إيران حتى لا نكون أداة في الصراع الذي سيدور، وحتى لا نكون ضمن معركة الطرف الإيراني ضد الحالة في المملكة. خرجنا من إيران وانتقلنا إلى سوريا وإلى لبنان، وبعض إخوتنا انتقل إلى أوروبا حتى نحافظ على استقلاليتنا، وحتى لا نكون أداة في صراع لم نكن نحب أن نكون فيه.

كم كان عدد الذين ذهبوا معك إلى إيران؟

- من الصعوبة بمكان الحديث عن عدد معين.

بالتقريب؟

- الذين انخرطوا في عملنا السياسي والإعلامي، كان عددهم محدوداً، ويقدرون بالعشرات، لكن هناك مجاميع التحقت بنا وتوجهت لدراسة العلوم الدينية، وبعضهم جاء هرباً من الملاحقة في البلاد، وبعضهم بقي مدة يسيرة وعاد للبلاد، والمجموع يمكن تقديره بالمئات.

كيف هي أشكال المعارضة التي مارستموها، وهذا للتاريخ يا شيخ حسن، هل ما يفعله سعد الفقيه مثلاً.. مجرد إذاعة وبيانات؟

- كان عملنا في الخارج يقتصر على المجالات الآتية:

تربية الكوادر الفكرية والسياسية والإدارية.

النشاط الإعلامي والثقافي عبر الكتب والمجلات وتسجيل الأحاديث والمحاضرات.

التحرك السياسي بشرح قضيتنا لمختلف الأطراف والأوساط.

وكنا نرفض العنف كنهج للمعارضة، لذلك لم نقترب منه، ولم نَدعُ إليه ولم نؤيده، والمرجعية التي كنا ننتمي إليها وهو السيد الشيرازي كان يرفع شعار اللاعنف ويحذر منه، وقد كتب وحاضر كثيراً ضد أسلوب العنف والعمل العسكري؛ لأن ممارسته داخل المجتمع مخالفة لتعاليم الدين، وسبب لانتهاك الحرمات، وفقدان الأمن، ويسبب ردة فعل عند الناس ضد مرتكبيه، وغالباً لا يوصل إلى نتيجة صالحة.

الوعي السياسي هل كان غائباً؟

لتوك قلت بأنه عندما تأزمت الأمور السياسية بين السعودية وإيران نأيتم بأنفسكم أن تدخلوا في الصراع. اسمح لي بإبداء اعتراض أو استفسار جاش بصدري ولا بدّ من أن أصارحك به. لا أدري يا شيخ حسن ألم تستشعروا قبل هذا التأزم بأنكم كنتم ورقة سياسية في يد طهران ضد السعودية؟.. بكل صراحة أنا لم أستطع أن أستوعب ما قلت.. هل كنتم بهذا الفكر السياسي الذي لا يميز ذلك؟

- لم يكن هناك صراع آنذاك بين إيران والمملكة، ولم نكن نشعر أننا ورقة بيد أحد، ولا نقبل بذلك، لكن هناك حقيقة أودّ الإشارة إليها، وهي أن الأوضاع في أي بلد إذا لم تستوعب أبناءه فإن ذلك قد يدفعهم للارتماء في أحضان الآخرين، كما أن العلاقة مع الآخرين قد تكون علاقة التقاء مصالح يستفيد منها كلا الطرفين، وعلى المواطن الصادق أن يحرص على الإخلاص لوطنه، وأن لا يكون منفذاً لأي إرادة أجنبية ضد مصلحة الوطن.

عفواً.. عفواً.. ولكن ثمة تأزم ملموس وواقع بسبب دعم المملكة للعراق، وكان ذلك معلناً؟

- صحيح، وذلك ما أعطانا فرصة للبقاء في إيران والعمل السياسي والإعلامي، لكن الإيرانيين كانوا حذرين في فتح جبهات واسعة، فما كانوا يريدون

التصعيد مع دول المنطقة، وكانت الحرب ترهقهم، والضغوط الأمريكية والغربية شديدة عليهم، لذلك لم يتجهوا للتصعيد مع المملكة قبل أحداث مكة. وعندها انتقلنا إلى سوريا ولبنان، وانتقل بعض الإخوة إلى بريطانيا.

سامحني يا شيخ حسن. والله مع مكاشفاتك وفي هذه الحلقة بالذات توّهت بي السياسة. فما زلت متحيراً ولم أستوعب ذهابكم إلى سوريا بالتحديد، وهي التي لها علاقات قوية واستراتيجية مع السعودية.. ألم تخشوا مثلاً على أنفسكم في حال طلب الحكومة السعودية تسليمكم إليها؟

- اخترنا سوريا لأنها البلد العربي الوحيد المتعاطف مع إيران في الحرب العراقية الإيرانية، وكان يقصدها الزوار والسيّاح السعوديون مما يعطينا فرصة التواصل مع المجتمع، كما أن المعيشة فيها مريحة وسهلة، إضافة إلى وجود حوزات علمية شيعية في منطقة السيدة زينب قرب دمشق.

اخترناها لتكون مكاناً لمعيشتنا، لا لكي نمارس فيها عملاً سياسياً، فذلك ما لا يسمح به السوريون، لكن قرب لبنان كان يوفر لنا المجال المفقود في سوريا.

وكانت سياسة السوريين احترام اللاجئين والمقيمين مادام وضعهم قانونياً، ولا يمارسون نشاطاً ضد بلدانهم، وكمثال على ذلك فإنه - ومع شدة التحالف السوري الإيراني - كان هناك في سوريا بعض الإيرانيين المخالفين للجمهورية الإسلامية.

بالطبع كان في بقائنا في سوريا نسبة من المغامرة، ولكن ثقتنا بموقفنا وإخلاصنا لقضيتنا كان يساعدنا على تحمل تلك الدرجة من الاحتمالات.

سأتطوع بتقديم رؤية عن تفسير قبول سوريا بكم، ولك يا شيخ حسن أن تصحح لي أو تخطئني.. أشعر كأنه نوع من الرد غير المباشر لاحتضان المملكة لمجموعة الإخوان المسلمين السوريين في أوائل الثمانينيات.. فكانت رداً من السوريين في احتضانكم؟

- لا أدري ماذا كان يدور في أذهان المسؤولين السوريين، ولكنهم كانوا يتعاطون مع وجودنا كجزء من الحوزات العلمية في منطقة السيدة زينب، حيث كنا نمارس الدراسة والتدريس والنشاط الثقافي الاجتماعي لا غير.

كم سنة مكثتم في سوريا؟

- مكثت في سوريا حوالي ست سنوات (١٤٠٩-١٤١٥هـ).

هل كانت لك علاقات هناك مع المرجعيات الشيعية؟ وهل كانت لحزب الله فروع هناك؟

- لا توجد في سوريا مرجعيات شيعية وإنما هناك حوزات علمية، أبرزها الحوزة التي أسسها السيد حسن الشيرازي عام ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م وهو شقيق المرجع السيد محمد الشيرازي، وقد أسسنا حوزة خاصة بشبابنا باسم (حوزة الإمام الصادق) في منطقة السيدة زينب.

ويوجد هناك مكاتب لممثلي المرجعيات الشيعية وكنت على صلة وثيقة بهذه المكاتب، وبمعظم ممثلي المراجع الكرام.

أما حزب الله فلا أعلم عن وجود فرع له في سوريا.

سلافة التجارب وعصارة السنين

هذه الحقبة التي نتحدث،لا شك في أنها شهدت كثيراً من الطرح العاطفي المندفع في تأييد الثورة الإيرانية وأدبياتها وفكرة تصدير الثورة، واجتاحت الساحتين العربية والإسلامية بطوفان من تأجيج كاسح انتهى فورته الآن بما ترى. أنا الآن أمام الشيخ حسن الصفار بعد كل تلك التجربة الطويلة والعميقة.. كيف تنظر إلى تلك الحقبة؟ وخطاباتك وشعاراتك أمازالت متقدة لديك أم إن الأيام

والتجارب علمتك أن تتراجع عن بعضها وأن تغيّر طرائق دعوتك؟ و في ذات الإطار ما هي نصيحتك التي ستقدمها للأجيال الجديدة من طائفتك وللشباب الإسلامي عموماً، كي لا يقعوا في أخطائك وكيما يستفيدوا من نواحي تجربتك الإيجابية؟

- أعتقد أن ما كنا نمارسه في تلك المرحلة كان من وحي قناعاتنا، وكان يمثل الاستفادة المناسبة من تلك الظروف التي استجدت على الساحة الإقليمية والإسلامية، ولست نادماً على التفاعل مع الثورة الإسلامية الإيرانية، فأنا أنظر إليها كإنجاز متقدم للصحوة الإسلامية، وأنها جاءت في سياق تمسك الأمة بدينها وأصالتها، ورفض التوجهات الغربية والهيمنة الأمريكية، وكثيرون في العالم الإسلامي من السنة والشيعة نظروا إليها بمثل هذه النظرة. يبقى الكلام عن أخطاء وقعت فيها الثورة والنظام الإيراني، وهذا أمر وارد، وخاصة في المرحلة الأولى، ومع الظروف الحرجة التي واجهتهم، وكان يجب مساعدتهم لتجاوز تلك الأخطاء، لكن المؤسف أن النظرة الطائفية من جهة، والتأثر بالإعلام الأجنبي من جهة أخرى هو الذي جعل التفاعل مع الحالة الإسلامية الإيرانية محل تساؤل ومثار استفهام.

لقد اتضح أن الذين قادوا المواجهة لإيران هم الذين قادوا فيما بعد المواجهة مع المملكة العربية السعودية، كالنظام العراقي الزائل، والإدارة الأمريكية، مما يدل على استهداف الإسلام وخيرات المنطقة.

هذا فيما يرتبط بنظرتي إلى تلك المرحلة.

أما عن مدى التزامي بخطاب ونهج تلك المرحلة، فإن الإنسان يتكامل ويتطور من خلال التجربة والمعرفة، كما أن المراجعة والنقد الذاتي أمر ضروري لسد الثغرات وتجاوز الأخطاء، ثم إن تغيّر الظروف والأوضاع يستدعي تغيراً في الخطاب والنهج، وكلنا نعلم أن نهج النبوة في العهد المدني يختلف عنه في العهد المكي، في بعض الخصائص والجوانب.

إنني أنصح نفسي وإخواني من أبناء الأمة بأن لا ينطلقوا في مواقفهم من الاندفاع والحماس وحده، بل يُعملوا عقولهم ويأخذوا خصائص بلدانهم ومجتمعاتهم بعين الاعتبار، فالأسلوب الناجح في بلد ما قد لا يكون صالحاً لبلد آخر.

هل الصفار هو خميني القطيف؟

دعني هنا أحشرك في الزاوية، كما نقول في أدبياتنا الصحافية، وأتساءل يا شيخ حسن: إن من يقرأ تأييدك الصارخ للخميني والثورية التي كانت عليه ربما يقول الآن: إن الشيخ حسن الصفار سيمتثله هنا في القطيف، وسيقوم بالدور نفسه الذي قام به الخميني.. كيف تعلق على هذا؟

- في هذا الطرح كثير من التسطيح والتبسيط، فلا وجه للمقارنة والمقاربة إطلاقاً، لا في الصفات الشخصية، ولا في نوعية البيئة الاجتماعية، ولا من حيث طبيعة الظرف السياسي.

فالإمام الخميني فقيه ومرجع، وأنا مجرد طالب علم صغير، وهو انطلق من قاعدة شعبية كبيرة حيث الأكثرية الشيعية في إيران، بينما أعمل ضمن مجتمع شيعي محدود، وكان يواجه نظاماً شاهنشاهياً أراد فرض التغريب على الشعب المسلم، وارتبط مع الكيان الصهيوني، بينما نعيش في ظل نظام يواجه ضغوطاً من الغرب، ويرفض الكيان والعدوان الصهيوني. إلى جوانب كثيرة من الاختلاف والتفاوت.

وإذا كان مراجع الشيعة في العراق الآن لا يتبنون استنساخ التجربة الإيرانية للفوارق الموضوعية بين البلدين، فكيف بالبلدان الأخرى؟

وإذن يا شيخ حسن، هل لي أن أتساءل عن النهج الذي تنتهجونه هنا في السعودية، وأتساءل عنك تحديداً؟

- برامج عملنا بعد العودة إلى الوطن تحددت في أربعة اتجاهات:

الأول: الإصلاح داخل المجتمع، بنشر الوعي والثقافة السليمة، عبر الوسائل المتاحة، ودعم المؤسسات الخيرية الاجتماعية، وتشجيع كل ما من شأنه نفع المجتمع وخدمة تقدمه.

الثاني: الانفتاح على المحيط الوطني، بإقامة جسور العلاقة مع بقية المواطنين، لتجاوز حالة القطيعة المذهبية، والانغلاق الطائفي، وإنتاج الخطاب والثقافة المؤصلة والداعمة لهذا الاتجاه.

الثالث: التواصل مع المسؤولين وقيادات الدولة، لمعالجة القضايا العالقة، والمشكلات القائمة، بما يخدم التلاحم بين القيادة وشرائح المواطنين.

الرابع: الإسهام في الشأن الوطني العام على مختلف الأصعدة.

نأتي على الجانب الثاني الذي ربما يهمّ متابعاً مثلي. لكم بعض الفتاوى الخاصة في قضية الاندماج في المجتمع، وإن كان في الجانب الأول لكم رؤى تجديدية كفتواكم في عاشوراء والتبرع بالدم وغير ذلك، هلا أوضحتم لنا هذه الفكرة؟

- الاندماج الوطني قضية ملحّة، يجب أن يبذل كل الواعين أقصى جهودهم من أجل خدمتها وتحقيقها. فهذا الوطن الواسع الكبير، الذي تحققت وحدته وقام كيانه على يد المؤسس الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، يضم مناطق عديدة، ومجتمعات مختلفة في بعض خصائصها الجانبية، وإن كانت تنتمي لأصول عربية واحدة، ولدين واحد، هو الإسلام والحمد لله.

لكن الحرص الطبيعي والمشروع لكل مجتمع على خصوصياته يقتضي احترام هذه الخصوصيات، واتساع بوتقة الوطن للجميع، بالتأكيد على القاسم المشترك،

والهويّة الوطنية الواحدة التي تحترم الخصوصيات ولا تقمعها. وحين تضعف هذه الحالة لصالح خصوصية معينة، يزداد تمسك الآخرين بخصوصياتهم، فيصبح الوطن ساحة صراع بين الخصوصيات أو الهويّات الفرعية، على حساب الهويّة الوطنية، كما أن وجود ثقافة تنال من الآخر الوطني، وتعبئ ضده لاختلاف مذهبي أو فكري، يعوق تحقق الاندماج الوطني، ويحول بعض فئات الشعب إلى (كانتونات) تتكفئ على نفسها، وتتعزل عن محيطها.

إن الوحدة الوطنية على أساس الإسلام هي أمانة في أعناقنا جميعاً، وعلينا مسؤولية تأكيدها وتجديدها وإزالة أي غبار يلحق بوجهها الناصع.

من هذا المنطلق شغلني هذا الهم الإسلامي الوطني، فألقيت حوله الكثير من المحاضرات، داعياً أبناء مجتمعي إلى الانفتاح أكثر على محيطهم، وإلى إبراز ولائهم الوطني، وتعزيز مشاركتهم في الشأن العام، ومطالباً المناخ الوطني الرسمي والديني بالاهتمام أكثر بهذه القضية الخطيرة، ومعالجتها بعناية خاصة، لتجاوز آثار الحقبة الماضية، ومواجهة تحديات الظرف الحاضر.

وكتبت عدداً من الكتب والأبحاث تتناول الموضوع من زواياه المختلفة مثل (التعددية والحرية في الإسلام) و(التسامح وثقافة الاختلاف) و(التنوع والتعايش) و(السلم الاجتماعي مقوماته وحمايته) و(كيف نقرأ الآخر) و(الحوار والانفتاح على الآخر) و(التطلع للوحدة) وغيرها.

وبحمد الله فإن دعوة سمو ولي العهد للحوار الوطني، ومشاركة بعض الدعاة والمثقفين في طرح هذه المفاهيم والأفكار، عبر الصحافة والكتابات، هيأ الساحة الوطنية أكثر من السابق لتحقيق حالة الاندماج وتعزيزها.

أما مبادرتنا بالدعوة إلى التبرع بالدم في عاشوراء كل عام، فقد لقيت استجابة هائلة من قبل المواطنين الشيعة، يفوق استعدادات بنك الدم الإقليمي. بدأناها في

القطيف من سنة ١٤١٦هـ، وامتدت إلى الأحساء سنة ١٤٢٤هـ، وإلى البحرين قبل ثلاث سنوات، وكذلك إلى منطقة السيدة زينب في سوريا، وأرجو أن يصبح يوم عاشوراء يوماً عالمياً للتبرع بالدم، في أي مكان وبلد يوجد فيه من يهتم بهذه المناسبة، يبادر إلى التبرع بدمه لصالح المرضى من بني البشر.

وهي ليست فتوى؛ لأنني لست في مقام المرجعية والإفتاء، وإنما هي دعوة لاستثمار مشاعر التفاعل مع ذكرى استشهاد الإمام الحسين ﷺ بما ينفع الناس.

مظاهر عاشوراء والصورة السلبية

لكأنك ضد ما تفعله طائفتكم، وتتناقله وسائل الإعلام في عاشوراء، من إسالة الدماء وخدش رؤوسهم بالخناجر ومظاهر تعطي صورة سلبية عنكم.

- هذه المظاهر التي تحصل في بعض المجتمعات الشيعية في عاشوراء، هي مورد خلاف داخل الطائفة، فقد كتب ضدها أحد أبرز علماء الشيعة السيد محسن الأمين العاملي (١٢٨٤-١٣٧١هـ) من لبنان كتاباً بعنوان (التنزيه)، كما أصدر الإمام الخميني أمراً بمنعها، وكذلك السيد الخامنئي القائد الحالي للجمهورية الإسلامية، وكذلك السيد فضل الله المرجع البارز في الساحة اللبنانية، من منطلق أن هذه الممارسات إيذاء للنفس، وتشويه للصورة أمام الآخرين. لكن مراجع وعلماء آخرين في الطائفة يؤيدونها ويرونها وسيلة صارخة لإحياء المناسبة، وجذب الأنظار لها، وتدخل ضمن عناوين إبراز المودة لأهل البيت والتعاطف مع ظلامتهم، ويردون على المعترضين بأنه ليس مطلق الإيذاء للنفس حرام، وإنما هو الإيذاء الذي يصل إلى تلف النفس أو تلف أحد الأعضاء، أو حصول مرض، وإننا لا يصح أن نتنازل عن شعائرنا إرضاء للآخرين عنا.

بالنسبة لي شخصياً أنتمي إلى المدرسة الأولى، وأرى أنه مادام ليس هناك نص ثابت لأحد أئمة أهل البيت يدعو إلى هذه الممارسة وإنما هي مجرد مظهر وأسلوب تكوّن في بيئة اجتماعية معينة للتعبير عن عنوان الولاء والمودة لأهل البيت، فإن المظاهر والأساليب قابلة للتغيير والتطور، كما أنني أرى أهمية تقديم الصورة الحسنة المشرقة للمذهب والطائفة كما يقول الإمام جعفر الصادق فيما روي عنه: «كونوا زيناً لنا ولا تكونوا علينا شيناً» مادام ليس على حساب الثوابت والقضايا الأساسية، ولا أعتقد أن هذه منها.

لكنها تبقى وجهة نظر، وكما قلت سابقاً: لست في مقام المرجعية والإفتاء.

وطالما نحن في مسألة التوافقية، لدي سؤال صريح حيال عدم صلاة الشيعة مع السنة، على الرغم من أن هناك فتوى شهيرة للخميني أزالت عنكم هذا الحرج بجواز الصلاة خلف أئمة الحرم المكي والنبوي؟

- بلى، الشيعة يصلون خلف أئمة الحرم المكي والنبوي عندما تقام الصلاة. وكذلك في سائر الأماكن، فالنصوص الواردة عن أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - وفتاوى مراجع الشيعة تدعو الشيعة للمشاركة في صلاة الجماعة مع إخوانهم السنة حينما يحضرون مكاناً تقام فيه الصلاة.

أما في أماكن استقرارهم فمن الطبيعي أن تكون صلاة جماعتهم بإمامة علمائهم، كما هو الحال بالنسبة لأهل السنة، فإن لهم في المناطق الشيعية كالقطيف وقراها مساجد خاصة بهم ولا يصلون مع أئمة الشيعة.

أشير هنا إلى أن الشيعة أحياناً يواجهون بعض المشكلات حينما يصلون في المسجد النبوي مثلاً، حيث إن رأي المذهب الشيعي عدم صحة السجود إلا على الأرض أو ما أنبتت الأرض غير المأكول والملبوس، ولأن أغلب مساحة المسجد النبوي

مفروشة بالسجّاد، فإنهم يضطرون إلى وضع حجر أو خشب أو ورقة يسجدون عليها، وهذا ما لا يتحمله بعض الناس منهم، ويضيق ذرعاً حتى بالاختلاف في هذه المسألة الجزئية.

ومن المشكلات التي يواجهها الشيعة في الصلاة جماعة مع إخوانهم السنة أن بعض الأئمة في خطبهم ينالون من الشيعة، ويعبئون ضدهم، ويصفونهم بالشرك والضلال والابتداع، وهل يقبل إنسان بالصلاة خلف من يكيل له هذه الاتهامات؟

لقد حدث أن انسحب وفد شيعي رسمي من خارج البلاد من صلاة الجماعة حينما استغرق الخطيب في مثل هذه الإساءات البغيضة.

نرجو أن تتضافر الجهود لمعالجة هذه الإشكاليات؛ لتكون صلاة الجماعة مظهراً لوحدة الأمة واجتماع شملها إن شاء الله.

عوداً إلى سوريا، كيف كانت عودتكم؟ وهلا حدثتنا بالتفصيل عن أسباب وكيفية رجوعكم للمملكة؟

بعد احتلال العراق للكويت واستعانة المملكة بقوات التحالف لحماية المملكة وتحرير الكويت، دخلت المنطقة وضعاً جديداً، ورأينا الخطر محدقاً ببلادنا، خاصة مع موقعية المنطقة الشرقية الحساسة، وقد بذل النظام العراقي الزائل جهوداً مكثفة لاستمالتنا نحو موقفه، بأن نعارض مجيء قوات التحالف، ونصعّد معارضتنا للنظام في المملكة، واتصلت بنا حركات إسلامية سنية كثيرة تشجعنا على ذلك، لأن الموقف العام عندهم كان بهذا الاتجاه، ولكننا درسنا الأمر بموضوعية وبروح وطنية، فقررنا أن ننحاز لوطننا، وأن نقف معه في وقت المحنة والشدة، فأعلنت في تصريح بثته وكالة رويتر للأنباء في وقته، بأننا وإن كنا نعاني كطائفة من بعض المشكلات، إلا أن ذلك لا يعني أن نقف مع العدوان العراقي أو نبرر له، ورفضنا كل الإغراءات،

وطالبنا مجتمعنا في المنطقة الشرقية بالتطوع للدفاع عن الوطن، وبحفظ الأمن والاستقرار في ذلك الظرف الحساس، هذا الموقف قابلته حكومة خادم الحرمين الشريفين بالتقدير، وكان هناك بعض الوسطاء مثل سفير المملكة في سوريا الأستاذ أحمد الكحيمي الذي كان له دور طيب، والدكتور ناصر المنقور سفير المملكة في لندن قبل الدكتور غازي القصيبي، وبعض الإخوة في أمريكا التقوا أيضاً مع السفير السعودي الأمير بندر بن سلطان، فتكثفت اللقاءات وتكثف التواصل بيننا وبين الدولة تقديراً منا للظرف الذي يمر به البلد وتقديراً من الدولة للموقف الوطني الذي اتخذناه، ثم تفضّل خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - وبعث مندوباً من جهته إلى لندن، داعياً الإخوة للقاء الملك مباشرة للاطمئنان إلى موقف الحكومة واهتمامها بالأمر، وسافر بالفعل أربعة من الإخوة إلى جدة حيث حظوا بلقاء خادم الحرمين الشريفين في سبتمبر عام ١٩٩٣م وسمو وزير الداخلية، وسمو أمير المنطقة الشرقية.

لا أدري.. يا شيخ حسن، وأنا أعدّ لهذه المكاشفات، لكأن بعض المصادر ذكرت دوراً للدكتور غازي القصيبي وهو المتعاطف دوماً مع طائفتكم. هلا أجليت لنا الأمر؟

- لا لم يكن ضمن الوسطاء. ونحن نقدر جداً تعاطفه مع ما يخدم الوحدة الوطنية، فقد نشأ في منطقة الأحساء، وعاش مع الشيعة هناك، وكذلك في البحرين.

عوداً للإخوة الأربعة الذين بعثتموهم. أستأذنك في سرد أسمائهم بسبب التوثيق التاريخي الذي اتفقنا عليه.

- هم الدكتور الشيخ توفيق السيف، والمهندس جعفر الشايب والأستاذ عيسى المزعل والشيخ صادق الجبران. وعادوا بانطباعات إيجابية، وأصدر خادم الحرمين

الشريفين أمراً بإطلاق سراح المعتقلين من الشيعة ضمن الأحداث السابقة، وعفواً عن الموجودين في الخارج ليعودوا بكل أمان، ورفع حظر السفر عمّن كان ممنوعاً. إضافة إلى الوعود بمعالجة المشكلات التي يعاني منها المواطنون الشيعة. وهكذا أنهينا نشاطنا في الخارج، وعدنا بحمد الله إلى الوطن لنتفيأ ظلاله.

على الرغم من أنك في الحلقة الثانية من المكاشفات كنت تقول بأننا في الحقبة التي نعيش فيها لا توجد مجموعة شيعية معارضة وإنما هي مجرد أصوات مبعثرة هنا وهناك لا تمثل الشيعة؟

- تأخير المعالجة والحل للمشكلات أصاب بعض الإخوة بالإحباط، وربما حصل عند بعض الأفراد شك في الجديّة، وفي أن الأمر لا يعدو استيعاب الدولة لتلك الحالة، وحتى على مستوى الجمهور الشيعي، نواجه إحراجاً وتساؤلات من قبل الناس الذين انتعشت آمالهم بمعالجة ما يعانون من المشكلات فصدمتهم حالة التأخير والتباطؤ، في مثل هذه الأجواء قد تنبعث بعض الأصوات المعارضة، وقد تلقى بعض التجاوب والقبول، لكننا نأمل في قطع الطريق على هذه التوجهات بالاهتمام الجادّ بمعالجة ما يشكو منه هؤلاء الناس، فهم مواطنون من حقهم أن يتمتعوا بالكرامة والخير في وطنهم.

بيان (شركاء في الوطن)

ولا يصح، ونحن إزاء هذه المكاشفات المطولة إلا أن نتعرض لموضة البيانات التي اجتاحت مجتمعنا منذ ثلاث سنوات ونيف. أصدرتم بياناً العام الماضي أسميتموه (شركاء في الوطن) تحدثتم فيه عن مطالبكم كشيعة.. بودي معرفة أسباب إصداركم هذا البيان.. وهل للأمر علاقة بالأجواء السياسية التي تمر بها المملكة؟ ولربما قال بعض الإخوة: إنها نوع من الانتهازية للظرف السياسي والمجتمعي الذي تمر به الدولة. فما هو تعليقكم؟

- وثيقة (شركاء في الوطن) لم تكن بياناً، وإنما هي رسالة سلمت إلى سمو ولي العهد عبر وفد يتكون من ١٨ شخصية شيعية، من القطيف والأحساء والمدينة المنورة، وقد انطلقت الرسالة التي وقعها ٤٥٠ شخصية من منطلق إعلان الولاء للوطن، والوقوف مع الدولة في مواجهة التحديات الخارجية، كما ركزت الرسالة على ضرورة تدعيم الوحدة الوطنية، والتلاحم بين الشعب والقيادة، وأن الشيعة هم جزء لا يتجزأ من هذا الشعب والوطن، ويجب أن تفسح لهم مجالات الخدمة على جميع الأصعدة كبقية مواطنيهم دون تمييز أو تهميش، وأن تحترم خصوصيتهم الدينية المذهبية.

وكان استقبال سمو ولي العهد حفظه الله رائعاً جميلاً إذ طمأن الجميع بأنه مهتم شخصياً بالأمر، وأشاد بوطنية الشيعة، ورفض المزايدات عليهم دينياً ووطنياً. وأخبرنا عن عزمه على الدعوة إلى لقاء للحوار الوطني.

أما وصف هذه الرسالة ومطالبها بأنها نوع من الانتهازية فهي (شنشنة أعرفها من أخزم) فكل الجهات والأطراف تصدر بيانات، وتقدم رسائل وعرائض، فإذا ما عرض الشيعة قضاياهم أمام ولاة الأمر وصفوا بالانتهازية واستغلال الظروف فإلى الله المشتكى.

عفواً.. وبعيداً عن الحساسية الطائفية والمناطقية حتى.. التهمة أطلقت على الكل يا شيخ حسن.. في هذا تساويتم مع الآخرين؟

- إذا كان كذلك فيحق لي أن أدافع عن الكل، حيث لا يصح اتهام النوايا، ولا أن يضيق الوطن ذرعاً بأصوات أبنائه، فإن المسؤولين في البلاد يفخرون بسياسة الباب المفتوح، فلنشجع المواطنين على التخاطب مع قياداتهم وولاة أمورهم، ففي ذلك تحقيق لمبدأ النصيحة، وتفويت الفرص على الأعداء.

هل من كلمة أخيرة في نهاية هذه المكاشفات؟

أشكركم على إتاحة الفرصة من خلال مكاشفاتكم لمناقشة هذه القضايا التي تهمنا كمسلمين نواجه التحديات العاصفة، وكمواطنين نحرص على أمن وطننا واستقراره، وأرجو أن تساعد مثل هذه المكاشفات على فهم متبادل أفضل، وأن تبلور لدينا جميعاً إرادة الحوار والتعاون على البر والتقوى، ولم أقصد بشيء من إجاباتي تجديد السجال المذهبي والجدل الطائفي المزمن، وإنما أردت توضيح الصورة لكي يعرف الطرف الآخر بأن للآخرين وجهة نظرهم وبراهينهم وأدلتهم، وأدعو إخواني الدعاة والمثقفين للاهتمام بمساحات الاتفاق والوفاق الواسعة بين مذاهب الأمة وأبنائها، بدل التركيز على نقاط الاختلاف المحدودة، سيبقى هناك متطرفون من المذاهب شتى، لكنّ العقلاء والمعتدلين من كل الأطراف عليهم أن لا يتركوا الساحة ملعباً لقوى التطرف والتشدد. وأن يرفعوا أصواتهم ويكثفوا جهودهم لإنقاذ الأمة من هذا الواقع الصعب الذي تعيشه.

والحمد لله رب العالمين.

*****

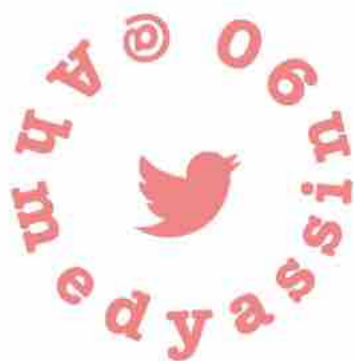
عبدالكريم علي الحطاب(*)

مفتتحاً باب السجال مع الشيخ الصفار: (١-٣)

- التقية في الإسلام أشد حرمة من أكل لحم الخنزير، وهي لدى أهل السنة رخصة ولديكم ركن.
- لا مقارنة بين حال الشيعة في المملكة وبين معاناة أهل السنة في إيران.

(*) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ١ رمضان ١٤٢٥هـ - ١٥ أكتوبر ٢٠٠٤م.

(*) باحث سعودي متخصص في الفرق.



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

اطلعت على الحوار الشائق الذي قامت به (الرسالة) مع الشيخ حسن الصفار أحد أقطاب الطائفة الشيعية في مملكتنا الحبيبة، ولعلنا بمثل هذه الحوارات نخلق نوعاً من الشفافية بين أبناء الوطن الواحد سنة وشيعة مرتكزين على ما قامت به حكومتنا الرشيدة مؤخراً من فتح باب الحوار الوطني بغية الوصول إلى تلاحم مبني على أسس إسلامية شعارها: ديننا ووطننا واحد، فأشكرك على جرأتك التي ربما تواجه بعض النقد عليها، ولكنني أقول: لعلها بشارة خير إذا كنا نريد أن نطرح الأمور على حقيقتها لمعرفة الخير والحق (والحق أحق أن يتبع) بعيداً عن التعصب والإقصاء ومصادرة الرأي والرأي الآخر.

ومن خلال هذا المبدأ أكتب راداً على الشيخ حسن الصفار حول بعض إجاباته التي ذكرها من خلال ملحق (الرسالة) الموافق ١٤٢٥/٨/١٧هـ وأرجو من الشيخ حسن أن يتقبل ردودي ويعقب عليها؛ لأننا في النهاية نريد أن نصل إلى نقطة التقاء واضحة بعيده عن الشعارات البراقة، ولعلي أبدأ بردّ الشيخ حسن على السؤال الذي وجه إليه عن التقية فأجاب: «من المؤسف أن من نتائج الصراع المذهبي التنكر لبعض المفاهيم الدينية» (يعني: التقية مفهوم ديني يجري التنكر له بسبب الصراع المذهبي) ثم استطرد الشيخ في بيان أن التقية موجودة في كتاب الله، وساق أدلتها، وذكر أنها تكون «في موقع يخاف على نفسه الضرر ويحافظ فيها على رأيه وعقيدته حفاظاً على حياته ومصلحته».

أقول: إن دعوى الشيخ حسن أن هنالك من يتنكر لرخصة شرعها رب العزة والجلال في كتابه لعباده وهي (التقية) بداعي التعصب أمرٌ غير صحيح، ولم يقل أحد من أهل العلم أبداً بهذا القول، فلا أعرف من أين أتى الشيخ بهذه العبارة.

وهذه بعض أقوال أهل العلم، ذكر ابن كثير في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ وقوله سبحانه: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ أي: من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم (أي: الكافرين) فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته.

وقال الثوري: قال ابن عباس: ليس التقية بالعمل وإنما التقية باللسان.

ونقل القرطبي في تفسيره: إجماع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان. وذكر أن هذا هو قول مالك والشافعي والكوفيين وقال: أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر فاختار القتل أعظم أجراً عند الله ممن اختار الرخصة (أي: التقية).

هذه بعض أقوال أهل العلم عن التقية، فأين الإنكار بداعي العصبية الذي ذكره الشيخ الصفار؟؟

إن ما ذكره الشيخ عن التقية في لقائه يتفق إلى حد بعيد مع ما ذكره أهل السنة، ولكن الإنكار الذي يعنيه الشيخ بدعوى العصبية هو إنكار التقية بالمفهوم الشيعي، وهو الذي لم يتطرق إليه ولم يوضحه، فخلط الأمرين معاً حتى يوهم القارئ بأن الفريقين يتفقان معاً في المعنى نفسه. وهذا ما سنناقشه بحول الله، ولكن قبل هذا يجب أن نوضح أن التقية في الإسلام أشد حرمة من أكل لحم الخنزير؛ إذ يجوز للمضطر أكل لحم الخنزير عند الشدة، وكذلك التقية تجوز في مثل تلك بحاله فقط، فلو أن إنساناً تنزه عن أكل لحم الخنزير في حالة الاضطرار أيضاً ومات فإنه آثم عند الله، وهذا بخلاف التقية؛ فإنه إذا لم يلجأ إليها في حالة الاضطرار ومات فإن له درجة وثواباً عند الله، فكأن رخصة أكل لحم الخنزير تنتقل إلى العزيمة، لكن لا تنتقل رخصة التقية إلى العزيمة بل إن من مات لدين الله ولم

يحتم التقية فإنه سيؤجر على موته هذا أجراً عظيماً، والعزيمة على كل حال أفضل من التقية، والتاريخ الإسلامي شاهد على ذلك، فما عاناه الحبيب ﷺ من أذى المشركين، وما تحمله الصحابة - رضي الله عنهم - من أذى في سبيل الله لم يجعلهم يتعذرون بالتقية، وهذا دليل على أن العزيمة هي الأصل والأفضل والأحسن.

أما لدى إخواننا الشيعة فلا وجود للعزيمة أبداً، والأمر يختلف تماماً عمّا ذكره الشيخ الصفار في تعريفه لها، فهم حوّلوا التقية من رخصة إلى عقيدة واجبة لا يجوز تركها إلى يوم القيامة، وإن تاركها بمنزلة تارك الصلاة وإنها تسعة أعشار الدين، ومن ضروريات مذهب التشيع، ولا يتم الإيمان إلا بها، وليست رخصة في حال الإكراه كما ذكر الشيخ الصفار، وإنما تكون وتقع من الشيعي لكل من خالفه بالمذهب.

يقول شيخهم الصدوق وهو صاحب أحد الكتب الأربعة المعتمدة لديهم: اعتقادنا في التقية أنها واجبة· من تركها بمنزلة من ترك الصلاة، ولا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله، وعن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة. (الاعتقادات، ١١٤) ويقول العاملي، وهو من كبار علمائهم المعتبرين: الأخبار متواترة صريحة في أن التقية باقية إلى أن يقوم القائم. (مرآة الأنوار، ٣٣٧) ويقول الخميني: وترك التقية من الموبقات التي تلقي صاحبها قعر جهنم، وهي توازي جحد النبوة والكفر بالله العظيم (المكاسب المحرمة، ١٦٢/٢).

وقد نسبوا إلى رسول الله ﷺ وبقية أهل البيت رحمهم الله روايات تؤيد هذا الاعتقاد: فرووا عن النبي أنه قال: تارك التقية كتارك الصلاة (جامع الأخبار، ٩٥ البحار، ٤١٢/٧٥) ومثله عن الصادق أنه قال: لو قلت: إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً (البحار، ١٨١/٥٠، ١٠٣/٦٧ كشف الغمة، ٢٥٢/٣) ورووا: تارك التقية كافر (فقه الرضا، ٣٣٨) وعن الباقر أنه قال: التقية من ديني ودين

آبائي، ولا إيمان – وفي لفظ: ولا دين -لمن لا تقية له (الكافي ٢/٢١٩،٢٢٤) وعن الصادق أنه قال: إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له (الكافي ٢١٧/١، ٢١٧/٢) وقوله: يغفر الله للمؤمنين كل ذنب ويطهر منه الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين: ترك التقية وتضييع حقوق الإخوان (وسائل الشيعة، ٤٧٤/١١، ٢٢٣/١٦). ولم يقتصر الأمر على هذا، بل وضعوا روايات ترغب في العمل بالتقية، فرووا عن الرسول أنه قال: مثل مؤمن لا تقية له كمثل جسد لا رأس له (تفسير العسكري، ٣٢٠) وعن زين العابدين أنه سئل: من أكمل الناس في خصال الخير؟ قال: أعملهم بالتقية (البحار، ٤١٧/٧٥)، وعن الباقر أنه قال للصادق رحمهما الله: ما خلق الله شيئاً أقر لعين أبيك من التقية، والتقية جنة المؤمن (الخصال، ١٤/١) وعنه أيضاً قال: إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله (الكافي، ٢٢٢/٢).

أقول: أين قول الله عز وجل: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ** ﴾.

ويروون أيضاً عن حبيب بن بشير عن الصادق أنه قال: سمعت أبي يقول: لا والله ما على وجه الأرض شيء أحب إليَّ من التقية، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم يكن له تقية وضعه الله (الكافي، ٢١٧/٢).

بل هنالك روايات تشنع وترهب من ترك التقية قبل خروج المهدي المنتظر

فعن الصادق أنه قال: ليس منا من لم يلزم التقية (أمالي الطوسي، ٢٨٧) وعن الرضا أنه قال: من ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا (كمال الدين، ٣٤٦).

وبعد أن عرضنا جزءاً يسيراً جداً من مكانة التقية وعظمها لديهم فأنا أستعجب وأستغرب كيف أن الشيخ الصفار أخذ يورد كلام أهل السنة في التقية ويظهر بأنها من المسلمات لدى الفريقين، وأنهم لا يختلفون عن سائر الفرق

الإسلامية في تعريف التقية بأنها رخصة وقتية يلجأ إليها المسلم في حال الضرورة؟

فكما أوردنا من كتبهم فإن التقية لدى إخواننا الشيعة ليست مشروعة في حال الضرورة فقط، لذلك تراهم قد وضعوا روايات تحث عليها دون توفر أسباب كالخوف أو الإكراه حتى تكون بذلك مسلكاً فطرياً عند الشيعة في حياتهم تصاحبهم حيث ذهبوا، فرووا مثلاً عن الصادق أنه قال: عليكم بالتقية فإنه ليس منا من لم يجعله شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون سجيته مع من يحذره (أمالي الطوسي، ٢٩٩) ويذكر الخميني في معرض كلامه عن أقسام التقية أن منها التقية المداراتية وعرفها بقوله: وهو تحبيب المخالفين وجر مودتهم من غير خوف ضرر كما في التقية خوفاً (الرسائل، ٢/١٧٤، حول أقسام التقية) ولاحظ قوله: من غير خوف ضرر. فهذا يؤكد خلاصة عقيدة التقية عند القوم من أنها لا تعلق لها بالضرر أو الخوف الذي من أجله شرعت التقية، بل قالها صراحةً: إن التقية واجبة من المخالفين ولو كان مأموناً وغير خائف على نفسه وغيره (الرسائل، ٢/٢٠١). ويضيف آخر: وقد تكون التقية مداراةً دون خوف وضرر فِعلِي لجلب مودة العامة والتحبيب بيننا وبينهم (بداية المعارف الإلهية، لمحسن الخرازي، ٤٣٠) ويقول آخر: ومنها التقية المستحبة، وتكون في الموارد التي لا يتوجه فيها للإنسان ضرر فِعلي وآني، ولكن من الممكن أن يلحقه الضرر في المستقبل، كترك مداراة العامة ومعاشرتهم (أجوبة الشبهات، لدستغيب، ١٥٩). وهكذا نجد أن شروط المشروعية كالخوف أو الضرر قد سقطت، وهي أصل جواز التقية، لنتبين شيئاً فشيئاً اختلاف تقية القوم عن مفهومها عند غيرهم من المسلمين. وليس كما فسرها الشيخ الصفار.

وأما تعذر الشيخ حسن بقوله: إن «هذا التوسع فرضته ظروف يعيشونها» ويقصد أن الشيعة عانوا الظلمات كما يذكرون في كتبهم بسبب عقيدتهم وتشيعهم،

فاضطروا للمحافظة على أنفسهم بالتوسع في باب التقية. فهذا الكلام منقوض جملةً وتفصيلاً من جوانب عدة منها:

أولاً: أن التوسع في أحكام الله وشرعه لا يجعل الفرع (رخصة التقية) أصلاً لا يقوم الدين ولا يقعد إلا به وتاركه لا دين له ولا صلاة كما أوردنا من كتبهم.

ثانيًا: أن دعوى وقوع الظلم والبلاء على الشيعة جعلهم يتوسعون في باب التقية مردود عليه؛ لأن هنالك من علماء أهل السنة من تعرض للتنكيل والتعذيب بل السجن، ولم تعرف التقية سبيلاً لهم بل صبروا واحتسبوا، وهذا هو الأصل، قال تعالى: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ** ﴾ وترك الباطل يسود تحت ستار التقية مدعاة لهدم الإسلام، وإليك نماذج ممّا عاناه علماء أهل السنة ولم يتعذروا بالتقية لمعرفتهم بمعناها.

فهذا أبوحنيفة النعمان رضي الله عنه عُذّب حتى قتل في سجن المنصور؛ لأن هواه كان مع أهل البيت، وكان مؤيداً لخروج زيد بن علي على الأمويين ومن بعده لخروج النفس الزكية محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي على العباسيين، وكذلك الإمام مالك رضي الله عنه ضرب بالسياط حتى خلعت كتفه، بسبب التأييد نفسه، وكذلك محنة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه المشهورة في كتب التاريخ أيام المأمون والمتوكل والواثق في مسألة خلق القرآن، التي مات بسببها الكثيرون كمحمد بن نوح في قيده وهو مرافق لابن حنبل حين أعيدا إلى بغداد، فمات في الطريق، ونعيم بن حماد الفقيه المحدث، ويوسف بن يحيى البوطي المصري صاحب الشافعي وخليفته على حلقته اللذان ماتا في السجن، والعالم الجليل أحمد بن نصر الخزاعي الذي قتله الواثق بنفسه بالسيف.

وسرد قصص البلاء والمحن التي نزلت بهؤلاء وغيرهم من علماء أهل السنة قد يطول ويخرجنا عن موضوعنا، ولكننا نريد أن نبين أن هؤلاء وغيرهم الكثير لم

يعتذروا بالتقية؛ لأنهم يعرفون مواضعها، ويعلمون أن صبرهم وبلاءهم فيه من الأجر العظيم، وليس العكس صحيح كما في كتب إخواننا الشيعة.

وقبل أن اختم مقالي أود التنبيه إلى نقطتين طرحهما الشيخ الصفار:

الأولى: دعواه أن يركز التعليم على المشتركات العامة وألا يكون هنالك تحريض ضد الآخر.

والثانية: قوله إن مناهج التعليم الديني في مناطق السنة في إيران تدرس وفق المنهج السني، وليس طبقاً للمذهب الشيعي. وقوله هذا يريد فيه أن كتب أهل السنة في بلادنا الحبيبة تدرس حتى في مناطق الشيعة.

أقول: أما النقطة الأولى فنحن بحاجة قبل طرح مثل هذه المقترحات إلى أن نمد أيدينا لبعض بغية الحق، وأن نفتح صدورنا وقلوبنا، وأن نخلق حوارات حقيقية شفافة بعيدة عن التهجم أو التحريض؛ فرسالة المصطفى ﷺ واحدة ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ**﴾ إذن هنالك خلل لابد من طرحه، فإن وجد أحد منا الحق عند الآخر سلم له، وبعدها تكون مثل هذه المقترحات.

أما النقطة الثانية فلا أعلم إن كان الشيخ الصفار مطلعاً على أحوال أهل السنة في إيران جيداً أم لا؟

فالدستور الإيراني ينص على ما ذكره الشيخ في أن مناطق السنة تدرس فيها كتب أهل السنة، ولكن الواقع غير ذلك تماماً فلا توجد منطقة من مناطق أهل السنة الآن يدرس فيها كتاب واحد من كتب أهل السنة والجماعة، وإذا أردنا أن نعرف حجم الإقصاء والتهميش والمعاناة التي يعيشها أهل السنة هناك فيكفينا أن نعرف أنه يعيش في طهران حوالي مليون شخص من أهل السنة، ولكن ليس لديهم أي مسجد أو مركز يصلون أو يجتمعون فيه، بينما توجد كنائس للنصارى واليهود ومعابد

للمجوس. كل ذلك تحت ذريعة الحفاظ على وحدة المسلمين (السنة والشيعة) وتجنب التفرقة بينهم، في حين أن للشيعة مساجد وحسينيات ومراكز في المناطق التي الأكثرية فيها للسنة. ويجب أن نشير إلى أن هناك مدناً كبيرة ليس فيها أي مسجد لأهل السنة مثل مدن: أصفهان، يزد، شيراز، ساوة، كرمان وغيرها من المدن. والحكومة الإيرانية قد قرّرت عدم السماح ببناء أي مسجد لأهل السنة في العاصمة طهران وفي مشهد وشيراز. فإن حرموا من مسجد يصلون فيه فلك أن تقيس حجم المعاناة وتدركها، ولولا الإطالة لذكرت أرقاماً ومعلومات يشيب الرأس منها عمّا يتكبده أهل السنة هناك، ولكنني أقولها وبكل صدق للشيخ حسن: لا مقارنة أبداً أبداً أبداً بين حال إخواننا الشيعة هنا وبين معاناة أهل السنة في إيران.

*****

عبدالكريم الحطاب مواصلاً مداخلاته (٢ - ٣)

كيف سيرد الشيخ الصفار على هذه الأدلة التي تثبت التجييش الطائفي ضد أهل السنة؟(*)

مرة أخرى نعود مع مكاشفات الشيخ حسن الصفار الثانية بتاريخ ١٤٢٥/٨/٢٤هـ، وكم أتمنى من الشيخ أن يكون لديه الوقت الكافي للتعقيب على ردودي عليه؛ لأننا بحاجة للحوار أكثر من حاجتنا لأي شي آخر، وطالما أننا ملتزمون بآدابه وأخلاقياته فنحن سنبقى أبناء وطن واحد ونريد أن نجسد معنى الوحدة الحقيقة لتكوين قاعدة صلبه تمكننا من الانطلاق ونسيان الإقصاءات التي لم تزدنا إلا نفوراً وغربة مستندين إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾.

تكلم الشيخ حسن حول ما يدرس في الحوزة العلمية من كتب عقدية وذكر منها كتاب (تجريد الاعتقاد) وختم كلامه بقوله: «وكل هذه الكتب تطرح المعتقدات الشيعية بأدلتها بعيداً عن التشنج وتكفير الآخر وتجريحه أو التعبئة ضده»، ولعلي هنا أنقل للشيخ الصفار من الكتاب نفسه ص ٢٥٠ تحت عنوان المسألة التاسعة: أحكام المخالفين: «أقول: مُحاربو علي رضي الله عنه كَفَرَةٌ ومخالفوه فَسَقَة» والكلام لا يحتاج لبيان؛ فهذا نص صريح على كفر أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم، فأين هو البعد عن التكفير الذي ذكره الشيخ فيما يدرس لديهم، ولعلي تعمدت النقل من الكتاب نفسه حتى أوضح أن

(*) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ١٥ رمضان ١٤٢٥هـ - ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٤م.

هنالك خلطاً وإلا فأمهات الكتب الشيعية الإمامية مليئة بالتكفير والتشنيع على كل من خالفهم في المنهج.

فها هو الصدوق صاحب أحد الكتب الأربعة المعتمدة لديهم في كتابه (رسالة الاعتقادات ١٠٣) يقول: «واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضي الله عنه والأئمة من بعده أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة محمد ﷺ» ومعلوم أن منكر نبوة أي نبي كافر.

ويقول شيخهم يوسف البحراني في (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة١٨/١٥٣): «وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله وبين من كفر بالأئمة مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين؟».

ويقول المجلسي الذي يلقبونه بالعلامة الحجة فخر الأمة في (بحار الأنوار٢٣/ ٣٩٠): «واعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده وفضل عليهم غيرهم يدل على أنهم مخلدون في النار»، ويقول شيخهم المامقاني في (تنقيح المقال١/٢٠٨): «وغاية ما يستفاد من الأخبار جريان حكم الكافر والمشرك في الآخرة على كل من لم يكن اثني عشري».

وبالنسبة لتجريح الآخرين فلعلي أورد قولاً لشيخهم الخوئي لمكانته العظيمة في الأوساط الشيعية في (مصباح الفقاهة١/ ٥٤٠): «إنه ثبت بالروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين ووجوب البراءة منهم، وإكثار السب عليهم واتهامهم والوقيعة بهم أي: غيبتهم؛ لأنهم أهل البدع والريب»، فأين دعوى الشيخ أنه لا يوجد تجريح؟! بل زاد الخوئي بقوله: «بل لا شبهة في كفرهم»، ومثل هذه الأقوال مليئة كتب الشيعة بها، وللشيخ أن يراجع ما أوردناه ويقول رأيه بكل صراحة ووضوح.

وقد أنكر الشيخ الصفار تعبئة القاعدة الشيعية فكرياً وتجييشها ضد أهل السنة فإليك بعض الروايات وأقوال علماء معتبرين لديكم، يروي (الصدوق في علل الشرائع ١٠٦) و(الحر العاملي في وسائل الشيعه ٤٦٣/١٨) عن دواود بن فرقد: قال: قلت لأبي عبدالله: ما تقول في قتل الناصب؟ قال: «حلال الدم ولكنني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل»، قلت: فما ترى في ماله؟ قال: «تَوِّهْهُ ما قدرت عليه» وقد علق شيخهم نعمة الله الجزائري على هذه الرواية في (الأنوار النعمانية ٣٠٧/٢) بقوله: «جواز قتلهم واستباحة أموالهم».

وروى شيخ الطائفة لديهم الطوسي (تهذيب الأحكام ١٢٢/٤): عن أبي عبدالله أنه قال: «خذ مال الناصب حيثما وجدته وادفع إلينا الخمس»، وبهذه الرواية أفتى مرجعهم الخميني (تحرير الوسيلة ٣٥٢/١) بقوله: «والأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم وتعلق الخمس به بل الظاهر جواز أخذ ماله أين وجد وبأي نحو كان ووجوب إخراج خمسه».

ومعلوم أن الناصب لدى أهل السنة والجماعة هم أولئك الذين نصبوا العداء لأهل البيت وأهل السنة يتبرؤون منهم ومن أفعالهم، ولكن الناصب لدى الشيعة هم أهل السنة جميعاً يقول نعمة الله الجزائري (الأنوار النعمانية ٣٠٧/٢) ما نصه: «ويؤيد هذا المعنى أن الأئمة وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله مع أن أبا حنيفة لم يكن ممن نصب العداوة لأهل البيت - رضي الله عنهم - بل كان له انقطاع إليهم وكان يظهر لهم التودد»، ويقول شيخهم الدرازي (المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخرسانية ١٤٧): «بل أخبارهم تنادي بأن الناصب هو ما يقال له عندهم سنياً»، ويذكر في المصدر نفسه: «ولا كلام في أن المراد بالناصبة هم أهل التسنن» وبعد أن وضحت جانباً بسيطاً جداً لطرق الحكم على الآخرين في كتب الشيعة الإمامية أترك التعليق للشيخ الصفار على ما أوردت.

وردا على ما جاء في كتاب (تجريد الاعتقاد) هنالك ملاحظة مهمة لا يجب تجاوزها، فمن خلال بحثي في كتب الشيعة الإمامية لمدة طويلة جداً وعلى الرغم من أنها كتب لا تلزمنا لاعتقادنا بوجود التحريف فيها على أهل البيت - إلا أنني لم أجد رواية واحدة لعليّ رضي الله عنه يكفر فيها أحداً من أهل حربه، بل وجدت العكس وأنه كان يصفهم بإخوانه، وكان يدعو لهم، ففي (نهج البلاغة ٤٤٨) يصف علي ما جرى بينه وبين معاوية رضي الله عنه بقوله: «وكان بدء أمرنا أنّا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدونا، والأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء»، وجاء عن جعفر الصادق: (قرب الإسناد٤٥ وبحار الأنوار٣٢/٣٢٤): «إن علياً كان يقول لأهل حربه: إنّا لم نقاتلهم على التكفير لهم، ولم نقاتلهم على التكفير لنا، ولكنا رأينا أنّا على الحق ورأوا أنهم على الحق».

وإنني لأعجب منهم، فإذا كان علي رضي الله عنه وهو الذي عاش الحرب والفتنه لم يكفر أحد من أهل حربه فكيف للشيعة أن يقبلوا بروايات أخرى؟! أليس علي رضي الله عنه هو خير من يصف لنا تلك الأحداث؟ وأترك للشيخ الصفار التعقيب على هذا.

وعقيدتنا نحن أهل السنة والجماعة فيما حصل بين صحابة رسول الله ﷺ واضحة وصريحة، أختصرها بقول ابن تيميه - رحمه الله: إنا نمسك عما شجر بينهم، ونقول: إن الروايات المروية في مساوئهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير من وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون. ونستكمل الأسبوع القادم وقفاتنا مع ما ذكره الشيخ الصفار.

وأعود لكلام الشيخ الصفار عند سؤاله عن صحة كتاب الكافي قال: «نحن الشيعة لا نتعامل مع كتاب الكافي كما يتعامل إخواننا أهل السنة مع الصحيحين»، وذكر أن: «كل علماء الشيعة يقولون ويتحدثون عن هذا الأمر»، ووضح بعدها الفرق

بين مدرسة المحدثين الذين يطبقون على صحة جميع ما جاء في كتبهم الأربعة ومدرسة الأصوليين الذين يأخذون ما صح وختم كلامه بقوله: «عندما يحاكموننا على أساس أحاديث وردت في الكافي المحاسبة عليه تشبه أن تحاسب أهل السنة على كل أحاديث مسند أحمد».

ولي وقفات عدة حول ما ذكره الشيخ:

أولها: أن الشيعة يعدون وجود الصحيحين لدى أهل السنة مطعناً ولذلك أورد الشيخ تشبيه الصحيحين بمدرسة المحدثين لديهم، وهذا خطأ عظيم جداً.

وأنا أدعو الشيخ الصفار وجميع الشيعة إلى الاطلاع على طرق تخريج الحديث وكيفية نقله لدى أهل السنة والجماعة، فعلم نقد الحديث والبحث في رجاله عرف منذ صغار الصحابة رضوان الله عليهم فها هو ابن عباس يعرض عن بشير العدوي وهو ثقة عندما كان يحدثه ويقول: قال رسول الله ﷺ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديث، ولا ينظر إليه، فقال بشير: يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: «إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرت أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف» (مقدمة صحيح مسلم١٣) ولاحظ كلمة ابن عباس (كنا) أي: إن الأمر لا يتعلق به وحده وإنما بمن يروي وينقل الأحاديث من الثقات.

وقد أخرج مسلم في مقدمة صحيحه أيضاً عن محمد بن سيرين أنه قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم. وأين سيرين من كبار التابعين وقد استعمل صيغة الجمع للماضي البعيد، فلا يكون قصده إلا الصحابة الذين شهدوا الفتن، ورأوا شيوع الكذب. وألف العلماء في تلك القرون كتباً صنفوا فيها الرجال، وبينوا حالهم، فليس الأمر هوى.

إن نقل الأحاديث لدى أهل السنة والجماعة أبهر الكثير من المستشرقين الذين وقفوا حيارى أمام هذا الفن الذي امتازوا به عن غيرهم.

أما لدى إخواننا فلعل الشيخ الصفار يعلم أن أول كتاب كتب بالرجال لديهم عام ٣٨٠ هـ وهو كتاب رجال الكشي، فانظر الفرق الزمني بين الفريقين، وهذا الكتاب - باعتراف علماء شيعة - جمع المتناقضات، فلو أخذنا على سبيل المثال أحد أكبر رواة الشيعة، وهو زرارة بن أعين فالكشي في كتابه قد وثقه وأورد روايات لجعفر الصادق تلعنه وتذمه؟؟ بل حتى في وقتنا الحالي لا يوجد كتاب شيعي واحد يجمع الأحاديث الضعيفة في حين أن أهل السنة والجماعة مليئة مكتباتهم بمثل هذه الكتب؛ لأن القاعدة التي سار عليها السلف الصالح في جمع الأحاديث: «أن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم» (صحيح مسلم ٩).

وهذا الكلام أوردته من باب التوضيح ولئلا يكون هنالك توهم ومقارنة وخلط، فقد أطبقت الأمة على صحة كتابي الإمامين البخاري ومسلم رحمها الله تعالى وأجزل لهم الثواب، والأمة لا تجتمع على خطأ.

ثانياً: أن صحة كتاب الكافي لم تقتصر على الإخباريين فقط، فقد شهد بعض الأصوليين بصحة الكتاب، وليس الأمر كما ذكر الشيخ الصفار أن: «كل علماء الشيعة يقولون بذلك - أي: بعدم صحة الكتاب» وأنا لا أجد غرابة في هذا الأمر؛ فالتناقض أمر معتاد في أقوال علماء، وهذا التناقض جعل كل مدرسة تكفّر أختها، وهذا معروف لمن يقرأ ما دار بينهم، ولكنني سأركز هنا على إيراد أقوال تدلل على صحة كتاب الكافي لدى الشيعة.

فالكليني نفسه ذكر صحة كتابه عندما سأله أحدهم عن أحاديث أهل البيت، ففي مقدمته ص ٨: «وقلت: إنك تحب أن يكون عندك كتاب كافٍ يجمع (فيه) من

جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين والسنن القائمة التي عليها العمل، وبها يؤدي فرض الله عز وجل»، وأترك لأحد كبار علماء الشيعة شرح هذه الكلمات (وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي ج ٣ . ص ١٩٦) يقول: «وهو صريح - أيضاً - في الشهادة بصحة أحاديث كتابه لوجوه منها: قوله: (بالآثار الصحيحة). ومعلوم أنه لم يذكر فيه قاعدة يميز بها الصحيح عن غيره لو كان فيه غير صحيح، ولا كان اصطلاح المتأخرين موجوداً في زمانه - قطعاً - كما يأتي. فعلم أن كل ما فيه صحيح باصطلاح القدماء، بمعنى الثابت عن المعصوم بالقرائن القطعية أو التواتر. ومنها: وصفه لكتابه بالأوصاف المذكورة البليغة التي يستلزم ثبوت أحاديثه كما لا يخفى. ومنها: ما ذكره من أنه صنف الكتاب لإزالة حيرة السائل. ومعلوم أنه لو لفّق كتاباً من الصحيح وغيره، وما ثبت من الأخبار وما لم يثبت، لزاد السائل حيرة وإشكالاً».

(وفي الكليني والكافي - الشيخ عبد الرسول الغفاري ص ٣٩١): «ولما قدر الكليني هذه الحاجة والضرورة شرع في كتابه (الكافي)، وحرص على أن لا يقتني إلا ما صحّ من الأخبار الواردة عن أهل بيت العصمة - رضي الله عنهم -، لهذا جهد نفسه في مدة عشرين سنة يقابل بين الأخبار، ويدقّق فيها، ويبحث عن أسانيدها ورواتها ومتونها، وكل شيء يستدعي الفحص والتمحيص، علماً أنه عاش مدة الغيبة الصغرى، وكان على مقربة من النواب الأربعة، إذ عاصرهم، وكان يختلف إليهم وإلى الأبواب وكلاءُ الإمام، فلا يستبعد أن كتابه قد اطلّع عليه الوكلاء ونواب الإمام، بل من الطبيعي والإنصاف أن يطلّعوا عليه، بل لا يخلو الأمر».

وقال الفيض الكاشاني بعد الثناء على الكتب الأربعة: «والكافي أشرفها وأعظمها وأوثقها وأتمها وأجمعها»، (مقدمة المحقق للكافي ص ٩ مع اعترافه بأن المجلسي وصف كتاب الكافي بأن أكثر أحاديثه غير صحيحة).

وقال آغا بزرك الطهراني: «هو أجلّ الكتب الأربعة الأصول المعتمد عليها، لم يكتب مثله في المنقول من آل الرسول». (الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٤٥/١٧).

وأختم استدلالاتي برجل يعرفه الشيعة جميعهم ومكانته معروفة بينهم وهو مؤلف كتاب المراجعات الذي أُلّف على لسان شيخ الأزهر بعد وفاته، قال عبد الحسين شرف الدين الموسوي في (المراجعات ٣٣٥ مراجعة ١١٠): «وأحسن ما جمع منها الكتب الأربعة التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأول إلى هذا الزمان وهي الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة، ومضامينها مقطوع بصحتها، والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها».

ولقد تعمدت أن أنقل عن علماء لا يختلف الشيعة في مكانتهم وقدرهم، ولعل النقل الأخير لكلام عبد الحسين شرف الدين - وهو من الأصوليين - دليل واضح على مذكرته من أن التناقض أمر معتاد فيما يذكره علماء الشيعة حول كتبهم ورواياتهم، وهنا أوجه السؤال للشيخ الصفار: ما رأيك في هذه النقولات؟ ألسنا بحاجة يا شيخ لمن يقوم من أمثالك بتنقيح الكتب لديكم وإخراج مؤلفات تصنف الأحاديث الضعيفة من الأحاديث الصحيحة؟

ثالثاً: أن تشبيه الشيخ محاسبتنا لهم على ما ورد في الكافي كما لو حاسبونا على ما جاء في مسند الإمام أحمد أمر مردود عليه؛ لأن الكليني أورد تزكيته لكتابه في مقدمته كما ذكرنا، أما الإمام أحمد فقد روى ما اشتهر، ولم يقصد الصحيح ولا السقيم، ويدل على ذلك قول ابنه عبد الله: قلت لأبي: ما تقول في حديث ربعي بن خراش عن حذيفة؟ قال: الذي يرويه عبد العزيز عن أبي رواد؟ قلت: نعم. قال: الأحاديث بخلافه. قلت: فقد ذكرته في المسند؟ قال: قصدت في المسند المشهور، فلو أردت أن أقصد ما صحّ عندي لم أروِ من هذا المسند إلا الشيء اليسير. وقد طعن الإمام أحمد في أحاديث كثيرة من المسند، وردّ كثيراً مما روى ولم يقل به، ولم يجعله مذهباً له (المسند تحقيق شاكر ٧٥/١).

ثم ذكر الشيخ الصفار أن بداية الخلاف بين السنة والشيعة كما يقول: «خلاف سياسي حول مسألة الخلافة والإمامة، لكن ما لبث أن تحول إلى إيجاد مبررات دينية وشرعية لكل طرف»، وذكر سبب هذا الخلاف كما يراه ببيعة السقيفة لأبي بكر ﵁ وأنه «حصل اعتراض عند بني هاشم» ومنذ ذلك الحين تأسس الموقف الشيعي المعارض وسلّم علي ﵁ بالأمر، والسبب الذي أورده «حفاظاً على وحدة الأمة ومصلحة الدين».

وقبل الرد على الشيخ حسن لا بد من توضيح فكرة الإمامة بالمفهوم الشيعي حتى تتضح الصورة أكثر، فالشيعة يعتقدون ويزعمون بأن علياً ﵁ وصي لرسول الله ومنصب من فوق سبع سماوات وأنه معصوم لا يخطئ هو وأحد عشر من أبنائه وهم الأئمة في معتقدهم الذين نص الله كما يقولون على توليهم إمامة الناس واحداً بعد الآخر، ومنكر إمامة واحد منهم كافر كما بينت في أول المقال، ولا يسبقهم بالفضل والمكانة إلا أولو العزم من الرسل، أما باقي الأنبياء ففي معتقدهم أنه لا شك في أن أئمتهم أفضل منهم، لذلك فهم يعدون بيعة الصديق ﵁ مخالفة لأمر الله، لذلك أورد الشيخ حسن قوله: إن الخلاف بدأ في سقيفة بني ساعدة لحصول البيعة الأولى فيها لأبي بكر.

أقول: إن التشيع نشأ في عام ٣٥ هـ عندما حصلت الفتنة بين الصحابة رضوان الله عليهم، فمن كان في صف علي عرف بشيعة علي، ومن كان في صف معاوية عرف بشيعة معاوية، وهو أشبه ما يكون بحزب سياسي، ولم يعرف التشيع، بل لا وجود له ولا لعقائده قبل ذلك التاريخ، فعلي ﵁ وبنو هاشم بايعوا الصديق ﵁ ورأوا أحقيته بالخلافة، ولم يكن هنالك اعتزال كما ذكر الشيخ الصفار، وما حصل في سقيفة بني ساعدة حضره كبار المهاجرين والأنصار، والبيعة تعقد بالإجماع لا بالكل، وهذا ما سأورده من قول علي ﵁ في كتب الشيعة أنفسهم، وفي اليوم الثاني تمت البيعة

العامة لأبي بكر في مسجد رسول الله ﷺ، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة الصريحة المنقحة في فضل الصديق رضي الله عنه وأحقيته بالخلافة في كتب أهل السنة والجماعة، ولأنني ألزمت نفسي بالرد على الشيخ الصفار من كتبه فسأكتفي بذكر بعض أقوال علي رضي الله عنه التي تؤكد ما ذكرته، فها هو علي يصف لنا بيعته للصديق يقول: «فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر، فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل، وزهق الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا، ولو كره الكافرون، فتولى أبو بكر فيسّر وسدد وقارب واقتصد، فصحبته مناصحاً، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً»، (الغارات: الثقفي: ٢٠٣).

وكتب علي إلى معاوية رضي الله عنه يقول له: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضاً»، (الشريف الرضي: نهج البلاغة٣٦٦). والنص الأخير جاء في كتاب يقدسه الشيعة ويطبق كثير من علمائهم على تواتر خطبه، والنص فيه دلاله واضحة على إيمان علي بمشروعية خلافة من قبله، وأنها تمت برضا من أصحاب رسول الله ﷺ، لذا دلل على شرعية خلافته أيضاً بصدورها منهم (أي من الصحابة) وقال: «إنما الشورى للمهاجرين والأنصار» ولو كان يؤمن بالنص والتنصيب الذي تزعمه الشيعة الآن لما صدر منه هذا القول.

وهنالك فائدة أخرى وضحها لنا علي رضي الله عنه بقوله: «ما كان للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد» دلالة على أن من غاب عن عقد البيعة ليس له الحق في رد ما اجتمع عليه المهاجرون والأنصار؛ لأن رأي الواحد لا يؤثر في الإجماع، ولعل هذا دليل واضح وصريح لمن أراد أن يقول إن علياً رضي الله عنه لم يكن في السقيفة يومها.

وقد واجه علي الناس حين تزاحموا على بيعته بعد مقتل عثمان بقوله: «دعوني والتمسوا غيري... وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً». (الشريف الرضي: نهج البلاغة شرح محمد عبده ١/ ١٨١) والسؤال هنا: ما الدافع إلى أن يقول علي مثل هذا الكلام إن كان يرى - كما تقول الشيعة - أنه الخليفة المفروض من الله؟ كيف يرد الناس عمن فرض عليهم طاعته والانقياد له؟ كيف يرى الخيرية في أن يكون وزيراً بدلاً من أن يكون أميراً وهو المنصب من الله كما تقول الشيعة؟

أما أقوال الشيخ الصفار بأن علياً سلم بالأمر الواقع: «حفاظاً على وحدة الأمة ومصلحة الدين» فإنني أسأل الشيخ الصفار: أين هي الوحدة التي تم الحفاظ عليها لو سلمنا جدلاً بأن كلامك صحيح؟ فهل السنة والشيعة الإمامية على مر السنين اتفقوا في معتقداتهم؟ إن هذا المبرر الذي ذكره الشيخ لا يقبله عاقل أبداً. وفيه مطعن على علي رضي الله عنه.

فإذا كان علي كما تقول الشيعة منصب من الله ومفروض طاعته وولايته عرضت على السماوات والأرض ثم يبايع أبا بكر وعمر وعثمان أكثر من عشرين سنة و لم يطالب بالإمامة لنفسه بحجة المحافظة على مصلحة الدين فهذا معناه أن علياً قد عصى الله، ولم ينفذ ما أمره الله به مهما كانت الظروف، فالرسول ﷺ عندما جاءه الأمر الإلهي بالتبليغ تحمل المشاق وصدح بدعوة الحق، ولا يوجد معه إلا القليل ولم يتعذر بقلة العدد؛ لأنه يعلم أن هذا تكليف، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ﴾ فكيف يسيغ الشيخ الصفار العذر لعلي في أمر كلفه الله به ولم يؤده؟ ونحن نقول إن علياً رضي الله عنه من أتقى الناس وأعبدهم وأزهدهم، وحاشا له أن يعصي الله فيما أمره كما تزعم الشيعة.

وتحدث الشيخ الصفار حول الخلاف بين السنة والشيعة وذكر أنه (في الأصول أي: في جزيئات وتفاصيل أصول الإسلام لا في ذات الأصول) ثم استطرد في ذكر ما يتفق عليه. ولعلي أترك الشريف المرتضى يرد على الشيخ الصفار في كتابه (رسائل المرتضى ١/١٥٤): تحت عنوان (حكم المخالف في الفروع والأصول): سئل عن الخلاف في فروع الدين: هل يجري مجرى الخلاف في أصول الدين؟ فأجاب: إن فروع الدين عندنا كأصوله في أن لكل واحد منها أدلة قاطعة... والشيعة الإمامية مطبقة إلا من شذ عنها على أن مخالفها في الفروع كمخالفها في الأصول) فالشيخ المرتضى هنا يورد أن المخالف في الفروع كالمخالف في الأصول، فكيف للشيخ الصفار أن يورد أن الخلاف ليس في ذات الأصول بيننا؟

وقد وصف الشيخ الصفار قضية ابن العلقمي بأنها قضية مختلقه مع العلم بأن كتب التاريخ قد ذكرت تلك القصة، واشتهر أمرها، ولكنني سأودر للشيخ الصفار من كتب الشيعة أدلة لا تحتاج لبيان في أن ابن العلقمي ومحمد بن نصير الطوسي الشيعيين كانا السببين الرئيسين في سقوط الدولة العباسية وسفك دماء أكثر من ثمانمائة ألف مسلم في العراق، والقصة حقيقية وليست مختلقه. يقول علامتهم المتّبع الميرزا محمد باقر الموسوي في (روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ١/٣ ..) في ترجمته لنصير الدين الطوسي (هو المحقق المتكلم الحكيم المتبحر الجليل... ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاكو خان بن تولي خان جنكيز خان من عظماء سلاطين التاتارية وأتراك المغول ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح البلاد وقطع دابر سلسة البغي والفاسد، وإخماد دائرة الجور، والإلباس بإبداد دائرة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغاة إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار

بها في ماء دجلة ومنها إلى نار جهنم دار البوار ومحل الأشقياء والأشرار) والخميني أيضاً بارك هذا العمل وعده نصرة للإسلام كما جاء عنه في كتابه (الحكومة الإسلامية ١٤٢) حيث قال: «وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحداً منا بالدخول في ركب السلاطين فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين مثل دخول علي بن يقطين ونصير الدين الطوسي رحمهما الله» وعلي بن يقطين هذا شيعي هدم السجن على خمسمائة من سجناء السنة، وأورد قصته شيخهم نعمة الله الجزائري مفتخراً بعمله في كتابه (الأنوار النعمانية ٢/٣٠٨).

وأما ابن العلقمي فقد حاول كثير من المتأخرين إنكار أمره عند المؤرخين وليس الشيخ الصفار أول من أنكر هذه الشخصية وفعلها، ولكنني أضع بين يدي كل قارئ باحث عن الحقيقة شهادة مهمة جداً لأحد كبار المؤرخين تتوافر فيه ثلاث صفات، الأولى: أن الشيعة يعدونه من رجالهم، والثانية: أنه من بغداد، والثالثة: أنه متوفى سنة ٦٧٤هـ.

إذن فهو شيعي معاصر للحادثة وهو الإمام الفقيه علي بن أنجب المعروف بابن الساعي الذي شهد بجريمة ابن العلقمي فقال: «.. وفي أيامه (أي المستعصم) استولت التتار على بغداد، وقتلوا الخليفة، وبه انقضت الدولة العباسية من أرض العراق، وسببه أن وزير الخليفة مؤيد الدين ابن العلقمي كان رافضياً... ثم ساق القصة الشهيرة». (مختصر أخبار الخلفاء ١٣٦) وابن الساعي هذا ذكره محسن الأمين من رجال الشيعة فقال: «علي بن أنجب البغدادي المعروف بابن الساعي له أخبار الخلفاء ت ٦٧٤هـ». (أعيان الشيعة ١/٣٠٥).

فأين هي القصة المختلقة التي ذكرها الشيخ الصفار، فالشاهد هنا شيعي، والأقوال صريحة وأترك للقارئ وللشيخ الحكم؟

أخيراً وليس آخراً تعمدت عدم نقل كثير من النصوص والأقوال لعلماء الشيعة الإمامية لما فيها من تشنيع، وآمل من ذلك خلق نوع من الحوار الحقيقي، وتخفيف حدة الخطاب حتى تستمر مثل هذه الحوارات التي لا نريد من ورائها إلا معرفة الحقيقة.

*****

عبدالكريم الحطاب منهياً مداخلته (٣-٣)

لماذا أنكر الشيخ الصفار القول بتحريف القرآن لدى الشيعة بدلاً من التبرؤ من تلك الأقوال في طائفته؟

من قواعد أهل السنة والجماعة في الحكم على الآخرين تقديم حسن الظن بالمسلم، وأصل هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾، ولعل القارئ لردودي على الشيخ الصفار يجد هذه القاعدة واضحة وجلية بتجنبي التعليق على كثير من الروايات التي أوردها من كتب الشيعة الإمامية بغية تخفيف حدة الحوار، وحتى نكون صادقين مع أنفسنا، فالاختلاف لا بد منه ولا بد من طرحه، ولم يزدنا البعد عن بعضنا في الماضي إلا جفاء وغلظة. والصراحة والوضوح فيما نقول ونكتب قد تجعلنا نصل إلى مبتغانا، أما تعليق الأمور وإطلاق الشعارات وإنكار الحقائق فستجعلنا نبحث عن شيء مفقود في وقت نحن بأمس الحاجة فيه إلى الوضوح، فأرجو من الطرفين ألا ينزعجوا من الخلاف طالما أن هنالك مساحة لإبداء الرأي، وكيف يكون الحوار حواراً دون اختلاف؟ فلتتسع الصدور لما نكتب، ولنراجع لعل الله أن يفتح علينا جميعاً ويجمعنا على كلمة التوحيد الصافية النقية.

سأتجاوز الحديث عما ذكره الشيخ الصفار عن المرجعين الشيرازي وتأثره به والخميني واندهاشه وإعجابه بكتبه لتحفظي على الكثير مما جاء في كتبهما وحتى لا يفهم أنني أبحث عن حجة لتعقيب دون سبب، وأما أوضاع إخواننا أهل السنة في إيران فلأن حديثي عنهم أصبح يفهم بأنه نوع من المقايضة بأوضاع الشيعة هنا، ولأفوت الفرصة على أولئك لذا سأفرد لهم بمشيئة الله موضوعاً كاملاً أسأل الله أن يرى النور قريباً على الرسالة.

تحدث الشيخ الصفار عن مكامن الخلاف بين الطائفتين - سنة وشيعة - وحددها بنقطتين:

النقطة الأولى: موضوع الإمامة، وقد رددت على هذا الموضوع في مقالي السابق وبينت أن منكر إمامة واحد من أئمتهم كافر بمعتقدهم، ولكن الشيخ الصفار ختم كلامه بشيء لم يسبقه به أحد من علمائه ولم تنقله كتبه، فقال: «ومادام الخلاف في الأحقية والأولوية - يقصد الإمامة - ضمن الإطار النظري والاعتقادي، فالأمر سهل لا يستلزم الخصام». وهذا الكلام مخالف لأصل من أصول عقيدة الإمامة؛ فإن كان هذا رأي الشيخ الصفار الخاص به فنحن قد قطعنا شوطاً كبيراً في حوارنا، وإن كان غير ذلك فأترك للشيخ الصفار أن يوضح.

النقطة الثانية: تحديد المرجعية لدى الطرفين، وهنا خلط الشيخ خلطاً عجيباً حين قال: «إن أهل السنة يرون المرجعية هم الصحابة... والشيعة يرون المرجعية أهل البيت».

أقول: إن أهل السنة يرون المرجعية بعد كتاب الله سنة رسوله ﷺ التي نقلها لنا الصحابة وأهل البيت جميعاً، وكلمة الصحابة كلمة عامة شاملة تشمل أهل البيت، فالصحابي هو كل من رأى الرسول ﷺ وآمن به ومات على ذلك، لذا فعلي والحسن والحسين والعباس وابنه عبد الله وجعفر وغيرهم كل هؤلاء من صحابة رسول الله ومن أهل بيته، فمن أين جاء الشيخ الصفار بهذا الفصل العجيب الغريب؟

ثم أورد الشيخ الصفار أدلته على هذه المرجعية بما يراه فذكر حديث زيد بن أرقم قوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترة أهل بيتي» وأراد بهذا الحديث أن يقول إن الشيعة الإمامية متمسكة بكتاب الله وأهل البيت، وهذا ما سأرد عليه وأبين حقيقته، ولكن الشيخ الصفار ذكر أمراً غريباً آخر

بقوله: «إن حديث كتاب الله وسنتي لم يثبت لدى الشيعة» و مع أن الحديث موجود في كتبهم، ولكن يكفي أن كتاب الله عز وجل قد نص على اتباع الكتاب والسنة، فلا حاجة لنا في أي مصدر بعد ذلك يثبته أو ينفيه، وسأورد الأدلة في محلها.

أقول: إن الشيخ الصفار تكلم بما يعتقده، ومن حقي كواحد من أهل السنة أن أوضح ما أعتقده، إن ادعاءه اتباع الشيعة الإمامية كتاب الله وأهل البيت رحمهم الله واستدلاله بحديثين أمر لا يكفي لتصديق هذه الدعوى لمن لا يعرف عقيدة الإمامية، والادعاء في العرف قد يكون صائباً، وقد يكون خاطئاً، لذلك وقبل الانجراف وراء هذا الادعاء بقبوله أو رفضه يجب الرجوع لأمهات الكتب الشيعة والتحقق ومعرفة آراء علمائه في كتاب الله وأهل البيت ومن ثمّ يكون الحكم.

أولاً: دعواه التمسك بكتاب الله: لعل الشيخ الصفار (أنكر ما يثار حول الشيعة من القول بتحريف القرآن) ولو كان هذا رأيه بالمسالة، وأظنه كذلك لم يكن هنالك إشكال، ولكن أن ينسب هذا الإنكار إلى علماء الطائفة الشيعة برمتها ويعدّ القول بالتحريف أمراً شاذاً فهذا أمر غير صحيح، فكبار علمائكم المعتبرون نصوا على التحريف صراحة واعترفوا به، بل نقل بعضهم الإجماع على ذلك:

قال الشيخ المفيد: «إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان». أوائل المقالات: ص ٩١ .

أبو الحسن العاملي: «اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغييرات، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات» (المقدمة الثانية

لتفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص ٣٦ وطبعت هذه كمقدمة لتفسير البرهان للبحراني).

نعمة الله الجزائري: «إن التسليم بتواتره عن الوحي الإلهي، وكون الكل قد نزل به الروح الأمين يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة، بل المتواترة، الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً، ومادةً، وإعراباً، مع أن أصحابنا قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها» (الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٣٥٧).

العلامة الحجة السيد عدنان البحراني قال: «الأخبار التي لا تحصى (أي: أخبار التحريف) كثيرة، وقد تجاوزت حد التواتر» (مشارق الشموس الدرية) منشورات المكتبة العدنانية - البحرين ص ١٢٦ .

ويكفي أن نعرف أن أحد كبار علماء الإمامية ألفّ كتاباً سمّاه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وهو النور الطبرسي، جمع فيه أكثر من ألفي رواية محرفة بزعمه، ولم يتكلم فيه أحد، أو يرد عليه، بل عندما تقرأ ترجمته في كتبهم يصفونه بالعالم العلامة التقي.

ولعلي أوردت للشيخ الصفار أقوالاً صريحة وليست روايات، حتى لا يكون هنالك تعذر بضعف الرواية، بل إن هنالك روايات صححت ووثقت تنص على التحريف، فعالمكم محمد باقر المجلسي في معرض شرحه لحديث هشام بن سالم عن أبي عبد الله قال: «إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية» قال عن هذا الحديث: موثق، وفي بعض النسخ عن هشام بن سالم موضع هارون بن سالم، فالخبر صحيح. ولا يخفى أن هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره، وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى (مرآة العقول الجزء الثاني عشر ص ٥٢٥).

وأما استدلال الشيخ الصفار بحفظ القرآن بنقله لقول لعالمه الصدوق: «اعتقادنا أن القرآن... هو ما بين الدفتين..» فالغريب أنه بدل أن يؤيد علماؤك هذا القول طعنوا فيه، فنعمة الله الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية٢/٣٥٧) والطبرسي في كتابه (فصل الخطاب ٣٤) ذكروا أن هذا الكلام جاء من الصدوق لأسباب ووجوه منها التقية، واستدلوا على كلامهم بأن الصدوق نفسه نقل روايات تحريف في كتبه.

ثم إن الشيخ الصفار لمز أهل السنة بالتحريف بقوله: «ونحن مع تحفظنا على بعض أنواع النسخ الثابتة كنسخ التلاوة» وهذا قول كبار علمائه قبله كالخوئي، فالشيعة يعدون نسخ التلاوة وبقاء الحكم - وهو نوع من أنواع النسخ الثابتة لدينا ولها أدلتها وهي معروفة - نوعاً من التحريف لدى أهل السنة، ولن أدخل في بحث علمي في هذه المسألة، ولكن يكفي أن أبين أن الشيخ الصفار - وهو طالب علم حوزوي - ليس لديه الاطلاع الكافي على كتبه، وإلا لما رمى أهل السنة بهذا الأمر، ونسخ التلاوة وبقاء الحكم مدون في كتبه مع أنها لا تلزمنا.

قال المفيد: «اتفق العلماء على جواز نسخ التلاوة دون الحكم وبالعكس ونسخهما معاً خلافاً لطائفة شاذة من المعتزلة» (أوائل المقالات ص٢١٩) قال الطوسي وهو شيخ الطائفة: «وقالت فرقة رابعة: يجوز نسخ التلاوة وحدها، والحكم وحده، ونسخهما معاً: وهو الصحيح» (تفسير التبيان١/٣٩٥).

وقبل الانتقال إلى النقطة الثانية أقول: لماذا أنكر الصفار القول بالتحريف لديهم بدل أن يتبرأ من هذه الأقوال؟ وإذا كانت هذه أقوال كبار علمائكم المعتبرين في كتاب الله عز وجل الذي تكفل الله بحفظه فمن باب أولى أن يكون الطعن في كلام أهل البيت.

ثانياً: دعواه التمسك بأهل البيت رحمهم الله: يعد الشيعة أهل البيت هم علي وفاطمة - رضي الله عنهما - وأحد عشر من أبنائهما فقط، ويخرجون الباقي من محيط أهل البيت مع أن القرآن الكريم أثبت دخول أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - في لفظ أهل البيت في سورة الأحزاب، بل جاء لفظ أهل البيت لزوجه فقط دون الأبناء في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين خاطبت الملائكة زوجه: ﴿ **قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** ﴾ (هود:٧٣) وقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام ولم يكن معه إلا زوجه: ﴿ **فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ** ﴾ والقرآن الكريم نزل عربياً بليغاً وبالرجوع إلى كتاب الله والسنة ومعاني الكلمات والألفاظ في قواميس اللغة العربية نجد أن أهل البيت هم زوجات وبنات الرسول ﷺ وآل علي وآل جعفر وآل العباس، والعجيب أن الشيعة الإمامية يخرجون أبناء الحسن ابن علي من لفظ أهل البيت، فالأمر لديهم ليس فيه قاعدة واضحة جلية، ولْنَرَ الآن دعوى الشيخ الصفار اتباع أهل البيت رحمهم الله.

قال الطوسي وهو شيخ الطائفة لديهم في (كتابه الاقتصاد فيما يتعلق في الاعتقاد ٣٦٥): «عائشة كانت مصرّة على حربها لعلي، ولم تتب، وهذا يدل على كفرها وبقائها عليه» وذكر ذلك البياضي في (الصراط المستقيم ١/١٨٧).

وقال المجلسي وهو الملقب بفخر الأمة معلقاً على آية ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ** ﴾ في كتابه (بحار الأنوار ٢٢/٣٣): «لا يخفى على الناقد البصير والفطن الخبير ما في تلك الآيات من التعريض، بل التصريح بنفاق عائشة وحفصة وكفرهما». ومما أوردوه في حق عائشة رضي الله عنها ما أسنده العياشي في (تفسيره ٢/٢٦٩) إلى جعفر الصادق كذباً وزوراً في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا** ﴾ عائشة هي من نكثت إيمانها. وقد نص على ذلك (المجلسي في بحارالأنوار٧/٤٥٤ والبحراني في البرهان ٢/٢٨٣).

بل إن البياضي في تفسيره (الصراط المستقيم) صنف فصلين سمى أحدهما فصلاً في أم الشرور يعني عائشة، والفصل الآخر فصل في أختها ويعني حفصة.. والروايات مستفيضة في الطعن في أمهات المؤمنين وهن من أهل البيت.

بل زاد الأمر أن هنالك من علمائهم من قال إن زينب ورقية وأم كلثوم وهن من أهل البيت لسْنَ بنات رسول الله ﷺ والعياذ بالله، مع أن القرآن نص عليهم بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ومن هؤلاء العلماء أبو القاسم الكوفي في كتابه (الاستغاثة في بدع الثلاثة ١/٧٥) والتستري في كتابه (إحقاق الحق ٢٥٠) ومحمد علي الطباطبائي في تعليقه على الأنوار النعمانية (الأنوار النعمانية للبحراني ١/١٨) والزنجاني في كتابه (عقائد الإمامية٣/٤٣) وغيرهم الكثير، وادعوا أنه لا يوجد بنت لرسول الله غير فاطمة وأن الباقيات هن ربيباته فقط.

وطعنوا في عقيل والعباس - رضي الله عنهما - وهما عمّا رسول الله ﷺ ومن أهل بيته، ففي رواية (كتاب سليم بن قيس ١٢٨) عن سليم بن قيس عن علي بن أبي طالب أنه قال: «.. أما حمزة فقتل يوم أحد، وأما جعفر فقتل يوم مؤتة، وبقيت بين جلفين جافيين ذليلين العباس وعقيل، وكانا قريبي العهد بكفر فأكرهوني وقهروني..» وهذه الرواية أوردها الكثير من علمائهم، بل علق عليها المجلسي في كتابه (حياة القلوب ٢/٨٤٦) بقوله: «إنه يثبت من أحاديثنا أن عباساً لم يكن من المؤمنين الكاملين، وأن عقيلاً كان كذلك» واتهموا حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ابن عم رسول الله بالخيانة، وأنه سرق كل ما في بيت مال البصرة وهرب لما ولاه علي عليها، فدعا علي أن يعمي بصره، فكان كذلك (اختيار معرفة الرجال للطوسي ٢٥٦معرفة أخبار الرجال للكشي ١٤) بل صرحوا بما هو أعظم، فقد روى القمي (تفسير القمي٢/٢٣) والعياشي (تفسير العياشي٢/٣٠٥)

والمفيد (الاختصاص٧١) عن أهل البيت أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ أنها نزلت في ابن عباس رضي الله عنه وأن قوله تعالى: ﴿وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ نزل في العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه.

ولا أريد الإطالة أكثر، فهذه نماذج بسيطة لما قيل في أهل البيت، فأين التمسك بهم؟ وهل في الحديثين اللذين ذكرهما الشيخ الصفار أي دلالة له؟

ولعل بعضهم يعتقد أن هذه الأقوال والروايات آراء شاذة، وهذا خطأ، فلو كان الأمر كذلك لنقحت وضعفت وحذفت مثل هذه الروايات، ورد على أقوال هؤلاء العلماء الذين طعنوا في أهل البيت بل عندما تقر في ترجمتهم - أي: العلماء - تجدهم يصفونهم بصفات عظيمة.

ويكفي أن نعرف أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتاب نهج البلاغة الذي لا يكاد تخلو مكتبة شيعي منه ذمّ شيعته، ووصفهم بأبشع الصفات في أكثر من أربعين موضعاً.

وأما ما ذكره الشيخ الصفار عن عدد الروايات عن أهل البيت في كتب أهل السنة من أنها قليلة ويعني أنها مستفيضة في كتبه، وضربه أمثلة لذلك بأن ما روي عن علي في صحيح البخاري ٢٩ رواية، فهذا خطأ؛ ففي البخاري فقط أكثر من تسعين رواية عن علي عن رسول الله وفي كتب أهل السنة المئات من الروايات عن علي رضي الله عنه ويكفي أن نعرف أن في كتاب الكافي لديكم الذي يحتوي على أكثر من ستة عشر ألف رواية لا توجد سوى ٧٣ رواية يرويها علي عن رسول الله ولا توجد ولا رواية ترويها فاطمة عن أبيها، وروايتان فقط يرويها الحسن عن جده، وللحسين ثلاث روايات عن جده ﷺ وأعني هنا بالرواية (عن فلان عن رسول الله) وهو المعنى المقصود. وأما استفاضة كلام أهل البيت في كتبهم فلا غرابة فيه، فإن تخريج

الأحاديث لديهم ليس له قاعدة واضحة، وأهل البيت كذب عليهم كثيراً، ولعل ما استدللنا به من حكمهم على كتاب الله يغنينا لمعرفة كيف نقل كلام أهل البيت في كتبهم.

ثم تحدث الشيخ الصفار عن دوافع سب وشتم الشيعة الإمامية للصحابة وعزاها: «لعوامل اضطهاد الشيعة عبر تلك العصور وأن سببها كما يقول أن علياً كان يسب من قبل معاوية وجماعته، فكان رد الفعل الشيعي عن سب الصحابة أن وصل الأمر لسب أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -».

أقول: أن يضع الشيخ الصفار نفسه في صف علي وأهل السنة في صف معاوية يخلقون له الأعذار فهذا أمر مرفوض، فأهل السنة والجماعة يقفون في صف علي ومعاوية معاً، وقالوا رأيهم صراحة في أن الحق مع علي وأن من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر، وهذا ما أخبر به الرسول ﷺ بل جاءت الأحاديث الدالة على وقوع هذه الفتنة، ونحن إنما نبتعد عن الخوض في تلك الفتنة؛ لأنهم صحابة رسول الله الذين (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ونقول كما قال عمر بن عبد العزيز: «تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر منها لساني؟ مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون ودواء العيون ترك مسها».

وأما السباب بين الطرفين فهذا أمر وارد، فلقد حصل بينهما ما هو أعظم من ذلك، وهو القتال ولكن السؤال: هل يتقاتل فيما بينهما من شهد الله له بالإيمان؟ الجواب: نعم، قال تعالى: **﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾** إذن إذا شهد الله - وهو الحق سبحانه - بقتالهم وهو أعظم من السب، فلمَ لا نقبل الروايات التي وردت مع أنها بعد التمحيص قلّ أن يثبت منها شيء؟ وأما أن معاوية أمر بسب علي على المنابر فهذا كذب،

ولا يوجد دليل صحيح ثابت بذلك، وسيرة معاوية وأخلاقه تستبعد هذه الشبهة، أما ما يذكره بعض المؤرخين من ذلك فلا يلتفت إليه؛ لأنهم بإيرادهم لهذا التقول لا يفرقون بين صحيحها وسقيمها، ولعل إيراد الشيخ الصفار لحديث مسلم: «قول معاوية لسعد: ما منعك أن تسب أبا تراب» دليل على أن هذه الأحاديث تفهم وتصرف في غير معناها، ففي هذا الحديث لا يوجد ما يفيد أن معاوية أمر سعداً بسبٍّ عليّ، ولكنه كما هو ظاهر فإن معاوية أراد أن يستفسر عن المانع من سب عليّ، فأجابه سعد عن السبب، ولم نعلم أن معاوية عندما سمع رد سعد غضب منه ولا عاقبه، وسكوت معاوية هو تصويب لرأي سعد، ولو كان معاوية ظالماً يجبر الناس على سب عليّ كما يدّعون، لما سكت على سعد ولأجبره على سبّه، ولكن لم يحدث من ذلك شيءٌ، فعلم أنه لم يأمر بسبّه ولا رضي بذلك، ولك أن تراجع ما قاله النووي في ذلك.

وأما حقيقة السب والشتم لأبي بكر وعمر والصحابة من بعدهم فليس كما أورده الشيخ الصفار من أنه تطور لسب الطرف الآخر، وإنما لاعتقادهم بردّة الصحابة إلا ثلاثة، وأنهم اغتصبوا الخلافة من علي، لذلك يصحح أحد كبار علمائهم وهو المجلسي في كتابه (مرآة العقول ٢٦/ ٢١٣) رواية ارتداد الصحابة التي رواها الكليني في الروضة من الكافي ونسبوها إلى محمد الباقر أنه قال: «كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم»، ويقول عالمهم مرتضى النجفي في كتابه (السبعة من السلف ٧): «إن الرسول ابتلي بأصحاب قد ارتدوا من بعد عن الدين إلا القليل»، وبوب المجلسي في (كتابه بحار الأنوار ٣٠ /٧٩) باباً أسماه باب كفر الثلاثة، ونفاقهم وفضائح أعمالهم وقبائح آثارهم وفضل التبرؤ منهم ولعنهم، وأورد إجماع الشيعة الإمامية على ذلك. ويقول المجلسي في

الكتاب المذكور (٣٠/٢٣٠): «والأخبار الدالة على كفر أبي بكر وعمر واضطرابهما وثواب لعنهما والبراءة منهما وما يتضمن بدعهما أكثر من أن يذكر في هذا المجلد أو مجلدات شتى». وصرح الخميني: في (كتابه كشف الأسرار ١٢٦) بأنهم تلاعبوا بالقرآن وأنهما - أي أبا بكر وعمر - جاهلان بأحكام الدين، بل زاد في صفحة (١٢٧) قوله: «وإن مثل هؤلاء الأفراد الجهال الحمقى والأفاقين والجائرين غير جديرين بأن يكونوا في موقع الإمامة، وأن يكونوا ضمن أولي الأمر» والروايات كثيرة في تكفير الشيخين والصحابة، والمجال لا يتسع لسرد جزء بسيط منها.

والعجيب أن الشيخ الصفار وصف من يلعن ويشتم الصحابة بأنه متطرف أو جاهل في معتقده، فهل هؤلاء العلماء الأعلام لديكم ينطبق عليهم هذا القول؟

وكم كنت أتمنى أن أتجاوز هذه النقطة لو كان ما ذكرناه من آرائهم شاذاً، ولكن هذا التصريح ذكره كبار مراجعكم المتأخرين المعاصرين، فهاهم السيد محسن الحكيم والخميني وأبو القاسم الخوئي وسبعة معهم يوثقون دعاء صنمي قريش، والمقصود بهما أبو بكر وعمر، ويدعون تواتره كذباً وزوراً عن علي رضي الله عنه «... والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما وابنتيهما اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك وجحدا إنعامك وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرّفا أعداءك.... اللهم العنهما وأتباعهما وأولياءهما ....» ويحتوي الدعاء على التكفير والسب والشتم للشيخين وابنتيهما أمهات المؤمنين عائشة وحفصة - رضي الله عنهما - وخلودهما بالنار، بل زادت الشروحات والتعظيم لهذا الدعاء ما يدل على أنها عقيدة راسخة لديهم.

فهل هؤلاء متطرفون أو جاهلون؟ أترك الإجابة للشيخ الصفار.

ودعواه أن علياً كان يُسب على المنابر حتى رفع ذلك عمر بن عبد العزيز. أقول: ليس دفاعاً عن الدولة الأموية، فقد كان فيها تجاوزات، ولكن هذا الكلام نقله فاسدو الرواية في كتب التاريخ أمثال أبي مخنف بن لوط، والصحيح أن أول من منع هذه التجاوزات والجرم هو معاوية رضي الله عنه.

إن أول من طعن وسب الصحابة والشيخين تحديداً ليس الخوارج، وإنما عبدالله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر حتى أقطع الطريق على أولئك الذين نفوا هذه الشخصية إما لحاجة في أنفسهم وإما لجهلهم فقد ذكرت كتب الشيعة الإمامية هذا القول، قال سعد بن عبد الله الأشعري القمي المتوفى (٣٠١هـ) في كتاب (المقالات والفرق ٢٠): «هذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب عبدالله بن سبأ... وكان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة فتبرأ منهم»، وقال النوبختي المتوفى (٣١٠هـ) في (كتاب فرق الشيعة ٢٢): «أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وقال إن علياً أمر بذلك» وذكرت هذه الشخصية كتب عدة منها (رجال الكشي ١٠٧)، (رجال الطوسي ٥١)، (جامع الرواة ٤٨٥/١) وغيرها.

وأخيراً وليس آخراً أرجو أن يدرك كل شيعي عامي أن نقلي لما جاء في كتبه ليس معناه أنني أشنع عليه بالقول بالتحريف، فهذا من السخف بالقول ومن الظلم والجور، فالأصل هو تقديم حسن الظن، ولكن هذا لا يكفي أبداً، فمن نقل التحريف لما حفظه الله وصانه ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ من باب أولى أن يكون حرف ما هو دونه، ويجب تحديد الموقف منه وعدم الكبرياء والتعصب لنصرة مذهب معين، وما كتبت هذه الكلمات إلا أنني أدرك جيداً أن فطرة المسلم الصحيحة أيا كان مذهبه ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾ سترفض هذا، وتحدد موقفها منه، ويعلم الله أنني لا أشك ولا أشكك بحب الشيعة العوام لأهل البيت رحمهم الله، ولكن المحبة يتبعها الاقتداء والاتباع لما صح عنهم، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾.

*****

بندر بن عبدالله الشويقي(*) مفتتحاً الحوار مع الشيخ الصفار (١-٤):

للتشكيك أسبابه.. والمكاشفة والتقية نقيضان لا يجتمعان

ليت الشيخ الصفار - بدلاً من العزف على أوتار الوحدة والتقارب وإلقاء التبعة على الآخرين - راجع القناعات الأسطورية الغريبة التي يتبناها أكثر الشيعة؛ إذ لا يسبغون الشرعية إلا على دولة الإمام المعصوم وحده دون سواه.

إذا استطعنا أن نجمع بين النور والظلمة، وبين السواد والبياض، وبين الحياة والموت، فبإمكاننا حينئذٍ أن نحصل على (مكاشفاتٍ و مصارحاتٍ) من ضيف يبدأ مكاشفاته بإعلان أن التقية مبدأ قرآني يجوز اعتماده من أجل تحقيق المصلحة الشخصية.

الشيخ حسن الصفار أملى على الأستاذ عبدالعزيز قاسم مكاشفاته ومصارحاته. وأكد من البداية أن من الواجب «أن نتقبل المصارحة والمكاشفة؛ لأنها هي الأسلوب الأمثل والمناسب لمعالجة الملفات المزمنة والحساسة» وذكر أنه سيكون «واضحاً في طرح الإجابات والأفكار والمطالب والتطلعات».

لكن ما إن طرح عليه محاوره سؤالاً حول منهج (التقية) بمفهومها الشيعي المعروف، حتى رأينا المذهب يغلب العقل، ورأينا الشيخ يدافع ويصر على أن: «القرآن الكريم فيه آيات عديدة تؤكد أن الإنسان إذا كان في موقع يخاف على نفسه الضرر،

(*) باحث وأكاديمي سعودي بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

أو كان في موقع يسبب له مشكلة من إظهار رأيه وعقيدته فإن له أن يلجأ إلى التكتم على رأيه وعقيدته حفاظاً على حياته ومصلحته».

أما إن كان الإنسان يخاف على حياته فلا إشكال، ولست أعترض على الشيخ الصفار حين يذكر هذا. لكن الشيء الذي نعترض عليه إطلاق القول بأن القرآن الكريم يجيز للإنسان أن يظهر خلاف ما يعتقد من أجل (مصلحته) ومنفعته!!

بعدما قرأت هذا الكلام فقدتُ كل أمل في قراءة مكاشفة حقيقية؛ إذ إن عقلي يعجز عن استيعاب إمكانية الحصول على مصارحة ومكاشفة حقيقية في قضايا حساسة، ممن يؤمن باعتماد التقية من أجل تحقيق (مصلحته).

و تأكد يأسي حين واصلت قراءة الحلقات الأربع؛ إذ حيث رأيت صاحب المكاشفات يتحاشى الصراحة والوضوح إذا تعلق الأمر بإشكالات ترد على أصول مذهبه، ويتعمد إلقاء التبعة على الآخرين، من أجل تجنب إدانة الخلل الكبير الذي قام عليه بنيان المذهب.

غير أن إخفاء الحقائق الكبار أمر عسير، مهما أوتي المرء من قدرة ومهارة في توظيف الإجابات الدبلوماسية الخالية من المضامين.

سؤال الولاءات وإجابة التهريج

سُئل الشيخ الصفار عما يثار حول ولاء الشيعة وانتماءاتهم فعدّ هذا التشكيك «تهريجاً وتشهيراً». ثم تساءل: لماذا يتوجه هذا التشكيك في الولاء والانتماء للشيعة دون غيرهم؟!

سؤال تعجبٍ طرحه الشيخ على محاوره وعلى القراء. لكنه عاد من حيث لا يشعر، وأثبت أن هذا التشكيك ليس «تهريجاً وتشهيراً»، بقدر ما هو مسلك يستند على حقائق يعرفها الشيخ حق المعرفة.

ففي معرض حديثه عن الدول الشيعية التي قامت على مرِّ التاريخ تحدث الشيخ الصفار عن دولة البويهيين، ودولة الفاطميين، ودولة الحمدانيين، ودولة الصفويين، ثم ذكر أن «الفكر الشيعي لا يسبغ على هذه الدول الشرعية؛ لأن للحكم الشرعي مواصفات لم تتحقق عند أغلب هذه الحكومات المنتمية للشيعة».

ثم أضاف الصفار: «وكان الحكم الشاهنشاهي في إيران محسوباً على الشيعة، لكن علماءهم لم يسبغوا عليه الشرعية وأخيراً أسقطوه»!!

هذا ما ذكره الشيخ، غير أنه لم يبين لنا لماذا لم يسبغ الفقه الشيعي صفة الشرعية على تلك الدول السالفة؟ وما المواصفات التي لم تتحقق فيها وتسبب فقدها في نزع الشرعية؟ وبالتالي عدم استحقاق هذه الدول للولاء الشيعي؟

هذه كلها دول شيعية، ومع ذلك لم يقر لها الشيعة بالشرعية والولاء!! والدولة الأخيرة سعى علماء الشيعة أنفسهم في إسقاطها. والسبب في ذلك كله: افتقار هذه الدول للمواصفات والشروط المؤهلة لاستحقاق الشرعية حسب الفقه الشيعي.

الشيخ في كلامه هذا أعطى القارئ نصف المعلومة، وأمسك عن نصفها الأخطر والأهم.

وكم تمنيت لو أنه أكمل الفكرة، وكان صادقاً في مكاشفته ومصارحته، ولم يخفِ شيئاً من أجزاء الصورة التي يعرفها جيداً. كم تمنيت لو أنه بين لنا تلك المواصفات التي تؤهل الدول لاكتساب الشرعية الشيعية. فمن الواضح أن هذه النقطة هي المحك الذي يبنى ويعقد عليه الولاء والانتماء.

كم تمنيت لو أن الشيخ أفصح عما في نفسه، حتى نعرف موقعنا على خارطة الفقه الشيعي. وحتى نفهم إن كان لبلادنا مزية على تلك الدول المتعاقبة التي لم يقرّ لها فقهاء الشيعة بالولاء والانتماء.

لو ذكر الشيخ مواصفات الدولة الشرعية حسب الفقه الشيعي، لأدرك الجميع أن التشكيك في الولاءات والانتماءات ليس «تشهيراً وتهريجاً»، وإنما هو مسلك له مبرراته التي تستند على قواعد وأصول ثابتة في التصورات الشيعية الإمامية.

معضلة الفقه الشيعي أنه لا يمكن أن يسبغ الشرعية إلا على دولة يقودها الإمام المعصوم!!

أو على الأقل فقيه شيعي إمامي ينوب عن هذا الإمام!!

وهذا القول الأخير يقول به قلة من علماء الشيعة ممن أيدوا زعامة الخميني وثورته باعتباره فقيهاً ينوب عن المعصوم في الإمامة. وأما الأكثرون فلا يسبغون الشرعية إلا على دولة الإمام المعصوم وحده دون سواه.

وعلى كلا الحالين فلا يمكن أن يثبت الفقه الشيعي الولاء لدولة يحكمها غير فقهائهم.

هذه حقيقة يعرفها من له أدنى إلمام بأصول المذهب الشيعي الإمامي. والصفار يدرك ذلك جيداً، لكنه سكت عنه، واكتفى بإشارة مبهمة إلى أن شرط الحكومة الشرعية لم يتحقق في دولة الفاطميين ولا البويهيين، ولا الحمدانيين، ولا الصفويين.

وأزيد على ذلك وأقول: إن هذا الشرط لم يتحقق - أيضاً - في دولة العباسيين، ولا الأيوبيين، ولا الأمويين.

حتى خلافة عمر بن عبد العزيز العادلة، ليس لها صفة شرعية بموجب الفقه الشيعي؛ لأن العدل ليس وحده المقصود، وإنما المقصود تحقق نظرية الإمامة التي تشكل قاعدة المذهب الإمامي.

بل إن دولة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان، التي تمثل الأنموذج الرائع في العدالة والنزاهة، لم يثبت لها الفقه الشيعي الشرعية، استناداً لنظرية الإمامة الموغلة في التطرف.

كل هذه الحكومات ليس لها شرعية حسب تنظيرات الفقه الشيعي؛ لأنها تفتقر لقيادة الإمام المعصوم الذي يستطيع وحده أن يضفي عليها صفة الشرعية الشيعية!

فإذا كان هذا حال الفقه الشيعي، وإذا كانت هذه تصورات فقهاء المذهب بشهادة الشيخ الصفار نفسه، فهل يستغرب بعد هذا أن يشكك أحد في ولاء وانتماء من يحمل مثل هذا المبدأ. ويعدّه أصلاً من أصول دينه؟!

الشرعية والإمام المهدي

لو رجعنا إلى التاريخ لوجدنا تعامل الإمامية ومواقفهم من أي دولة مسلمة مبنياً على هذا الأصل. ولو رجعنا إلى مصادر المذهب الإمامي لوجدنا تنظير هذا الموقف واضحاً كل الوضوح.

بل لو رجعنا لمؤلفات الشيخ الصفار نفسه لوجدناه يدين بهذا المبدأ، ويؤمن به تمام الإيمان. ففي رسالته التبشيرية التي ألفها بعنوان (الإمام المهدي أمل الشعوب) - وهي في الأصل محاضرة ألقيت بمدينة سيهات - في هذه الرسالة نجد الشيخ الصفار يحصر الشرعية في ولاية الأئمة الاثني عشر، الذين لم يبقَ منهم اليوم إلا آخرهم (الإمام المهدي) القابع داخل سردابه بمدينة سامراء، والذي طال انتظار الإمامية ساعة خروجه!

هذا المهدي الغائب وحده هو إمام الزمان الشرعي الذي يدين له الشيعة بالولاء منذ منتصف القرن الثالث وإلى اليوم، وكل حكومة تقوم قبل خروجه، ولا يتولى

قيادتها هو (أو نائبه)، فليس لها أدنى شرعية. والشيخ الصفار - كسائر الإمامية - يؤمن أنه الآن يعيش عصر (الغيبة الكبرى)، وأن دوره يكون في الإعداد لخروج الزعيم الحق الذي تستحق دولته وحدها الموالاة.

يقول الشيخ الصفار في رسالته المذكورة: «المؤمن الذي يعيش في عصر الغيبة، منتظراً لخروج الإمام القائد وظهوره، لا بدّ من أن يهيئ نفسه لاستقبال الإمام، والانضمام إلى جبهته، والعمل تحت لوائه. وهذا لا يتأتى للإنسان إذا لم يربِّ نفسه ويهيئها من الآن للساعة المنتظرة قبل أن تأتي تلك الساعة، وهو يفقد زمام نفسه وتخونه إرادته. ولأن موعد الظهور مجهول لدى الإنسان المؤمن فيجب أن يكون على أُهبة الاستعداد دائماً وأبداً، ويتوقع الأمر في كل لحظة».

ويقول: إن «المهمة الأساسية للإمام المهدي حين خروجه هي: نشر الحق والعدل، وبناء دولة إسلامية عالمية لجميع البشر. فعلى المؤمن أن يقوم بدور التمهيد لإنجاز هذه المهمة الخطيرة».

ويقرر الصفار في رسالته هذه بوضوح عدم شرعية الدول الإسلامية المتعاقبة التي لم يتولّ أمر قيادتها الأئمة المعصومون، ويثني بحرارة على الثورات الشيعية التي قامت استناداً إلى هذا المبدأ.

يقول الشيخ الصفار - وفقه الله للهدى -: «في منتصف القرن الثالث كان أتباع أهل البيت - رضي الله عنهم - الشيعة منتشرين في جميع أنحاء البلاد الإسلامية وأرجائها، فلهم دولة عظيمة في المغرب استطاعت أن تقتطع جزءاً مهماً من الدولة الإسلامية من سلطة العباسيين الطغاة. وهناك في طبرستان لهم ثورة قوية حققت النصر على جحافل السلطة، وأعلنت انفصال المنطقة عن الحكم العباسي وقيام دولة علوية معادية للعباسيين.

وهناك في الكوفة إرهاصات ثورة، وفي الحجاز محاولات تمرّد، وفي اليمن فلول معارضة، كل ذلك من تأثير الفكر الرسالي الثوري الذي يبثه أهل البيت في صفوف الأمة الإسلامية».

هكذا يثني الصفار على كل ثورة شيعية تعارض شرعية الدولة الإسلامية؛ لأن هذه الثورات صنعها أتباع أهل البيت - رضي الله عنهم - الشيعة)، وهؤلاء - حسب رأي الصفار - ينطلقون من خلال (الفكر الرسالي الثوري) الذي بثه أهل البيت في صفوف الأمة!!

ولا يظن ظانّ أن الشيخ الصفار يثني على تلك المعارضات باعتبارها قامت ضد دولٍ مارست الجور والظلم في تعاملها مع الناس، بل لو كانت تلك الدول تطبق مبادئ العدالة أتم تطبيق، فلن يكفي ذلك لإسباغ الشرعية عليها، وستبقى حسب الموازين الإمامية دولاً غاصبةً لمنصب الإمامة الذي لا يستحقه إلا الإمام القائم صاحب الزمان، أو (نائبه الفقيه الشيعي على قول).

ومن المرويات التي يصححها طائفة من علماء الشيعة ويحتجون بها، رواية ينسبونها لأبي جعفر الباقر يقول فيها: «كل رايةٍ ترفع قبل راية القائم صاحبها طاغوت». ويضيف المازندراني شارحاً: «وإن كان رافعها يدعو إلى الحق»!! (شرح المازندراني ١٢/ ٣٧١).

فلا فرق بين أن يكون رافع الراية يدعو إلى حق أو إلى باطل، فهو على الحالين ظالم مغتصب لحق الإمام المعصوم!

ولأجل هذه التصورات المغالية، نشأ التشكيك والتوجس من ولاء وانتماء من يحمل مثل هذه الأفكار. وهذه حقيقة يؤكدها زعيم الثورة الإيرانية وإمامها الخميني، حيث قال: «بسبب مواقف الأئمة وشيعتهم من نظرية الحكم والإدارة في

الإسلام نالهم - ولا يزال ينالهم - ما تعرفون من الأذى والبلاء والعناء. ولكنهم لم ييأسوا، فما زال الأمل يملأ جوانحهم». (الحكومة الإسلامية ص١٣٢).

وهذا كلام صريح من مرجع شيعي شهير، واعتراف واضح يبين للشيخ الصفار سبب التشكيك في الولاء والانتماء. والقائل لا يمكن أن يتهمه الشيخ الصفار بـ «التشهير والتهريج». وبخاصة أن الصفار له رسالة مديح وثناء لهذا القائل عنوانها: (قراءة في فكر الإمام الخميني)!

إذن: ليست المسألة مسألة «تهريج وتشهير».

بل نحن نتحدث عن نظرية واضحة يبنى عليها الولاء والانتماء، ويؤمن بها الإمامية كلهم.

الصفار وأدعية الإمام المهدي

وقد رأيت الشيخ الصفار في رسالته التبشيرية عن إمام الزمان (المهدي المنتظر) يوصي الشيعة بجملة من الأدعية، ويرغبهم في ملازمتها. وفي تلك الأدعية إعلان تجديد البيعة والولاء للإمام الحق الغائب في سردابه!!

وهذا أحد نصوص تلك الأدعية والتراتيل، أنقلها للقراء الأكارم من كتاب الشيخ الصفار: «اللهم بلّغ مولانا الإمام الهادي المهدي القائم بأمرك (صلوات الله عليه وعلى جميع آبائه الطاهرين) عن جميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها.... اللهم إني أجدد في صبيحة يومي هذا، وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي، لا أحول عنها ولا أزول أبداً».

(بيعة). و(عقد) و(عهد). في صبيحة يومه، وفيما عاش من أيامه!

بيعة في عنق الشيخ لا يحول عنها ولا يزول أبداً!

فماذا بقي من ولاء وانتماء؟!

وإذا استثنينا الجمهورية الإيرانية، فهل توجد اليوم دولة أو بلد تسير على تعاليم ذاك الإمام المنتظر، بحيث يكون لها نصيب من هذا الولاء، والانتماء، والبيعة، والعقد، والعهد، الذي لا يزول ولا يحول أبداً؟!

نرجع مرةً أخرى لرسالة الشيخ الصفار، فنراه يقول مخاطباً إمامه الحق: «متى ترانا ونراك وقد نشرت لواء النصر؟ أترانا نحف بك وأنت تؤم الملأ، وقد ملأت الأرض عدلاً وأذقت أعداءك هواناً وعقاباً، وأبرت العتاة وجحدة الحق، وقطعت دابر المتكبرين واجتثثت أصول الظالمين، ونحن نقول: الحمد لله رب العالمين».

ثم يسرد الشيخ الصفار دعاءً آخر يقترح قراءته كل ليلة من ليالي رمضان المبارك، يقول فيه:

«اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمةٍ تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة في سبيلك، وترزقنا كرامة الدنيا والآخرة.... اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا، وغيبة وليّنا، وكثرة عدونا، وقلة عددنا ...».

ويزيد الصفار على هذا، ويتمثل قول الشاعر مخاطباً مهدي سامراء:

فهاك قلّبها قلوب الورى ... أذابها الوجد من الانتظار

متى تسل البيض من غمدها ... وتشرع السمر وتحمى الذمار

ولن أسأل من هم أعداء المهدي المنتظر، ومن هم جحدة الحق الذين سوف يسل عليهم صاحب الحق سيوفه البيض؟ ومن هم أهل النفاق الذي سوف يذيقهم الهوان والعذاب؟

لن أسأل عن شيء من هذا فلدي من المعرفة بالتراث الإمامي ما يكفي لفهم المقصود بمثل هذه العبارات. لكن حسبي الآن أن يفهم القارئ مما نقلته السبب الذي يحمل الكثيرين على التشكيك في الولاء والانتماء، وأن المسألة ليست «تهريجاً وتشهيراً»، وإنما هي نظرة تعتمد على معرفة بالأصول والقواعد التي ينطلق منها الشيخ الصفار ومن يوافقه في تصور الولاية الشرعية التي تستحق الولاء والانتماء.

وليت الشيخ الصفار بدلاً من العزف على أوتار الوحدة والتقارب بكلامٍ إنشائي، وبدلاً من إلقاء التبعة على الآخرين واتهامهم بالتهريج والتشهير، ليته راجع مثل هذه القناعات الأسطورية الغريبة التي يتبناها ويؤمن بها. وليته أعاد النظر في أصول المذهب نظرة إنصاف، وحاول أن يعرضها على ميزان النقد الصحيح ليدرك مكمن الخلل، وليعرف من أين جاء التشكيك في الولاء والانتماء، فإن التشخيص الصحيح أول طريق الشفاء والعافية.

ولو أنني أردت الإبحار في كتب الإمامية لنقلت الصفحات الطوال التي تؤيد ما ذكرته، والتي تثبت اتفاق فقهاء المذهب على عدم شرعية جميع الولايات غير الإمامية، القديم منها والحديث. لكنني فضلت الاكتفاء بالنقل من كلام الشيخ الصفار نفسه، إيثاراً للاختصار، ولئلا يقول ساذجٌ: تلك بقايا وآثار تاريخية قد لا يوافق عليها الشيخ.

بقي أن أقول: إن الشيخ الصفار كما تجنب الصراحة والوضوح في هذه النقطة، فإنه فعل الشيء نفسه لما تكلم عن موقف الإمامية من الصحب الكرام - رضوان الله عليهم .. وهو ما سأبينه لاحقاً - إن شاء الله - في الحلقة الثانية من هذا التعقيب.

*****

بندر الشويقي مواصلاً مداخلته (٢-٤)

الشيخ الصفار يتجاهل معوقات التقارب السني الشيعي

إذا تعلقت بمذهبه الشيعي

كنت ذكرتُ في القسم الأول من التعقيب على مكاشفات الشيخ حسن الصفار أنني رأيته يحرص كلَّ الحرص على تجنُّب إدانة المذهب، ويحامي عنه بطريقة تنافي الدِّقة والإنصاف. بل تنافي طبيعة الموقف الذي يقف فيه، والذي يحمل عنوان (مكاشفات).

ولقد أخذني العجبُ كلَّ مأخذٍ، وأنا أقرأ جوابه وقد سُئل عن موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام، ومن الخليفتين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - على وجه الخصوص، فكان من جواب الشيخ: أن «هذه المسألة جزء من تاريخ سيئ عاشته الأمة الإسلامية، إذ كانت هناك قوى تضطهد الشيعة، فكان رد فعل بعض الشيعة على ذلك الاضطهاد هو السبُّ والشتم لرموز أهل السنة»!!

هذا ما قاله الشيخ الصفار، وهو كلامٌ يبلغ الغايةَ في الغرابة والعجب. وأغربُ ما فيه صدورُه ممن يتبنى الدعوة للصراحة والمكاشفة.

لن أقول هنا: إن الشيخ في كلامه السابق لجأ إلى تسطيح المسألة. بل أقول: إنه تعمَّد تسطيح وازدراء عقول قراء مكاشفاته بطريقة غير لائقة.

وأنا حين أقول هذا فإنني أنتظر من الشيخ ألا يزعجه مثلُ هذا النقد الصَّريح؛ لأنني قرأت له في بداية المكاشفات كلاماً يعيب فيه المشايخ الذين كرَّسوا لأنفسهم

هالةً تمنع من نقدهم والاعتراض عليهم، ورأيته يؤكد أنه في مجالسه يحرص كلَّ الحرص على أن تتاح الفرصة للناقد والمعترض عليه ليقول رأيه بكلِّ صراحة ووضوح.

فاعتماداً على هذا المنهج الذي رسمه الشيخ، فإنني أقول: إن الشيخ الصفار كثيراً ما يرفع صوته بضرورة التقارب السني الشيعي، لكنه في الوقت نفسه يجتهد في تجاهل معوقات هذا التقارب إذا تعلقت بالمذهب الشيعي.

الشيخ في كلامه السابق يريد أن يقول لنا: إنه لا يوجد في مذهب الشيعة الإمامية ما يوجب النيل من أبي بكر وعمر وسائر الأصحاب - رضوان الله تعالى عليهم -. لكن بسبب الاضطهاد السني عمد (بعض!!) الشيعة إلى رموز أهل السنة من الخلفاء الراشدين وغيرهم، فأوسعوهم شتماً، نكاية في أهل السنة فقط لا غير!!

فالشيخ يصوِّر موقف الشيعة من الصحابة على أنه ردة فعل لا أقل ولا أكثر!! والمشكلة - في نظره - دائماً تكمن في مواقف أهل السنة الذين يضطهدون الشيعة، فيتسببون في إثارة ردة فعلهم تجاه الصحابة الكرام!!

هذا الكلام - مع بطلانه - فإن فيه تناقضاً ظاهراً غفل عنه الشيخ في غمرة حرصه على تبرئة المذهب الذي ينتسب له، ويحامي عنه.

فأقلُّ الناس إدراكاً سوف يفهم من كلام الشيخ أن الشيعة من البداية - وقبل وقوع ما سماه الشيخ اضطهاداً سنياً - لم يكونوا يعدون أبا بكر وعمر وعثمان رموزاً لهم. وإنما ينظرون إليهم باعتبارهم رموزاً تخصُّ أهل السنة وحدهم. ولهذا يعمدون إلى شتمهم رداً على الاضطهاد السني.

فهل لدى الشيخ تفسيرٌ لهذا الخلل في التصورات الشيعية السابقة للاضطهاد السني؟

نحن إذا سلَّمنا - جدلاً - بأن موقف الشيعة من الصحابة ما هو إلا ردة فعلٍ، وأنهم إنما يشتمون الخلفاء الثلاثة ويسبونهم نكاية بأهل السنة، فهنا سؤال سوف يطرح نفسه مباشرةً، ومن المفترض أن يكون لدى الشيخ جواب عنه:

فإذا كانت القلوب الشيعية صافيةً وسالمةً من الغلّ والحقد على الصَّحب الكرام، فلأي شيءٍ صار أولئك الأصحاب رموزاً لأهل السنة وحدهم، دون الشيعة؟!

ولماذا لم تعدّ الشيعة الخلفاء الثلاثة رموزاً، كما يعدّ أهلُ السنة عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه رمزاً وقدوةً لهم؟!

هل يستطيع الشيخ الصفار أن يشرح لنا حسب تصوراته ما جناه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى أسقطه الشيعة من قائمة رموزهم الإسلامية؟

وما الذي اقترفه عمر الفاروق رضي الله عنه حتى خرج من قائمة الرموز الشيعية؟

وما الذي فعله عثمان ذو النورين رضي الله عنه حتى ألحقه الشيعة بصاحبيه، وأخرجوه من قائمة الرموز؟

الجواب عن هذا السؤال هو ما سيكشف مغالطة الشيخ - وفقه الله للهدى - حين صوَّر موقف أهل مذهبه من الصحابة الكرام على أنه مجرد ردة فعل لاضطهاد سني.

ولو أنصف الشيخ لأعلن بوضوح أن موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام سببه عقيدة (الإمامة) المتطرِّفة التي تشكل القاعدة الأساس التي قام عليها بنيان المذهب الشيعي الاثني عشري. تلك العقيدة التي تمثل الأصل الجامع الذي يتفق عليه أتباع الطائفة كلُّهم بمن فيهم الشيخ الصفار نفسه.

هذه العقيدة تنص على أنَّ:

- عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه هو الإمام المعصوم المفترض الطاعة بعد رسول الله ﷺ.

- وأن إمامته ثابته بنص جلي قطعي من عند الله - عزَّ وجل..

- وأن النبي ﷺ قبل مماته أخذ لعليٍ البيعة من الصحابة. لكنهم تنكروا لذلك وبايعوا أبا بكر، وجحدوا النصَّ الجلي الذي يثبت إمامة عليٍ. فتسببوا بذلك في تضييع أصلٍ عظيم لا يقوم الدين إلا به.

- وعلاوةً على ذلك، فإن الشيعة تعدّ عقيدة (الإمامة) أصلاً يتعين الإيمان به. ومن لم يؤمن به فهو لا يستحق اسم الإيمان الموجب لدخول الجنة، بل هو خالد مخلد في نار جهنم.

- وأول من طبَّق عليه الشيعةُ هذا الحكم: أصحابُ رسول الله ﷺ وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة: أبو بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم -. فهؤلاء في نظر الإمامية ظالمون مغتصبون لحق الإمام المعصوم، ومستحقون للخلود في نار جهنم.

هذه حقيقة عقيدة (الإمامة) التي يتفق عليها الشيعة الاثنا عشرية، والتي يبنون عليها نظرتهم لأكثر أصحاب النبي ﷺ.

وهذا الكلام الذي أقوله ليس من قبيل الاتهامات التي تتبادلها الطوائف فيما بينها. وليس هو موقفاً خاصاً لفلانٍ أو فلانٍ من غلاة الشيعة. بل هو الأصل الذي لأجله سمَّت الشيعةُ الاثنا عشرية نفسها باسم (الإمامية).

ولن أذهب بعيداً لإثبات ذلك، ففي الحلقة الثانية من المكاشفات ذكر الشيخ الصفار أنه درس على شيوخه في النجف كتاب (تجريد الاعتقاد) للطوسي. فليراجع الشيخُ - إذن - ذلك الكتاب ليجد مؤلفه يقول بالحرف الواحد: «أما مخالفو (علي) في الإمامة فقد اختلف قول علمائنا، فمنهم من حكم بكفرهم؛ لأنهم

دفعوا ما علم ثبوته من الدين ضرورة وهو النص الجلي، وذهب آخرون إلى أنهم فسقة، وهو الأقوى»!!

ويؤكد هذا المعنى الشيخ المفيد - رأس الشيعة في زمانه ـ، فيقول: «اتفقت الإمامية على أن المتقدمين على أمير المؤمنين ﷺ ضلالٌ فاسقون، وأنهم بتأخيرهم أمير المؤمنين ﷺ عن مقام رسول الله - صلوات الله عليه وآله - عصاةٌ ظالمون، وفي النار بظلمهم مخلدون». أوائل المقالات (ص٤٢).

ويقول أيضاً: «اتفقت الإمامية والزيدية والخوارج على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين، كفار ضلالٌ ملعونون، بحربهم أمير المؤمنين، وأنهم بذلك في النار مخلدون» (ص٤٢).

هذا كلام الشيخ المفيد، عالم الإمامية. وهو لا يحكي رأياً يخصُّه بل ينقل إجماع الفرقة الإمامية (التي ينتسب إليها الشيخ الصفار) على هذا المعتقد المتطرف المغالي. وهناك الكثير والكثير ممن حكوا هذا الاتفاق من علماء الشيعة، ولو ذهبت أتتبع أقاويلهم لطال المقام. غير أنني لا أرى حاجةً لذلك، لقناعتي أن الشيخ الصفار لا يمكن أن ينكر هذا الأصل، ولا أحد من أتباع المذهب الإمامي يستطيع ذلك.

ولو تفضَّل الشيخ الصفار بالبراءة من هذا المعتقد وتبرئة الطائفة منه، فأنا على استعداد للاعتذار منه علناً في هذه الصحيفة. لكنني على يقين أن الشيخ لن يفعل هذا، إلا إن كان لديه الاستعداد للخروج عن أصل مذهبه.

لهذا كله فإنني أعود لأقول: إن الشيخ الصفار لم يلتزم الوضوح والصراحة في طرح آرائه. ومسلكه هذا يجعل القارئ يتشكك كثيراً في صدق دعواته التي يطلقها للتقارب والوحدة. فالغموض وتعمُّد إخفاء العقائد والقناعات، يفقد المصداقية ويوجب الريبة.

ويزيد الأمرُ سوءاً إذا تذكرنا أن الشيخ أكد في بداية المكاشفات أن «المصارحة والمكاشفة هي الأسلوب الأمثل والمناسب لمعالجة الملفات المزمنة والحساسة»!

فكيف سنعالج الملفات المزمنة والحساسة، إذا كان أصحابها يحرصون على تغطيتها وسترها، ويتجنَّبون الصدق والوضوح في عرضها؟!

الشيخ حسن - وفقه الله للهدى - يقول في مكاشفاته: إنه قد «آن لنا بعد أربعة عشر قرناً من الصراع والانشغال بالاختلاف والفشل في تغيير الرأي أن نجرب عصراً جديداً في التحاور والتقارب». ويقول: إنه يريد إعلان «ميثاق شرف إسلامي نتجاوز به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية».

ومثلُ هذه الخطابات الإنشائية التي يكرِّرها الشيخ في مقابلاته، لن يكون لها أيُّ قيمة أو أثر في ظلِّ أسلوب الغموض والمداورة و(التقية) في عرض الأفكار والمعتقدات. ونحن لو كتبنا ميثاقاً بناءً على مثل هذه الخطابات والشعارات، فلن يكون لدينا (ميثاق شرف)، بل سيكون ميثاق (خداع وتلبيس) يتجاهل مبدأ الخلل، يتعامى عن أصل الداء، من غير أن يقدم له دواءً ناجعاً.

الأربعة عشر قرناً الخالية التي يتوجع منها الشيخ الصفار لم تكن خاليةً من العلماء الناصحين لأمتهم. ولم يكن أهل هذه القرون حريصين على الفرقة والاختلاف. لكنهم يعلمون أن الخلاف له أسبابه التي لا يمكن تجاهلها. إلا إذا أردنا أن ندفن رؤوسنا في التراب، ونوهم أنفسنا بوحدةٍ لا حقيقة لها، فنكون كالذين قال الله فيهم: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾.

وقد رأيت الشيخ في المكاشفة الثالثة يذكر أن الخلاف السني الشيعي حول الإمامة: «أصبح قضية تاريخية، لا داعي الآن للنزاع حولها. ومادام الخلاف في الأحقية والأولوية ضمن الإطار النظري والاعتقادي فالأمر سهل لا يستلزم الخصام».

فهل يعني الشيخ بهذا الكلام أن تبنِّي الشيعة لعقيدة تتهم الصديق والفاروق وذا النورين وأكثر الصحابة بالخيانة والغدر وإيثار الدنيا، وجحد أصل شرعي كبير، مسألة لا تستحق النزاع والخصام؟!

وإذا كان هذا رأيه، فهل أهل السنة ملزمون بالأخذ بما يراه، بحيث يتعين عليهم التنازل عن أصولهم احتراماً لأصله الذي لا يريد التنازل عنه؟

وهل من متطلبات التقارب والوحدة الوطنية أن يعضَّ الشيخ الصفار بناجذيه على أصول مذهبه، ويكون من واجبنا نحن التنازل عن أصلنا في تعظيم الخلفاء الثلاثة وسائر الأصحاب، ومنابذة من ينال منهم، أو يحاول نشر فكرٍ منحرف يطعن في دينهم ونزاهتهم؟

الشيخ حسن الصفار ذكر في مكاشفاته أنه يستنكر سبَّ الصحابة. ولما سأله الأستاذ عبدالعزيز قاسم عن الشريط المسجل المنسوب له، الذي يتضمن لعن الشيخين (أبي بكر وعمر) ذكر الشيخ أن هذا الشريط مكذوبٌ وملفق.

ولنا أن نتساءل: ما قيمة هذا النفي إذا كان الشيخ يؤكد إيمانه بعقيدة (الإمامة) التي تتضمن أعظم الطعن والسبِّ لأصحاب النبي ﷺ؟!

فسبُّ الصحابة وتنقصهم هو النتيجة الطبعية والمباشرة لعقيدة الإمامة المغالية التي يحملها الشيخ. ولو صحَّ ما تنسبه هذه العقيدة للشيخين أبي بكر وعمر - وحاشاهما من ذلك - لكانا مستحقين لأعظم الذم والعيب. لكن الشيخ الصفار يؤمن بالمقدمة، ويكفر بالنتيجة!!

ولو أنصف الشيخ وصدق مع نفسه وأهل مذهبه، لأعلن بوضوحٍ أن من أكبر أسباب نفور أهل السنة من الشيعة تلك التصورات المغالية التي يحملها الشيعة في

حقِّ الصحب الكرام. لكن الشيخ الصفار - وللأسف - عكس الحقائق، فجعل موقف الشيعة من الصحابة نتيجة لاضطهاد سني ليس له سبب!!

*****

وقد رأيت الشيخ الصفار بعدما عرض موقف الشيعة على أنه ردة فعلٍ للاضطهاد السني، تحدث عن الفرق بين السنة والشيعة في «تحديد المرجعية الدينية التي تؤخذ منها معالم الدين وأحكام الشرع بعد رسول الله ﷺ»، فذكر أن «أهل السنة يرون أن المرجعية هم الصحابة... والشيعة يرون أن المرجعية تتحدد في أهل البيت». وذكر أن الشيعة يعتمدون في ذلك على الأحاديث الواردة في التمسك بالعترة الطاهرة.

وفي هذا الكلام من المغالطة نظير ما في الكلام الأول. ذلك لأن إعراض الشيعة عن الأخذ بما يرويه الصحابة الكرام عن رسول الله ﷺ لم يكن سببه أخذهم بالأحاديث الواردة في بالتمسك بالعترة الطاهرة. فهذه الأحاديث موجودة عند أهل السنة ولم تمنعهم من الأخذ بمرويات سائر الصحابة - رضوان الله عليهم -.

والأحاديث التي وردت في الوصية بالعترة وأهل البيت، ليس فيها ما يوجب إهدار مرويات الصديق والفاروق وعائشة وحفصة وسائر الصحابة عن رسول الله ﷺ؛ لأن هؤلاء الأطهار إنما يروون كلام إمام أهل البيت - عليه الصلاة والسلام -. فليس هناك ما يفسر ردَّ مروياتهم، إلا النظرة السوداء التي ينظر بها الشيعة إليهم. فالإمامية لا يمكن أن يقبلوا رواية ظلمةٍ فسقةٍ مغتصبين، تآمروا على إنكار حقِّ الإمام المعصوم مع علمهم به.

الإمامية يقبلون ما يرويه آحاد الناس عن مثل جعفر الصادق وأبيه الباقر - رحمهما الله -. ويجعلون هذه المرويات حجةً في الدين. لكنهم لا يقبلون بأي حالٍ

أحاديث النبي ﷺ التي يرويها مثل أبي بكر الصديق وابنته الصديقة عائشة. ولا يقبلون ما يرويه الفاروق عمر، ولا عثمان، ولا ابن عمر، ولا غيرهم من مشاهير الصحابة الذين كانوا معادن الصدق والديانة والأمانة. والسبب في ذلك كله يرجع لعقيدة (الإمامة) المتطرِّفة، التي من خلالها تتشكل التصورات الشيعية لمسائل الشريعة.

هذه حقيقة موقف الإمامية من مرويات الصحابة. وإذا كان الشيخ الصفار لا يقرُّ بهذا التفسير، فليقدم لنا - إذن - تفسيراً مقنعاً يبرِّر إهدار أقوال النبي ﷺ التي يرويها أكابر أصحابه وزوجاته أمهات المؤمنين.

وكما ذكرت - آنفاً - فوصية النبي ﷺ بأهل بيته لا تدل على إلغاء أحاديثه التي يرويها عنه سائر الأصحاب. فقد كان بإمكان الشيعة أن يأخذوا بمرويات أهل البيت، ويأخذوا معها بمرويات الخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين.

إلا إن كان الشيخ الصفار سيقول لنا من جديد: إن (بعض!!) الشيعة تعمَّدوا إهدار مرويات الصديق والفاروق وعثمان وعائشة وحفصة وابن عمر بسبب الاضطهاد السني!!

*****

على أن الشيخ الصفار لم يوفَّق للإنصاف حين قابل بين موقع الصحابة عند أهل السنة، وموقع أهل البيت عند الشيعة. فجعل أهل السنة يأخذون دينهم عن الصحابة، والشيعة يأخذون دينهم عن أهل البيت فقط.

فأهل السنة إنما يحتجون بما يرويه الصحابة عن النبي ﷺ. وأما الشيعة الإمامية فلا يتعاملون مع أهل البيت على أنهم رواةٌ، أو حتى علماء مجتهدون. بل يتخذون من أقوالهم مصدراً مستقلاً للتشريع باعتبارهم أئمةً معصومين معيَّنين من قبل الله - عز وجل -. فما يقولونه حجةٌ في الدين يجب الأخذ بها، كما يجب

الأخذُ بالقرآن وبأقوال النبي ﷺ. فكل كلمةٍ يقولها الباقر أو جعفر الصادق أو موسى الكاظم أو علي الرضا - رحمة الله عليهم -، فهي حجة في الدين، كما أن آيات القرآن الكريم حجة، وكما أن كلام النبي ﷺ حجة!!

فمقارنة الشيخ بين موقع الصحابة في مذهب أهل السنة، وموقع أهل البيت في مذهب الشيعة مغالطة تنافي الدقة والموضوعية التي من المفترض أن يلتزمها من يريد مناقشة الملفات الحساسة والمزمنة.

فالشيخ - وفقه الله للهدى - تجنب إعطاء الصورة الصَّريحة لموقف الشيعة من الأئمة الاثني عشر؛ لأن حقيقة هذا الموقف مناقضةٌ لعقيدة الإيمان بقاعدة ختم النبوة التي يتفق عليها أهل الإسلام.

فلا خلاف بين المسلمين على أن النبيَّ محمداً ﷺ خاتمُ الأنبياء والرسل، وأنه لا نبي من بعده. وأما الشيعة فهم - وإن لم يسمُّوا أئمة أهل البيت أنبياء - يسبغون عليهم أخصَّ أوصاف الأنبياء. فالأئمة عندهم معيَّنون من قبل الله - عز وجل -!!. وهم معصومون من الوقوع في السهو والخطأ!!. وقولهم حجةٌ في الدين!!. ومن جحد إمامتهم، أو إمامة واحدٍ منهم استحق الخلود في النار!!. ولا يستقيم لأحدٍ دينه إلا بالإيمان بإمامتهم جميعاً وعصمتهم!!

هذه نظرة الشيعة للأئمة الاثني عشر، ومن المعلوم أن العبرة بالمعاني وليست بالألفاظ والمسميات، فإذا أسبغ الشيعة أوصاف الأنبياء على الأئمة، فقد أنزلوهم منزلة الأنبياء، والمماحكة في التسمية بعد ذلك لن تعدوَ أن تكون تلاعباً بالألفاظ.

ومع إيمان الشيعة باثني عشر مصدراً للتشريع، علاوةً على الكتاب والسنة، فلا يمكن بعد هذا أن يكون خلافهم مع سائر الفرق خلافاً فرعياً كما ذكر الشَّيخ الصفار. وهذا ما سأقف معه في التعقيب القادم - إن شاء الله تعالى -.

بندر الشويقي مواصلاً مداخلته (٣-٤)

نسي الشيخ الصفار أن المملكة قبل هذه الحادثة ظلت تعاني لسنوات من فكرة (تصدير الثورة) التي تبناها الخميني

لدينا قاعدتان اثنتان:

١ - (يجوز) لعن المخالفين، (وتجب) البراءة منهم، وإكثار السَّبِّ عليهم، واتهامهم، والوقيعة فيهم... لأنهم من أهل البدع والرِّيب. بل لا شبهة في كفرهم.

٢ - يجوز اغتياب المخالف، كما يجوز لعنه.

وقبل أن يعجل عليَّ داعية التسامح والمكاشفة الشيخ حسن الصَّفار، وقبل أن يباغتني باللوم قرَّاءُ هاتين القاعدتين اللطيفتين، وقبل أن تنهال على رأسي تهم: (الإقصاء) و(التطرف)، و(نبذ الآخر)، و(تشجيع الطائفية)، و(التعبئة ضد المخالفين)، و(نشر ثقافة الكراهية)....إلخ

قبل ذلك كله: أحبُّ التنبيه من البداية إلى أنني لست قائلَ هذا الكلام ولا منشئه، وإنما أنا مجرد ناقلٍ، لا أقل ولا أكثر.

ثم إنني لم أنقل هذين النصَّين عن أحد النازيين الجدُد، ولا القدماء. ولا أتيت به من تراث الصهاينة المتعصِّبين، ولا من أدبيات اليمين المسيحي المتطرِّف.

وإنما نقلت هذين النصين من مصادر معروفةٍ رأيت الصَّفار في (مكاشفاته!!) يقول إنها خالية من «التشنج وتكفير الآخر وتجريحه أو التعبئة ضده»!!

ففي القسم الثاني من مكاشفات الشيخ، وبعد أن قطع على نفسه عهداً بالصراحة والوضوح: شرح لنا الشيخ طريقة التعليم في الحوزة العلمية بالنجف، وسرد أسماء بعض العلماء والمراجع الكبار الذين حضر دروسهم هناك، وذكر عناوين الكتب التي يدرسها الطالب في مراحل تعليمه بالحوزة. ثم قال في ختام ذلك: «كل هذه الكتب تطرح المعتقدات الشيعية بأدلتها بعيداً عن التشنُّج وتكفير الآخر وتجريحه أو التعبئة ضده»!!

هذا ما قاله الشيخ حسن الصفار - وفقه الله للهدى .. وقد قارنَ في مكاشفاته بين التعليم في حوزة النجف وإيران، وبين التعليم في المملكة، باعتبار الأول تعليماً متسامحاً، والثاني تعليماً يتسم بالتشنج والتعبئة ضد (الآخر).

وسوف أعترف مقدماً بأنني أكتب هذه المقالة، عن سبق إصرارٍ وترصُّد، من أجل تغيير تلك الصورة الحالمة البريئة المتسامحة التي رسمها الشيخ حسن الصَّفار للحوزة العلمية الشيعية التي تعلم فيها. وليعذرني الشيخ، فهو الذي حثَّنا من البداية على المكاشفة والصَّراحة. ونحن إذا أصررنا على نظافة المكان الملوث، فسوف يبقى ملوثاً إلى الأبد.

فمن جملة الشيوخ الذين ذكر الصَّفار أنه حضر دروسهم بالنجف: عالم الشيعة الشهير، أبو القاسم الخوئي، المرجع الشيعي الأعلى، وزعيم الحوزات العلمية، الذي تخرج على يديه جميع المراجع الموجودين اليوم.

هذا الشيخ الذي كان يتزعم سياسة التعليم في الحوزات الشيعية، والذي حضر الصَّفارُ دروسه بالنجف، هو نفسه صاحب النص الأوَّل الذي نقلته في مطلع هذا المقال. ذلك النص الذي بلغ الغاية في (الليونة)، و(التسامح) مع المخالفين! والنص موجود في كتابه مصباح الفقاهة (١/٢٢٣).

وإذا تذكرنا أن الخوئيَّ كان مرجعاً لملايين الشيعة في العالم، فبموجب قواعد الفقه الشيعي، سيكون هذا المنهج الذي رسمه للتعامل مع المخالفين شرعاً ملزماً لجميع مقلديه، بحيث لا يجوز لهم الخروج عنه أو مخالفته، ما لم تعترض ذلك ظروف التقية.

أما النصُّ (المتسامح) الثاني الذي ذكرته بأول المقال، والذي فيه جوازُ لعن المخالف وغيبته، فهو منقولٌ من كتاب (المكاسب١/٣١٢)، لمرتضى الأنصاري، رأس الشيعة في زمانه وعالمهم. وإنما نقلت عن هذا الكتاب بالذات؛ لأن الصفَّار ذكره في جملة الكتب المقررة التي درسها هو وطلاب الحوزة بالنجف. التي زعم خلوها من «التشنج»، و«التكفير»، و«التجريح»، و«التعبئة ضد الآخر»!

وفي كتاب (المكاسب) علاوةً على ذلك: وجوب إتلاف كتب الضلال التي تختص بذكر فضائل الخلفاء الراشدين الثلاثة!! وتحريم اتخاذها إلا للوقوف على حجج المخالفين من أجل الرَّد عليهم، أو من أجل مجاراتهم على سبيل التقية!! (٢/٣٨٦).

ومما ورد في الكتاب - أيضاً -: «إذا رأيتم أهل الرَّيب والبدع فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبِّهم، والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم... يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»!! وقد نسب مؤلف الكتاب هذا النص (المتسامح) إلى النبي ﷺ وصحَّح سنده!! (١/٣٥٣).

ومما في الكتاب أيضاً: أنه يحرم على الشيعي أن يقتل المؤمن (الشيعي)، ولو أكره على ذلك. لكن إن أكره على قتل الناصبي فيجوز له؛ لأن النواصب دمهم غير محقون!! (٤/٣٥٦).

ومن الكتب التي ذكر الصفار أنه درسها في تلك البيئة المتسامحة، كتاب (شرائع الإسلام) للمحقِّق الحلي. ومما ورد في هذا الكتاب (٣/٦٦٢): استحباب عتق العبد إذا كان شيعياً، وكراهية عتقه إذا كان من غير الشيعة الإمامية!!

وللمحقق الحلي كتاب آخر اسمه (المعتبر) نقل فيه عن المفيد تحريم غسل الميت من المخالفين أو الصلاة عليه، وعلَّل ذلك بأن المخالف ((كافر))! ١/ ٣٣٠

أما كتاب (شرائع الإسلام) الذي درسه الصَّفار بحوزة النجف، فقد تسامح المؤلفُ فيه وتساهل قليلاً، وأباح للشيعة الصلاة على الميت إذا كان ممن يظهر الشهادتين، لكن.... إن كان الميت مؤمناً (شيعياً) دعا المصلي له.... وإن كان منافقاً (غير شيعي) دعا عليه!!

أما إن جهل المصلي حال الميت، ولم يدرِ أهو ممن يؤمن بالولاية أو ممن ينكرها، فيقترح الحلي على المصلي الشيعي أن يدعو الله بأن يحشر هذا الميت مع من كان يتولاه!!

أما كتاب (اللمعة الدمشقية ٢٢) الذي درسه الصَّفار - أيضاً - بالنجف، فإن مؤلفه يرى مشروعية الصلاة على الميت من غير الإمامية، وذلك بالتكبير عليه أربعاً، ثم لعنه!!

وهذه المصادر كثيراً ما تعبِّر عن الشيعي بكلمة (المؤمن)، والمخالف بكلمة (المنافق)، باعتبار أنه يظهر الإسلام، ويتكلم بالشهادتين. لكن لعدم إيمانه بالإمامة، فليس له إيمانٌ صحيح، وبالتالي فهو خالدٌ في نار جهنم. تماماً كما هو الحال بالنسبة لسائر المنافقين المظهرين للإسلام!

هذه النصوص التي نقلتها إنما هي غيضٌ من فيضٍ. ونقطةٌ من (مستنقعٍ) لا ساحل له. ويمكن للباحث أن يجمع أضعافها ببحثٍ عابرٍ. فالتراث الشيعي مثقلٌ بمثل هذه النصوص السَّوداء. وإن أحبَّ الشيخ الصَّفار أن أنقل له منها العشرات، بل المئات، فلن أجد أيَّ صعوبةٍ في ذلك. ولن أكون في حاجة للاقتصار في النقل عن أسماء شيعيةٍ مغمورةٍ؛ لأن هذه النصوص موجودة بكثرة في مصنفات المراجع الكبار

وأعيان المذهب الإمامي، القدماء منهم والمحدثين. وأستطيع القول باطمئنان: إنه لا يوجد في الإسلام طائفةٌ تنافس الإمامية في هذا المضمار. مع إقراري بوجود ما يشبه هذه النصوص لدى سائر الفرق، لكن بقدرٍ أقل.

ولم أكن أحبّذ الإطالة على القارئ، وإثقال المقال بمثل هذه النقول التي يعرف فحواها من له أدنى عناية بالفقه الإمامي. وكنت أودُّ الاقتصار على مناقشة الأفكار القائمة دون حاجة للتطويل في إثباتها، غير أن طريقة الشيخ الصَّفار - وفقه الله للهدى - في المغالطة وتجاهل الحقائق الواضحات تجعل محاوره يحتاج إلى إثبات الحقائق المعروفة، ورد الأمور إلى نصابها، قبل الانتقال لمناقشتها.

الشيخ حسن الصَّفار - من بداية مكاشفاته إلى نهايتها - يدعو للتقارب والوحدة، لكن من خلال طرح المطالب، وإدانة المخالفين، والمبالغة في تبرئة المذهب، وإلقاء التبعة على الآخرين إلى درجة المكابرة وإنكار المحسوسات:

فسبُّ الشيعة للصحابة إنما هو رد فعلٍ من (بعض!!) الشيعة نتيجةً للاضطهاد السني!

والكتب التي تدرس في الحوزات الشيعية بعيدةٌ وبريئةٌ من التشنج والتجريح والتعبئة ضد الآخرين!

وأهل السنة في إيران يعيشون في جنةٍ من التسامح عرضها الجمهورية الإسلامية الإيرانية!

وكتاب (كشف الأسرار) للخميني الذي يعرفه الباحثون والمثقفون، والذي تضمن الطعن الصريح في أصحاب النبي ﷺ لم يطلع عليه الشيخُ الصفار، مع أنه ألف كتاباً عنوانه: «قراءة في فكر الإمام الخميني»!

وضحايا النظام الإيراني من أهل السنة يقول الشيخ الصَّفار إنه لم يسمع عن أخبارهم قطُّ!

وآلاف الكتب التي تقذف بها مطابع قم، والتي تمتلئ بالقبائح في حق الصحابة الكرام، لم يرَ منها الصفار شيئاً، ولا سمعَ عنها. وكل الذي بلغه قصة مؤلف اسمه يعقوب رستكاري حوكم في إيران بسبب نيله من الصحابة!

بل حتى أحداث الحج الأليمة التي وقعت بالحرم المكي سنة (١٤٠٧هـ)، وأدمت قلوب المسلمين بكلِّ مكان. رأينا الشيخ الصَّفار يعبِّر عنها بصيغةٍ تصوِّر الجاني في صورة الضحية المظلومة المكلومة!

فحين سُئل الشيخ الصَّفار عن مدة إقامته بإيران، وهل تمكن نظام الخميني من استغلاله ضد وطنه؟ أجاب قائلاً: «لم يبدِ الإيرانيون اهتماماً بالوضع في المملكة إلا بعد ما حصل في مكة (للإيرانيين) في حج عام ١٤٠٨هـ».

هذا نصُّ عبارة الشيخ، ولا أدري أهو سبق لسانٍ، أم أن الشيخ يعني ما يقول.

كنتُ أنتظر من الشيخ أن يقول: «بعدما حصل في مكة (من) الحجاج الإيرانيين».

لكن الشيخ عدَلَ عن ذلك ليقول: «بعدما حصل (للإيرانيين)».

ولربما كان بالإمكان غضُّ الطرف عن مثل هذه اللفظة، وحملها على خللٍ غير مقصودٍ في التعبير، لولا أن السِّياق يؤيد ما فهمته. فظاهر كلام الشيخ أن نظام الخميني لم يكن ليتدخل في شؤون المملكة لولا الجناية التي تعرض لها موطنوه الإيرانيون في حجِّ ذلك العام الأسود!

وكأن الشيخ يريد أن يقول لنا: إن موقف الخميني من المملكة كان ردةَ فعلٍ للاضطهاد السُّعودي، تماماً كما أن موقفَ (بعض!!) الشيعة من الصحابة كان ردةَ فعلٍ للاضطهاد السني!. ويبقى الطرف السُّني دائماً هو المدان.

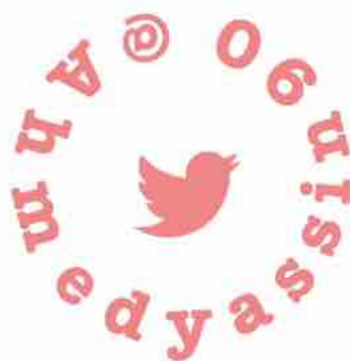
فهل نسي الشيخ أن المملكة قبل هذه الحادثة ظلت تعاني لسنوات من فكرة (تصدير الثورة) التي تبناها الخميني منذ السنوات الأولى لثورته، وحاول أن يتخذ من موسم الحج فرصةً للدعاية لها؟

وهل نسي الشيخ الصَّفار أن السلطات الرسمية بالمملكة أعلنت أنها في العام السابق لأحداث (١٤٠٧هـ) ضبطت حقائب لحجاج إيرانيين محشوة بالمتفجرات، وبثَّت اعترافاتٍ متلفزة تثبت ذلك؟!

لم أكن أحبُّ نبشَ الماضي، وإثارة الجراح القديمة. لكن عجبي ما زال يطول ويطول من المنهجية التي يعرض بها الشيخ المسائل، والطريقة التي يطرح بها تصوراته لمنهج التقارب والوحدة. وكم تمنيت لو أنه لم يجعل غايته الذبَّ عن المذهب، والاجتهاد في ستر عيوبه. فالله أمرنا بالدَّوران مع الحق حيث دار. ومثل تلك القبائح الموجودة في التصورات الشيعية كان يكفي الصَّفار أن يتبرأ منها، دون أن ينكر وجودها. وبهذا يكون قد وضع قدمه على أول طريق التصحيح.

وفي ظل منهج المغالطة فإن من الصَّعب علينا أخذ دعوات الشيخ على محمل الجدِّ. فالصدق وزرع الثقة لدى الآخرين يمثل الخطوة الأولى في سبيل إطلاق حوارٍ ناجحٍ، وجدلٍ علمي ناجعٍ. ودون ذلك فسوف نظل ندور في حلقة مفرغة من الاتهامات المتبادلة، ولن نجني في النهاية سوى مزيدٍ من الفرقة والاختلاف.

وقد كنت وعدتُ في خاتمة مقالي السابق بعرض حجم الخلاف السُّني الشِّيعي، والنظر في الوسائل الشرعية لعلاجه (من وجهة نظري). غير أنني كلما أعدتُ قراءة حلقات المكاشفات رأيت فيها الكثير الكثير مما يستدعي التوقف عنده والتعليق عليه. ولي عودة - إن شاء الله - لمواصلة مكاشفاتي مع ضيف المكاشفات.



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

بندر الشويقي في ختام مداخلته (٤-٤)

أدعو الشيخ حسن وغيره من القيادات الشيعية إلى ممارسة النقد الداخلي الصادق للمذهب

الشيخ حسن الصفار له رسالةٌ مطبوعة في ترجمة شيخه محمد الشِّيرازي، عنوانها (الإمام الشِّيرازي، ملامح الشخصية وسمات الفكر). ومما جاء في (ص٢٨) من هذه الرسالة أن الشِّيرازيَّ كان «يميل إلى القبول بكلِّ ما ورد في الكتب الأربعة. ومن النادر جداً أن يردَّ روايةً من الروايات».

هذا نصُّ عبارة الشيخ الصفار نقلته بالحرف، والكتب الأربعة المقصودة هنا هي التي تُعرف عند الإمامية بالجوامع الحديثية المتقدِّمة. وأهمها وأشهرها كتاب (الكافي) للكُليني، فعبارة الشيخ الصفار المنقولة تفيد أن شيخه ومرجعه الشيرازيَّ كان يقبل مرويات كتاب (الكافي).

وقد أطلتُ الوقوف عند هذه المعلومة، وعجبتُ كثيراً حين رأيتُ الصَّفارَ في مكاشفاته يوجه لومه لأهل السنة الذين يحاسبون الشيعة على ما ورد في كتاب (الكافي). ورأيته يقول: إن هذا «خطأٌ كبيرٌ ناتج عن الخلط في الموضوع»؛ لأن الشيعة لا يقبلون جميع ما في هذا الكتاب، بعد انحسار مدرسة (المحدثين الإخباريين الشيعة) التي كانت سائدةً في القرنين الحادي عشر والثاني عشر. وأكَّد الشيخ الصَّفار أن «كل علماء الشيعة يتحدثون عن هذا الأمر»!!

هذا ما ذكره الصَّفار في مكاشفاته. والتناقض بين الكلامين ظاهرٌ، غير أن الحرص على تنزيه المذهب وزخرفته لا بدَّ أن يحمل المتمذهب الجلد على الوقوع

في مثل هذه الازدواجية. فالصَّفار في كتابه ينقل عن شيخه إيمانه بصحة أحاديث (الكافي)، وفي مكاشفاته يلوم أهلَ السنة الذين يخطئون حين يظنون أن الشيعة يقبلون جميع ما في هذا الكتاب!

وإذا تذكرنا أن الشِّيرازي - الذي توفي قريباً - كان مرجعاً معتبراً لشريحةٍ واسعةٍ من شيعة العالم، فسوف ندرك حجم هذا التناقض؛ لأن كلمة (مرجع) حسب المفهوم الشيعي تعني التبعية الملزمة، بمعنى أن أتباع مرجعية الشيرازي، سيكون موقفهم من كتاب (الكافي) مطابقاً لموقف مرجعهم.

وسوف يزيد العجب ويتعاظم إذا عُدنا للمكاشفات ورأينا الصَّفار يذكر عن نفسه أنه كان «منتمياً لمرجعية السَّيد الشيرازي، وداعماً لها». وأن «الجانب الفكري والثقافي والحركي في حياته كان من خلال مدرسة السيد محمد الشيرازي».

ونتيجة هذا الكلام أن الصفار نفسه كان يلتزم صحة أحاديث كتاب (الكافي) حين كان تابعاً ومقلداً لمرجعية الشيرازي!! فهل يسوغ - بعد هذا - تخطئة من يحاسبون الشيعة على ما في (الكافي) من بلايا وضلالات؟!

وأنا إنما نقلت تصحيح أخبار (الكافي)، عن المرجع الشيرازيِّ على وجه الخصوص؛ لأن الصَّفار نفسه هو الذي حكى عنه هذا المذهب. وإلا فإن الشِّيرازيَّ لم يكن وحده المرجع الشيعيَّ المعاصر الذي يؤمن بصحة مضامين (الكافي)، فهناك - أيضاً - المرجع اللبناني المعروف (عبدالحسين شرف الدين)، فقد ذكر في كتابه (المراجعات ص٧٢٩) أن الكتب الأربعة «متواترة، ومضامينها مقطوعٌ بصحتها»!!. ثم قال: «والكافي أقدمها، وأعظمها، وأحسنها، وأتقنها»!!

وأغرب من هذا وأعجب أن المرجع الشيعيَّ العراقي الشهير محمد صادق الصَّدر نقل اتفاق الشيعة على هذا المسلك!! فقد ذكر في كتابه (الشيعة ص١٢٧):

أن الشيعة «مجمعةٌ على اعتبار الكتب الأربعة، وقائلةٌ بصحة كل ما فيها من روايات»!!

فمن هذا كله نخلص إلى أنه لا لومَ على من يحاسب الشيعة على الأباطيل التي يطفح بها كتاب (الكافي). وليس للصفار أن يصوِّر هذا الموقف على أنه «خطأٌ كبيرٌ ناتج عن الخلط في الموضـــوع»، فـمن الواضح أن الإشكال إنما يرجع لاضطرابٍ وتذبذبٍ في الموقف الشيعي من الكتاب.

مع أن الذي يعرف مضامين (الكافي) يدرك أن الإيمان بصحة ما فيه يعني بالضرورة مصادمة أوضح المسلمات والحقائق الشرعية. ويكفي فقط أن يطالع القارئ فهرس محتويات أصوله ليعرف حجم الانحراف الذي تضمنه. وقد كان المنتظر من مثل الصفار - وهو الذي يتبنى الإصـلاح - أن يشارك في نقد هذا الكتاب، والتحذير من انحرافاته، وبيان خطورة التعويل عليه، لا أن يكلِّف نفسه عناء الدفاع عمن تبنى صحته وانتصر له.

وسواء أأجمع الشيعة على قبول ما في هذا الكتاب أو لم يجمعوا، فموضع الخطورة أنهم متفقون على تعظيم مؤلفه وإجلاله، واعتباره من أئمة الإسـلام وأعلامه، حيث يلقبونه (ثقة الإسلام)، ويفاخرون بكتابه في جملة ما يفاخرون به من مآثر. مع أن حقَّ هذا المؤلف أن يُعدَّ في جملة المبطلين الذين أسهموا في تمزيق الأمة، وتحريف مذاهب أئمة أهل البيت، علاوة على دين الإسلام.

ولو أن كتاباً سنياً تضمَّن إساءةً للطائفة الشيعية لأثار ذلك حفيظة الشيخ الصفار. لكن أن يتضمَّن الكتاب عبثاً بالشريعة، وتحريفاً فجّاً لدين المسلمين، فهذا ما لم يحرك لدى الشيخ ساكناً، وأخشى أن الشيخ لا تحركه إلا مواقف الآخرين من المذهب الإمامي!

وهذه بعض عناوين الكتاب أسوقها لمن ليس لديه الوقت للاطلاع عليه:

(باب: أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنهم لا يخفى عليهم الشيء)!.... (باب: أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل)!.... (باب: أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا)!.... (باب: أن الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم)!.... (باب: أن الأئمة ورثوا علم النبي، وجميع الأنبياء، والأوصياء)!.... (باب: أن الأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله، وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها)!.... (باب: أن الأئمة هم أركان الأرض)!..... (باب: أن الواجب على الناس بعد أن يقضوا مناسكهم أن يأتوا الإمام)!.... (باب: أنه ليس في يد الناس من شيء من الحق إلا خرج من عند الأئمة، وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطلٌ)!

هذه فقط بعض عناوين الكتاب، وتحت هذه العناوين من الأخبار الأباطيل، والآراء المنكرة المنسوبة لأئمة أهل البيت - رضوان الله عليهم - ما تكاد السَّموات يتفطَّرن منه، وتنشق الأرض، وتخرُّ الجبال هداً.

ومما يجدر التنبيه له والتذكير به: أن هذا الكتاب يمثل أحد المشارب الكدرة، التي اعتمد عليها طائفة من علماء الإمامية في إثبات أن القرآن الكريم تعرَّض للتحريف والعبث. وهذا القول الفاسد وإن كان أكثر المعاصرين ينكرونه ويتبرؤون منه، غير أنه يبقى قولاً لجماعة من مشاهير علماء المذهب. وتبرؤ المعاصرين منه لن يكون له نتيجةٌ حاسمة، ما لم يصحب ذلك موقفٌ حازمٌ ممن تبنَّوا هذا الرأي المنكر وروَّجوا له من أمثال الكليني، والمجلسي، والحرِّ العاملي، والطبرسي، والجزائري، وغيرهم. فأي دينٍ يبقى لمن تجرأ على التنزيل الحكيم؟! وكيف يمكن أن يُعدّ أولئك أئمةً وقدواتٍ للمسلمين مع تصريحهم بمثل هذا الانحراف الخطير، والضلال المبين؟

وما دام أولئك الغلاة - مع طعنهم في كتاب الله - يحضَون بالاحترام والتوقير، ويعدون من أكابر علماء المذهب المعتمدين، فإن باب التشكيك في القرآن يبقى مفتوحاً على مصراعيه. وسوف يأتي من يتبنى ضلالهم ويشهره، كما تبناه من قبلُ صاحب كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب)، فهو لم يزد في كتابه على جمع المرويات المكذوبة عن الآل في إثبات التحريف، وأضاف إليها أقوال جملةٍ من أعيان المذهب المعتبرين. ثم انتهى إلى الطعن في دستور الأمة المسلمة، معتبراً هذا مذهب الأئمة المعصومين!!

لهذا كله، فإنني أدعو الشيخ الصفار وغيره من القيادات الشيعية - إن أرادوا التقريب والاجتماع الحقيقي لا المتوهم - إلى البحث في جذور المشكلة، وممارسة النقد الداخلي الصادق للمذهب، قبل توجيه اللوم للآخرين الذين لا يملكون إلا امتثال ما أوجبه الله عليهم من إنكار ما يرونه ويسمعونه من أقاويل منحرفة يتبناها كبار علماء المذهب، ويتلقاها عنهم مقلدوهم. وما لم تكن المواقف واضحةً كل الوضوح فلن يكون هناك جدوى من التلاوم والتشكي من الفرقة والاختلاف.

والموقف السُّني من الفكر الشيعي لم يأتِ من فراغٍ. بل هناك أسبابٌ لا بدَّ من مواجهتها بصراحةٍ وجرأةٍ إذا أردنا علاجاً جذرياً لخلافاتنا. وإعطاء معلومات مغلوطة عن واقع المذهب، لن يجدي شيئاً في وقتٍ أصبحت فيه المصادر متيسرةً بأيدي الباحثين.

ومن الواضح أن أصل الخلاف يدور حول فكرة (الإمامة والعصمة) التي أفرزت الكثير من الانحرافات داخل المذهب الشيعي، وتسببت في بُعد الإمامية عن سائر المذاهب الإسلامية.

فموقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام جاء نتيجة طبيعية لعقيدة الإمامة التي تصور الخلفاء الثلاثة ومن معهم على أنهم مغتصبون لحق الإمام المعصوم الذي طاعته بمنزلة طاعة الله - عز وجل -!

وفرية تحريف القرآن، هي الأخرى وليدة لفكرة (الإمامة والعصمة)؛ لأن القائلين بهذه الفرية لم يجدوا في القرآن نصاً صريحاً يثبت إمامة علي بن أبي طالب وعصمته، فألجأتهم الحاجة إلى القول بأن القرآن انتقص منه.

وموقف الشيعة من السلطات الحاكمة المسلمة على مرِّ التاريخ، سببه عقيدة (الإمامة والعصمة) التي لا ترى لغير الأئمة المعصومين ونوابهم حقاً في تولي شؤون المسلمين.

وموقف الإمامية من مخالفيهم - أيضاً - هو نتيجة مباشرة لاعتقادهم أن (الإمامة والعصمة) ركن لا يصح إيمان المكلف إلا به.

وإعراض الشيعة عن مرويات الصحابة الكرام، فرعٌ عن فكرة (الإمامة والعصمة)، التي جعلتهم محلَّ تهمة فيما ينقلونه عن نبيهم ﷺ لأنه لا يمكن الثقة بنقلهم، بعد أن جحدوا النص الجليَّ الذي يثبت إمامة علي رضي الله عنه!

ونظرية (الإمامة والعصمة) هي التي أوجدت للشيعة مصادر خاصة للتلقي شذُّوا بها عن جمهور المسلمين. فالمسلمون كلهم - عدا الشيعة - لا يرون عصمةً لبشرٍ بعد النبي ﷺ وأما الشيعة فلهم اثنا عشر إماماً معصوماً، أقوالهم بمنزلة قول الله وقول رسوله ﷺ.

والذي يطلع على التراث الشيعي يجد استدلالهم بكلام جعفر الصادق وأبيه الباقر أكثر من استدلالهم بقول الله ورسوله - صلوات الله وسلامه عليه -. ومن البدهي أن الاختلاف في مصادر التلقي لا يستقيم مع دعوى الشيخ الصَّفار أن الخلاف بين الفريقين خلافٌ فرعي.

ربيع بن هادي المدخلي(*)

واقع مصارحات حسن الصفار ومعالجاته للملفات المزمنة والحساسة(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد اطلعت على كلام للشيعي الغالي (حسن الصفار) في أولى مكاشفاته كما يقول المشرف على الرسالة التابعة لجريدة المدينة (عبد العزيز محمد قاسم)، الصادرة في يوم الجمعة ١٧ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق١ أكتوبر ٢٠٠٤م.

وهذه المكاشفة طويلة وعليها ملاحظات كثيرة، وإنني سأتناول في هذه الكلمة مسألة التقية فحسب لتكون أنموذجاً لباقي المآخذ عليه:

١ - ذكر الصفار في هذه المكاشفة أنه يجب أن نتقبل المصارحة والمكاشفة؛ لأنها هي الأسلوب الأمثل والمناسب لمعالجة الملفات المزمنة والحساسة.

وأقــول:

هذا كلام لا حقيقة له ولا واقع لدى الصفار في مكاشفاته لا في حياته ولا في مواقفه إلى هذه الساعة، ولو كان صادقاً لبدأ بمعالجة ملفات الروافض المزمنة بل

(*) أحد علماء الحديث والمراجع السلفية بالسعودية.

(*) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ٨ رمضان ١٤٢٥هـ - ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٤م.

لفعل كما فعل السيد (حسين الموسوي) في كتابه (لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار)، وذلك من دلائل صدق الحسيني ونصحه للإسلام والمسلمين.

ولو كان الصفار صريحاً صادقاً ناصحاً فيما يقول لما سمعناه يتباكى من المناهج الدراسية، ويتباكى لعله من الإشارات الخفية من المدرسين، لا أقول من المصارحات، ويعدّ ذلك تحريضاً على طائفته.

٢- قال المكاشف وهو عبد العزيز محمد قاسم للصفار: " دعني أكن صريحاً معك بأن طيفاً غير قليل من قراء هذه المكاشفة سيصرفون حديثك ويتوجسون من أنها قد تدخل في نطاق التقية أو البراغماتية المرحلية، وأستأذنك في طلب تعليق على ما سمعت؟.

فأجاب الصفار: «هذا موضوع سبق الحديث عنه في مناسبات عديدة، وهذا يدخلنا في بحث حول ما يثار عن الشيعة في استخدامهم للتقية، ومن المؤسف جداً أن من نتائج الصراع المذهبي التنكر لبعض المفاهيم الدينية. مفهوم ديني يجري التنكر له بسبب الصراع المذهبي، التقية ليست قضية مطروحة عند حدود المذهب الشيعي، ولكنها قضية قرآنية يطرحها القرآن ويطرحها الإسلام بشكل عام، القرآن الكريم فيه آيات عديدة تؤكد أن للإنسان - إذا كان في موقع يخاف على نفسه الضرر أو أن يكون في موقع يسبب له مشكلة من إظهار رأيه وعقيدته - أن يلجأ إلى التكتم على رأيه وعقيدته حفاظاً على حياته ومصلحته.

إن القرآن الكريم يقول: ﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾، والقرآن يقول: ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾، والقرآن يقول: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَه ﴾، ففي القرآن الكريم آيات تدل على هذا الأمر إضافة إلى القاعدة العامة ﴿ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾.

وحينما نعود إلى كتب التفسير نجد كل عالم يمر على هذه الآيات يستعرض هذا المفهوم، وفي الفقه نجد موارد مختلفة يبحث فيها الفقهاء أثر الإكراه والاضطرار».

وأقول:

إن لي على هذا المقطع من المكاشفة مؤاخذات على الصفار.

الأولى: على قوله «هذا موضوع سبق الحديث عنه في مناسبات عديدة».

فماذا يستفيد أهل السنة من رجل لا يحول ولا يزول عن عقائده، ولا يتحرك إلى أهل السنة وإلى الحق الذي معهم قيد أنملة؟

وماذا يستفيد أهل السنة من نشاط الملالي في دعوتهم إلى التقريب من أكثر من خمسين سنة وهم لا يزدادون إلا غلواً في عقائدهم الباطلة ولا يزدادوا إلا حماساً في نشرها في أوساط الشعوب المنتمية إلى السنة ومعظم نشاطهم يجري تحت ستار التقية؟

ولقد قامت لهم دول في الشرق والغرب وهم يخفون عقائدهم تحت جلباب التقية، ولو كان الخوف يأكل خصومهم؛ لأنها أصل عظيم من أصولهم يتدينون به في الشدة والرخاء، لا أمر ضروري تلجئهم إليه الشدة.

الثانية: على قوله: «ومن المؤسف جداً أن من نتائج الصراع المذهبي التنكّر لبعض المفاهيم الدينية. مفهوم ديني يجري التنكر له بسبب الصراع المذهبي».

فهو هنا يرى أن الذين يستخدمون التقية - من الروافض وأصناف الباطنية - على الحق؛ لأنهم متمسكون بمفهوم ديني قرره القرآن.

وأن أهل السنة على باطل؛ لأنهم باستنكارهم لمبدأ التقية عند الأصناف المذكورة إنما يتنكرون لمفهوم ديني قرره القرآن.

فهل هذا التصرف وقلب الحقائق من الأساليب المثلى في معالجة الملفات المزمنة التي منها تكفير الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم -، والطعن في زوجات رسول الله ﷺ بل الطعن في القرآن الكريم الذي تعهد الله بحفظه، وزعمهم أن الصحابة قد حرفوه وحذفوا منه آيات بل سوراً، وأن عند الشيعة وأئمتهم قرآناً مثل هذا القرآن الذي بأيدي المسلمين ثلاث مرات ليس فيه حرف واحد من هذا القرآن، كما في كتاب (الكافي) الذي يعدّ بخاري الإمامية؟

الثالثة: على قوله: «التقية ليست قضية مطروحة عند حدود المذهب الشيعي، ولكنها قضية قرآنية يطرحها القرآن ويطرحها الإسلام بشكل عام، القرآن الكريم فيه آيات عديدة تؤكد أن للإنسان - إذا كان في موقع يخاف على نفسه الضرر أو يكون في موقع يسبب له مشكلة من إظهار رأيه وعقيدته - أن يلجأ إلى التكتم عن رأيه وعقيدته حفاظاً على حياته ومصلحته». ثم ساق الآيات السالفة الذكر.

أقول:

أولاً: إن هذا التحريف الشديد لآيات القرآن ووضعها في غير موضعها يعد من المصارحة التي يجب أن يتقبلها أهل السنة، وهي الأسلوب الأمثل في معالجة الملفات المزمنة عند هذا الرجل وطائفته.

فيجب على أهل السنة أن يتقبلوا هذا الطرح وهذه المعالجات، فإن لم يقبلوا هذا الطرح فهم متعصبون متزمتون لا يعترفون بالآخرين ولا بآرائهم.

ثانياً: إن الآيات تتضمن رخصة للمؤمنين أهل التوحيد والحق إذا اضطروا واضطهدوا أن يظهروا من الباطل ما يدفعون به الضرر والخطر عن أنفسهم بشرط أن تكون قلوبهم مطمئنة بالإيمان والحق الذي اعتقدوه، مع أن الأخذ بالعزيمة والصبر على الضرر حتى القتل أفضل وأولى، كما فعل ذلك بلال رضي الله عنه حينما عذبه

المشركون من قريش، فتحمل الأذى الشديد حتى جعل الله له فرجاً ومخرجاً بشراء أبي بكر له - رضي الله عنهما -.

وكما فعل عبد الله بن حذافة تجاه تهديد ملك الروم له بالقتل والعذاب الشديد، فصمد وصبر حتى جعل الله له فرجاً ومخرجاً.

وكما فعل الإمام أحمد بن حنبل وإخوانه تجاه الجهمية، وكما فعل عبد الغني المقدسي وإخوانه، وكما فعل ابن تيمية وإخوانه.

والنادر من أهل السنة من يأخذ بالرخصة في حال الشدة والضرورة، ولكنهم يأخذون بها بقدر حاجتهم إليها فقط، ثم لا يدعون إليها ولا يعدّونها ركناً من أركان دينهم.

أما التقية التي يدين بها الشيعة على اختلاف فرقهم فشيء آخر ليس من الإسلام في شيء، وهي عكس الرخصة التي رخصها الله للمؤمنين وضدها تماماً؛ إذ هي إبطان الباطل والتظاهر بخلاف ما يبطنون، وذلك أمر بغيض إلى الله والمؤمنين.

فهم يبغضون الصحابة ويسبونهم ويكفرونهم ثم يقولون لأهل السنة: نحن نحب الصحابة ونترضى عنهم، ويكفرون أهل السنة وينكرون ذلك.

ويبطنون عقيدتهم في القرآن وأنه قد حرفه الصحابة وحذفوا منه بعض الآيات ويظهرون خلاف ذلك، بينما كتبهم المعتبرة تصرح بذلك، ويقولون: نحن نؤمن بالسنة النبوية وهم يبطنون الطعن فيها.

ويدّعون أن أئمتهم أفضل من الأنبياء والملائكة وأنهم يعلمون الغيوب ما كان وما سيكون، ويكتمون ذلك.

إلى عقائد أخرى في غاية البطلان، وكلها تغطى بستار التقية التي هي أخت النفاق الذي ذمه الله وكفّر أهله، وحذر منهم، وتوعدهم بأنهم في الدرك الأسفل من النار.

والحاصل أن القرآن والسنة بريئان من هذه التقية التي يؤمن بها الشيعة الإمامية وغيرهم من أصنافهم، والإسلام والمسلمون بريئون منها.

ونسأل الصفار: هل كان الصحابة في العهد المكي والمدني يستخدمون هذه الجنة جنة التقية؟ وهل اتخذوها أهلاً وديناً في حياتهم؟.

وهل المسلمون على اختلاف طوائفهم جعلوها أصلاً من أصول دينهم؟.

أو هي حالة استثناء قد يحتاج إليها بعض الأفراد في بعض الأحوال النادرة؟

الرابعة: على قوله: «وحينما نعود إلى كتب التفسير نجد كل عالم يمر على هذه الآيات يستعرض هذا المفهوم، وفي الفقه نجد موارد مختلفة يبحث فيها الفقهاء أثر الإكراه والاضطرار».

أقول: هذا من التلبيس على الناس، فالفقهاء والمفسرون يبحثون في قضية خوف الضرر والإكراه والرخصة التي يجوز للمسلم المضطر والمكره أن يلجأ إليها، ولديهم قاعدة وهي «أن الضرورة تقدر بقدرها» ولا يقولون بمفهوم التقية عند غلاة الشيعة على مختلف طوائفهم؛ إذ إن هذه التقية هي النفاق الذي كان يستخدمه المنافقون كيداً للإسلام وخداعاً لأهله وتربصاً ومكراً بالمؤمنين، ثم يدعون أن عملهم هذا من الإصلاح، قال الله تعالى عنهم: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ** ﴾.

وهذا عين ما تفعله الشيعة على امتداد تاريخهم المليء بمكايدهم للمسلمين والتعاون مع أعداء الإسلام ضد المسلمين.

٣ - قال المكاشف: «ولكن الاحتجاج هنا يا شيخ حسن قائم على افتراض أن هذه حالات استثنائية تقدر بقدرها وفي نطاقها الأضيق والاضطرار الشديد إليها،

ولكننا نلاحظ أن الإخوة الشيعة توسعوا في ذلك وجعلوه أصلاً من أصول طائفتهم».

فأجاب الصفار: «هذا التوسع فرضته ظروف يعيشونها، نحن يجب أن نناقش المبدأ.. هل التقية مفهوم موجود في الإسلام؟.

حينما يعاب على الشيعة استخدام التقية وتعدّ مأخذاً من المآخذ عليهم، ما يفهمه عامة المسلمين أن التقية ليست موجودة في الإسلام، وهم يستخدمون شيئاً لا يصح استخدامه.

ما يجب أن نميز هو أن المبدأ موجود أم غير موجود؟.

أما عن قضية التوسع فهذا يعود إلى الشخص نفسه في تقدير الظروف، وكل الفقهاء يقولون بالنسبة للحرج والاضطرار إن شخص الإنسان هو الذي يقدر مقدار الاضطرار.

حينما يجيز الفقه الإسلامي للمضطر أن يأكل الميتة، مقدار الاضطرار وظرف الاضطرار ليس الفقه هو الذي يشخصه، وإنما يشخصه الإنسان نفسه.

فهذا التوسع فرضته ظروف للشيعة أنفسهم».

أقول:

لاحظ أيها القارئ الكريم أن المكاشف أدرك أن الصفار الغالي قد حرف الآيات ونزلها في غير منازلها، وأن التقية قضية استثناء، وأنها في حال الضرورة فقط وتقدر بقدرها، وفي أضيق نطاق، وأن الشيعة قد توسعوا فيها وجعلوها أصلاً من أصولهم وقد اعترف الصفار بهذا التقرير.

ولو كـان منصـفاً وصـريحـاً في المكاشـفات ويريد لهـذا الشـعب الخيـر، ويريد التـوصل إلى الحق وإلـى نتائـج صحـيـحة تـخدم الإسـلام والمسلمين وتحـقق الخيـر والمصلحة لهذا البلد الذي يزعم أنه يسعى لمصلحته.

لو كان كل هذا أو بعضه متوافراً فيه لتوجه باللوم والإدانة للشيعة لا سيما وهو يعرف عقائدهم ومناهجهم ونواياهم ضد المسلمين.

كان من واجبه أن يوجه الذم والطعن واللوم إلى الشيعة الذين يسترون بالتقية عقائد وأعمالاً يعجز عنها المنافقون الذين عدّ الله عقائدهم وأعمالهم أشد من الكفر الواضح الصريح وأنهم في الدرك الأسفل من النار.

فالمنافقون ما ألفوا دواوين يكفرون فيها الصحابة ويعدون أبا بكر الجبت وعمر الطاغوت ولا اتخذوا ذلك أوراداً.

والمنافقون لم يؤلفوا كتباً يحرفون فيها القرآن ويتلاعبون به وينسبون ذلك إلى الصحابة، ولم يؤلهوا أهل البيت، ولا اعتقدوا فيهم أنهم يعلمون الغيوب ما كان منها وما لم يكن.

ولم يمدحوا التقية ويذكروا لها من الفضائل ما ذكره الشيعة.

انظر إلى ما تنسجه الشيعة الإمامية من قداسة لهذا النفاق المسمى بالتقية الأمـر الذي يزكيـه هـذا الصـفـار الذي يدعي لنفسـه التـحـرر وسـعـة الأفق بل والصراحة.

قـال إمـام الرفض والرافـضـة محـمـد بن يعـقـوب الكليني الرازي في كتـابه (الكافي) بعد أن ساق إسناده إلى أبي عبد الله (يعني جعفر الصادق - المظلوم المفترى عليه -):

١ - «في قول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾، قال: صبروا على التقية ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ قال: الحسنة التقية والسيئة الإذاعة».

٢ - وساق الكليني إسناده إلى أبي عمر الأعجمي قال: قال لي أبو عبدالله: «يا أبا عمر إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شيء إلا مسألتين في النبيذ والمسح على الخفين».

هكذا تسعة أعشار الدين في التقية!!!، ولا دين لمن لا تقية له، فالتقية في كل شيء، فأي دين هذا عند الروافض الذي هذا حاله وحال أهله؟

فهل نصوص القرآن والسنة والفقهاء تعني هذه التقية؟.

إن الصفار ليعرف حق المعرفة هذه التقية، ومع ذلك ينزل عليها نصوص القرآن.

برأ الله الإسلام والمسلمين وأهل البيت ومنهم جعفر الصادق منها.

٣ - وساق الكليني إسناده إلى حبيب بن بشر، قال: قال أبو عبد الله: «سمعت أبي يقول: لا والله ما على الأرض شيء أحب إلي من التقية. يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم تكن له تقية وضعه الله، يا حبيب إن الناس في هدنة فلو كان قد كان ذلك كان هذا». انظر هذين النصين في (الكافي) (ج٢ ص ٢١٧).

يعني أن التقية أحب إليه من الإسلام وعقائده وأحكامه ومن المسلمين وحاشا لأبي عبد الله ولأبيه من هذا الإفك، وإنما هذا دين الشيعة الامامية وإشكالهم الذين وضعوا أنفسهم وعقائدهم في حالة حرب مستمرة إلى أن يخرج أسطورة قائمهم المخترع من العدم للضحك على الروافض أنفسهم قبل غيرهم.

٤ - وساق الكليني بإسناده إلى عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله قال: «اتقوا على دينكم واحجبوه بالتقية؛ فإنه لا إيمان لمن لا تقية له، إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير، لو أن الطير يعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيء إلا أكلته.

ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبون أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنحلوكم في السر والعلانية، رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا». انظر (الكافي) (ج٢ ص٢١٨).

برأ الله أبا عبد الله من هذه الأباطيل؛ فإن هذا من عمل المنافقين الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وإن هذا الذي ينسب إليه لشر من كتمان الحق الذي لعن الله بسببه اليهود. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ** ﴾.

ولقد كان أبو عبد الله يبلِّغ ما عنده وما حفظه من الإسلام ومن الرواة عنه الإمام مالك وسفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وسفيان ابن عيينة وابن جريج وأبوعاصم النبيل وأبو حنيفة وأمثالهم من أئمة السنة، وشيوخه كلهم من أهل السنة، وبرأه الله من الرفض والروافض ومن النفاق الغليظ المسمى بالتقية.

وإن الشيعة في الأمة لمثل الأفاعي المشحونة بالسموم القاتلة لا كالنحل، فمن طعم شيئاً من سمومهم هلك.

٥ - وساق الكليني بإسناده إلى أبي عبد الله قوله بعد كلام يأمرهم فيه بأعمال يعملونها تقية: «والله ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخب، قلت: وما الخب؟ قال: التقية».

أقول:

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، أتدرون ما الخب؟ إنه الخداع، وقد قال الله تعالى في ذم المنافقين: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾.

كيف يحب الله الخداع؟ بل كيف يكون عبادة، بل ما عبد الله بشيء أحب إليه منها، تعالى الله وتنزه عما يفتريه عليه الظالمون.

وبرأ الله الإسلام والمسلمين ومن سادة المسلمين أبو عبد الله جعفر الصادق من هذا الكذب والبهت والخداع البغيض إلى الله والمؤمنين بل إن الكافرين يحتقرون هذه المخازي ويحتقرون فاعلها ويأنفون منها.

٦ - وقال الكليني: «عنه عن أحمد بن محمد عن معمر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن عن القيام للولاة؟، فقال: قال أبو جعفر: التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له». (الكافي) (ج٢ ص٢١٩).

برأ الله الإمام السني جعفر الصادق، وبرأ الله آباءه الأخيار وعلى رأسهم رسول الله ﷺ الصادع بالحق وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخليفة الراشد الشجاع الصريح من إفك أعداء الله عليهم من الله ما يستحقون.

وإنما دين هؤلاء الشرفاء الإسلام القائم على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة المطهرة التي هي بيانه وتوضيحه، ذلك الدين الذي يحارب الكذب والخداع والكتمان، ويأمر بالنصيحة والصدع بالحق وتبليغ هذا الدين والجهاد في سبيله، ويكلف أهله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجعلهم بذلك خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ويحارب النفاق والخداع أشد الحرب ومنه هذه التقية والخب والخداع الذي يعده الشيعة تسعة أعشار الدين، وأحب الأمور إلى الله، كذبوا ورب الكعبة.

فلا يقوم دينهم الباطل إلا على التقية التي يبرأ منها الإسلام والمسلمون كبراءتهم من كل ألوان الشرك والنفاق والكفر والخداع وسائر العقائد الباطلة والأخلاق الرديئة.

ونقول للصفار: هذه هي التقية عند شيعتك، فلماذا تتعامل مع المسلمين هذا التعامل خلال دعواك المصارحة والمكاشفة ومعالجة الملفات المزمنة والحساسة؟.

إن تعاملك هذا لقائم على الخب، فلا تغضب من وصفك بهذا الوصف؛ لأنه عندك وعند شيعتك تسعة أعشار الدين، بل أحب الدين إلى الله، بل لا دين لمن لا تقية له.

ومن المؤسف أن يعلم الصفار هذه التقية الخطيرة ثم يبرئ ساحة الشيعة من مسؤوليتها ويحملها أهل السنة.

وبهذا المنطق الأعوج يتحمل الرسول ﷺ - وحاشاه - وأصحابه من المهاجرين والأنصار ومنهم أهل البيت النبوي - وحاشاهم - مسؤولية وجود النفاق في عهدهم، وتبرأ ساحة عبد الله بن أبي بن سلول واضع أسس النفاق وقائد المنافقين كيداً للإسلام والمسلمين وعلى رأسهم محمد ﷺ من المسؤولية.

وإن من يسلك هذه المسالك الخطيرة في الحوار باسم المكاشفة والصراحة وباسم معالجة مشكلات المسلمين وحماية بلدانهم من الأخطار، لمن أخطر الناس على الإسلام والمسلمين. والتاريخ حافل بهذه الأنماط من الشيعة.

ومن ينسى ما عمله ابن العلقمي والنصير الطوسي في الأمة الإسلامية وخليفتها المستنصر العباسي وما كانت أساليبهما تجاه الخليفة العباسي والمسلمين إلا مثل هذه الأساليب النابعة من التقية الخطيرة.

وما أكثر مآسي المسلمين التي نزلت بهم من أهل هذه التقية، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فضلاً عن مرات.

٤ - قال الصفار: «هناك نقاش بين العلماء: هل التقية موردها فقط من الظالم الكافر أم إنها أيضاً من الظالم المسلم؟.

بعض علماء أهل السنة ربما يقولون بأن التقية من الظالم الكافر وإن الآيات الكريمة التي تحدثت عن التقية إنما هي في سياق التقية من الظالم الكافر والبعض الآخر من علماء السنة وكل علماء الشيعة يرون مفهوم التقية أوسع حيثما كان هناك حاجة واضطرار إليها.

فمذهب الإمام الشافعي مثلاً: أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس، وجاء في الموسوعة الفقهية التي أصدرتها وزارة الشؤون الإسلامية بالكويت ج١٣ ص١٩٦ :

(والحنابلة لا يرون الصلاة خلف المبتدع والفاسق في غير جمعة وعيد يصليان بمكان واحد من البلد، فإن خاف منه إن ترك الصلاة خلفه فإنه يصلي تقية ثم يعيد الصلاة.، وقد ذكر ابن قدامة حيلة في تلك الحال يمكن اعتبارها من التقية لما فيها من الاستتار وهي أن يصلي خلفه بنية الانفراد).

وحينما أخذ العلماء من أهل السنة في عهد المأمون والمعتصم وامتحنوا ليقولوا بخلق القرآن استخدموا التقية إلا أربعة أو خمسة.

من ناحية أخرى فإن التقية حين يبحثها الشيعة إنما يبحثونها في إطارين؛ الإطار الأول دفع الضرر الشخصي أو فلنقل دفع الضرر المادي على الشخص أو على المجتمع.

والإطار الثاني دفع الضرر عن الأمة وعن الوحدة الإسلامية، ويعنون بذلك إذا كانت ممارسة حكم من الأحكام المقرة في المذهب تبرز في حالة من الانشقاق في الأمة أو التمزق فإن المذهب يجيز لأبنائه ترك ذلك حفاظاً على الوحدة لأولوية الوحدة وأهميتها، وهذا ينبغي أن يحسب للمذهب كامتياز وليس مأخذاً عليه».

أقول:

إن هذا الكلام فيه تمويه شديد وسأذكر بعضه:

١ - هب أن الراجح من القولين في التقية أنها من الكافر والحاكم الظالم لكنها عند أهل السنة تغاير ما يقرره الشيعة.

فعند أهل السنة تستعمل في حال الخوف والضرر وتقدر بقدرها، ولا يرون إلا أنها رخصة، بل إن بعضهم لا يراها، أما الشيعة فهي دين مستمر إلى خروج من يزعمون أنه المهدي القائم.

٢ - إن للحنابلة قولين في الصلاة خلف المبتدع والراجح عندهم وعند غيرهم من الصحابة فمن بعدهم جواز الصلاة خلف المبتدع، بل حكى ابن قدامة على ذلك الإجماع.

٣ - قوله: «وحينما أخذ العلماء من أهل السنة في عهد المأمون والمعتصم وامتحنوا ليقولوا بخلق القرآن استخدموا التقية إلا أربعة أو خمسة».

أقول:

هذا الكلام غير صحيح، فالذين استخدموا التقية هم عدد قليل، وباقي أهل السنة ثبتوا على الحق وتحملوا أهوال التعذيب والسجون والتشريد، وعلى رأسهم الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة، وبثباته على الحق وتحمله أهوال التعذيب ثبتت الأمة على الحق في قضية القول بخلق القرآن، وجعل الله لهم فرجاً ومخرجاً.

والذين أجابوا تحت سياط الإكراه والتعذيب لم يجعلوا هذه التقية ديناً ولم يدعوا إليها، بل عدّوها رخصة، فشتان بين واقعهم وواقع الشيعة.

٤- قوله: «من ناحية أخرى التقية حين يبحثها الشيعة إنما يبحثونها في إطارين الإطار الأول دفع الضرر الشخصي أو فلنقل دفع الضرر المادي على الشخص أو على المجتمع.

والإطار الثاني دفع الضرر عن الأمة وعن الوحدة الإسلامية ويعنون بذلك إذا كانت ممارسة حكم من الأحكام المقرة في المذهب تبرز في حالة من الانشقاق في الأمة أو التمزق فإن المذهب يجيز لأبنائه ترك ذلك حفاظاً على الوحدة لأولوية الوحدة وأهميتها، وهذا ينبغي أن يحسب للمذهب كامتياز وليس مأخذاً عليه».

أقول:

هذا الكلام مليء بالتمويه والمغالطات التي يفضحها واقع الشيعة على امتداد التاريخ، فالتقية عندهم ركن من أركان دينهم لا يتخلون عنه سواء وجد ما يدعو إليها أو لم يوجد.

وهي تستعمل عندهم غالباً لجلب مصالحهم لا لدفع الأضرار عن المجتمع الإسلامي بل لا يسعون إلا في إلحاق الأضرار المهلكة للأمة والمبيدة لهم، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك.

فمن ينسى المذابح التي حصلت على أيدي الشيعة بقيادة أبي مسلم الخراساني؟

ومن ينسى مكايد الشيعة وعلى رأسهم ابن العلقمي والنصير الطوسي؟

ومن ينسى كارثة بغداد المدمرة التي تمت على أيدي التتار بتخطيط وتدبير ابن العلقمي الرافضي ومن وراءه، فقتلوا الخليفة وحصدوا أهل بغداد يسحقونهم رجالاً ونساءً وأطفالاً؟

ومن ينسى الحروب الصليبية ضد المسلمين التي كانت من تدبير العبيديين الرافضة واستنجادهم بالنصارى الأوربيين لتحقيق أهدافهم؟

ومن ينسى ما فعله القرامطة الباطنية بالمسلمين من العراق إلى الحجاز إلى اليمن بتحريض وتعاون بينهم وبين الشيعة العبيديين في مصر؟

ومن ينسى ما فعله الصفويون بأهل السنة في إيران وتعاون الصفويين مع دول الغرب ضد المسلمين؟

ومن يجهل واقع أهل السنة الآن على أيدي الشيعة في إيران الشيعية؟.

فهل هذه الأعمال الرهيبة والكوراث المدمرة كلها تعدّ من رفع الضرر عن الأمة الإسلامية ومن حرصهم على وحدتها؟.

أيا حسن الصفار لو كنت تحترم أهل السنة لما تفوهت بهذا الأسلوب، وكيف ينتظر ممن لا يحترم أصحاب محمد ﷺ وعلى رأسهم أبو بكر الصديق وعمر الفاروق أن يحترم غيرهم من المسلمين ويقدر مشاعرهم وعقولهم؟

وأخيراً فإن حال الروافض في التقية تشبه حال قوم ينتمون إلى الإسلام جعلوا من أكل الميتة وأكل لحم الخنزير والدم وأكل ما أهل لغير الله أصلاً من أصول دينهم، يحرفون له نصوص القرآن ويخترعون له الروايات في إثبات فضائله، بل إنه عندهم لا دين لمن لم يجعل تسعة أعشار دينه أكل هذه المحرمات على الرغم من توافر أنواع الطيبات.

فماذا يقول الروافض في حال هؤلاء الأقوام وحال هذا الأصل؟.

ما كان من جواب يقوله الروافض عن تقيتهم فسيقوله هؤلاء القوم المفترضون في أصلهم، لأن الإسلام لا يحكِّمه الطرفان، ولو حكموه لما تجاوزوا حدود الرخصة في حال الاضطرار ولأراحوا الإسلام والمسلمين من البدع والضلالات الغليظة والتأصيلات الجهنمية، ولكنه الهوى والتلاعب.

أعاذ الله المسلمين من ذلك، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

رداً على ما كتبه الحطاب.. علي آل محسن(*): (١-٣)

التقية مبدأ إسلامي، لكنه صار وسيلة للتشنيع على الشيعة(*)

تعقيباً على ما كتبه الأخ عبد الكريم الحطاب في ملحق (الرسالة) بتاريخ ١٤٢٥/٩/١هـ حول التقية عند الشيعة، فإنني أودّ أن ألفت النظر إلى أمور عدة:

١ - أن كثيراً من أهل السنة يقدحون في التقية مطلقاً، ويعدونها من عقائد الشيعة الممقوتة، دون التفريق بين مفهوم التقية الضيق الذي يعتقد به أهل السنة، ومفهومها الموسع الذي يذهب إليه الشيعة، وكثير من أهل السنة لا يميزون بين هذين المفهومين للتقية، وإنما يعرف ذلك المتخصصون منهم الذين لا يكادون يعترفون بأن التقية جائزة في الدين إلا عندما يلجؤون إلى ذلك.

وهذا تماماً مثل اتهام الشيعة بسب الصحابة، مع أن الشيعة يرون عدالة جملة وافرة من الصحابة، وقائل هذه المقولة قد جعل القول بعدم عدالة بعضهم سباً لعامة الصحابة، وهذا قدح مبالغ فيه كما لا يخفى.

٢ - أن الأخ الحطاب قد كتب مقاله بركائزه السنية، وبالفتاوى المتعلقة بالتقية التي تلقاها عن علماء السنة، وجعلها مسلمات ومقياساً للصحيح والخطأ، وهذا منهج خاطئ، فإن الشيعة لهم أصولهم ومصادرهم الحديثية التي يرجعون إليها، فكان الأجدر بالأخ الكريم أن يحاور الشيعة محتجاً بآيات الكتاب العزيز التي هي محل اتفاق بين الطائفتين، أو بناءً على أصولهم هم لا على أصول أهل السنة.

(*) عالم دين متخصص في بحوث العقيدة وعلم الكلام من طائفة إخوتنا الشيعة بالقطيف.

(*) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ٢٢ رمضان ١٤٢٥هـ - ٥ نوفمبر ٢٠٠٤م.

٣ - أن التقية مسألة فقهية، وهي كغيرها من المسائل الكثيرة التي اختلف فيها الشيعة وأهل السنة، ولا ينبغي أن تثار حولها الزوابع، ويكثر بسببها التشنيع على هذه الطائفة أو تلك، ولا سيما أنها تصب في مصلحة عامة المسلمين، وذلك لأن الشيعة لو تركوا التقية لكانت الحرب سجالاً بينهم وبين أهل السنة، ولاستمرت من العصور الأولى إلى يومنا هذا، وهذا أمر يضعضع وحدة المسلمين ويستنفد طاقاتهم وأموالهم.

ثم إن كلام الأخ عبد الكريم الحطاب قد اشتمل على ملاحظات عدة ينبغي لفت الأنظار إليها، منها:

١ - قوله: إن التقية إذا لم يلجأ إليها المكلف في حالة الاضطرار ومات فإن له درجة وثواباً عند الله، فكأن رخصة أكل لحم الخنزير تنتقل إلى العزيمة، لكن لا تنتقل رخصة التقية إلى العزيمة بل إن من مات لدين الله ولم يحتمِ بالتقية فإنه سيؤجر على موته هذا أجراً عظيماً والعزيمة على كل حال أفضل من التقية.

وجوابه: أنه لا يصح أن يقال: إن تارك التقية مأجور مطلقاً، وإن العمل بها رخصة مطلقاً؛ لأن التقية قد تكون في بعض الموارد واجبة، وفي بعض الموارد محرمة.

أما وجوبها ففيما إذا علم أن ترك التقية يوقعه في القتل مع رجال من المسلمين بلا فائدة، فإن العمل بالتقية حينئذ يكون واجباً عليه لحفظ نفسه وحفظ غيره، وإلا كان مخالفاً للنهي الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1]، وكان مشمولاً للوعيد والغضب واللعن في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[2]، لأن حرمة القتل تشمل ما كان بالمباشرة وبالتسبيب، وتارك التقية قد يتسبب في بعض الموارد في قتل المسلمين الأبرياء بلا فائدة.

(١) البقرة: ١٩٥ . (٢) النساء:٩٣ .

وأما حرمة العمل بالتقية فإذا أكره شخص على قتل مسلم بريء، فإنه لا يجوز له العمل بالتقية طلباً لنجاة نفسه بقتل المسلم البريء؛ لأن التقية إنما شرعت لحقن الدماء، فإذا وصلت إلى الدم فلا تقية. وكما إذا توقف نشر الدين وبقاؤه على ترك التقية، وعلى هذا يحمل عدم عمل الأنبياء - عليهم السلام - وأئمة الدين بالتقية؛ لأن تركهم للتقية يستلزم عدم تبليغ الرسالة التي قد أمر النبي بتبليغها، كما يستلزم اندراس الدين واضمحلاله إذا ترك أئمة الدين إيضاح الحق ورد الباطل في حال وقوع الفتن التي لا يميز فيها بين الحق والباطل.

فما قاله الأخ عبد الكريم الحطاب من أن التقية رخصة مطلقاً، وأن تركها في كل حال أفضل من العمل بها، غير صحيح كما أوضحناه.

ومما ذكرناه يتضح أيضا فساد قوله: «فما عاناه الحبيب ﷺ من أذى المشركين وما تحمله الصحابة - رضي الله عنهم - من أذى في سبيل الله لم يجعلهم يتعذرون بالتقية وهذا دليل على أن العزيمة هي الأصل والأفضل والأحسن».

وذلك لأن ما عاناه نبينا المصطفى ﷺ من أذى المشركين إنما كان في سبيل تبليغ الرسالة ونشر الدعوة، وكذلك ما تحمله الصحابة الأجلاء - رضي الله عنهم - وأئمة الدين في سبيل نشر الدعوة، ونحن قلنا: إن نشر الرسالة يقتضي ترك العمل بالتقية، فنرجو التنبه إلى ذلك لئلا يحصل الخلط بين الأمرين.

٢ - قال الأخ الحطاب: «أما لدى إخواننا الشيعة فلا وجود للعزيمة أبداً والأمر يختلف تماماً عمّا ذكره الشيخ الصفار في تعريفه لها، فهم حولوا التقية من رخصة إلى عقيدة واجبة لا يجوز تركها إلى يوم القيامة وإن تاركها بمنزلة تارك الصلاة وإنها تسعة أعشار الدين، ومن ضروريات مذهب التشيع، ولا يتم الإيمان إلا بها، وليست رخصة في حال الإكراه كما ذكر الشيخ الصفار، وإنما تكون وتقع من الشيعي لكل من خالفه بالمذهب».

وجوابه: أنّا أوضحنا حكم التقية عند الشيعة، وأنها قد تكون واجبة، وقد تكون محرمة، وقد تكون غير ذلك.

فقوله: «إنهم حولوا التقية من رخصة إلى عقيدة واجبة لا يجوز تركها إلى يوم القيامة»، غير صحيح؛ لأنها ليست رخصة مطلقاً، وفي كل مورد، بل قد تكون رخصة يجوز تركها، وقد تكون عزيمة واجبة لا يجوز تركها كما مثلنا.

ولعل الأمر قد التبس على الأخ الحطاب بسبب ورود التعبير في كلمات علماء الشيعة بوجوب التقية الذي يراد به الوجوب في بعض الموارد، وهو لم يتمعن جيداً في كلماتهم ليدرك أن وجوب التقية إنما هو في بعض الموارد لا في كل الموارد، وإطلاق الوجوب بهذا المعنى له نظائر كثيرة في كلمات الفقهاء، نظير قولهم بوجوب الصلاة ووجوب الحج ووجوب الزكاة وغير ذلك، فإن الصلاة وإن كانت واجبة إلا أنها لا تجب مطلقاً، فإن الواجب منها صلوات مخصوصة، لا كل صلاة، والواجب من الصلوات إنما يجب في وقته، ولا يجب في كل وقت، ويجب بشرائط خاصة لا مطلقاً، بل قد تحرم الصلاة إذا كانت مبتدعة، كمن أراد أن يصلي الفجر أربع ركعات، أو يصلي صلاة الظهر قبل الزوال، وكذلك الصوم، فإنه وإن وجب في شهر رمضان إلا أنه لا يجب مطلقاً، بل قد يكون محرماً في بعض الموارد، كمن صام في العيدين أو صام صوم الوصال وهو أن يصل اليوم بتاليه من غير إفطار... وهكذا.

إذن، فالتقية واجبة في بعض الموارد، وهي موارد خوف الضرر الخاص أو العام، لا في كل مورد.

ثم إن الأخ الحطاب قد استشنع القول بأن وجوب التقية كوجوب الصلاة، مع وضوح أن التقية إذا كانت واجبة فلا يجوز تركها أو التهاون بها كالصلاة وغيرها من الواجبات، وحكمها حينئذ باقٍ إلى يوم القيامة؛ لأن حلال محمد حلال إلى يوم

القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فتاركها في حال وجوبها فاسق كحال من ترك الصلاة والصيام.

وأما أنها تسعة أعشار الدين وأنه لا دين لمن لا تقية له، فالمراد كما قال المولى محمد صالح المازندراني هو أنها تسعة أعشار الدين لقلة الحق وأهله، وكثرة الباطل وأهله، حتى إن الحق عشر والباطل تسعة أعشار، ولا بد لأهل الحق من المماشاة مع أهل الباطل فيها حال ظهور دولتهم ليسلموا من بطشهم، ولعل المراد بقوله: «ولا دين لمن لا تقية له» نفي الكمال، لدلالة بعض الروايات على أن المؤاخذ بترك التقية لا يخرج من الإيمان، وأن ثوابه أنقص من ثواب العامل بها، ووجوب التقية والإثم بتركها لا ينافي أصل الإيمان وإنما ينافي كماله[1].

أو أن التقية إنما صارت تسعة أعشار الدين؛ لأنها تجري في أغلب أحكام الدين، والله العالم.

وأما أنها من ضروريات مذهب الشيعة وأن الإيمان لا يتم إلا بها، فلأن كل ما هو ثابت عندنا عن أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - بالضرورة وبالتواتر فإنكاره تكذيب لأئمة أهل البيت - رضي الله عنهم -، وهذا يخرج صاحبه عن المذهب، كمن أنكر ضرورياً من ضروريات الدين كوجوب الصلاة والصيام، فإنه يخرج صاحبه عن الإسلام، لاستلزام إنكار ضروري الدين تكذيب نبينا محمد ﷺ. والمراد بالإيمان هو التدين بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

٣ - وأما قوله: «وإنما تكون وتقع من الشيعي لكل من خالفه بالمذهب»، فغير دقيق؛ لأن التقية إنما تكون في حال الخوف من الضرر الشخصي أو الضرر

---

(١) شرح أصول الكافي ٩/١١٨ .

النوعي، فلا تكاد تجد شيعياً يتقي في المشتركات بين الشيعة وبين غيرهم، أو فيما يسع الشيعي أن يظهر المخالفة فيه من غير غضاضة.

وأما في الموارد التي كثر التشنيع فيها على الشيعة أو التي يُعرف بها الشيعي أنه شيعي، فلا يأمن بذلك أن يتوجه إليه الضرر، وكذا الموارد التي يكفَّر بها الشيعي أو يستباح بها دمه، فإنه في سعة في العمل بالتقية.

ولقد رأينا فئات كثيرة من أهل السنة لا يرون لهم قضية إلا محاربة الشيعة، ولا يتحدثون في موضوع إلا ويطعنون في الشيعة، بل إنهم يرون أن الشيعة شر من مشى على الأرض، ويرون كفرهم، واستباحة دمائهم، بل إن إراقة دماء الشيعة أحل عندهم من إراقة المدام...

فهل يلام الشيعي حينئذ أن يعمل بالتقية مع هؤلاء الذين أقل ما يصنعونه مع الشيعة هو محاربتهم في أرزاقهم، والاستخفاف بهم، وعدم رد السلام عليهم، والوقيعة فيهم وغير ذلك مما هو معروف ومشهور مما لا ينكره إلا مكابر أو جاهل؟

٤ - ثم إن الأخ الحطاب نقل بعض كلمات أعلام الشيعة التي يصرحون فيها بوجوب التقية وبأنها باقية إلى يوم القيامة، ونحن قد أوضحنا مرادهم فيما تقدم، فلا حاجة للإعادة. ومما يلفت النظر أن الأخ الحطاب نقل كلمة للسيد الخميني، فقال: «ويقول الخميني: وترك التقية من الموبقات التي تلقي صاحبها في قعر جهنم، وهي توازي جحد النبوة والكفر بالله العظيم»[١].

ومن المؤسف حقاً أن يعمد الأخ الكريم لتحريف هذه الكلمة فيذكرها مشوهة، ونحن نحمله على الصحة فنقول: «لعله نقلها ممن حرفها»، إلا أنه كان ينبغي عليه

---

(١) المكاسب المحرمة، ١٦٢/٢ .

حينئذ أن ينقلها من مصدرها مراعاة للأمانة العلمية، وإليك ما قاله السيد الخميني:

قال: فإن الظاهر أن جعل ترك التقية من الموبقات وقريناً لجحد النبوة والإمامة ليس لمحض حفظ مال مؤمن أو عرضه مثلاً، بل لما كان تركها في تلك الأزمنة موجباً لفساد في الدين أو المذهب صار بتلك المنزلة[1].

ومراده بجعل التقية قرينة لجحد النبوة والإمامة هو أن التقية لأهميتها قُرنت في الذِّكر بجحد النبوة والإمامة في الحديث المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى الخمس كفَّر الله عنه من الذنوب».. إلى أن قال: «لا تبقى عليه من الذنوب شيئاً إلا الموبقات التي هي جحد النبوة أو الإمامة أو ظلم إخوانه أو ترك التقية حتى يضر بنفسه وإخوانه المؤمنين».

والكاتب هداه الله أو من حرف هذه الكلمة قد أبدل كلمة (قريناً) بـ (توازي)، وأضاف من عنده قوله: «التي تلقي صاحبها في قعر جهنم»، وجعل ترك التقية موازياً للكفر بالله العظيم.

فعلى القارئ الكريم أن يقارن بين ما قاله السيد الخميني وبين ما نسبه الأخ الحطاب إليه، والحكم في ذلك أتركه للقارئ نفسه.

وأما الرواية التي ذكرها الأخ الحطاب، وهي قوله: «تارك التقية كافر»، فهي رواية ضعيفة بسبب الإرسال، فلا يصح الاحتجاج بها على الشيعة، ولو سلمنا بصحتها فالمراد بها أن تارك التقية جاحداً لها ومنكراً لمشروعيتها كافر؛ لأنها منصوص عليها في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿**لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ**

(١) كتاب البيع ٢/١٦٣ .

أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران:٢٨)، وقوله تعالى: **﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالأَيمَانِ﴾** (النحل: من الآية ١٠٦)، فمنكرها مكذب للقرآن الكريم، فيكون كافراً.

وأما قول الأخ الحطاب: وعنه أيضا قال: إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله (الكافي، ٢/٢٢٢)؟ أقول: أين قول الله عز وجل: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾**.

فجوابه: أن المراد بالحديث هو أن من أظهر الحق في دولة الأمويين والعباسيين ذل؛ لأنهم سيؤاخذونه وسينكلون به، ومن كتمه أعزه الله؛ لأنهم سيلهون عنه، وذلك لأن الأمويين والعباسيين تعقبوا أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - وشيعتهم وضيقوا عليهم الخناق، فاقتضت هذه الحال الشديدة أن يعملوا بالتقية.

وأما الآية المباركة فهي واردة في مقام ذم الذين يكتمون الحق ليخفوه على الناس من أجل الدنيا، لا كتمانه تقية وخوفاً، وبين الأمرين فرق واضح.

قال ابن كثير: يقول تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾** يعني اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ في كتبهم التي بأيديهم مما تشهد له بالرسالة والنبوة، فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم آباءهم، فخشوا - لعنهم الله - إن أظهروا ذلك - أن يتبعه الناس ويتركوهم، فكتموا ذلك إبقاء على ما كان يحصل لهم من ذلك وهو نزر يسير، فباعوا أنفسهم بذلك، واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله بذلك النزر اليسير، فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة. (تفسير القرآن العظيم ١/٢٠٧).

٥ - وقال الأخ الحطاب: فكما أوردنا من كتبهم فإن التقية لدى إخواننا الشيعة لا يرون أنها مشروعة في حال الضرورة فقط لذلك تراهم قد وضعوا روايات تحث عليها دون توفر أسباب كالخوف أو الإكراه حتى تكون بذلك مسلكاً فطرياً عند الشيعة في حياتهم تصاحبهم حيث ذهبوا، فرووا مثلاً عن الصادق أنه قال: «عليكم بالتقية فإنه ليس منا من لم يجعله شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون سجيته مع من يحذره» (أمالي الطوسي، ٢٩٩).

وجوابه: أن التقية إنما شرعت في حال الخوف وعدم أمن الضرر، ولا يخفى على القارئ العزيز أن روايات التقية كلها قد صدرت من أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - في زمان الدولتين الأموية والعباسية، اللتين لاقى الشيعة في زمنيهما الكثير من القتل والتضييق والتشريد والملاحقات والاضطهاد وغيرها، وكان ذلك كله بمرأى وبمسمع من أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - الذين عانوا من خلفاء هاتين الدولتين ما عانوا، فلهذا حثوا شيعتهم على العمل بالتقية الشديدة التي يقتضيها الحال في ذلك الوقت، حتى إن الرجل من الشيعة كان يتقمص شخصية بائع الدهن أو الخيار ليأتي للإمام ليسأله عن دينه.

وهذا هو السبب في كثرة الروايات التي تحث على العمل بالتقية بهذه الصورة الشديدة، في ذلك الوضع السيئ الذي لم يكن الشيعي يجرؤ فيه على أن يجهر بشيء من معتقداته أو يتجاهر بأنه من موالي أهل البيت - رضي الله عنهم - وشيعتهم؛ لأن ذلك يكلفه حياته.

ولما وجد الشيعة في العصور المتأخرة متنفساً جهروا بمعتقداتهم، ونشروا كتبهم، كما نرى ذلك اليوم في كثير من البلاد بحمد الله ونعمته.

وأما الروايات التي نصت على أن التقية باقية إلى قيام القائم فهي كاشفة عن الحالة التي سيعانيها الشيعة إلى قيام القائم، ومبيِّنة أنهم لن يستطيعوا ممارسة

شعائرهم بكامل الحرية إلا بعد ظهور الإمام المهدي، وهذا ما نلمسه اليوم وقبل اليوم بوضوح، فإن الشيعة لم يعطوا حقوقهم، بل صودرت حرياتهم في أكثر البلاد الإسلامية، فلا يستطيع الشيعي أن يظهر عقيدته في شيء من وسائل الإعلام المقروءة أو المرئية أو المسموعة، فكيف لا تكون التقية باقية؟

٦ - قال الأخ الحطاب: ويذكر الخميني في معرض كلامه عن أقسام التقية أن منها التقية المداراتية وعرفها بقوله: وهي تحبيب المخالفين وجر مودتهم من غير خوف ضرر كما في التقية خوفاً (الرسائل، ٢/١٧٤) (حول أقسام التقية) ولاحظ قوله: من غير خوف ضرر، فهذا يؤكد خلاصة عقيدة التقية عند القوم من أنها لا تعلق لها بالضرر أو الخوف الذي من أجله شرعت التقية.

والجواب: أنني أتعجب كثيراً من إنكار الحطاب وغيره تحبب الشيعة إلى أهل السنة، فهل يعدّ الحطاب هذا منكراً؟ وهل يرى المعروف هو إشعال الحرب سجالا بين الشيعة وأهل السنة؟

لقد أمر أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - شيعتهم بحسن معاشرة أهل السنة والتودد إليهم، وحفظ حقوقهم، وأداء أماناتهم، والشهادة لهم وعليهم بالحق... وغير ذلك مما هو واجب على كل مسلم تجاه أخيه المسلم.

وقد سمى بعض العلماء أمثال هذه الوصايا بالتقية المداراتية، لما فيها من مداراة أهل السنة والتودد إليهم، ولا مشاحة في الاصطلاحات ما دام التودد والتحبب إلى سائر الناس - أهل السنة وغيرهم - أمراً حسناً في الشريعة الإسلامية، وهذه المداراة تختلف عن التقية التي نبحث عنها، وهي إخفاء المعتقد خوفاً على النفس أو المال أو العرض، وإن جمعهما بعض العلماء تحت عنوان: التقية.

٧ - وقول الأخ الحطاب: إن التوسع في أحكام الله وشرعه لا يجعل الفرع (رخصة التقية) أصلاً لا يقوم الدين ولا يقعد إلا به، وتاركه لا دين له ولا صلاة كما أوردنا من كتبهم.

جوابه: أن المراد بالتوسع في التقية هو التوسع في ممارستها والعمل بها، لا التوسع في مفهومها ولا في جعلها أصلاً من أصول الدين، ولا في تكفير تاركها كما زعمه الأخ الحطاب.

٨ - وأما قوله: إن دعوى وقوع الظلم والبلاء على الشيعة جعلهم يتوسعون في باب التقية مردود عليه؛ لأن هنالك من علماء أهل السنة من تعرض للتنكيل والتعذيب بل السجن، ولم تعرف التقية سبيلاً لهم بل صبروا واحتسبوا، وهذا هو الأصل.

فجوابه: أن تعرض الإنسان للتنكيل والتعذيب والسجن مسوغ للعمل بالتقية، ولا يجب عليه ترك التقية في هذه الحالة كما مر في كلام الأخ الحطاب نفسه، فلا يلام الشيعة حينئذ لو عملوا بالتقية خوفاً من التنكيل والتشريد والاضطهاد، كما صنع الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه لما وقع في التنكيل والتعذيب، فقال كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، وترك بعض علماء أهل السنة العمل بالتقية حينما وقعوا في محن مشابهة لا يرفع الرخصة في العمل بالتقية عن هذه الأمة.

على أننا لو نظرنا إلى واقع المسلمين في هذا العصر وما قبله من العصور لرأينا أن أكثر المسلمين سنة وشيعة كانوا وما زالوا يمارسون التقية في كل شؤون حياتهم، وهو أمر واضح لا يحتاج إلى بيان.

٩ - ثم إن الأخ الحطاب ذكر نماذج مما عاناه بعض علماء أهل السنة الذين لم يتعذروا بالتقية لمعرفتهم بمعناها ... ومن ضمن تلك النماذج التي ذكرها أبو حنيفة ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل ثم قال: وسرد قصص البلاء والمحن التي نزلت

بهؤلاء وغيرهم من علماء أهل السنة قد يطول ويخرجنا عن موضوعنا، ولكننا نريد أن نبين أن هؤلاء وغيرهم الكثير لم يعتذروا بالتقية؛ لأنهم يعرفون مواضعها ويعلمون أن صبرهم وبلاءهم فيه من الأجر العظيم، وليس العكس صحيح كما في كتب إخواننا الشيعة.

والجواب: أن الشيعة لا يأخذون دينهم من غير أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم -، فما ثبت عنهم أخذوا به، وما لم يثبت عنهم تركوه، وأما غيرهم فليسوا لهم بقدوة، وأفعالهم ليست حجة عندهم؛ لأنه لم يقم عندهم دليل صحيح دالّ على لزوم اتباعهم واقتفاء آثارهم.

ثم إن أكثر من أخذهم المأمون العباسي من علماء أهل السنة عملوا بالتقية فقالوا: إن القرآن مخلوق. ولم يصر على موقفه إلا اثنان من جمع كثير، وهما أحمد ابن حنبل، ومحمد بن نوح.

قال ابن كثير: وقد عين المأمون جماعة من المحدثين ليحضرهم إليه، وهم محمد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم المستملي، ويزيد بن هارون، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة.... فامتحنهم بخلق القرآن فأجابوه إلى ذلك وأظهروا موافقته وهم كارهون.... وأحضر خلقاً من مشايخ الحديث والفقهاء وأئمة المساجد وغيرهم فدعاهم... فأجابوه بمثل جواب أولئك موافقة لهم، ووقعت بين الناس فتنة عظيمة.

إلى أن قال: فأحضر إسحاق - وهو نائب المأمون العباسي - جماعة من الأئمة وهم أحمد بن حنبل، وقتيبة...

ثم قال: فلما امتحنهم إسحاق أجابوا كلهم مكرهين متأولين قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾، إلا أربعة، وهم أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، والحسن بن حماد سجادة، وعبيد الله بن عمر القواريري... ثم استدعوا في

اليوم الثاني فامتحنهم، فأجاب سجادة إلى القول بذلك فأطلق، ثم امتحنهم في اليوم الثالث فأجاب القواريري إلى ذلك فأطلق قيده. (البداية والنهاية ١٠/٢٨٥-٢٨٦).

وكان ممن عمل بالتقية في هذا المورد (علي بن المديني) شيخ البخاري، الذي قال فيه البخاري: (كان أعلم أهل عصره)، وقال النسائي: ثقة مأمون، أحد الأئمة في الحديث (تهذيب التهذيب ٧/٣١١). وكان يقول: ما في قلبي شيء مما أجبت إليه، ولكنني خفت أن أقتل. قال: وعلم ضعفي، إني لو ضُربت سوطاً واحداً لمتّ.

فهؤلاء هم عامة علماء أهل السنة في ذلك العصر، وقد عملوا بالتقية في مسألة مهمة عندهم، وهي مسألة القول بعدم خلق القرآن، التي يتوقف عليها الإيمان والكفر عندهم، فإذا جازت التقية فيها أفلا تجوز التقية فيما هو دونها؟!

١٠ - وأما قول الكاتب: نحن بحاجة قبل طرح مثل هذه المقترحات إلى أن نمد أيدينا لبعض بغية الحق وأن نفتح صدورنا وقلوبنا وأن نخلق حوارات حقيقية شفافة بعيدة عن التهجم أو التحريض فرسالة المصطفى ﷺ واحدة ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ**﴾ (آل عمران: ١٩) إذن هنالك خلل لا بد من طرحه، فإن وجد أحد منا الحق عند الآخر سلم له، وبعدها تكون مثل هذه المقترحات.

فجوابه: أننا لا نتحاشى الحوار الهادف البناء، ولا مانع لدينا من فتح قنوات اتصال وتعارف وحوار مع الإخوة المنصفين من أهل السنة الذين يتحسسون آلام الأمة ويحملون همومها؛ ليتعرفوا عن كثب على مذهب الشيعة من خلال أقوال علمائه وكتبهم المعتبرة، لا من خلال تشنيعات وافتراءات أعدائه الالتقاطيين المتحاملين عليه، الذين يحتجون على الشيعة بكل حديث يحققون به هدفهم، وبكل قائل منهم، ولو كان قوله شاذًا عندهم.

وهذا لا يتنافى في الوقت نفسه مع تطوير المناهج الدينية وجعلها مشتملة على المشتركات العامة، وخالية من التحامل على الشيعة وغيرهم من الطوائف الإسلامية، ورميهم بالتكفير والتبديع والشرك وغيرها .

١١ - ثم إن الأخ الحطاب ذكر أن وضع الشيعة في بلادنا أفضل بكثير من وضع أهل السنة في إيران، وحيث إنه ليست لدي أية معلومات موثقة في هذا الموضوع، فإنني لا أود أن أتكلم في موضوع بما لا أعرف، ولكنني أقول: إن كل الشرائع السماوية قد حرمت الظلم والاعتساف، وأوجبت العدل والإنصاف، حتى مع الأعداء إضافة إلى الأولياء. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (المائدة:٨).

وغير صحيح أن يبرر الخطأ بخطأ مثله أو بما هو أعظم منه، ونحن نأمل أن تتضافر الجهود المخلصة في هذا البلد الطيب مع قيادته الحكيمة للوصول به إلى مراقي الكمال بإذن الله سبحانه وتعالى.

*****

رداً على ما كتبه الحطاب.. آل محسن (٢-٣)

الناصبي هو الذي نصب العداء لأهل البيت - رضي الله عنهم - وتجاهر ببغضهم وعداوتهم

تعقيباً على ما نشره الأخ عبد الكريم علي الحطاب في ملحق الرسالة لجريدة المدينة السعودية بتاريخ ١٤٢٥/٩/١٥هـ أقول:

إن الأخ الحطاب ذكر أن علماء الشيعة سلكوا سبيل التجييش الطائفي ضد أهل السنة، واستدل على ذلك بأدلة عدة، منها:

١ - نقل الأخ الحطاب قول الشيخ الصدوق في رسالة الاعتقادات، ص ١٠٣ حيث قال: واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة من بعده أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء... إلخ. ثم قال الحطاب: ومعلوم أن منكر نبوة أي نبي كافر.

والجواب عن ذلك: أن المراد بالجحد هنا الإنكار بعد العلم.

قال الجوهري في مختار الصحاح: الجحود: الإنكار مع العلم.

وقال الراغب الأصفهاني: الجحود: نفي ما في القلب ثباته، أو إثبات ما في القلب نفيه.

وقال ابن منظور في لسان العرب: الجحد والجحود: نقيض الإقرار، كالإنكار والمعرفة، جحده يجحده جحداً وجحوداً. وقال الجوهري: الجحود: الإنكار مع العلم.

ومن ذلك يتبين أن معنى كلام الصدوق قدس الله نفسه هو أن من أنكر إمامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده بعد ثبوتها عنده بالأدلة الصحيحة فهو ضالّ هالك، وحاله كحال من جحد نبوة نبي من الأنبياء بعد ثبوتها عنده بالأدلة الصحيحة.

ولا يراد بذلك تكفير من لم تثبت عنده إمامة أمير المؤمنين، وأئمة أهل البيت - رضي الله عنهم -، كما هو حال أكثر الطوائف الإسلامية، فإنهم وإن كانوا لا يقولون بإمامة علي رضي الله عنه والأئمة من بعده، إلا أنهم لا يجحدونها؛ لأنها لم تثبت عندهم.

٢ - نقل الأخ الحطاب كلمة نسبها للشيخ يوسف البحراني ذكرها في الحدائق الناضرة ٣/٤٠٦، وهي قوله: وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله، وبين من كفر بالأئمة مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين؟

والجواب: أن هذه الكلمة نقلها الشيخ يوسف البحراني عن أبي الحسن الشريف، وهو قول شاذ مخالف للمشهور عند علماء الشيعة، قد نشأ عن عدم فهم الأخبار المروية عن أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم -، وكل طائفة لا تخلو من أقوال شاذة لبعض أتباعها، وليس من الإنصاف نسبة الأقوال الشاذة إلى علماء الشيعة الذين يردون تلك الأقوال، وينكرون على أصحابها.

ولعل مراده بالكفر بالأئمة هو إنكار إمامتهم في الدين، وصلاحهم، وحسن سيرتهم، وسلامة سريرتهم، ووجوب مودتهم، والصلاة عليهم؛ فإن ذلك مستلزم لجحد ما جاء عن النبي ﷺ بالقطع واليقين، وهو مستلزم لإنكار الرسالة الموجب للكفر والعياذ بالله.

٣ - ما نقله الأخ الحطاب عن الشيخ المجلسي في بحار الأنوار ٢٣/٣٩٠ أنه قال: واعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده، وفضل عليهم غيرهم، يدل على أنهم مخلدون في النار.

والجـواب على ذلك: أن مـراده أنه قـد ورد في أحـاديث الأئمـة إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد بإمامة أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم -، ولا ريب في أن هذا الإطلاق إطلاق مجازي، فيحمل على أن المراد به هو أن حالهم حال الكفار والمشركين في دخولهم النار، وذلك لأن غير أهل الحق يدخلون النار، وقد روى القوم ما يوافق ذلك، وهو قول النبي ﷺ: ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملّة، وإن هذه الملَّة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة[1].

وأخرج ابن ماجة وأحمد وابن أبي عاصم والهيثمي وغيرهم عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أُمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة[2].

وكل من لم يعتقد بإمامة أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - فلا ريب في أنه ليس على الحق، فيكون من الفرق غير الناجية.

٤ - ما نقله الأخ الحطاب عن الشيخ المامقاني في تنقيح المقال ٢٠٨/١ أنه قال: وغاية ما يستفاد من الأخبار جريان حكم الكافر والمشرك في الآخرة على كل من لم يكن اثني عشري.

والجواب: أن المراد بجريان حكم الكافر والمشرك في الآخرة على من لم يكن اثني عشري هو أنه يدخل النار كما يدخل المشرك والكافر النار؛ لأن كل من لم يكن

---

(١) سنن أبي داود ١٩٨/٤ . صحيح سنن أبي داود ٨٦٩/٣ . صحيح الجامع الصغير ٥١٦/١ . كتاب السنة ٧/١، ٣٣ . سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٥٨/١ .

(٢) سنن ابن ماجة ١٣٢٢/٢ . مسند أحمد بن حنبل ١٤٥/٣ . كتاب السنة ٣٢/١ . مجمع الزوائد ٢٥٨/٧ . صحيح سنن ابن ماجة ٣٦٤/٢ .

على الحق فهو في النار يوم القيامة، وهذا هو مدلول حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، وليس المراد أنه كافر في الدنيا، وتجري عليه أحكام الكفار المعروفة.

٥ - ما نقله الأخ الحطاب عن السيد الخوئي في مصباح الفقاهة ١/٥٤٠ أنه قال: إنه ثبت بالروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين ووجوب البراءة منهم، وإكثار السب عليهم، واتهامهم، والوقيعة فيهم، أي: غيبتهم؛ لأنهم أهل البدع والريب، بل لا شبهة في كفرهم.

والجواب عن ذلك: أن هذه الكلمة وردت في تقريرات بحوث الخوئي، فلا يصح نسبتها إليه، لاحتمال أن من قرَّر بحثه لم يفهم مراده، وأنه لم ينقل نص كلامه، وإنما نقل ما فهمه هو، لا ما أراده الخوئي.

ولو سلمنا أن الخوئي قال ذلك، فإن الظاهر أن مراده بالمخالفين الذين يجوز لعنهم والوقيعة فيهم هم أهل البدع والريب، يعني الذين ابتدعوا في الدين ما ليس منه، وروجوا بدعهم، وألقوا شُبهاتهم التي يشككون بها ضعفاء المؤمنين، وليس مراده عموم المخالفين كما هو واضح من التعليل المذكور، وكما هو المعروف من فتاوى الخوئي بإسلام المخالفين، وحرمة دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

ثم استدل الأخ الحطاب بعد ذلك على تعبئة القاعدة الشيعية فكرياً، وتجييشها ضد أهل السنة بروايات عدة وأقوال لعلماء الشيعة، وموضوع كل تلك الروايات والأقوال هو الناصبي لا عموم المخالف.

منها: ما رواه الحر العاملي في وسائل الشيعة ١٨/٤٦٣ عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله: ما تقول في قتل الناصب؟ فقال: حلال الدم، ولكنني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً، أو تغرقه في ماء، لكيلا يشهد به عليك فافعل. قلت: فما ترى في ماله؟ قال: توّهْهُ ما قدرت عليه.

ومن الأقوال ما قاله الخميني في تحرير الوسيلة ١/٣٥٢: والأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم، وتعلق الخمس به، بل الظاهر جواز أخذ ماله أين وجد، وبأي نحو كان، ووجوب إخراج خمسه.

ولا شك في أن موضوع تلك الروايات والأقوال هو الناصبي، وهو الذي نصب العداء لأهل البيت - رضي الله عنهم -، وجاهر ببغضهم وعداوتهم، دون من أبغضهم ولم يجاهر ببغضهم، وهو نجس ملعون مباح الدم، ولا حرمة له ولا كرامة.

وليس موضوعها المخالفين كأهل السنة وغيرهم، فليس كل مخالف للشيعة ناصبياً؛ لأن كثيراً من المخالفين لا يبغضون أهل البيت - رضي الله عنهم - ولا يعادونهم، بل كثير من أهل السنة يودونهم ويحبونهم، ويترحمون عليهم، ويصلون عليهم، ويذكرون فضائلهم، ويجاهرون بمحبتهم والبراءة من أعدائهم، فكيف يصح الحكم على هؤلاء بأنهم نواصب؟!

وقد أكد الأخ الحطاب على أن المراد بالناصبي عند الشيعة هو السني، واستدل على ذلك بكلمة لنعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية، وهي قوله: ويؤيد هذا المعنى أن الأئمة وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله، مع أن أبا حنيفة لم يكن ممن نصب العداوة لأهل البيت - رضي الله عنهم -، بل كان له انقطاع إليهم، وكان يظهر لهم التودد.

والجواب: أن الناصبي عند علماء الشيعة هو ما أوضحناه، ولا يعتدّ بالأقوال الشاذة المخالفة لما نص عليه أساطين الطائفة؛ لأن كل طائفة لا تخلو من أقوال شاذة يقولها بعض أتباعها.

وأما رأي نعمة الجزائري في الناصبي فقد أوضحه بقوله: وأما الناصبي وأحواله وأحكامه فهو مما يتم ببيان أمرين:

الأول: في بيان معنى الناصب الذي ورد في الأخبار أنه نجس، وأنه شر من اليهودي والنصراني والمجوسي، وأنه كافر نجس بإجماع علماء الشيعة الإمامية رضوان الله عليهم، فالذي ذهب إليه أكثر الأصحاب هو أن المراد به من نصب العداوة لآل بيت محمد ﷺ، وتظاهر ببغضهم كما هو الموجود في الخوارج وبعض ما وراء النهر، ورتَّبوا الأحكام في باب الطهارة والنجاسة والكفر والإيمان وجواز النكاح وعدمه على الناصب بهذا المعنى.

إلى أن قال: وقد روي عن النبي ﷺ أن علامة النواصب تقديم غير علي عليه، وهذه خاصة شاملة لا خاصة، ويمكن إرجاعها أيضاً إلى الأول، بأن يكون المراد تقديم غيره عليه على وجه الاعتقاد والجزم، ليخرج المقلِّدون والمستضعفون، فإن تقديمهم غيره عليه إنما نشأ من تقليد علمائهم وآبائهم وأسلافهم، وإلا فليس لهم إلى الاطلاع والجزم بهذا سبيل. (الأنوار النعمانية ٢/٣٠٦-٣٠٧).

وكلامه واضح، فإنه صرَّح بأن الناصب هو المتجاهر بالعداوة والبغض لأهل البيت - رضي الله عنهم -، وحصر النواصب في الخوارج وبعض ما وراء النهر، وذكر أن هذا هو مذهب أكثر علماء الشيعة الإمامية، إلا أنه أشار إلى رواية تدل على أن الناصب هو من قدَّم غير علي رضي الله عنه عليه، وهو لم يصحِّحها أو يعوِّل عليها، بل احتمل أن التقديم المستلزم للنصب هو ما كان عن اعتقاد وجزم، وأغلب أهل السنة مقلِّدون لعلمائهم، فلا يمكن الحكم عليهم بأنهم نواصب حتى لو صحّت هذه الرواية.

وأما ما قاله الأخ الحطاب من أنه لم يجد رواية واحدة لعلي رضي الله عنه يكفر فيها أهل حربه، بل كان يصفهم بإخوانه، وكان يدعو لهم، وساق مقولتين لأمير المؤمنين رضي الله عنه، ليس فيهما أنه وصفهم بأنهم إخوانه أو دعا لهم بشيء، على أنه يكفي للحكم على مبغضي علي رضي الله عنه ومحاربيه أن ننظر في الأحاديث الصحيحة المحذرة من بغضه رضي الله عنه وحربه وعداوته.

منهـا: قـول النبـي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**لا يحـبك إلا مـؤمن، ولا يبـغـضك إلا منافق**»[1]، وقوله: «**من أحبَّ علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني**»[2]، وقوله: «**من سبَّ علياً فقد سبّني، ومن سبَّني فقد سبَّ الله تعالى**»[3].

فلا أدري ما هو حكم الأخ الحطاب على من أبغض عليًا رضي الله عنه، وسبَّه؟ وهل يرى أن سبَّ علي رضي الله عنه سبٌّ لله ولرسوله ﷺ؟ أو أن هذه الأحاديث لا معنى لها؟!

وأما قول الأخ الحطاب: إن نقل الأحاديث لدى أهل السنة والجماعة أبهر الكثير من المستشرقين الذين وقفوا حيارى أمام هذا الفن الذي امتازوا به عن غيرهم.

فجوابه:

أولاً: أنه ادعاء محض، وكان ينبغي على الأخ الحطاب أن يثبت صحة كلامه هذا بالنقل عن بعض المستشرقين أنهم مبهورون بأحاديث أهل السنة.

وثانياً: أن حكم المستشرقين لا قيمة له عندنا، وانبهارهم على فرض وقوعه لا وزن له في مقام تحقيق الحقائق وتمييز الحق من الباطل، والصحيح من غيره.

وثالثاً: أننا نتساءل عن سبب انبهار أولئك المستشرقين بحسب زعم الأخ الحطاب؟

هل انبهروا من فن أهل السنة في توثيق الرجال، حيث وثقوا بالجملة، فحكموا بوثاقة كل من رأى النبي مظهراً الإيمان به، وإن لم يعرف أهل السنة شيئاً من سيرته وصدقه واستقامته؟!

(١) صحيح مسلم ١/٨٦ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣/١٣٠، صحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي. صحيح الجامع الصغير ٢/١٠٣٤ . سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/٢٨٧ . مجمع الزوائد ٩/١٣٢ . وقال: إسناده حسن.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣/١٢١، صحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي. مسند أحمد بن حنبل ٦/٣٢٣ . مجمع الزوائد ٩/١٣٠، وثق الهيثمي رجاله.

أو انبهروا لتضعيف من طعن في أبي بكر أو عمر أو عثمان أو غيرهم من الصحابة، دون من طعن في علي ﷺ وأبغضه وعاداه وحاربه وقدح فيه؟!

أو انبهروا من رواية البخاري عن الخوارج كعمران بن حطان الذي مدح عبد الرحمن بن ملجم، وعن النواصب كحريز بن عثمان الذي كان يلعن علي بن أبي طالب صبحاً ومساءً، وتركه الرواية عن الحسن والحسين وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم من أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم -؟!

قال الأخ الحطاب: إن أول كتاب كتب بالرجال لديهم - يعني الشيعة - عام ٣٨٠هـ، وهو كتاب رجال الكشي، فانظر الفرق الزمني بين الفريقين، وهذا الكتاب - وباعتراف علماء شيعة - جمع المتناقضات، فلو أخذنا على سبيل المثال أحد أكبر رواة الشيعة، وهو زرارة بن أعين، فالكشي في كتابه قد وثقه، وأورد روايات لجعفر الصادق تلعنه وتذمه؟؟

والجواب على ذلك: أن أول كتب الرجال عند الشيعة على ما ذكره الشيخ آغا برزك الطهراني في كتاب الذريعة ١٠/٨١ هو كتاب عبيد الله بن أبي رافع، كاتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، الذي كتبه في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، إذ دوّن فيه أسماء الصحابة الذين شايعوا عليًا ﷺ، وحضروا معه حروبه، وقاتلوا معه، وأما الكتب الرجالية لأهل السنة وغيرهم فكلها كتبت بعد هذا التاريخ.

على أن الشيعة لم تكن لهم حاجة إلى علم الرجال إلا في أواخر القرن الثالث الهجري، وذلك في عصر الغيبة الصغرى التي انتهت سنة ٣٢٩هـ، بسبب وجود أئمة الهدى من أهل البيت - رضي الله عنهم -، الذين كان الشيعة يسألونهم في أمور دينهم، دون الحاجة إلى معرفة أسانيد الروايات وتمحيص الرجال.

وأما الكشي فقد كان منهجه في كتابه الرجال مبتنياً على ذكر الرواة وما روي فيهم من روايات المدح والقدح، دون توثيق ولا تضعيف ولا ترجيح، فما قاله الأخ الحطاب من أن الكشي وثق زرارة مع ذكره روايات في ذمه والطعن فيه غير صحيح، بل ذكر الكشي روايات المدح التي جلها صحيح، وروايات الذم التي كلها ضعيف.

قال الأخ الحطاب: بل حتى في وقتنا الحالي لا يوجد كتاب واحد شيعي يجمع الأحاديث الضعيفة في حين أن أهل السنة والجماعة مليئة مكتباتهم بمثل هذه الكتب؛ لأن القاعدة التي سار عليها السلف الصالح في جمع الأحاديث: (أن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذوا دينكم) صحيح مسلم ٩ .

والجواب عن ذلك: أن كتب الشيعة الحديثية مشتملة على الحديث الصحيح والضعيف، وليس هناك أهمية قصوى لجمع كتاب يشتمل على الحديث الضعيف أو الصحيح بخصوصه، فوجود الحديث الصحيح مجموعاً في كتاب أو متفرقاً في كتب مخصوصة لا أهمية له إلا من جهة سهولة الوصول إلى الحديث الصحيح فقط.

ثم إن الاتفاق على كتاب واحد يشتمل على الحديث الصحيح فقط ليس بمتيسر عادة، ولا سيما أن أنظار العلماء في التضعيف والتصحيح مختلفة، ولهذا لم يتفق علماء أهل السنة على تصحيح أحاديث غير صحيحي البخاري ومسلم، واختلفوا في تصحيح وتضعيف أحاديث كثيرة كما هو واضح لكل من نظر في كتب القوم.

هذا مع أن صحيحي البخاري ومسلم لم يتفق كل علماء أهل السنة على القول بصحة جميع أحاديثهما، ويكفي أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وهو أشهر محدِّثي أهل السنة في العصر الحاضر قد حكم بضعف جملة من الأحاديث المخرجة في الصحيحين، حتى كتب محمود سعيد ممدوح في الرد عليه كتابه (تنبيه المسلم إلى تعدي الألباني على صحيح مسلم) طبع مكتبة الإمام الشافعي بالرياض، سنة ١٤٠٨هـ.

قال الألباني في شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٢ بعد أن ذكر أن الصحيحين هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى: وليس معنى ذلك أن كل حرف أو لفظة أو كلمة في الصحيحين هو بمنزلة ما في القرآن، لا يمكن أن يكون فيه وهم أو خطأ في شيء من ذلك من بعض الرواة، كلا فلسنا نعتقد العصمة لكتاب بعد كتاب الله تعالى أصلاً، فقد قال الإمام الشافعي وغيره: «أبى الله أن يتم إلا كتابه»، ولا يمكن أن يدعي ذلك أحد من أهل العلم ممن درسوا الكتابين دراسة تفهم وتدبر مع نبذ التعصب، وفي حدود القواعد العلمية الحديثة، لا الأهواء الشخصية، أو الثقافة الأجنبية عن الإسلام وقواعد علمائه، فهذا مثلاً حديثهما الذي أخرجاه بإسنادهما عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم»، فإنه من المقطوع به أنه ﷺ تزوج ميمونة وهو غير محرم، ثبت ذلك عن ميمونة نفسها، ولذلك قال العلامة المحقق محمد بن عبد الهادي في تنقيح التحقيق (١/١٠٤/٢) وقد ذكر حديث ابن عباس: وقد عُد هذا من الغلطات التي وقعت في الصحيح، وميمونة أخبرت أن هذا ما وقع، والإنسان أعرف بحال نفسه...»، انظر الحديث ١٠٣٧ من إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. انتهى.

وأنا أتعجب ممن يقلد تقليداً أعمى ويقول بصحة أحاديث الصحيحين مع القطع والجزم ببطلان أحاديث مروية فيهما.

منها: ما أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٤٩/٤ بسنده عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله عزَّ وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثَّ فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل.

قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ١/٦٩: وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم، وقد تكلَّم عليه علي بن المديني والبخاري وغير واحد من الحفَّاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً، وقد حرَّر ذلك البيهقي.

قلت: لا يخفى أن هذا الحديث خلاف صريح القرآن الكريم، فإن الله جل وعلا قال: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (الأعراف: ٥٤).

فإن هذه الآية قد نصَّت على أن الله سبحانه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، بينما دلَّ هذا الحديث على أن الله تعالى خلق المذكورات في سبعة أيام، لا في ستة.

ثم إن الأخ الحطاب أورد بعض العبارات التي رأى أنها تدل على صحة كتاب الكافي عند الشيعة، منها أن الكليني قد ذكر في مقدمة كتابه أنه جمع الآثار الصحيحة عن الصادقين، وهذه الكلمة لا تدل على أن كتاب الكافي صحيح عند كل الشيعة، بل هو صحيح عند الكليني نفسه، كما أن صحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، والمستدرك للحاكم وغيرها، كتبٌ صحيحة عند كُتَّابها فقط، وليست صحيحة عند عامة أهل السنة.

ومن العبارات الأخرى التي أوردها الأخ الحطاب للاستدلال على صحة كل أحاديث الكافي: كلمة الفيض الكاشاني أن الكافي أشرف الكتب وأعظمها وأوثقها وأتمها وأجمعها. وهي كلمة لا تدل على صحة أحاديث الكافي كلها كما هو واضح لكل من تأملها، وكذا قول آغا بزرك الطهراني أن الكافي: «أجل الكتب الأربعة الأصول المعتمد عليها، لم يكتب مثله في المنقول من آل الرسول»، فإن هذه العبارة

أيضاً لا تدل على أن كل أحاديث الكافي صحيحة، فإن مدح كتاب الكافي وتقديمه على غيره لا يستلزم القول بصحة كل أحاديثه.

وأما قول عبد الحسين شرف الدين الموسوي: «وأحسن ما جمع منها الكتب الأربعة التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأول إلى هذا الزمان، وهي: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة، ومضامينها مقطوع بصحتها، والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها».

فهو لا يدل على صحة كل أحاديث الكتب الأربعة عند شرف الدين، لأنه قد أراد بتواترها أنها متلقاة من أربابها منذ زمن تأليفها إلى يومنا هذا طبقة عن طبقة، بحيث يقطع بأنها لمؤلفيها وأنها مضبوطة، لم يعترها نقص أو تحريف أو تبديل، ولا يريد أن كل أحاديثها متواترة، للقطع بعدم تواتر أكثر أحاديثها، بل ضعف الكثير منها متناً أو سنداً، والجزم بعدم صدور بعض أحاديثها عن الأئمة الأطهار.

قال الخوئي في كتابه (معجم رجال الحديث) ٩٢/١: «لم تثبت صحة جميع روايات الكافي، بل لا شك في أن بعضها ضعيفة، بل إن بعضها يُطمأن بعدم صدورها من المعصوم ﷺ».

وقال: «إنه يوجد في الكافي روايات شاذة، لو لم ندَّع القطع بعدم صدورها من المعصوم ﷺ فلا شك في الاطمئنان به».

ومراد شرف الدين بالقطع بصحة مضامينها أنها اشتملت على مضامين مقطوع بصحتها، وإن كانت جملة وافرة من أحاديثها غير صحيحة.

وأما قول الأخ الحطاب: «ولقد تعمدت أن أنقل عن علماء لا يختلف الشيعة في مكانتهم وقدرهم، ولعل النقل الأخير لكلام عبد الحسين شرف الدين وهو من الأصوليين دليل واضح على ما ذكرته من أن التناقض أمر معتاد فيما يذكره علماء الشيعة حول كتبهم ورواياتهم».

فجوابه: أن ما نقله عن شرف الدين لا يختلف عما قاله أساطين الطائفة، إلا أن عبارته ربما يتوهم منها القول بصحة أو تواتر كل أحاديث الكتب الحديثية الأربعة، ولو سلمنا بدلالتها على صحة أحاديث الكتب الأربعة فهذا لا يعني تناقضاً، وإنما هو اختلاف رأي في مسألة من المسائل التي تختلف فيها الآراء عادة، وهو خلاف لا محذور فيه، ولا سيما أنه ليس اختلافاً في مسألة من مسائل العقيدة التي يقوم عليها المذهب، أو تستلزم انحرافاً أو ضلالاً.

وأما قول الأخ الحطاب: ألسنا بحاجة يا شيخ ليقوم من هم أمثالك بتنقيح الكتب لديكم وإخراج مؤلفات تصنف الأحاديث الضعيفة من الأحاديث الصحيحة؟

فجوابه: أن علماءنا الأعلام قد نقحوا الأحاديث في كتبهم الفقهية والكلامية، فاحتجوا بالصحيح منها دون الضعيف كما هو واضح لكل من تأمل الكتب الاستدلالية الفقهية وغيرها، وهذا كافٍ في تمييز الصحيح من الضعيف، وليس شرطاً في التمييز أن تصنف كتب خاصة بالصحيح أو الضعيف كما صنع بعض أهل السنة، فإن هذه مسألة فنية أكثر منها مسألة جوهرية تدان بها طائفة أو يضلل بها أتباع مذهب.

ثم إن أهل السنة وإن ذهب مشهورهم إلى صحة أحاديث صحيحي البخاري ومسلم إلا أنهم لم يتفقوا على كتابين آخرين مع كثرة كتبهم الحديثية الأخرى، فهل عجز أهل السنة عن الاتفاق على تصحيح كتب أخرى غير الصحيحين منذ ذلك الوقت إلى عصرنا هذا؟

وأما قول الأخ الحطاب: إن تشبيه الشيخ محاسبتنا لهم على ما ورد في الكافي كما لو حاسبونا على ما جاء في مسند أحمد أمر مردود عليه؛ لأن الكليني أورد تزكيته لكتابه في مقدمته كما ذكرنا، أما الإمام أحمد فقد روى ما اشتهر ولم يقصد الصحيح ولا السقيم... إلخ.

فيرده أن تزكية الكليني لكتابه الكافي لا يجعله صحيحاً عند غيره من علماء الشيعة، فحال هذه التزكية حال تزكية الحاكم النيسابوري لكتابه المستدرك، وتزكية ابن خزيمة وابن حبان لصحيحيهما، فهل يرى الأخ الحطاب جواز الأخذ بكل ما فيهما من أحاديث دون حاجة للنظر في أسانيدها؟!

وأما قول الأخ الحطاب: إن التشيع نشأ في عام ٣٥هـ عندما حصلت الفتنة بين الصحابة رضوان الله عليهم، فمن كان في صف علي عرف بشيعة علي، ومن كان في صف معاوية عرف بشيعة معاوية، وهو أشبة ما يكون بحزب سياسي، ولم يعرف التشيع بل لا وجود له ولا لعقائده قبل ذلك التاريخ.

فجوابه: أن التشيع هو الإسلام الصحيح الصافي الخالي من شوائب البدع والتحريف والضلال، وقد ذكر النبي ﷺ شيعة علي رضي الله عنه في أحاديث متعددة رواها أهل السنة وغيرهم، منها: ما أخرجه السيوطي عن تاريخ ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ، فأقبل علي، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة. ونزلت ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾ (البينة: ٧)، فكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية.

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: علي خير البرية.

وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾ قال رسول الله ﷺ لعلي: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين.

وأخرج ابن مردويه عن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ: ألم تسمع قول الله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾، أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غراً محجلين.

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن شيعة علي كانوا موجودين في زمان النبي ﷺ، وأنهم خير البرية؛ لأنهم يمثلون الإسلام الخالص من شوائب الانحراف والضلال، وهم المتمسكون بالكتاب والعترة كما أمر النبي ﷺ في حديث الثقلين المعروف، وهو قوله ﷺ كما أخرجه الترمذي وغيره عن جابر بن عبد الله: يا أيها الناس، إني قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي[1].

وأخرج أيضاً عن زيد بن أرقم وأبي سعيد، قالا: قال رسول الله ﷺ: إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرَّقا حتى يرِدَا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونّي فيهما[2].

فالشيعة هم أولئك الذي اتبعوا النبي ﷺ، وتمسكوا بأهل بيته كما أمرهم، فنجوا من الضلال الذي هو نتيجة حتمية لاتباع غيرهم.

وقد كان جملة من الصحابة يتشيعون لعلي رضي الله عنه، منهم:

١- عمار بن ياسر .

٢- أبو ذر الغفاري.

٣- سلمان الفارسي.

٤- المقداد بن الأسود الكندي.

٥ - أبو الطفيل عامر بن واثلة: قال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ١/١١٨: يفضل عليًا، ويثني على الشيخين، ويترحم على عثمان، والعجب أن ابن قتيبة عدَّه من غالية الشيعة وممن يؤمن بالرجعة.

(١) سنن الترمذي ٥/٦٢٢، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/٣٥٦ وقال الألباني: الحديث صحيح.

(٢) سنن الترمذي ٥/٦٦٣ . قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. صحيح الجامع الصغير ١/٤٨٢، صحّحه الألباني أيضاً.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ٢/٧٩٩: وكان ثقة مأموناً يعترف بفضل الشيخين، إلا أنه كان يقدِّم عليًا.

٦ - عدي بن حاتم الطائي: قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣/١٠٥٨: شهد مع علي رضي الله عنه الجمل، وفقئت عينه يومئذ، ثم شهد أيضاً مع علي رضي الله عنه صفين والنهروان.

٧ - عمرو بن الحمق الخزاعي: قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣/١١٧٣: هاجر إلى النبي ﷺ بعد الحديبية... صحب النبي ﷺ وحفظ عنه أحاديث... وكان ممن سار إلى عثمان، وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار فيما ذكروا، ثم صار من شيعة علي رضي الله عنه، وشهد معه مشاهده كلها: الجمل، والنهروان، وصفين.

٨ - حجر بن عدي الكندي: قال ابن حجر في الإصابة ٢/٣٢: ذكر ابن سعد ومصعب الزبيري فيما رواه الحاكم عنه أنه وفد على النبي ﷺ هو وأخوه هانئ ابن عدي، وأن حجر بن عدي شهد القادسية، وأنه شهد بعد ذلك الجمل وصفين وصحب علياً، فكان من شيعته، وقتل بمرج عذراء بأمر معاوية، وكان حجر هو الذي افتتحها، فقدِّر أن قُتل فيها.

والحاصل أن شيعة علي رضي الله عنه كانوا متواجدين في زمان رسول الله ﷺ، ولهذا مدحهم وأثنى عليهم.

ثم إن الأخ الحطاب حاول أن يثبت أن الوزير ابن العلقمي ومحمد بن نصير الطوسي كانا السببين الرئيسين في سقوط الدولة العباسية، وأنا أتعجب من الأخ الحطاب وأربأ به أن يذكر هذه القضية وأمثالها لإدانة الشيعة بها، مع أنها لو صحَّت فلا يدان بها إلا فاعلها، وكم من حاكم جائر من أهل السنة قتل مئات

الألوف من الشيعة الأبرياء، فهل يُرضي الأخ الحطاب أن يحمِّل الشيعةُ أهلَ السنة آثام يزيد بن معاوية، والحجاج الثقفي، وكل الخلفاء الجائرين الذين تعاقبوا على حكم المسلمين إلى عصرنا الحاضر؟

والعجيب أن الأخ الحطاب قد حاول إثبات القضية بالنقل من كتاب روضات الجنات الذي هو كتاب متخصص في تراجم الرجال، لا في التاريخ، مع أن كل قضية تاريخية لا تثبت بأمثال هذه النقولات التي لا تثبت حقاً، ولا تدحض باطلاً؛ لأن إثبات القضايا التاريخية ليس طريقه كإثبات الحقوق المتنازع فيها التي تثبت باعتراف الخصوم، فكان ينبغي على الأخ الحطاب أن يثبت تورط ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي بما تثبت به القضايا التاريخية، لا بكلمة متصيدة من بعض كتب الشيعة، التي لا يسلم بها الشيعة أنفسهم، بل ينبغي ذكر مصادر هذه القصة وإثباتها بأسانيد صحيحة، حتى يصح اتهام الوزير ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي بإقناع هولاكو بدخول بغداد، وأما ترديد ما يقوله أعداء الشيعة، وعدّه حقائق دون تحقيق وإثبات فهو غير مقبول في مقام البحث العلمي.

والمعروف أن الخلافة العباسية في نهاياتها قد استولى عليها الأتراك والمماليك والنساء وغيرهم، وصار الخليفة العباسي مجرد اسم، لا يحل ولا يعقد.

هذا مع انشغال الخلفاء بالمجون والشراب والبذخ وغيرها من المظاهر المعلومة التي كانت هي السبب الحقيقي وراء سقوط الدولة العباسية، لا مجرّد مكاتبة كتبها ابن العلقمي الذي وصفوه بالرافضي، وحمَّلوا آثامه كل الشيعة في كل الأزمنة الماضية واللاحقة.

على أن الذهبي قد ذكر أن مؤيد الدين ابن العلقمي أراد أن ينتقم بسيف التتار من السنة والشيعة واليهود والنصارى، فقال في كتابه سير أعلام النبلاء ٢٣/٣٦٢:

وكان أبو بكر ابن المستعصم والدويدار الصغير قد شدًّا على أيدي السُّنّة، حتى نُهب الكرخ، وتمَّ على الشيعة بلاء عظيم، فحنق لذلك مؤيَّد الدين بالثأر بسيف التتار من السُّنّة، بل ومن الشيعة واليهود والنصارى.

هذا مع أن دور ابن العلقمي الذي ذكره ابن العبري المتوفى سنة ٦٨٥هـ، وهو ممن عاصر أحداث سقوط بغداد، مختلف جداً عما ذكره بعض مؤرّخي أهل السنة، فقال في كتابه (تاريخ مختصر الدول): لما فتح هولاكو تلك القلاع - أي قلاع الإسماعيلية - أرسل رسولاً إلى الخليفة، وعاتبه على إهماله تسيير النجدة، فشاوروا الوزير - ابن العلقمي - فيما يجب أن يفعلوه، فقال: لا وجه غير إرضاء هذا الملك الجبّار ببذل الأموال والهدايا والتحف له ولخواصه، وعندما أخذوا في تجهيز ما يسيرونه قال الدويدار الصغير وأصحابه: «إن الوزير إنما يدبِّر شأن نفسه مع التتار، وهو يروم تسليمنا إليهم، فلا تمكّنه من ذلك»، فأبطل الخليفة بهذا السبب تنفيذ الهدايا الكثيرة، واقتصر على شيء نزر لا قدر له، فغضب هولاكو وقال: «لا بد من مجيئه هو بنفسه أو يسيِّر أحد ثلاثة نفر: إما الوزير، وإما الدويدار، وإما سليمان شاه»، فقدم الخليفة إليهم بالمضي فلم يركنوا... فسير غيرهم فلم يجديا عنه. تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٩ .

والذي يظهر أن اتّهام الوزير ابن العلقمي كان بسبب التحاسد واختلاف المذاهب بينه وبين ابن الخليفة والدويدار، لا بسبب أن ابن العلقمي كاتَبَ هولاكو وحرضه على غزو بغداد.

قال الدكتور سعد بن محمد حذيفة الغامدي الأستاذ المساعد بقسم التاريخ في جامعة الرياض في كتابه (سقوط الدولة العباسية): إن تلك الاتهامات قد اصطنعها خصوم الوزير، وعلى رأسهم الدويدار الصغير، وألصقوها به... فروج لها، ونادى بها المسلمون الآخرون من أهل السنة - لغرض التشنيع - ودُوِّنت فيما بعد في

مصادرهم، وبمرور السنين أصبحت وكأنها حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل. (سقوط الدولة العباسية، ص ٣٤٣).

كما أن من المستبعد جداً أن يحاول ابن العلقمي الثأر من أهل السنة بمكاتبة هولاكو لدخول بغداد من غير معاهدة بينهما على الكف عن الشيعة؛ لأننا لم نرَ أحداً من مؤرخي أهل السنة - حتى غير المنصفين منهم - قد ذكر أن هولاكو عاهد ابن العلقمي على ذلك، أو أن الذين قتلهم التتار كانوا من أهل السنة فقط.

قال الدكتور سعد الغامدي: لم يفرِّق المغول بين المسلمين أتباع المذهب السني وبين إخوانهم أتباع المذهب الشيعي في أثناء اقتحام وأخذ بغداد، فقد تعرضت الأحياء السكنية في بغداد الآهلة بالسكان الشيعة للهجوم العاصف المدمِّر، كما وقعت بقية أحياء أهل السنة تحت ثقل وطأتهم، فذاق هؤلاء ما ذاق أولئك؛ إذ ارتكب المغول - دون حياء - من الشناعات وأعمال القتل والنهب والسلب ضد أتباع المذهب الشيعي والسني على حد سواء دون تمييز. (سقوط الدولة العباسية، ص ٣٤٥).

ثم أين كانت جيوش الخلافة العباسية؟ وأين كان قوَّاد الجيش ورجالات الدولة؟ وكيف استطاع ابن العلقمي الرافضي أن يعبث بعقول كل هؤلاء، فيمكِّن هولاكو من دخول بغداد واحتلالها دون أي مقاومة تذكر؟

كل هذا يؤكِّد أن ابن العلقمي كان بريئاً مما ألصقوه به من تُهم وافتراءات، وأن سبب سقوط خلافتهم هو انغماس الخلفاء في المجون والشهوات، وصيرورة أمور الخلافة بيد المماليك والأتراك والنساء والخدم.

قال الدكتور سعد الغامدي: والذي نراه صحيحاً - كما يبدو لنا - هو أن المؤرخين الذين اتهموا الوزير ابن العلقمي وعلى رأسهم الجوزجاني كانوا مؤرخين سُنِّيين متطرفين، فقد وجَّهوا إليه تلك التهم أصلاً بدافع من التعصب المذهبي،

تمليه حوافز عدوانية وعواطف تحاملية، يكنّونها تجاه هذا الوزير المسلم الشيعي المذهب. لهذا فإن المرء ليقف عند روايات من هذا القبيل موقف الشك، هذا إذا لم يرفضها رفضاً قاطعاً، وإن ما أورده أولئك المؤرخون في تقاريرهم حول هذا الشأن لا يقوم على أساس علمي دقيق ومحقَّق. (سقوط الدولة العباسية، ص ٣٤١).

وأما نصير الدين الطوسي فلم أطَّلع على من اتّهمه منهم بالضلوع في الخيانة وتمكين التتار من الاستيلاء على بغداد كما اتّهموا العلقمي بذلك.

نعم ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ١٢/ ٢٨٣ أنه كان مع هولاكو، إلا أنه لم يذكر أن له ضلعاً في أحداث بغداد، حيث قال: النصير الطوسي محمد بن عبد الله الطوسي، كان يقال له: المولى نصير الدين، ويقال: الخواجا نصير الدين، اشتغل في شبيبته وحصَّل علم الأوائل جيداً، وصنَّف في ذلك في علم الكلام، وشرح الإشارات لابن سينا، ووزر لأصحاب قلاع الألموت من الإسماعيلية، ثم وزر لهولاكو، وكان معه في واقعة بغداد، ومن الناس من يزعم أنه أشار على هولاكو خان بقتل الخليفة، فالله أعلم، وعندي أن هذا لا يصدر من عاقل ولا فاضل، وقد ذكره بعض (البغاددة) فأثنى عليه، وقال: كان عاقلاً فاضلاً كريم الأخلاق...

علي آل محسن

*****

رداً على ما كتبه الحطاب.. آل محسن (٣-٣)

مَنْ قال من الشيعة بالتحريف فقوله شاذّ منكَر لا يعول عليه ولا يمثل رأي عموم الطائفة.

تعقيباً على ما نشره الأخ الكريم عبد الكريم علي الحطاب في ملحق الرسالة لجريدة المدينة السعودية بتاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٤٢٥هـ أقول:

قال الأخ الحطاب: إن أهل السنة يرون المرجعية بعد كتاب الله سنة رسوله ﷺ التي نقلها الصحابة وأهل البيت جميعاً، وكلمة الصحابة كلمة عامة شاملة تشمل أهل البيت، فالصحابي هو كل من رأى الرسول ﷺ وآمن به، ومات على ذلك، فعلي والحسن والحسين والعباس وابنه عبد الله وجعفر وغيرهم، كل هؤلاء من صحابة رسول الله ومن أهل بيته.

والجواب عن ذلك: أن كل الطوائف تدعي أنها تعمل بسنة رسول الله ﷺ، ولكن الكلام في اختيار المصدر الذي أُخذت عنه هذه السنة؛ فإن كل الطوائف تتعبد بأحاديث وأحكام وعقائد تنسبها إلى النبي ﷺ، ولا ريب في عدم صحة كثير من هذه المنسوبات للنبي ﷺ، لاختلافها وتضاربها، وأهل السنة قد تمسكوا بما نقله إليهم كل من رأى النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، وإن كان فاسقاً بحسب الضوابط الشرعية في تفسيق المسلم، التي ألغاها أهل السنة في حق الصحابة قاطبة، فحكموا بعدالتهم جميعاً من غير استثناء، فلا فرق عند أهل السنة بين السنة التي نقلها علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين - رضي الله عنهم -، و(السنة) التي نقلها معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وبسر بن أرطأة، وسمرة بن جندب وأمثالهم.

ولئن أخذ أهـل السـنة بالسـنة التـي نقلهـا أمير المؤمنين والحسـن والحسـين - رضي الله عنهم -، فإنما أخذوها باعتبار أن نقلتها صحابة، لا فرق بينهم وبين غيرهم في مقام التعارض، لا من أجل أن نقلتها من أهل بيت النبي ﷺ الذين أمر النبي ﷺ بالتمسك بهم والأخذ بهديهم، حيث قال: يا أيها الناس، إني قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي[1].

وعن زيد بن أرقم وأبي سعيد، قالا: قال رسول الله ﷺ: إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرَّقا حتى يرِدَا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلِّفونّي فيهما[2].

ولهذا لما اختلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مسألة الخلافة مع أبي بكر وعمر، لم يرَ أهل السنة الحق في اتباع علي ﷺ، مع دلالة الأحاديث عندهم على أن عليًا مع الحق والحق معه.

فقد أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد - في حديث - أن علي بن أبي طالب مرَّ، فقال النبي ﷺ: الحقّ مع ذا، الحقّ مع ذا[3].

وعن حذيفة أنه قال: انظروا إلى الفرقة التي تدعو إلى أمر عليٍّ فالزموها، فإنها على الهدى[4].

(١) سنن الترمذي ٦٢٢/٥ . قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٥٦/٤ . قال الألباني: الحديث صحيح.
(٢) سنن الترمذي ٦٦٣/٥ . قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. صحيح الجامع الصغير ٤٨٢/١ وصحّحه الألباني أيضاً.
(٣) مجمع الزوائد ٢٣٤/٧-٢٣٥ قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات.
(٤) مجمع الزوائد ٢٣٦/٧ قال الهيثمي: رواه البزار، ورجاله ثقات.

وأخرج الحاكم عن علي ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم أدِر الحق معه حيث دار[1].

فلما تخلَّف علي ﷺ عن بيعة أبي بكر ستة أشهر كما مرَّ، لم يتبع الناس عليًا، واتبعوا أبا بكر وعمر، ولما اختلفت فاطمة - رضي الله عنها - مع أبي بكر وعمر في مسألة فدك، صوَّب أهل السنة أبا بكر، وخطَّؤوا فاطمة - رضي الله عنها -.

ثم إن أهل السنة اتبعوا غير أهل البيت من أئمة التابعين وتابعي التابعين وأئمة المذاهب المعروفة، وتركوا التمسك بأئمة أهل البيت الذين أمر النبي ﷺ هذه الأمة باتباعهم والتمسك بحبلهم في حديث الثقلين الذي ذكرناه آنفاً، فمن العجيب زعم الحطاب أن أهل السنة قد أخذوا السنة من أهل البيت - رضي الله عنهم -!!.

ثم إن الأخ الحطاب زعم أن كبار علماء الشيعة المعتبرين نصوا على القول بتحريف القرآن صراحة، واعترفوا به، بل إن بعضهم نقل الإجماع على ذلك، ثم نقل بعض الأقوال التي يؤيد بها كلامه، فقال:

قال الشيخ المفيد: إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان. أوائل المقالات: ص ٩١ .

والجواب: أن استفاضة الأخبار الظاهرة في التحريف لا تستلزم القول بتحريف القرآن؛ لأن أحاديث التحريف عند أهل السنة مخرجة أيضاً في صحيحي البخاري ومسلم، ولم يستلزم من ذلك القول بتحريف القرآن.

---

(١) المستدرك ١٢٤/٣ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. سنن الترمذي ٦٣٣/٥ .

ثم إن الشيخ المفيد قد أفصح عن رأيه في هذه المسألة فقال: أما النقصان فإن العقول لا تحيله ولا تمنع منه... وقد قال جماعة من أهل الإمامة: إنه لم ينقص من كلمه ولا من آية ولا من سوره، ولكن حُذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين ﵁ من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله... وقد يسمَّى تأويل القرآن قرآناً... وعندي أن هذا القول أشبه مِن مقال مَن ادَّعى نقصان كلمٍ من القرآن نفسه على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل.

وقال: وأما الزيادة فمقطوع على فسادها. أوائل المقالات، ص ٩١-٩٢ .

والعجب من الأخ الحطاب كيف لم ينقل كلمة الشيخ المفيد كاملة، ونقلها ناقصة، ونحن نحمله على الصحة، ونتهم فيها غيره؛ لأنه مجرد ناقل من بعض المتحاملين على الشيعة، ولم ينقل من المصدر نفسه.

قال الأخ الحطاب: قال أبو الحسن العاملي: اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب دلالة الأخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغييرات، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات. المقدمة الثانية لتفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، ص ٣٦، وطبعت هذه كمقدمة لتفسير البرهان للبحراني.

والجواب: أن هذا قولٌ شاذٌ لا يعول عليه، ولا يمكن الأخذ به وطرح أقوال أساطين الطائفة كالشيخ المفيد والمرتضى والشيخ الطوسي والشيخ الصدوق والطبرسي وغيرهم من الأعلام الذين نصّوا على سلامة القرآن من كل زيادة أو نقص، ونحن لا ننكر وجود قائلين بالتحريف من الشيعة، ولكنهم شاذون، وأبو الحسن العاملي لا يقاس بواحد من هؤلاء ولا يدانيهم.

وقال الأخ الحطاب: قال نعمة الله الجزائري: «إن تسليم تواتره عن الوحي الإلهي، وكون الكل قد نزل به الروح الأمين يُفْضِي إلى طرح الأخبار المستفيضة، بل

المتواترة، الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة، وإعراباً، مع أن أصحابنا قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها» الأنوار النعمانية ٣٥٧/٢ .

والجواب: أن هذا قول شاذ كسابقه، ومن البدهي أنه مع حصول الجزم بتواتر القرآن فلا محذور في طرح الأخبار المستفيضة التي ذكرها، وذلك لأن المتواتر قطعي الصدور، وأما الحديث المستفيض فهو ظني الصدور، ولا يمكن رفع اليد عن المتواتر القطعي لأجل الأخبار الظنية.

على أنه يمكن تأويل تلك الأخبار بما لا يستلزم القول بالتحريف، مع أن كثيراً من تلك الأخبار ضعيفة الأسانيد، ومعارضة بما هو أصحّ منها سنداً وأوضح دلالة، فكيف يمكن التعويل عليها؟! وإطباق الأصحاب على صحّتها في الجملة - لو سلّمنا به - لا يستلزم القول بتحريف القرآن، للزوم تأويلها جمعاً بينها وبين غيرها من الأحاديث الصحيحة، كأحاديث الحث على التمسك بالكتاب، وأحاديث العَرْض على كتاب الله وغيرها، وإلا لَلَزم أن يقول بالتحريف كثير من علماء أهل السنة وغيرهم، لقولهم بصحة أحاديث التحريف التي أخرجت في الصحيحين، وغيرهما.

وقال الأخ الحطاب: العلامة الحجة السيد عدنان البحراني قال: الأخبار التي لا تحصى (أي أخبار التحريف) كثيرة، وقد تجاوزت حد التواتر. مشارق الشموس الدرية، ص ١٢٦ .

والجواب: أننا قد أوضحنا فيما تقدَّم أن كثرة الأخبار الدالة على تحريف القرآن وتواترها، لا يستلزم القول بالتحريف، لما قلناه من لزوم تأويلها بما لا يستلزم القول بالتحريف، وهذا واضح لا يحتاج إلى إعادة.

قال الأخ الحطاب: ويكفي أن نعرف أن أحد كبار علماء الإمامية ألّف كتاباً أسماه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)، وهو النوري الطبرسي،

جمع فيه أكثر من ألفي رواية محرفة بزعمه، ولم يتكلم فيه أحد، أو يرد عليه، بل عندما تقرأ ترجمته في كتبهم يصفونه بالعالم العلامة التقي.

والجواب: أما أنه لم يرد عليه أحد فهذا كلام غير صحيح؛ لأن هذا الكتاب قد أثار زوبعة في الوسط الشيعي، وقوبل بالنقد والإنكار الشديدين، وقد رد عليه غير واحد من العلماء.

منهم: الشيخ محمد جواد البلاغي في آلاء الرحمن، ص ٢٦، والشيخ محمود الطهراني الشهير بالمعرب، رد عليه برسالة سماها (كشف الارتياب عن تحريف الكتاب) وغيرهما.

وهو كتاب لا يتجاوز ٣٧٥ صفحة بالحجم المتوسط، فهل يصدَّق أن كتاباً بهذا الحجم يحتوي على أكثر من ألفي رواية تنص على التحريف، ناهيك عما في الكتاب أيضاً من مناقشات واحتجاجات وبيان الأقوال، وذِكْر طائفة كبيرة من روايات أهل السنة وأقوال علمائهم؟

مضافاً إلى أن الميرزا النوري (قد كرَّر كثيراً من الروايات، فذكرها تارة مسندة، وتارة من غير إسناد كما ذكره الشيخ محمد جواد البلاغي في كتابه (آلاء الرحمن)، حيث قال في مقام الرد على تلك الروايات:

هذا وإن المحدِّث المعاصر جهد في كتاب (فصل الخطاب) في جمع الروايات التي استدل بها على النقيصة، وكثَّر أعداد مسانيدها بأعداد المراسيل عن الأئمة في الكتب، كمراسيل العياشي وفرات وغيرها، مع أن المتتبِّع المحقِّق يجزم بأن هذه المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد، وفي جملة ما أورده من الروايات ما لا يتيسَّر احتمال صدقها، ومنها ما هو مختلف باختلاف يؤول به إلى التنافي والتعارض، وهذا المختصر لا يسع بيان النحوين الأخيرين. هذا مع أن القسم الوافر من

الروايات ترجع أسانيده إلى بضعة أنفار، وقد وصف علماء الرجال إما بأنه ضعيف الحديث، فاسد المذهب مجفوّ الرواية، وإما بأنه مضطرب الحديث والمذهب يُعرَف حديثه ويُنكَر، ويروي عن الضعفاء، وإما بأنه كذّاب متَّهم لا أستحل أن أروي من تفسيره حديثاً واحداً وأنه معروف بالوقف، وأشدّ الناس عداوة للرضا، وإما بأنه كان غالياً كذّاباً، وإما بأنه ضعيف لا يُلتفت إليه ولا يُعوَّل عليه ومن الكذابين، وإما بأنه فاسد الرواية يُرمى بالغلو... إلى آخر كلامه. (آلاء الرحمن: ٢٦).

قال الأخ الحطاب: بل إن هنالك روايات صُحِحت ووثقت تنص على التحريف، فعالمكم محمد باقر المجلسي في معرض شرحه لحديث هشام بن سالم عن أبي عبد الله قال: «إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية»، قال عن هذا الحديث: موثق، وفي بعض النسخ عن هشام بن سالم موضع هارون بن سالم، فالخبر صحيح. ولا يخفى أن هذا الخبر وكثيراً من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره، وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى. (مرآة العقول الجزء الثاني عشر ص ٥٢٥).

والجواب: أن المراد بهذه الرواية كما ذكره الشيخ المفيد في كتاب الاعتقادات، ص ٨٤ هو: أنه قد نزل الوحي الذي ليس بقرآن، ما لو جمع إلى القرآن لكان مبلغه مقدار سبعة عشر ألف آية. وذلك مثل قول جبرئيل للنبي ﷺ: «إن الله تعالى يقول لك: يا محمد، دارِ خلقي». ومثل قوله: «اتّقِ شحناء الناس وعداوتهم». ومثل قوله: «عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه. وشرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه كف الأذى عن الناس».

ثم إن هذه الرواية تتكلم عن القرآن الذي نزل على رسول الله ﷺ، وهو حديث لا يتنافى مع أحاديث أهل السنة التي تنص على أن كثيراً من القرآن الذي نزل على النبي ﷺ قد فُقد أو لم يكتب في القرآن.

فقد أخرج مسلم وغيره عن عائشة، أنها قالت: كان فيما أُنزل من القرآن «عَشر رضعات معلومات يُحرِّمن»، ثم نسخت بـ «خمس معلومات»، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يُقرأ من القرآن. (صحيح مسلم ٢/١٠٧٥). (سنن الترمذي ٣/٤٥٦).

وأخرج ابن ماجة في السنن ١/٦٢٥، وأحمد في المسند ٦/٢٦٩ عن عائشة قالت: لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته، دخل داجن فأكلها.

وأخرج ابن حبان في صحيحه ١٠/٢٧٤ وأحمد في مسنده ٥/١٢٩ وغيرهما، عن زر بن حبيش قال: لقيت أُبَي بن كعب فقلت له: إن ابن مسعود كان يحك المعوذتين من المصاحف ويقول: إنهما ليستا من القرآن، فلا تجعلوا فيه ما ليس منه، قال أُبَي: قيل لرسول الله ﷺ فقال لنا، فنحن نقول.

قال ابن كثير: وهذا مشهور عند كثير من القُرَّاء والفقهاء أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فلعله لم يسمعهما من النبي ﷺ، ولم يتواتر عنده. (تفسير القرآن العظيم ٤/٥٧٢).

وأخرج البخاري وغيره أن عمر بن الخطاب قال: لولا أن يقول الناس: (زاد عمر في كتاب الله) لكتبتُ آية الرَّجْم بيدي. صحيح البخاري ٤/٢٢٤١ .

وأخرج الحاكم في المستدرك ٢/٣٣١ وصحَّحه ووافقه الذهبي عن حذيفة رضي الله عنه، قال: ما تقرؤون ربعها يعني براءة، وإنكم تسمُّونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب.

قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣/٤٦٥ بعد أن ذكر أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة: وهذا إسناد حسن، وهو يقتضي أنه قد كان فيها قرآن، ثم نُسِخَ لفظه وحُكْمه أيضاً.

ويشبه الرواية التي نقلها عن كتاب الكافي ما أخرجه الطبراني بسنده عن عمر ابن الخطاب مرفوعاً، قال: القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأه محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الحور العين. (مجمع الزوائد ٧/١٦٣).

ثم إن الأخ الحطاب ذكر أن علماء الشيعة يقولون بنسخ التلاوة، واستدل على ذلك بقول الشيخ المفيد: «اتفق العلماء على جواز نسخ التلاوة دون الحكم، وبالعكس، ونسخهما معاً خلافاً لطائفة شاذة من المعتزلة» (أوائل المقالات ص ٢١٩). قال الطوسي وهو شيخ الطائفة: «وقالت فرقة رابعة: يجوز نسخ التلاوة وحدها، والحكم وحده، ونسخهما معاً: وهو الصحيح» (تفسير التبيان ١/٣٩٥).

والجواب: أن كلام الشيخ المفيد والشيخ الطوسي إنما هو في جواز نسخ التلاوة وإمكانه العقلي، في مقابل امتناعه واستحالته، ولا شك في أنه أمر ممكن عقلاً، وأما وقوعه وتحققه فلا دليل عليه عندنا، والأخ الحطاب لم يثبت للقارئ أن علماء الشيعة يقولون بوقوعه، وأنهم يوافقون أهل السنة فيما زعموه من نسخ تلاوة، كآية الرجم، ورضاع الكبير وغيرهما.

ثم إن الأخ الحطاب تساءل عن سبب إنكار بعض الشيعة أن كبار علمائهم يقولون بالتحريف، وطالبهم بإنكار هذه الأقوال.

ثم قال: وإذا كانت هذه أقوال كبار علمائكم المعتبرين في كتاب الله عز وجل الذي تكفل الله بحفظه، فمن باب أولى أن يكون الطعن في كلام أهل البيت.

والجواب: أننا أوضحنا فيما تقدم أن كبار علماء الشيعة لا يقولون بتحريف القرآن كما مرَّ نقله عن الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي والطبرسي وغيرهم من أعلام الطائفة، فلا ندري ما هو سبب الإصرار على اتهام الشيعة بتحريف القرآن وهم أعرف بما يعتقدون، ومن قال منهم بالتحريف فقوله شاذ منكَر، لا يعول عليه، ولا يمثل رأي عموم الطائفة.

ومما قلناه يتضح فساد ما استنتجه الأخ الحطاب من أن الشيعة يطعنون في كلام أهل البيت - رضي الله عنهم - بالأولوية.

ثم قال الأخ الحطاب: يعدّ الشيعة أهل البيت هم علي وفاطمة - رضي الله عنهما - وأحد عشر من أبنائهم فقط ويخرجون الباقي من محيط أهل البيت مع أن القران الكريم أثبت دخول أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - في لفظ أهل البيت في سورة الأحزاب.

والجواب: أن النبي ﷺ قد أوضح في الأحاديث الصحيحة المراد بأهل البيت - رضي الله عنهم -، فنحن نتبع ما قاله رسول الله ﷺ في ذلك.

منها: ما أخرجه مسلم في صحيحه ١٨٧١/٤ بسنده عن سعد بن أبي وقاص في حديث قال: ولما نزلت هذه الآية ﴿ **فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم** ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

ومنها: ما أخرجه الترمذي في مسنده ٣٥١/٥ بسنده عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ، قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً، فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره، فجللهم بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير.

ومنها: ما أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك وصححه عن عطاء بن يسار عن أم سلمة - رضي الله عنها - أنها قالت: في بيتي نزلت هذه الآية ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ** ﴾، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم أجمعين -، فقال: اللهم هؤلاء أهل

بيتي. قالت أم سلمة: يا رسول الله، ما أنا من أهل البيت؟ قال: إنك أهلي خير وهؤلاء أهل بيتي، اللهم أهلي أحق. هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

في حديث آخر ٣/١٥٨ عن عطاء بن يسار عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ** ﴾ قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، فقال: هؤلاء أهل بيتي. هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

ومنها: ما أخرجه الحاكم أيضاً ٣/١١٧ عن سعد بن أبي وقاص في حديث قال: لا أسبه ما ذكرت حين نزل عليه الوحي، فأخذ علياً وابنيه وفاطمة، فأدخلهم تحت ثوبه، ثم قال: رب إن هؤلاء أهل بيتي.

ومنها: ما أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/١٥٩ بسنده عن واثلة بن الأسقع قال: أتيت علياً فلم أجده، فقالت لي فاطمة: انطلق إلى رسول الله ﷺ يدعوه، فجاء مع رسول الله ﷺ، فدخلا ودخلت معهما، فدعا رسول الله ﷺ الحسن والحسين، فأقعد كل واحد منهما على فخذيه، وأدنى فاطمة من حجره وزوجها، ثم لف عليهم ثوباً وقال: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، اللهم أهل بيتي أحق. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن المراد بأهل البيت: علي وفاطمة وابناهما - رضي الله عنهم -، وهي قد فسرت المراد بأهل البيت في الآية المباركة الدالة على طهارة أهل البيت - رضي الله عنهم - وذهاب الرجس عنهم، ونحن لم نجد حديثاً واحداً صحيحاً يعارض هذه الأحاديث الكثيرة، فلا مناص حينئذ من أن يكون المراد بأهل البيت هم هؤلاء دون غيرهم من أقرباء النبي ﷺ ونسائه.

ومنه يتضح أنه ليس المراد بأهل البيت كل من انتسب للنبي ﷺ، فلا يمكن إدخال نساء النبي ﷺ ولا أعمامه وأبناء عمومته، كالعباس، وحمزة وعقيل وأبنائهم، لعدم الدليل على دخولهم، بل لقيام الدليل الذي ذكرناه آنفاً على أن المراد غيرهم.

وحديث الثقلين يدل على أنه لا تخلو الأرض من إمام صالح من أهل بيت النبي ﷺ، وإلا لافترقوا عن الكتاب، وهو ما نفاه الحديث الشريف.

قال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة، ص ١٥١: وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهِّل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: «في كل خَلَف من أُمّتي عدول من أهل بيتي...» إلى آخره.

وقال المناوي في فيض القدير ٣/١٤: «قال الشريف: هذا الخبر يُفهم وجود من يكون أهلاً للتمسّك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كل زمن إلى قيام الساعة حتى يتوجه الحثّ المذكور إلى التمسك بهم، كما أن الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض».

فلا بد من أن يكون الإمام الصالح هو خير أهل البيت في زمانه، وأئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - هم خير أهل زمانهم، فيكونون هم المعنيين، وأما غيرهم فيحتاجون إلى ما يدل على دخولهم في أهل البيت - رضي الله عنهم -، والدليل على ذلك مفقود.

قال الأخ الحطاب: بل جاء لفظ أهل البيت لزوجه فقط دون الأبناء في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين خاطبت الملائكة زوجه: ﴿ **قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** ﴾ (هود:٧٣) وقوله تعالى

في قصة موسى عليه السلام ولم يكن معه إلا زوجه: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾، والقرآن الكريم نزل عربياً بليغاً، وبالرجوع إلى كتاب الله والسنة ومعاني الكلمات والألفاظ في قواميس اللغة العربية نجد أن أهل البيت هم زوجات وبنات الرسول ﷺ وآل علي وآل جعفر وآل العباس.

والجواب: أن لفظ أهل البيت لم يرد لزوج واحدة، وقوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ واضح الدلالة على أن الخطاب وإن كان لزوج إبراهيم عليه السلام إلا أن أهل البيت في الآية غير منحصر في زوج إبراهيم عليه السلام، بدليل قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾، دون (عليكِ)، مع أن لفظ (أهل البيت) منصوب على الاختصاص، فيدخل فيه كل أهل بيت إبراهيم عليه السلام، وليس منصوباً على النداء حتى يكون مخصوصاً بزوجة إبراهيم عليه السلام فقط دون غيرها.

وأما الآيات الأخرى فلم يرد فيها لفظ أهل البيت، وإنما ورد فيها لفظ (الأهل) فقط، ونحن لا ننكر أنه يطلق على الزوج، ولكنه خارج عن محل الكلام.

ثم إن الإحالة إلى كتاب الله وسنة النبي ﷺ وقواميس اللغة لمعرفة من هم أهل البيت دون إيضاح وبيان غير صحيح؛ لأن الكتاب لم يبين، والسنة أوضحت أنهم أصحاب الكساء، واللغة إنما تبين معاني الألفاظ عند العرب، ولا تبين الاصطلاحات الخاصة، ولفظ (أهل البيت) صار اصطلاحاً خاصاً بهؤلاء دون غيرهم.

ثم إن الأخ الحطاب نقل أحاديث وأقوالاً في ذم أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة وغيرهم، وهذه الأحاديث لا بد أولاً من تمحيصها والتحقق من صحتها حتى يصح إدانة الشيعة بها، مع أن جملة وافرة منها ضعيفة السند.

ثم إن الخلاف في تقييم جملة من الصحابة أو الرجال لا ينبغي أن يجعل أساساً في تضليل الطوائف، ومن يراهم أهل السنة صحابة أجلاء قد لا يراهم

غيرهم كذلك، كما أن آخرين يراهم الشيعة رجالاً أجلاء، بينما يذهب أهل السنة إلى كفرهم، ويحكمون بأنهم من أهل النار، كعبد المطلب وأبي طالب ووالدي النبي ﷺ وغيرهم، فلا ينبغي أن يُجعل الخلاف في تقييم الرجال أساساً في تضليل أو تكفير الطوائف.

ثم إن الأخ الحطاب نقل روايات من كتب الشيعة في الطعن في العباس وعقيل وعبد الله بن عباس، وقال: ولا أريد الإطالة أكثر، فهذه نماذج بسيطة لما قيل في أهل البيت، فأين التمسك بهم؟

والجواب: أن كل الروايات التي نقلها ضعيفة السند، فلا يعتمد عليها، ولا يقام لها وزن. والتمسك بأهل البيت - رضي الله عنهم - لا يتحقق بالتمسك بكل من انتسب للنبي ﷺ، وإنما يتحقق بالتمسك بأئمة الهدى من أهل البيت الذين أجمع الكل على جلالتهم، وإمامتهم، وورعهم، وحسن سيرتهم، وطيب سريرتهم، وهم الأئمة الاثنا عشر، دون من سواهم ممن انتسب للنبي ﷺ، كبناته وأعمامه وبني عمومته، وغيرهم.

وأما قول الأخ الحطاب: ويكفي أن نعرف أن علي بن أبى طالب رضي الله عنه في كتاب نهج البلاغة الذي لا يكاد تخلو مكتبة شيعي منه ذم شيعته، ووصفهم بأبشع الصفات في أكثر من أربعين موضعاً.

فجوابه: أن أمير المؤمنين رضي الله عنه لم يذم شيعته في نهج البلاغة ولا في موضع واحد، وإنما ذم أصحابه الذين كان يستحثهم لحرب معاوية، وهم أخلاط من الناس، وأغلبهم لم يكن من الشيعة.

ولو سلمنا أنهم كانوا من الشيعة فقط، فإن أهل السنة حينئذ أولى بالذم؛ لأنهم إما أن يكونوا مع معاوية وأتباعه، وهم الفئة الباغية الذين قتلوا عمار بن ياسر رضي الله عنه، وإما

أن يكونوا قد اعتزلوا علياً رضي الله عنه ومعاوية، فتركوا نصرة خليفة المسلمين الذي يجب عليهم بيعته ونصرته، فيكونون أولى بالذم ممن نصره وتوانى في نصرته رضي الله عنه بسبب كثرة الحروب وتتابعها.

ثم قال الأخ الحطاب: فها هو السيد محسن الحكيم والخميني وأبو القاسم الخوئي وسبعة معهم يوثقون دعاء صنمي قريش، والمقصود بهما أبا بكر وعمر، ويدعون تواتره كذباً وزوراً عن علي رضي الله عنه.

وجوابه: أن دعاء صنمي قريش دعاء مذكور في بعض كتب الأدعية الشيعية، ولم يرد فيما أعلم بسند صحيح، وعليه، فلا ينبغي أن يذكر هذا الدعاء وأمثاله في مقام الحوار المذهبي أصلاً.

وأنا أتعجب من الأخ الحطاب الذي ينبغي له أن يكون منصفاً في كلامه، كيف يزعم أن جمعاً من علماء الشيعة كالحكيم والخوئي والخميني وغيرهم صحَّحوا هذا الدعاء، وقالوا بتواتره عن أمير المؤمنين رضي الله عنه، مع أن ذلك كله لم يثبت، ولا سبيل لإثباته؟!

ثم إن الدعاء لم يصرَّح فيه بأن المراد بصنمي قريش وابنتيهما أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة، فلعل المراد به غيرهما، وعلى من يدعي أن المراد أبو بكر وعمر إثبات ذلك.

ثم قال الأخ الحطاب: إن أول من طعن وسب الصحابة والشيخين تحديداً ليس الخوارج وإنما عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر.

وجوابه: أن ذلك لم يثبت بسند صحيح، وإنما هو من مرويات سيف بن عمر التميمي الكذاب الوضاع، وكل الذين ذكروا ذلك في كتبهم كالطبري وغيره إنما نقلوه عن سيف بن عمر، والأخ الحطاب نقل هذا الكلام تقليداً من غير تحقيق في

المسألة، وكان عليه أن يثبت كلامه بالأدلة الصحيحة، بدلاً من إلقاء الكلام جزافاً، دون تثبت.

علي آل محسن

*****

رداً على ما كتبه الشويقي.. علي آل محسن (١-٣)

رأي الشيعة في الصحابة مأخوذ من الكتاب والسنة لا من نظرية الإمامة

تعقيباً على ما ذكره الأخ الشويقي في ملحق الرسالة لجريدة المدينة السعودية الصادر بتاريخ ١٤٢٥/٩/٢٢هـ، أقول:

إن الأخ الشويقي أتعب نفسه في بيان أن كتب الشيعة ولا سيما الكتب الحوزوية اشتملت على التحريض على أهل السنة، ومن الواضح أن النصوص التي نقلها الأخ الشويقي لا تشتمل على جواز قتل أهل السنة، واستباحة دمائهم وأموالهم، وهذا بخلاف فتاوى بعض جهلة أهل السنة الذين دأبوا على التحريض على استباحة دماء الشيعة قديماً وحديثاً.

ويكفي أن نرى الأحداث الدائرة الآن في العراق لنعرف أن كثيراً من أهل السنة وقعوا تحت تأثير التحريض على الشيعة، وتشبثوا بفتاوى استباحة دماء الشيعة وإهدار كل حقوقهم، فقتلوا المئات بل الآلاف من الشيعة الأبرياء، وفي المقابل لا نرى أحداً من الشيعة يقابل أهل السنة بالقتل والإبادة، وهذا دليل واضح على أن علماء الشيعة لا يحرضون الشيعة على أهل السنة، بينما يحرض علماء أهل السنة عوامهم على قتل الشيعة وإبادتهم.

ثم إن الأخ الشويقي نقل بعض أقوال علماء الإمامية التي تضلل وتفسق المخالفين لأمير المؤمنين رضي الله عنه والمتقدمين عليه، واصفاً هذا الرأي بأنه متطرف غالٍ.

والجواب: أن هذه المسألة مسألة اجتهادية كما قلنا، فلا محذور في الاجتهاد فيها، بتكفير أو تضليل، أو تعديل، ولم يرد نص قرآني أو نبوي يمنع من ذلك، وقد اجتهد بعض الصحابة في هذه المسألة كما دلت على ذلك الأحاديث الكثيرة، والمجتهد فيها - على رأي أهل السنة - ينبغي أن يكون مأجوراً، إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، وقد ذهب مشهور أهل السنة إلى كفر رجال آخرين لم يروا في تكفيرهم أي غضاضة، مع أنهم برأي الشيعة الإمامية صحابة أجلاء عظماء، ومنهم أبو طالب رضي الله عنه، الذي ناله حكم مشهور من أهل السنة بكفره، مع أنه عم رسول الله ﷺ، وكافله، والمدافع عنه، وناصره، ووالد أمير المؤمنين رضي الله عنه، وما دافع أحد عن الإسلام وهو في مهده مثله، والأدلة الدالة على إسلامه وإيمانه كثيرة جداً، ومع أن أهل السنة قد كفروه إلا أن الشيعة لم يجعلوا التراجع عن هذا القول شرطاً في التقارب مع أهل السنة، أو سبباً لتضليلهم، أو الحكم بكفرهم وغلوهم وتطرفهم، وبهذا النحو ينبغي أن يتعامل أهل السنة مع من اجتهدوا في تقييم أبي بكر وعمر وعثمان، لا أن يجعلوا هذه المسألة أم المسائل التي لأجلها يرفضون أي دعوة للتقارب والتعايش بينهم وبين غيرهم.

ثم قال الأخ الشويقي: فهل يعني الشيخ بهذا الكلام أن تبنّي الشيعة لعقيدة تتهم الصديق والفاروق وذا النورين وأكثر الصحابة بالخيانة والغدر وإيثار الدنيا، وجحد أصل شرعي كبير، مسألة لا تستحق النزاع والخصام؟! وإذا كان هذا رأيه، فهل أهل السنة ملزمون بالأخذ بما يراه، بحيث يتعين عليهم التنازل عن أصولهم احتراماً لأصله الذي لا يريد التنازل عنه؟

والجواب: أن مسألة الخلافة والإمامة مسألة فرعية عند أهل السنة، وعليه فلا محذور في الحوار فيها للتوصل إلى ما هو الحق، والاختلاف في الخلافة والإمامة لا يقتضي وجوب التنازع والتخاصم، واختلاف أهل السنة مع الشيعة في

هذه المسألة ينبغي أن يكون كالخلاف في المسائل الأخرى، فإنهم اختلفوا معهم في مسائل كثيرة هي أهم من مسألة الخلافة عندهم كالتوحيد وغيره، ومع ذلك لم يتخذ أهل السنة الخلاف في مسألة التوحيد وسيلة لتكفير الشيعة، وللحكم بعدم إمكانية التقارب والحوار معهم، فجعلوا الخلاف في مسألة فرعية بنظرهم أهم من الخلاف في مسألة عقدية، وهذا من المفارقات العجيبة!!

ولا تستلزم دعوتنا أهل السنة إلى التقارب وترك التخاصم إلزامهم بالأخذ بعقائد الشيعة وترك عقائدهم وأحكامهم كما فهمه الأخ الشويقي، بل المطلوب هو عدم إلغاء الشيعة، وإعطاؤهم الحق في التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم، وتقبل فكرة الرأي الآخر التي يرفضها كثير من أهل السنة في هذه البلاد.

ثم قال الأخ الشويقي: وهل من متطلبات التقارب والوحدة الوطنية أن يعضّ الشيخ بناجذيه على أصول مذهبه، ويكون من واجبنا نحن التنازل عن أصلنا في تعظيم الخلفاء الثلاثة وسائر الأصحاب، ومنابذة من ينال منهم، أو يحاول نشر فكرٍ منحرف يطعن في دينهم ونزاهتهم؟

والجواب: أنه ليس من متطلبات التقارب والوحدة الوطنية التنازل عن الحق، أما الأصول التي لم يقم عليها دليل فلا مانع من التنازل عنها.

ثم قال الأخ الشويقي: ولو أنصف الشيخ وصدق مع نفسه وأهل مذهبه، لأعلن بوضوحٍ أن من أكبر أسباب نفور أهل السنة من الشيعة تلك التصورات المغالية التي يحملها الشيعة في حقّ الصحب الكرام.

والجواب: أن الشيعة لا يحملون أي تصورات مغالية في حق الصحابة الكرام؛ لأن عقيدة الشيعة في الصحابة هي عقيدة القرآن، فإنهم حكموا بعدالة جملة منهم، وبنفاق طائفة أخرى، وبأن طائفة أخرى خلطت عملاً صالحاً وآخر سيئاً كما جاء في كتاب الله العزيز.

والذين غالوا في الصحابة هم بعض أهل السنة، الذين قالوا بعدالة كل الصحابة رغم صدور الجرائر والجرائم من بعضهم، فجعلوا لهم هالة من القداسة بحيث صارت لهم حصانة، فلا يجوز نقدهم، ولا تفسيقهم، ولا بغضهم، ولا تخطئتهم، ولا تفضيل غيرهم عليهم، وهذا كله خلاف ما دل عليه الكتاب والسنة النبوية المطهرة.

وعليه فليس من الإنصاف أن ينفر أهل السنة من الشيعة لمسألة كهذه، وهي مسألة فرعية اجتهادية قابلة للحوار والنقاش، إلا إذا كان الأخ الشويقي لا يحتمل وجود رأي آخر مخالف لمعتقده.

ثم قال الأخ الشويقي: إن إعراض الشيعة عن الأخذ بما يرويه الصحابة الكرام عن رسول الله ﷺ لم يكن سببه أخذهم بالأحاديث الواردة في بالتمسك بالعترة الطاهرة. فهذه الأحاديث موجودة عند أهل السنة ولم تمنعهم من الأخذ بمرويات سائر الصحابة رضوان الله عليهم.

والجواب: أن السبب في ترك أخذ الشيعة بمرويات الصحابة أمور عدة:

أن النبي ﷺ لم يأمر أمته بالتمسك بالصحابة، فكيف يجوز التمسك بمن لم يأمر النبي ﷺ باتباعه والأخذ بأقواله؟!

أن الصحابة اختلفوا فيما بينهم، ولو وجب اتباعهم كلهم لكنا مأمورين باتباع الباطل؛ لأن بعض المختلفين لا بد أن يكونوا على الباطل، وهذا باطل بالاتفاق، فلا بد أن يكون المأمور بالتمسك به غيرهم.

أن النبي ﷺ أمر الأمة بالتمسك بالثقلين: الكتاب والعترة، فإنه قال: إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض. (المستدرك ٣/١١٨، صحّحه الحاكم).

ومن العجيب أن الأخ الشويقي قد نفى أن يكون السبب في إعراض الشيعة عن الأخذ بما رواه الصحابة هو الأخذ بالأحاديث التي حثت على لزوم التمسك بالعترة الطاهرة، واستدل على ذلك بأن أهل السنة قد أخذوا بأحاديث الصحابة مع وجود أحاديث التمسك بأهل البيت عندهم، وهذا استدلال عجيب، والصحيح أن يُستدَل على عدم جواز الأخذ بمرويات الصحابة بوجود أحاديث التمسك بأهل البيت - رضي الله عنهم - دون غيرهم.

ثم قال الأخ الشويقي: والأحاديث التي وردت في الوصية بالعترة وأهل البيت، ليس فيها ما يوجب إهدار مرويات الصديق والفاروق وعائشة وحفصة وسائر الصحابة عن رسول الله ﷺ؛ لأن هؤلاء الأطهار إنما يروون كلام إمام أهل البيت عليه الصلاة والسلام. فليس هناك ما يفسر ردَّ مروياتهم، إلا النظرة السوداء التي ينظر بها الشيعة إليهم.

والجواب: أننا قد أوضحنا ما يفسر رد مرويات الصحابة عن رسول الله ﷺ، فلا حاجة لإعادته، ولا سيما إذا كانت مخالفة لما رواه أهل البيت - رضي الله عنهم - عن النبي ﷺ، فمع اختلاف الروايات عن النبي ﷺ لا بد من رد بعضها، وحينئذ لا مناص لنا من التمسك بمرويات أهل البيت - رضي الله عنهم -، لأننا أمرنا بالتمسك بهم دون من عداهم، وهذا استدلال واضح وصحيح لا يحتاج إلى إطالة.

ثم قال الأخ الشويقي: فأهل السنة إنما يحتجون بما يرويه الصحابة عن النبي ﷺ. وأما الشيعة الإمامية فلا يتعاملون مع أهل البيت على أنهم رواةٌ، أو حتى علماء مجتهدون. بل يتخذون من أقوالهم مصدراً مستقلاً للتشريع باعتبارهم أئمةً معصومين معيَّنين من قبل الله عز وجل. فما يقولونه حجةٌ في الدين يجب الأخذ بها، كما يجب الأخذُ بالقرآن وبأقوال النبي ﷺ.

والجواب: أن أهل السنة يحتجون بأقوال الصحابة وأفعالهم على أنها مصدر للتشريع أيضاً، وكم من فعل فعله بعض الصحابة لم يدل عليه دليل من الكتاب والسنة، جعله أهل السنة حجة، وعلَّلوه بأنه في قوة المرفوع بزعمهم.

بل ربما خطؤوا النبي ﷺ وصحَّحوا من خالفه من الصحابة، كما خطؤوا النبي ﷺ لما طلب دواة وكتفاً ليكتب للأمة كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فقال عمر: إن النبي قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله. (صحيح البخاري ١٦١٢/٤، صحيح مسلم ١٢٥٩/٣). حيث اعتبروا فعل عمر من دلائل فقهه، وأنه أراد ألا ينغلق باب الاجتهاد، فتذهب فضيلة العلماء، وأنه.. وأنه.

وأما الشيعة الإمامية فإنهم يحتجون بأقوال أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - وأفعالهم؛ لأن النبي ﷺ أمرنا بالتمسك بهم واتباعهم، لا لأنهم رواة حديثه، بل لأنهم أئمة الدين، وأن التمسك بهم عاصم من الضلال، وأهل السنة كذلك قد تمسكوا بأئمة مذاهبهم لا لأنهم رواة، بل لأنهم أئمة الدين، فأخذوا أقوالهم واتبعوهم، مع عدم الدليل على صحة اتباعهم والتمسك بأقوالهم.

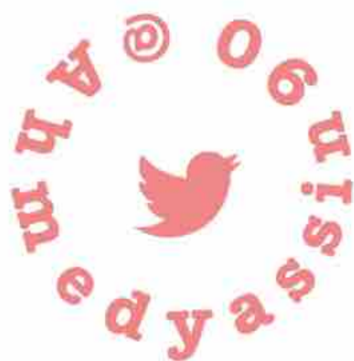
ثم قال الأخ الشويقي: أما الشيعة فهم - وإن لم يسمُّوا أئمة أهل البيت أنبياءً - لكنهم يسبغون عليهم أخصَّ أوصاف الأنبياء. فالأئمة عندهم معيَّنون من قبل الله عز وجل!! وهم معصومون من الوقوع في السهو والخطأ!!. وقولهم حجةٌ في الدين!! ومن جحد إمامتهم، أو إمامة واحدٍ منهم استحق الخلود في النار!! ولا يستقيم لأحدٍ دينه إلا بالإيمان بإمامتهم جميعاً وعصمتهم!!

والجواب: أنه لا محذور في أن يتصف علماء هذه الأمة ببعض الصفات التي زعم الأخ الشويقي أنها أخص أوصاف الأنبياء، مثل حجية أقوالهم، وعدم جواز جحد إمامتهم، وأنهم معيَّنون من قبل الله سبحانه وتعالى، وأنهم معصومون من الذنوب والخطأ، وما أشبه ذلك، ومع ذلك لا يكونون أنبياء.

وأما أنه لا يستقيم إيمان أحد إلا بالإيمان بإمامتهم جميعاً وعصمتهم، فهذا ما دل عليه حديث الثقلين الذي ذكرناه آنفاً، وذلك لأن النبي ﷺ ذكر بنحو الحصر أمرين يعصمان من تمسك بهما عن الوقوع في الضلال، أحدهما الكتاب، والثاني العترة النبوية الطاهرة، فمن تمسك بالعترة نجا، وكان مستكمل الإيمان، دون من لم يتمسك بهم.

علي آل محسن

*****



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

رداً على الشويقي.. آل محسن: (٢-٣)

المراد بأهل البدع والريب هم الذين يبثون بدعهم على الناس ويشكِّكونهم في دينهم وليس المراد بهم أهل السنة

تعقيباً على ما كتبه الأخ بندر الشويقي في ملحق (الرسالة) لجريدة المدينة السعودية بتاريخ ١٤٢٥/١٠/٢١هـ، فإنني أقول:

لقد ذكر الأخ الشويقي أن السيد الخوئي قال في كتاب مصباح الفقاهة: يجوز لعن المخالفين، وتجب البراءة منهم، وإكثار السَّبِّ عليهم، واتهامهم، والوقيعة فيهم... لأنهم من أهل البدع والرِّيب، بل لا شبهة في كفرهم.

ثم عقَّب الشويقي على ذلك بقوله: وإذا تذكرنا أن الخوئيَّ كان مرجعاً لملايين الشيعة في العالم، فبموجب قواعد الفقه الشيعي، سيكون هذا المنهج الذي رسمه للتعامل مع المخالفين شرعاً ملزماً لجميع مقلديه، بحيث لا يجوز لهم الخروج عنه أو مخالفته، ما لم تعترض ذلك ظروف التقية.

والجواب: أن مصباح الفقاهة لا يعبِّر عن رأي السيد الخوئي بالضرورة، وذلك لأن مؤلفه هو الشيخ محمد علي التوحيدي، والكتاب هو تقرير لبحث السيد الخوئي، وما فيه من آراء تمثل ما فهمه التوحيدي من كلام السيد الخوئي، ولهذا لا يجوز لأي مقلد للسيد الخوئي أن يعمل بما في مصباح الفقاهة أو غيره من الكتب التي كتبها تلامذة الخوئي تقريراً لبحثه، وبهذا ينتفي ما قاله الأخ الشويقي من أن مقتضى قواعد الفقه الشيعي أن يجعل كل مقلدي السيد الخوئي هذه المقالة منهجاً للتعامل مع المخالفين.

ثم إن مثل هذا الكتاب لم يكتب للعامة، وإنما هو كتاب يطلع عليه الدارسون في الحوزة العلمية، وقد طبع بعد وفاة مؤلفه بسنين كثيرة وقبل وفاة السيد الخوئي بسنوات عدة، فكيف تتحقق بذلك تعبئة الشيعة ضد أهل السنة، والتحريض ضدّهم؟!

ثم قال الشويقي: ومما ورد في الكتاب أيضاً - أي كتاب المكاسب للأنصاري -: «إذا رأيتم أهل الرَّيب والبدع فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبِّهم، والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم... يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»!! وقد نسب مؤلف الكتاب هذا النص (المتسامح) إلى النبي ﷺ وسلم وصحَّح سنده!! (١/٣٥٣).

والجواب: أن المراد بأهل البدع والريب هم الذين يبثون بدعهم على الناس ويشكِّكونهم في دينهم، وليس المراد بهم أهل السنة كما أراد الأخ الشويقي أن يصوره لقرائه؛ لأن أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - عادة ما يشيرون إلى غير شيعتهم في رواياتهم بـ (الناس)، ولا يسمونهم أهل البدع والريب، وهذا أمر يعرفه كل من سبر روايات الأئمة واطلع على أخبارهم.

ثم قال الأخ الشويقي: ومما في الكتاب أيضاً: أنه يحرم على الشيعي أن يقتل المؤمن (الشيعي)، ولو أكره على ذلك، لكن إن أكره على قتل الناصبي فيجوز له!! لأن النواصب دمهم غير محقون!! (٤/٣٥٦).

والجواب: أنه ليس المراد بالناصبي: السني، بل المراد به كل من تجاهر بالعداوة لأهل البيت - رضي الله عنهم -، بحربهم أو بسبهم والبراءة منهم، أو بضربهم وإيذائهم، أو بجحد مناقبهم الثابتة لهم، أو ما شاكل ذلك، فهو ناصبي، دون من أبغضهم ولم يجاهر بمعاداتهم، أو أحبهم ووالى غيرهم، فليس كل من لم يكن شيعياً فهو ناصبي؛ لأن كثيراً من أهل السنة يحبون أهل البيت، ويروون فضائلهم، فكيف يكونون من النواصب؟!

علي آل محسن

رداً على الشويقي.. آل محسن: (٣-٣)

ضعَّف علماء الشيعة كثيراً من تلك الأحاديث التي وردت في كتاب الكافي واستشهد بها الشويقي

تعقيباً على ما كتبه الأخ بندر الشويقي في ملحق (الرسالة) لجريدة المدينة السعودية بتاريخ ١٩/١١/١٤٢٥هـ، فإنني أقول:

قال الأخ الشويقي: وإلا فإن الشِّيرازيَّ لم يكن وحده المرجع الشيعيَّ المعاصر الذي يؤمن بصحة مضامين (الكافي)، فهناك أيضاً المرجع اللبناني المعروف (عبد الحسين شرف الدين)، فقد ذكر في كتابه (المراجعات ص٧٢٩) أن الكتب الأربعة «متواترة، ومضامينها مقطوعٌ بصحتها»!!. ثم قال: «والكافي أقدمها، وأعظمها، وأحسنها، وأتقنها»!!

والجواب: أننا لا ننكر أن من علماء الشيعة من يقول بصحة كل أحاديث الكافي خاصة والكتب الأربعة عامة، وهو رأي المحدثين الأخباريين، وهو رأي مخالف لما عليه المشهور بين علماء الإمامية.

ولا بد من أن ألفت النظر ههنا إلى أن القول بصحة كل أحاديث الكافي لا يعني الاعتقاد والعمل بكل أحاديثه؛ لأن تلك الأحاديث منها ما هو معارض بغيره مما هو أصح منه وأشهر، كما أن المعروف عند أهل السنة أنهم يصحِّحون كل أحاديث صحيحي البخاري ومسلم، إلا أن جملة من أحاديثهما معارضة بغيرها من أحاديث الصحيحين إضافة إلى أحاديث غيرهما، كأحاديث حلية نكاح المتعة وغيرها، فليس كل حديث صحيح حجة يجوز العمل به، وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى إطالة.

وعليه، فلا يمكن الاحتجاج على الشيعة بكل حديث ورد في الكافي، حتى عند من يقول بصحة كل أحاديثه، فقول الأخ الشويقي: (فمن هذا كله نخلص إلى أنه لا لومَ على من يحاسب الشيعة على الأباطيل التي يطفح بها كتاب الكافي)، واضح الفساد والضعف.

ثم قال الأخ الشويقي: مع أن الذي يعرف مضامين (الكافي) يدرك أن الإيمان بصحة ما فيه يعني بالضرورة مصادمة أوضح المسلمات والحقائق الشرعية. ويكفي فقط أن يطالع القارئ فهرس محتويات أصوله ليعرف حجم الانحراف الذي تضمنه.

والجواب: أننا لا نقول بصحة كل أحاديث الكافي، وقد ضعَّف علماء الشيعة كثيراً من تلك الأحاديث، فلا إشكال على الشيعة من ناحية وجود بعض أحاديث باطلة المعنى، وأما ادعاء الأخ الشويقي أن أحاديث الكافي تصادم أوضح المسلمات والحقائق الشرعية فهو حكم على أحاديث الكافي بمسلمات الأخ الشويقي لا بالمسلمات الشرعية، فإنه من المسلمات عند الأخ الشويقي بطلان العصمة والنص وأفضلية أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - وغير ذلك مما دلّتَ عليه الأدلة الصحيحة، فهو يضعف أحاديث الكافي بمسلماته ومرتكزاته الموروثة، لا بالمسلمات الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة.

على أن الكافي فيه أحاديث كثيرة جداً في التوحيد والأخلاق والمواعظ والآداب والعبادات والأذكار وغيرها، وهي لا تنافي المسلمات والحقائق الشرعية، والأخ الشويقي حكم على كل أحاديث الكافي بالبطلان لما استعظم أحاديث الإمامة، وجزم بفسادها؛ لأنه ذكر بعد ذلك بعض أبواب الإمامة في الكافي التي استدل بها الشويقي على بطلان كتاب الكافي برمّته، وهذا جور في الحكم لم يقم على أساس علمي صحيح؛ لأن وجود هذه الأبواب التي أنكرها الشويقي لا يعني بطلان كل ما في الكتاب كما هو واضح.

ثم قال الأخ الشويقي: وسواء أأجمع الشيعة على قبول ما في هذا الكتاب أو لم يجمعوا، فموضع الخطورة أنهم متفقون على تعظيم مؤلفه وإجلاله، وعدّه من أئمة الإسلام وأعلامه، حيث يلقبونه (ثقة الإسلام)، ويفاخرون بكتابه في جملة ما يفاخرون به من مآثر. مع أن حقَّ هذا المؤلِّف أن يُعدَّ في جملة المبطلين الذين أسهموا في تمزيق الأمة، وتحريف مذاهب أئمة أهل البيت، علاوة على دين الإسلام.

والجواب: أن الكليني ما هو إلا جامع لتلك الأحاديث التي تضمنها كتاب الكافي، فعهدتها على غيره لا عليه، وهو صادق في قوله، وأمين في نقله، لم يفترِ حديثاً، ولم يحرف كلاماً، ولم يدلس سنداً، ولم يُلزم أحداً بالعمل بكتابه، والأخذ بما فيه، وقد كتبه بناء على طلب بعض إخوانه كما أوضح ذلك الكليني في مقدمة كتابه، فكيف يعد من جملة المبطلين الذين أسهموا في تمزيق الأمة وتحريف مذهب أهل البيت - رضي الله عنهم -؟

وأنا أتعجب ممن يدّعون إلى الفرقة، ويكفرون الشيعة، ويجهرون بضلالهم وانحرافهم عن الإسلام، وربما يستبيحون دماءهم، ويقفون أمام كل دعوة للتقارب والتآلف، ثم يبكون على تمزق الأمة وتفرقها، وتمزق الأمة منهم بدأ وإليهم يعود!! ولا يكتفون بذلك، بل يلقون باللائمة على غيرهم.

ثم ذكر الأخ الشويقي بعض عناوين أبواب الكافي المرتبطة بالإمامة ومقامات الأئمة، ثم قال: هذه فقط بعض عناوين الكتاب، وتحت هذه العناوين من الأخبار الأباطيل، والآراء المنكرة المنسوبة لأئمة أهل البيت رضوان الله عليهم ما تكاد السَّماوات يتفطَّرن منه، وتنشق الأرض، وتخرُّ الجبال هدّاً.

والجواب: أن أبواب الكافي كثيرة جداً، وكان على الأخ الشويقي أن يقيِّم الكتاب بالنظر إلى كل أبوابه، لا إلى بعض أبوابه التي يستنكرها، ولا بأس أن أذكر ههنا

بعض أبواب الكافي في أهم كتاب فيه، وهو كتاب الإيمان والكفر، ليتضح للقارئ أن الأخ الشويقي لم يكن منصفاً في حكمه على الكتاب، فمن الأبواب التي ذكرها الكليني في كتاب الإيمان والكفر:

باب فطرة الخلق على التوحيد، باب في أن الصبغة هي الإسلام، باب في أن السكينة هي الإيمان، باب الإخلاص، باب دعائم الإسلام، باب أن الإسلام يحقن به الدم، وتؤدى به الأمانة، وأن الثواب على الإيمان، باب أن الإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان، باب أن الإسلام قبل الإيمان، باب السبق إلى الإيمان، باب درجات الإيمان، باب نسبة الإسلام، باب خصال المؤمن، باب صفة الإيمان، باب فضل الإيمان على الإسلام، واليقين على الإيمان، باب حقيقة الإيمان واليقين... إلى آخر أبوابه.

وأما الأحاديث التي ذكرها الكليني في أبواب كتاب الحجة المرتبطة بمقامات الأئمة، فنحن لا نصحّحها كلها؛ لأن منها ما هو صحيح نقبله، ومنها ما هو ضعيف نرده، وليس من الإنصاف التضعيف بالجملة اعتماداً على مرتكزات وموروثات مسبقة.

ثم قال الأخ الشويقي: وتبرؤ المعاصرين منه لن يكون له نتيجةٌ حاسمة، ما لم يصحب ذلك موقفٌ حازمٌ ممن تبنَّوا هذا الرأي المنكر وروَّجوا له من أمثال الكليني، والمجلسي، والحرّ العاملي، والطبرسي، والجزائري، وغيرهم. فأي دينٍ يبقى لمن تجرأ على التنزيل الحكيم؟! وكيف يمكن أن يعدّ أولئك أئمةً وقدواتٍ للمسلمين مع تصريحهم بمثل هذا الانحراف الخطير، والضلال المبين؟

والجواب:

أولاً: الكليني لم يصرح بتحريف القرآن، ووجود روايات في كتابه ظاهرها التحريف لا تدل على أنه يقول به، كما أن وجود روايات التحريف في صحيحي البخاري ومسلم لا يدل على أنهما يقولان به.

ثانياً: لو سلمنا أن الكليني يقول بالتحريف فخطؤه في هذه المسألة لا يسوغ لنا أن نتبرأ منه أو نكفره؛ لأن هذا القول لا يصدر إلا عن شبهة، نشأت من وجود روايات صحيحة في كتب أهل السنة والشيعة ظاهرها التحريف.

ثم قال الأخ الشويقي: لهذا كله، فإنني أدعو القيادات الشيعية - إن أرادوا التقريب والاجتماع الحقيقي لا المتوهم - إلى البحث في جذور المشكلة، وممارسة النقد الداخلي الصادق للمذهب، قبل توجيه اللوم للآخرين الذين لا يملكون إلا امتثال ما أوجبه الله عليهم من إنكار ما يرونه ويسمعونه من أقاويل منحرفة يتبناها كبار علماء المذهب، ويتلقاها عنهم مقلدوهم. وما لم تكن المواقف واضحةً كل الوضوح فلن يكون هناك جدوى من التلاوم والتشكي من الفرقة والاختلاف.

والجواب: أن علماء الشيعة كانوا وما زالوا يدعون أهل السنة إلى التقريب والاجتماع، وحفظ حقوق كل الطوائف، وعدّ المذهب الشيعي واحداً من ضمن المذاهب الإسلامية المعترف بها، وإعطاء الشيعة حقوقهم المهدورة كافة، السياسية وغيرها، وعدّهم مسلمين كغيرهم من أهل السنة، وعدم تكفيرهم، واستباحة دمائهم، والتحريض عليهم، وعدم إقصائهم عن المناصب العليا في الدول الإسلامية، ولا مانع من الحوار العلمي الهادف بينهم وبين غيرهم من الطوائف دون أي تشنج ولا تجريح.

والأخ الشويقي - هداه الله - أرسل ضلال الشيعة وهداية أهل السنة إرسال المسلمات، وبنى كل كلامه في مداخلاته على هذا الأساس، فكيف يمكن أن يكون طرفاً في حوار علمي هادف وهو يتكلم بهذه اللغة؟!

ثم إن الأخ الشويقي قد اشترط لحصول التقارب بين السنة والشيعة أن تكون المواقف واضحة كل الوضوح، مع أنه حكم على الشيعة مسبقاً بالضلال لروايات

موجودة في بعض كتبهم ولأقوال متناثرة من هنا وهناك، فالوضوح متحقق، وكتب الشيعة منتشرة في كل مكان، فأي وضوح يريده الأخ الشويقي غير هذا الوضوح؟

ثم قال الأخ الشويقي: وإعراض الشيعة عن مرويات الصحابة الكرام، فرعٌ عن فكرة (الإمامة والعصمة)، التي جعلتهم محلَّ تهمة فيما ينقلونه عن نبيهم ﷺ؛ لأنه لا يمكن الثقة بنقلهم، بعد أن جحدوا النص الجليَّ الذي يثبت إمامة علي رضي الله عنه!

والجواب: أننا أوضحنا فيما تقدم أنه لم يدل دليل واحد من الكتاب والسنة على صحة التمسك بمرويات الصحابة الذين اختلفوا في الرواية عن النبي ﷺ، بل دلَّ الدليل الصحيح على لزوم التمسك بالكتاب والعترة النبوية الطاهرة، فهل نتمسك بمن لم نؤمر بالتمسك بهم، ونترك من أمرنا باتباعهم والأخذ منهم؟!

وأما تعليل الأخ الشويقي فهو غير صحيح؛ لأن جملة من الصحابة لم ينكروا النص الجلي على إمامة أمير المؤمنين رضي الله عنه، بل رووا الروايات الكثيرة الدالة على ذلك، كحديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وحديث: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، وحديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتِ من الباب»، وغيرها من الأحاديث الواضحة في الدلالة على خلافة علي رضي الله عنه.

*****

الدكتور فؤاد الإبراهيم(*)

سعياً للتعايش بين الشيعة والسلفية في السعودية

إن المقاربة الجادة لفهم الذات والآخر تستدعي ضرورة التفكير بصورة متعددة الأبعاد للإحاطة باتجاهين متناقضين أو متنازعين ظاهراً، فقد ألفنا أن ضروب التمييز أو الفصل بين التشيع الإمامي والسلفية في السعودية يتم عن طريق حشد أدلة التفارق والتمايز وهي مهمة تبدو سهلة للمشتغلين في حقل (الفرق والأهواء والملل والنحل). ولكن ما يجعل الأمر على درجة عالية من التعقيد والتشابك، هو محاولة إعادة الربط أو حتى الارتياب في كل ضروب التمييز المزعومة من أجل فهم مكوّنات الوعي لدى كليهما. فالتمايز لا يصبح دليلاً حاسماً بمجرد التواطؤ الجماعي على فرضه، فقد يختفي وراء هذا التمايز ما هو مشترك، وإن جاءت الطبيعة الخارجية لمنشأ كليهما مختلفة في الظاهر.

إن ما يجعل مهمة التعايش بالغة الصعوبة هو أن التشيع والسلفية يتوافران على متشابهات مشتركة ولكنها موجهة لتعزيز الضدية والتمايز وليس التقارب.

والتشيع المقصود هنا هو المذهب الإمامي الاثني عشري الذي يعتنقه ما يقرب من نصف سكان المنطقة الشرقية الغنية بالنفط. وسأستعيض عن استخدام الوهابية ذات الدلالة غير المحايدة بالسلفية درءاً لأي انطباعات محتملة يمكن أن يخلقها المصطلح، سيما في ظل الاستقطاب الحاد والمناخ المشحون بالضدية.

(*) باحث ومتخصص في العلوم السياسية من إخوتنا من طائفة الشيعة بالقطيف.

إننا نستطيع البدء في رؤية التشيع والسلفية من منظور سيسيولوجي، سعياً لاقتفاء جذور الاشتراك والتفارق، ويمكن الاحتجاج بدرجة عالية من الثقة بأن نشأة كل من التشيع والوهابية جاءت على قاعدة مناهضة، فهما من حيث التكوين مشروعا مقاومة ضد انحراف خارجي. وباختصار يمكن القول إن التشيع هو حركة ضد انحراف الدولة بينما السلفية هي حركة ضد انحراف المجتمع، مع أن الحركتين تفضيان بل وتصلحان أيضاً لإقامة دولة في حال استخدام عنصري المقاومة فيهما، فكلاهما يحتفظان بقدرة تعبوية هائلة تعين على إنجاح مشروع الدولة.

وأكثر من ذلك، فإن التشيع والسلفية يملكان إجابات حاسمة وقاطعة على أسئلة تتعلق بانحراف الدولة والمجتمع وفي سبل مقاومته، ولكن كلاهما أيضاً يفتقران إلى إجابات حاسمة ونهائية عن أسئلة تتعلق بسير عمل الدولة والمجتمع وإدارتهما، فهما لا يزوّدان الدولة والمجتمع بإجابات - خارج السياق التيولوجي والميتافيزيقي - حول إدارة اقتصاد الدولة وسياساتها في التعليم والتنمية، فليس لديهما علاجات قاطعة لمشكلات المجتمع والدولة.

وفق هذا الزعم، فإن بقاءهما على قيد الحياة مرهون بإبقاء نشاطية عنصر المقاومة في كليهما. إذ ما إن يصل مشروع الدولة إلى لحظة الولادة باسم التشيع أو السلفية حتى يبدأا بلفظ أنفاسهما؛ لأن قيام الدولة يفضي إلى إنهاء مبرر وجودهما، إذ المقاومة أصل الوجود والاستمرار فيهما.

ولذلك نرى أن السلفية في السعودية عاشت صراعاً مريراً ومصيرياً مع الدولة منذ نشأتها سعياً وراء استعادة الزخم النضالي وعنصر المقاومة الذي أعطبته الدولة لحظة ولادتها، ولأن من شروط استقرار الدولة امتصاص عنصر التفجّر في الإيديولوجية التي أوصلتها إلى الوجود. فحين قرر مؤسس الدولة سحب فتيل المقاومة من جيشه العقدي كان كمن كان يتلو بياناً ينعى فيه موت هذا الجيش الذي

تأسس لغرض فتح البلدان. وينطبق الحال على التشيع في إيران في العهد الصفوي، ولعل في كتاب شريعتي (التشيع الصفوي والتشيع العلوي) ما يلمح إلى محنة مماثلة على يد الحكام الصفويين، الذين أماتوا في التشيع التاريخي عنصر المقاومة والاعتراض وأحيوا فيه عنصر المساومة والانتظار.

وأمكن القول، تبعاً لما سبق، إن التشيع والسلفية هما غير قابلين للتدجين سياسياً، ما لم يتم تفكيكهما عن طريق إعادة تفسير محتوياتهما مع إبقاء القشرة الخارجية، فهما سيظلان مشروعي دعوة ومقاومة ضد الدولة والمجتمع، وإن نهايتهما تكمن في لحظة انتصار وقيام الدولة باسم أحدهما. وكمحصّلة لما سبق، فإن الوهابية والتشيع يوفّران آلية فاعلة لإقامة الدولة، ولكن بالتأكيد لا يصلحان بذاتهما للتحول لأيديولوجية دولة؛ لأنهما في الأصل مشروعا مقاومة حيوية متصلة في هيئة حركة تبشير دعوي وجهادي. بكلام آخر، إن مهمة التشيع والسلفية تنتهي في إيصال المشروع السياسي إلى لحظة الإنجاز، ما لم يخوضا مشروعاً نضالياً آخر في أماكن أخرى، يعيد توظيف وتنشيط عنصر المقاومة فيهما كما فعلت السلفية حين استعاضت عن مواجهة الدولة في الداخل بأن صنعت لها جبهات بديلة في الخارج من أجل إفراغ المخزون النضالي في شكله الأممي، ولعل هناك من تنبّه في الدولة السعودية إلى خطورة الحصار ضد السلفية في الداخل فوجّه زخم المقاومة في السلفية باتجاه الخارج.

ويمكن القول بعد ذلك: إن الدولة قد تستعير معناها الديني من التشيع والسلفية، في سياق توفير ذريعة الوجود والاستمرار، ولكن ما إن تنتفي حاجة الدولة من استدانة المعنى، حتى تبدأ محنة المعنى نفسه الذي يظل عصيّاً على الإخضاع الدائم؛ لأنه قد يتعرض لعملية إنضاب على يد الدولة نفسها. وسنكتشف لاحقاً أن التشيع والسلفية هما مصدران غير قابلين للتجديد، بمعنى فقدان القدرة

على التجديد الذاتي من الداخل، كون هذه العملية تتطلب في حالتي التشيع والسلفية بعثرة شبه كاملة لمحتوياتهما. لقد اعترضت السلفية على كثير من سياسات الدولة في التعليم والتكنولوجيا والاقتصاد والقوانين والعلاقات الدولية، تماماً كما اعترض الاتجاه التقليدي الشيعي على قيادات الجمهورية الإسلامية الإيرانية في عهد الخميني وما بعده على بعض الأحكام المتعلّقة بالدولة؛ لأن في ذلك تقهقراً للمعتقد، ورموزه المطلقة، وقد يفسّره الجناح الطهراني في كليهما على أنه عدم وفاء للخدمة الجليلة التي أسداها المعتقد للدولة كيما تجعل من حلم وجودها حقيقة ساطعة.

وإذا كان مبرر الإصلاح والتجديد وإعادة تفسير النص ناشئاً عن رد فعل على تحدي الآخر أو الرغبة في التعايش معه وأحياناً تلبية لحاجات الدولة كما في السعودية وإيران، فإن ذلك يحضرنا على الفور إلى جدلية العلاقة بين الدين والدولة، وهي علاقة الثابت بالمتحوّل، فالدين بما هو منظومة مبادئ وقيم ثابتة والدولة بما هي منظومة متغيرات خاضعة للخطأ والصواب حينئذ يصبح عقم العلاقة بينهما إمكانية واردة دائماً. إن الدين مبدأ اختياري والدولة ظاهرة قهرية، ولا علاقة لذلك بضرورتها الإنسانية، وطبيعة الدولة تفضي حتماً إلى إلغاء الاختيارية لدى الخاضعين تحت سلطانها، وهي تؤدي في نهاية المطاف إلى قمع المبدأ الديني. وهذا يتطلب فصل المؤسسة الدينية عن المؤسسة السياسية من أجل تجنيب كليهما ويلات الآخر وكي لا يفتئت أحدهما على الآخر.

ومن أجل إحباط أي انطباعات أولية حول ما سبق ذكره، لا بد من التشديد هنا على فاصل حاسم بين الاتجاهين الشيعي والسلفي، ما قد يفسّر ما قد يفهم من الانغلاقية المقصودة فيهما؛ لأننا حينئذ مدعوون بإخضاعهما إلى المؤثرات المدرسية والتاريخية وحتى ظروف مكان النشأة، وهذا من شأنه إعانتنا على إدراك السيولة والصرامة في كل من التشيع والسلفية، وبين المساحة الفاصلة بين الفكر والعمل، أي: بين المتبنى النظري والموقف العملي.

إن الفاصلة بين الفكر والممارسة لدى السلفي تكاد تكون معدومة بينما لدى الشيعي فإنها تكاد تكون كبيرة فليس كل ما هو مكتوب يترجم في هيئة أفعال ومواقف، على الرغم من أن هذا لا يندرج في إطار التبرير بل يفرض على الشيعي تضييق الشقة بين الفكر والممارسة، وإن كان يتطلب أيضاً ممارسة نقد ذاتي من أجل إزالة المتناقض مع الممارسة العملية. إن ما يلزم فهمه أن المدوّنات المذهبية لا تعكس بالضرورة السلوك اليومي للمعتقدين، فقد يعثر المتساجلون على ما يصفونه شهادات إدانة استناداً على مدوّنات قديمة أو حتى حديثة ولكنها قد لا تترجم الموقف العملي لدى المحسوبين عليها.

لتوضيح هذه النقطة نزعم، على سبيل المثال، أن ثمة جرعات ثقافية خارجية قد جرى امتصاصها من قبل التشيع، وتفسير ذلك أن ثقوب التسرب الثقافي إلى التشيع كانت واسعة، وهذا ما سهّل دخول بعض الأفكار إلى التشيع وتحوّلها إلى جزء من بنيته التاريخية والعقدية. والسبب في ديناميكية التشيع واستيعابه لكثير من الأفكار هو امتداده وبنيته المنفتحة على تلاوين اجتماعية وثقافية متنوعة، بعكس السلفية التي بقيت مصونة عند رعاتها الأوائل في نجد، ومن دخلها لاحقاً جاء إليها، وقد أحكمت السلفية أبوابها بإحكام، على الرغم من أن بعضهم مثل الشيخ الألباني حاول زحزحة النص السلفي، ولكن هي محاولة تبدو ضئيلة الأثر قليلة الثمر. فمن الناحية التاريخية والعملية، عاشت السلفية في القرى المنعزلة ثقافياً واجتماعياً، ومن غادروا القرى المحصّنة إلى المدن الحديثة لا شك في أنهم امتصوا بعض منجزات الحداثة. ولهذا السبب أيضاً يمكن تفسير كون السلفية قادرة على اختراق المجتمعات المغلقة اجتماعياً التي يكاد ينعدم فيها الحراك الفكري والثقافي فضلاً عن السياسي. ولذلك عجزت الحركة السلفية عن تأسيس وجودات حركية فاعلة من أي نوع أو حتى تحقيق اختراق عقدي في الدول التي شهدت حراكاً فكرياً

نشطاً ومنفتحاً على تيارات فكرية متنوعة مثل مصر وسوريا ولبنان وغيرها، وهذا لا يعني أن السلفية محصّنة أمام محاولات التوريط، أو أنها غير قابلة للاستغلال سياسياً حتى في الدول الأشد تقدماً وانفتاحاً فكرياً، فكما نرى أن السلفية بنسختها السعودية توظّف الآن في حرب طائفية في العراق على الرغم من أن الأخير كان من الناحية التاريخية مناهضاً للمدرسة السلفية ليس من الشيعة فحسب بل من المدارس السنيّة أيضاً.

في الواقع، إن السلفية تجد لها حواضن نشطة في المناطق ذات الصبغة القروية المعزولة ثقافياً كما هي الحال في أفغانستان والجزائر واليمن وجنوب الأردن، فهناك تحقق السلفية أقصى أحلامها الكونية، وتتخذ منها قواعد لانطلاق طلائعها الفدائية التي تنبث في المناطق البكر لتحقيق النبوءات التاريخية النادرة.

على العكس، فإن نشأة التشيع كانت ذات طبيعة حضرية بمعنى أن روّاد التشيع نشأوا أو عاشوا في المدن وتفاعلوا معها وتأثروا بالنشاط الفكري فيها، هذا نلحظه بعد الغيبة الكبرى عام ٣٢٩هـ إذ كان روّاد التشيع الأوائل الشيخ المفيد والشريف المرتضى والشيخ الطوسي مقيمين في بغداد التي كانت حاضنة حينذاك لأكبر تنوع فكري ومذهبي في تاريخ المسلمين على الإطلاق. وهذه الحالة تكررت في وقت لاحق في الحلة وطهران والنجف وقم، فقد كانت هذه المدن مفتوحة الحدود ثقافياً، فحركة الاجتهاد (ذات المنشأ السني) بدأت من الناحية العملية في الحلة على يد المحقق الحلي، وكانت النجف - حسب إسحاق النقاش في كتابه عن شيعة العراق - تستقبل عشرات المجلات الثقافية والأدبية القادمة من مصر ولبنان. بل حتى في العصر الحديث لاحظ ارفند ابراهيميان أن الخطاب الثوري للخميني اشتمل على مفردات اشتراكية اقتبسها من العناصر النضالية التي كانت تحيط به في النجف، إضافة إلى تأثير المفكر الإيراني علي شريعتي في صياغة إيديولوجية الثورة الإيرانية.

ولعل المصاهرة التاريخية الفريدة بين التشيع والوطنية في إيران كانت إحدى التجسيدات البارزة لقدرة التشيع الفائقة على امتصاص الأفكار الأخرى والتعايش معها، على الرغم من أن ذلك لا يعني بأي حال المساس بالنص الأصلي للتشيع الذي ظل متماسكاً طيلة القرون السالفة. فتلك التغييرات تقع خارج فضاء النص وإن كانت في مؤداه النهائي خروجاً عليه. وبينما كان الداعية السلفي مشغولاً في حياكة وطن من نوع خاص، يتم الفصل فيه بين المواطن المؤمن والمواطن المشرك والمعاهد المستأمن كمتواليات حقوقية غير متجانسة، تمكّن التشيّع من عقد أقوى مصاهرة تاريخية مع الوطنية في إيران. إن أسئلة من نوع: لماذا قبل التشيع الوطنية في إيران ولم تقبل السلفية هذا المبدأ؟ ألأن السلالة الصفوية أقل تديناً من السلالة السعودية، أم لأن المؤسسة الدينية الشيعية الإيرانية أضعف أثراً من المؤسسة السلفية السعودية؟ هي أسئلة غير جديرة بالاهتمام؛ لأنها تزوّدنا بإجابات مضللة. تماماً كما أن القول بأن السبب الظاهري لنجاح المصاهرة بين التشيع والوطنية في إيران يرتد إلى عدم سيطرة منطقة على المناطق الأخرى، أي إن الوطنية في إيران لم تنشأ عن طريق قهر جزء للأجزاء الأخرى، بمعنى سيطرة عناصر خاصة: منطقة، فئة، مذهب، وهي مكوّنات هوية خاصة وليست هوية وطنية. فهذا الرأي يبدو ناقصاً، وهو يمثل وجه العملة الأول؛ لأن هناك بالتأكيد أسباباً أخرى أشد تعقيداً، وترتبط أحياناً بقدرة السياسي على تكييف المخزون الإيديولوجي لجهة صياغة مشروع دولة مكتملة الشروط الوطنية. فمن الواضح، أن التشيع لم يعزز الانتماء الوطني لدى العراقيين كما لم يعززه في دول أخرى بما فيها السعودية، لا لكون التشيع أنجب مضاداته على دولة غير وطنية فحسب، بل لأن في التشيع أيضاً ما يصلح لتأجيج المناوأة الشديدة للدولة، باعتبارها شكلاً من أشكال الغصب على المستوى المذهبي والقهر والفساد على المستوى الإسلامي والثقافي. وهذا ينبّه برنين

مدوٍّ إلى أن التشيع قد استقر في أشكال وصياغات متعددة، ولذلك يبدو مقبولاً الحديث عن نماذج للتشيع بحسب المجتمعات التي احتضنته وجرى تكييفه مع أوضاعها الاجتماعية والثقافية.

لإن كان ما سلف مقدمّة إرشادية حول التشيع والسلفية كنا قد اقتربنا من صلب القضية المراد معالجتها في هذه المقالة، للشروع بحفر أولي في اتجاهين يبدوان متناقضين ظاهرياً، من أجل الانتقال إلى رصد المشترك بينهما.

مشتركات ضدّية:

١- شراسة الممانعة عند الطرفين، فثمة مضادات نشطة ثاوية في بنية الوعي المذهبي لدى الشيعة والسلفية تحول دون كسر النسق الفكري الموروث، إذ يتحصّن كل فريق داخل ترسانة من الأسلحة الرادعة عن التسويات الفكرية التي تتطلب تنازلاً عن جزء من الرأسمال العقدي، في تعبير عن اندكاك الفريقين في الذات الفارطة في نرجسيتها.. ينبئك أحياناً المتساجلون من الفريقين بأن ما يصفونه بنقاش منطقي ينتهي إلى طريق مسدود، ويصاب كلاهما بالإحباط؛ لأن قائمة شهادات الإدانة التي أسرف أحد أو بعض المتساجلين في رصدها وتجميعها من مصادر الخصم تواجه بقائمة مقابلة موازية لها في الإثبات وقوة الإفحام. وحاصل السجال يصبح صفراً، فما تخيله كلاهما من أن القائمتين ستؤديان إلى إتيان البناء العقدي لكليهما من قواعده ليس سوى وهم، فما تفعله المحاججات الكلامية ليس سوى تفريغ لمنسوب الانفعال الذهني بقضية تستسكن هؤلاء المولعين بدحض الحجج تعويضاً عن انكسارات في الداخل والخارج. في حقيقة الأمر، إن الفريقين ينزعان إلى تحقيق الذات وليس إحقاق الحق، فكلاهما ينبذان الحقيقة التي تنطوي على إقرار بالخطأ أو التسليم للآخر.

ولأن رحى التجابه المذهبي تدور في مناخات غير محايدة، أي: كونها مأسورة لشروط معركة إثبات الذات أولاً وأخيراً، فإن ثمة نزوعاً ضارياً لدى الفريقين نحو تدجيج الأتباع بالمقاومات الدفاعية كافة التي تحول دون اختراق فكري من الخصم، فالتجابه في نهاية المطاف لا يؤول سوى إلى إبقاء ما كان على ما كان.

٢ - نزعة التوسع والاختراق، بمعنى حركية المذهبين.. إذ لا يكف الفريقان - بعد تحصين الذات - عن الانغماس التام في البحث عن مواقع جديدة ومعتنقين جدد، فشبكات العمل لدى الفريقين تعمل بلا هوادة من أجل تحقيق فتوحات مذهبية في مواقع الآخر، أو حتى في بقع جغرافية نائية تضاف إلى السواد وتدخل ضمن الرصيد الشعبي للمعتقد، وهذه النزعة قارّة في التكوين العقدي لدى التشيع والسلفية.

لا شك في أن الدولة السعودية أضافت بعداً سياسياً للدعوة السلفية، وأمدّتها بأدوات تبشيرية فاعلة، تماماً كما أضافت الثورة الإيرانية بعداً سياسياً للتشيع الدعوي على الرغم من أن كليهما - أي: التشيع والسلفية - كمشروع ديني - كان قائماً ويستهدف إشباع الشعور العام بالتفوق الديني. في حقيقة الأمر، إن كلاً من التشيع والسلفية حققا في العقدين الأخيرين أضخم عملية انتشار كوني لهما، وسجّلا حضوراً كثيفاً في النشاطات الدينية في قارات العالم.

في المقابل، هناك شعور بالامتعاض الشديد وبفداحة الخسارة لدى الطرف السلفي كون مشروعه الدعوي لم يستوعب الجماعات المذهبية الأخرى في المملكة. فبينما نجح المشروع الدعوي السلفي في استيعاب جماعات جديدة داخل المعتقد السلفي في أرجاء عديدة من العالم وحقق انتشاراً واسعاً إلا أنه عجز عن تحويل الجماعات الداخلية وبخاصة الشيعة، على الرغم من المحاولات المضنية من قبل الدولة والمؤسسة الدينية من أجل تحقيق الانسجام الديني الداخلي. مع التذكير بأن

التحويل يقصد به الجانب المذهبي المرتبط بالهيمنة فحسب، وليس الجانب السياسي الذي يتطلب المساواة على أساس التوحد المذهبي. إن هذا الإخفاق يفسّر جزئياً على الأقل تضخيم الإنجازات في تحوّل أفراد عدة من الشيعة إلى الوهابية كتعويض نفسي عن الخسارة في المعركة الكبرى، تماماً كما أن تضخيم تحويل بعض السنة في الخارج إلى الشيعة وتداول قصصهم في الداخل يهدف إلى تصليب المعتقد الشيعي وتعزيزه في نفوس أتباعه، إلى جانب الشعور بالانتصار قبالة اندحار الآخر إيديولوجياً.

٣ - الانتقال من الإحساس بالخطر إلى المبالغة فيه لدى أتباع الفريقين، فكلاهما يبرع في حياكة قصة وهمية عن الآخر، ثرية بكل أدوات الإثارة والفوبيا المتخيّلة التي تضخّم خطر الآخر، وتبرر رفع درجة الخطر إلى أقصاها، وتالياً اتخاذ الاحتياطات الأولية كافة عبر شن حملات التعبئة المضادة.. وبحسب هذا الخيال الخصب في تصوير خطر الآخر، فإن مسوّغات القطيعة والتحصين والمدافعة تبدو مقبولة، طالما أن ثمة داهماً يوشك أن ينقضّ لتقويض البناء.

حزمة كتابات صدرت في السنوات الماضية تتحدث عن (مؤامرة شيعية) و(خطر شيعي)، وهناك في التعبير الشعبي الشيعي توصيفات مماثلة مثل (مخطط وهابي) و(تنظيم وهابي) كلها تعبر عن الإحساس بالخطر.

صورة الآخر لدى الطرفين الشيعي والسلفي محكومة بدسيسة متخيّلة ومخططات مبيّتة تحاك من الطرفين في الخفاء، وهي الصورة الكفيلة بصناعة ذاكرة وهوية وجماعة تضمن وجودها وتماسكها عن طريق الإحساس المسرف بالخطر الداهم، وعلاوة على ذلك كله، فإن حشد الأفراد داخل إطارات جماعية يتم عبر الإفراط في تصوير الخطر المصوّب إليهم. ولنسوق مثالين من تجربة الانتخابات البلدية الوشيكة، فالشيعي العادي يصوّر الانتخابات على أنها فرصة

شبه كاملة لتحقيق الذات أمام الآخر السلفي الذي يحمّله مسؤولية حرمانه المزمن من حقوقه السياسية والاقتصادية والفكرية، وبالنسبة للسلفي فسأكتفي بنقل فقرة مقتطفة بحرفية تامة من موقع (الساحة) على شبكة الإنترنت كأحد تعبيرات الإحساس بالخطر:

«والله من موتت القلب يا سعودي يا سني.. نايمين نايمين نايمين.. السنة نايمين والرافضة يرصون الصفوف» إلى متى السذاجة؟..الرافضة أقلية في السعودية والأقلية أكثر تنظيماً وأكبر مكراً ودهاءً.. يوم الثلاثاء القادم يفتح التسجيل في انتخابات المجلس البلدي.. أكيد لا يعنيكم.. أكيد نايمين في العسل.. انتبه إذا ما سجلت نفسك ناخب يوم الثلاثاء ١٠ شوال فلن يحق لك التصويت.. أتعرف ماذا يعني هذا؟ إذا ترشح سني ورافضي وقمت تغلي تريد ترشيح السني قيل لك ضف وجهك أي لا يحق لك التصويت لأنك أهدرت حقك في التصويت أنت لم تسجل كناخب.. فهمت.. وتأتي طوابير الرافضة لانتخاب مرشحينهم.

المفروض ننظر للانتخابات بجدية ووعي أكبر و أكثر ولو كانت انتخابات على وضيفة فراش أو مراسل في البلدية.. فللنجاح فيها أو عدمه إشارة يفهمها الجميع إلا اللي نايم في العسل.. صح النوم يا سعودي يا سني.

الانتخابات البلدية في الرياض سوف تبرز على الأقل سبعة أشخاص يقررون وباسم الشعب الكثير والكثير من ما يرضيكم أو يزعجكم.. اقرأ يا أيه المسلم السني قبل أن ترى الرافضة تتحكم في شوارعك ومحلاتك التجارية وملاعب أطفالك.. أنتم مستهترين بدور البلدية.. اقرأ يا سني قبل أن يفوت الفوت ولا ينفع الصوت..». انتهى.

إن هذه التصويرات الجانحة في هذيانها وعنفوانها ليست معزولة التأثير أو مقطوعة الصلة بالوعي الذاتي المتراكم، ولا بد حينئذ من وضعها في سياقها

التاريخي والاجتماعي. فهنا لا تبدو الانتخابات - كما تخبرنا التصورات الشعبية المتقابلة لدى الفريقين - على أنها آلية لإيصال الأجدر أو طريقة لتحسين أداء الدولة وتطوير مستوى الخدمات، بل منافسة محتدمة على حصد المراكز، ومعركة لاحتلال مساحة التمثيل الأوسع القائم ليس على الكفاءة بل على الكثرة والقوة.

٤ - التمأسس، وجود جسد وأطر مؤسسية، لا يكتفي أي منهما بمجرد العمل وفق آليات تنظيمية عفوية أو ارتجالية تفرضها شروط وظروف الفضاء الذي يسكنان فيه، بل لكل منهما شبكة متمددة من المؤسسات التي تزاول مهام تأكيد الذات ومجابهة التأثيرات الخارجية، فعمليات التحصين لا تتم إلا عبر ترصين مؤسسي فاعل، فالمؤسسات الدعوية والتعبوية هي خطوط دفاعية متقدمة تمثل خطوط التماس غير المباشرة ضد نظائرها لدى الآخر. فالنظام المراتبي الديني لدى الشيعة والسلفية هو الأقوى بين الأنظمة المراتبية الدينية لدى عموم الشيعة والسنة من المذاهب الأخرى، فهذا التسلسل المنظّم في مراتب وطبقات رجال الدين، يجعل من تماسك الجماعتين شديداً، كما يجعل سلطة التوجيه وهكذا الأهداف متمركزة، بحيث يجعل عمل المؤسسات منتظماً في حلقات تنتهي إلى من هم بالأعلى، القادرين وحدهم على منح جرعة الشرعية. ولذلك، نرى أن فتوى من أحد مراجع الشيعة في قضية عامة تكون حاسمة لأي خلافات داخلية، كما يخبر عن ذلك فتاوى التنباك والدستور وثورة العشرين وخروج الناس للشوارع في الثورة الإيرانية وأخيراً في المشاركة في الانتخابات في العراق، كما تخبر في الجانب السلفي فتاوى ذات صلة بحوادث كبرى من قبيل كسر شوكة الإخوان، وحسم هيئة كبار العلماء الخلاف على العرش في عهد الملك سعود وفي دعوة القوات الأجنبية (الكافرة) إلى السعودية، وفي مواجهة حركة جهيمان العتيبي، وتطويق النشاط الاحتجاجي للتيار السلفي الشبابي في التسعينيات، وأخيراً في رد المفتي العام على بيان الـ ٢٦ .

إن توحيد مصدر الإفتاء والشرعية الدينية يتم في أحيان كثيرة بدعم وإرادة الدولة، ولكن في الوقت نفسه يعكس حقيقة أن في النظامين الدينيين الشيعي والسلفي ما يسمح بذلك.

إن الكفاءة العالية التي يتمتع بها هذان النظامان الدينيان تظهر في سرعتهما الفائقة والخيالية في التعبئة والحشد، فخطابات التوجيه التي تسري عن طريق قنوات الاتصال التقليدية والحديثة من مساجد و(حسينيات لدى الشيعة والمدارس الدينية لدى السلفية) وحلقات الدروس والمحاضرات وبرامج الدعوة والإرشاد وزيد عليها حالياً مواقع الإنترنت والفضائيات كفيلة وفي وقت قياسي بتلبيد الأجواء العامة وصناعة كل مبررات الخصومة والعداوة. من الملاحظ أن التقانة الخطابية العالية لدى الفريقين تتولى مهمة صناعة قضية بل قائمة قضايا وهموم، بحيث ينذر الفرد ماله ونفسه وولده لها، فأولئك الضحايا المتساقطون في ساحات الوغى في أفغانستان والشيشان والعراق وغيرها قد تعرضوا لإشعاعات عالية من الخطاب الجهادي في مواطنهم قبل أن ينتظموا في قوافل الفداء بطبعها السادي وبنهاياتها الدامية.

٥ - السكون حدّ التماهي في التاريخ والماضي، لقد وطّد المؤمنون بالتشيع والسلفية أنفسهم على الخضوع تحت سلطة الموروث والاستقالة إزاء ما يضخه من تعاليم ونصوص ومواقف وأيضاً خصومات، على الرغم من أن دور الأتباع من الفريقين يقتصر على تحديد وتجديد أزمنة المجابهة المذهبية ومقدار المخزون المطلوب استعماله من هذا التراث في التجابه. إن الانتقائية في قراءة الماضي والاسترشاد بالنص الديني تمثل منزعاً متغوّلا لدى الشيعة والسلفية، كونها - أي الانتقائية - مصمّمة لترسيم الحدود الفاصلة بين الجماعات وفي تعميق الوعي بالذات وتالياً في المنازلات المذهبية الفارغة. لا يحتاج الأمر إلى مزيد

من الجهد لحشد التاريخ برموزه ونصوصه المنتقاة بعناية في معارك الحاضر؛ لأن الجميع منغمس فيه بل ومنهزم أمامه، فهذا التاريخ بات جهازاً فائق السيادة وهو منذور لتوفير مواد الاحتراق الضرورية لإشعال الخصومات.

لقد هيأ لنا التاريخ بما يحمله في جوفه أشكالاً متنوعة في الرؤية وأنظمة المعنى وأيضاً في العلاقة الباعثة إما على الاضطراب أو التضامن، ولكن شيئاً واحداً قصرت سلطة التاريخ عن الوصول إليه وهو قرار الرضوخ له، فاستعباده هو قرار مستقل من أولئك الذين حطّوا رحالهم عند أمل مستحيل التحقق هرباً من يأس الخداع.

لا يتقارع الشيعة والسلفية بأسلحة من صناعة الحاضر تماماً كما هو منشأ معركتهم وأسباب اندلاعها، وإنما يستعيرون من الماضي أسلحته، ولذلك ما إن يشعل أحدهم عود الثقاب في مفاتنات الجدل المذهبي العقيم حتى تفتح مخازن التاريخ أبوابها في عملية لوجستية واسعة النطاق، ولعل أول ما يستحضره الشيعي سلاح السقيفة الذي به يفلق الساحة إلى نصفين: من هم مع علي ومن هم عليه، ليسقط هذا الانفلاق من الحساب الديني أخلاقيات علي ونظامه القيمي، الذي يقدّم التوحد العام على الحق الخاص. في المقابل، أول ما يستحضر السلفي مقولات الشيخ ابن تيمية في الشيعة (الذي يحلو له تخفيضهم تشنيعاً بهم إلى الرافضة). يعدّ الشيخ ابن تيمية المهندس الأول لنظرية المؤامرة الشيعية في التاريخ منذ فرضية دسيسة العلقمي التي قوّضت أركان الخلافة العباسية، لتتلوها قائمة مكتظة من الحياكات الخيالية، عن العالم الخفي الذي لا يفتر فيه الشيعة عن رسم الخطط للكيد لهذه الأمة المتوحدة والنيل من مقدساتها. فلكل من الشيعي والسلفي فضاؤه المقدّس، وروايته التاريخية الرسمية، في تعبير عن التأدلج الماحق للحقيقة الكاملة.

٦- التجريم الابتدائي والجماعي حدّ التجريد من حق الحياة، فالانطلاق في تقييم الآخر لا يبدأ من قاعدة أخلاقية، بل وليس من قيمة دينية، وهذا يعني أن حسماً مطلقاً قد تم في ذهن أتباع الفريقين، على أن كل ما يصدر عن الآخر هو مجرد خطأ مطلق، ولا يستحق الفحص والتوثق، وأن من يعتنقه ليس سوى مجرد معتوه، جاهل، أحمق لا يستحق أكثر من الازدراء به والحط من شأنه، بل إن النيل منه لا يتطلب المرور عبر حدود الأخلاق والقيم، فكل تشنيعة على الآخر تصبح معفية من الحساب الأخلاقي؛ لأن كلاً منهما قد قرر إفناء صاحبه في داخله قبل أن يعدمه في الواقع. ولذلك، فإن التفنن في تلطيخ الآخر وإكالة آخر تقليعات الشتم والقذف مسموحة؛ لأن صورة الآخر لديهما قد بلغت حداً مفرطاً في التشويه بما يسمح الهجوم عليها دون ضوابط دينية أو أخلاقية. ينكر عليك استدعاء الآيات القرآنية الناهرة عن قذف الغير دون دليل، أو العدل في الحال كله؛ لأن انعدام جدارة الآخر يلغي الحاجة إلى العودة للضابط الديني، كما يسمح بسحق الآخر.

إن الأحكام الإجمالية التي يطلقها المتساجلون الشيعة والسلفية تعطل آلية الفحص الدقيق لتباينات وخطوط داخلهم تحول دون تحميل بعض جريرة بعض آخر. فهناك صورة نمطية مسوّدة تفرضها نزعة قدرية أو حتمية تاريخية تجعل الأحكام الإجمالية حازمة وقاطعة وغير قابلة للمراجعة. فلدى السلفي رؤية تاريخية استاتيكية تقوم على اعتبار أن ما جرى في معركة بغداد العباسية بصرف النظر عن أوجه التحليل الأخرى قد تكررت في معركة بغداد الأخيرة، وأن الرؤية التاريخية لدى الشيعي تقوم على اعتبار أن النواصب الذين ظهروا في التاريخ هم أنفسهم يتحدرون من الخط الاغتصابي نفسه، الذين يكيدون لأهل بيت النبوة ويغصبون حقهم. لا يترك أي منهما لقيم الدين أو حتى للمبادئ الأخلاقية العامة كيما تتوسط

معادلة الصراع قبل إطلاق العنان للقلم واللسان في النيل من الآخر جماعياً، فليس هناك ورع عن وصم الآخر بكل تهمة، تبدأ من الأقصى أي بالنيل من الأعراض والتسافل إلى حد استعمال كلمات ينأى روّاد المواخير عن استعمالها. لا يمكن تفسير ذلك سوى بطريقة واحدة، إن وجود الآخر بات تهديداً للذات ولا بد من إنهاء وجوده البيولوجي، وحين يفشل أحدهما أو كلاهما في تحقيق تلك المهمة يلوذ باستعمال كل شيء يعبّر عن تلك الرغبة ولكن دون سلاح فعلي.

٧ - الانشغال في الآخر وتنزيه الذات، حيث يكتفي الشيعي والسلفي بما ضمّه سجلّه المذهبي، غير القابل للتفسخ والتعليق والتأويل، وبالتالي فهو يصدر عن قناعة بأن الآخر بات عليه أن يغادر قواعده، وأن يخرج من ثغوره رافعاً الراية البيضاء. وفق هذا النزوع النرجسي الاصطفائي، يمتنع كل منهما عن مزاولة أي نقد ذاتي أو مراجعة تؤول إلى استبدال القناعات الصلبة تجاه الآخر، بل هناك خشية جامحة من عملية كهذه تؤدي إلى تسليم الآخر سلاحاً يشهره في وجهه، ويستعمله في معركته الفاصلة، فكل منهما مشغول بتحصين الذات عبر دورات تعبوية واسعة ومتواصلة. وكونهما ينوءان بهاجس القاعدة المعروفة (من فمك أدينك)، فإن النقد الذاتي يتحوّل إلى جريمة يعاقب عليها حرّاس العقيدة ومن ورائهم جحفل الأصفياء والأوفياء للمعتقد.

ومن المفارقات المثيرة للسخرية أن الانشغال بالآخر لا يؤسس لطريقة ما في الانفتاح عليه بل في إرساء وتعزيز كل مبررات القطيعة معه، وهناك بلا شك شواهد عديدة لدى الجانبين الشيعي والسلفي. في فتاوى الشيخ عبد الله بن جبرين، كمثال بارز، ما يكشف بوضوح بالغ عن هذا المنزع، فقد أجاب عن سؤال وجّهه إليه أحد السائلين من عمال شركة أرامكو عن حكم الجلوس على طاولة تضم شيعياً (رافضياً!) أو التحادث معه بصورة وديّة، فجاء الجواب بلغة ناهرة تدعو إلى

مقاطعة الشيعي والانعزال عنه، وفي فتاوى الشيخ ابن جبرين الأخرى حول الشيعة ما يندرج في التوجيه الانعزالي نفسه. لقد أجرى الشيخ سلمان العودة نوعاً من القسمة المغرضة بلحاظ أن الدعوة للمقاطعة لا تستقيم مع فتوى أخرى تحث على دعوة الشيعة وأهل الضلال لتغيير معتقداتهم واعتناق الدعوة الحق - السلفية. فالشيخ العودة يؤسس لانفتاح من نوع آخر والى الحوار مع الشيعي بنيّة دعوته إلى المذهب الحق بحسب عقيدته، وليس من أجل فهمه والتعايش معه.

وهذه النزعة تلتقي مع نظيرتها لدى بعض علماء الشيعة في السعودية الذين يتبنون مبدأ الانفتاح على السلفي درءاً لخطره المتخيّل وطمعاً في انتزاع اعتراف بحقوق منكرة أو مهضومة، وليس انطلاقاً من الرغبة المبدئية في التعايش معه، وإقراراً بحقه في الاختلاف والاعتناق الحر.

ثمة عكوف فارط في نشر ما يعتقد بأنها مخازٍ مستخرجة من كتب السلف، أو حتى منطوقة أو مدوّنة في سجلاّت الخلف وتلطيخ المجموع الكلي من المنتمين له. على الرغم من أن الفريقين قد لا يعلمان أحياناً ببعض ما توصف بالمخازي.. فالخصم يمارس عملية تثقيف سالبة في سياق عملية التشهير بالآخر.. وقد يحيط المحارب معرفة بمصادر ونقاط قوة وضعف خصمه بينما يجهل هذا المحارب نصف ذاته الآخر، الضعيف منه.

لقد ذهل كل طرف عن ذاته وانشغل حدّ الانزراع والسكون في الآخر، طمعاً في إشغاله عنه وإخضاعه تحت الرقابة العقدية الدائمة التي تبيح وتسهّل مهمة تفتيش معامل ذخيرته العقدية.

إن التداول الواسع النطاق للكتب الطائفية لدى الفريقين يندرج في سياق تبديد فرص التواصل وتعميق القطيعة، ولعل انتشار الكتب الطائفية في المنطقة الشرقية،

بما فيها الكتب التي تروي قصص من تحوّلوا إلى التشيع والتي تجد لها سوقاً رائجاً بين الشيعة في المنطقة الشرقية، ما يحول دون تمهيد أرضية اللقاء المفتوح مع الآخر - السلفي، الذي ظل هو الآخر مشغولاً بتلقّف ما تلفظه المطابع الموقوفة لطباعة كتب المنافرة مع الشيعة.

نشير هنا إلى أن حركة الإصلاح الديني هي حركة غير معادية ضد الآخر السني أو الشيعي، أي إن ضعف النزعة التقليدية عند الطرفين الشيعي والسلفي يؤدي إلى امتصاص التوتر ضد الآخر، بل يؤدي إلى فهم أفضل للآخر ونقد الذات؛ لأن عملية الإصلاح تشرع بادئ أمرها من الانفتاح على الآخر سعياً لفهمه، ولا شك في أن وجود الجدران العازلة والمتطاولة يجعل كلاً من الشيعي والسلفي عاجزاً عن فهم أحدهما الآخر.

في التوغل قليلاً داخل هذه النقطة الشائكة يظهر لنا بوضوح أن المنظومة الحكمية تبدو شديدة الصرامة والانغلاق لدى الفريقين الشيعي والسلفي، أي إنها منظومة مدججة بأحكام قطعية ونهائية ضد الآخر، إذ إن تكفير الآخر ينطوي على نبذ نهائي لا رجعة عنه، بمعنى أن النص الحكمي الصارم قد دمّر طريق العودة عنه أو الخروج عليه، مع أننا قد نعثر على استثناءات نادرة للغاية لدى الفريقين مرتبطة بشؤون الدولة، بعكس الأحكام ذات الطابع المذهبي المحض التي تبقى ثابتة ونهائية، فهي وإن ظلت غير مستعملة في بعض الأزمنة فإنها تبقى صالحة الاستعمال، أي: بتفسير آخر قد تكون هناك نية لإخفاء الأسلحة، ولكن ليس تدميرها، وهنا مكمن الخطر الحقيقي والدائم، ولعله أيضاً يمثل الفارق الجوهري بين الإصلاح والمصلحة.

محنة التجابه الطائفي.. والمراجعة المؤجّلة:

يجب القول: نحن بحاجة إلى جرأة بالغة في مجابهة واقعنا بتجرّد تام، قبل الإسراف في البحث الخادع عن جهات مجهولة الهوية لتحميلها خطايانا. إن الطائفية ليست صناعة أجنبية وليست ابتكاراً خارقاً للعادة، على الرغم من أن الإجماع منعقد على قذف جهة غيبية وأصابع خفيّة تدير معركة الطائفية، مع أن الضالعين في هذه المعركة هم أنفسهم الذين يعيدون إحياء كل ترّهات الماضي، وهم أنفسهم المتراشقون بما يعثرون عليه في سجّلات التاريخ من (مستمسكات) دامغة!!، حيث ينزع كلا الطرفين إلى حبس الآخر في ذاته، والى تكبيله بما يحاول هو الانعتاق منه، فلا يسمح له حتى بالبراءة مما حمّله أسلافه من مواقف قد لا يتفق الخلف معها؛ لأنه يريد إبقاءه مداناً ومتّهماً، ولذلك لا يقبل منه حتى مجرد الدفاع عن نفسه.. فالشيعي المعتدل يظل في إدراك الآخر أسير (تقيته) التي تبرر مناهضته وتكذيبه، والسلفي المعتدل يظل في إدراك الآخر أسير (مصلحته) التي تبرر تسفيه اعتداله. وفي كلتا الحالتين، يحرم كل منهما الآخر فرصة المراجعة؛ لأنها غير مقبولة من كليهما. بكلمات أخرى، إن المراجعة منبوذة من الطرفين، وهذا ما يؤدي في نهاية المطاف إلى إعطاب الإحساس بالحاجة إلى فحص الذات أو تأجيلها؛ لأن ثمة أولوية كبرى يفرضها التجابه المذهبي. ولذلك، فإن ما يتغيّر أحياناً لا يطال البنى العقدية للطرفين وإنما يكون في آليات التعامل معها، أي: في المصلحة المرجوّة. إن المصلحة المشتركة في وعي الشيعي والسلفي تخضع لشروط خاصة وذاتية، ولا تتضمن فتح مساحة التقاء، أو تمهيد أرضية يكون فيها الطرفان أو الأطراف كافة سواء.

وحدها الطائفية التي لا تتطلب إستراتيجية معقّدة، إذ يكفي في اشتعالها وعلى نطاق واسع نشر مقالة من شخص ينتمي إلى إحدى الطائفتين. وقد لحظنا أن مقالاً طائشاً كتبه شخص غير مسؤول في مجلة شيعية تدعى (المنبر) ضد أم

المؤمنين وزوج النبي المصطفى عائشة رضي الله عنها كي تنفخ ريحاً ساخنة في بعض الأوساط الدينية والشعبية في الكويت، لم تهدأ إلا بعد صدور قرار من مجلس الوزراء بحملة تفتيش واسعة في المكتبات الشيعية بحثاً عن نسخ من هذه المجلة الفارغة، تماماً كما أن برنامجاً في محطة الإم بي سي السعودية استضاف فيه شخصاً يدعى الشيخ عبد القادر شيبة الحمد يتضمن تحريضاً على الكراهية الدينية ضد الشيعة كفيل بـ (زرع بذور الفتنة الطائفية بين مواطني البلد الواحد) حسب حملة احتجاج شيعية. إن هذين الحدثين يؤكدان مرة بعد أخرى أن الطائفية سريعة الاشتعال؛ لأن محفّزاتها وعناصرها وآلياتها مازالت قارّة في الوعي الإسلامي العام. ومن المؤسف أن الطائفية قادرة على حشد الناس وإقناعهم الفوري واستفزازهم نحو أداء المهام التي لا يقدّرون أهميتها وخطورتها دون الطائفية.

وسيبقى الاستنكار مشروعاً على علماء الشيعة والسلفية تفريطهم في الوحدة الوطنية والإسلامية، حين يشغلهم تماسك قاعدتهم الشعبية عن إصدار بيانات احتجاجية على مهاترات بعض المنابر الإعلامية المنفلتة، التي تدك بالتأكيد صميم الوحدة وتحرّض على الكراهية الدينية، وتشيع أجواء طائفية برائحة نتنة.

ويطال الاستنكار كتب الفريقين المحشوّة بفتاوى تكفير المخالف، الصادرة عن كبار العلماء، والتي تزوّد المتطيفين بكل مواد التعريض بالآخر وتبيح لهم استعمالها في معاركهم الطائشة، إيهاماً بتجريد الآخر من كل حق. فقد تجد سؤالاً إفتائياً من قبيل (هل يعذر علماء الشيعة في تكفيرهم لنا - نحن السلف - لأننا نجحد أئمتهم؟) و(هل يتخلى علماء السلفية عن تكفيرنا - نحن الشيعة - أو تكفير عموم المخالفين لمذهبهم؟).

لا ريب في أن دور العلماء جوهري في وقف هدير المهاترات الطائفية. ومن أجل فهم هذه المهمة بصورة دقيقة يكفينا المجادلة بأن كسر الرتابة والتراتبية في

النظامين الدينيين الشيعي والسلفي يفضي بصورة حتمية وطبيعية إلى تهديم البناء العقدي لكليهما؛ لأن تشييد هذين النظامين مؤسس على قاعدة تتابعية سلطوية تبدأ بالخالق وتتحدر إلى الرسول ثم الإمام أو العالم باعتباره وريثاً شرعياً ووحيداً للرسالة. وفق هذا التسلسل الرسالي، تصبح شبكات العمل الديني عهدة بيد علماء الدين، وخاضعة في الوقت نفسه لتأثير منظوراتهم في الشؤون الخاصة والعامة سواء بسواء. وعلى وجه الإجمال، فإن الأخطاء الفادحة التي يسببها هذا التسلسل تنشأ عن طريق انحصار صناعة القرارات المصيرية المتعلقة بالشأن العام في شخص واحد، هو الفقيه أو المفتي.

أيكفي التعويل دائماً على رهان الإيمان والورع من أجل تجنيب صانع الحكم الديني الأخطاء الفادحة، كما أن الشؤون العامة ليست محكومة بمجرد التبصرة الفقهية المحضة؛ لأننا نعلم بالضرورة أن كثيراً من فتاوى التكفير صدرت وكانت تحيط نفسها بهالة وهمية من الإيمان والورع أو التأسيس الفقهي المتقن.

إن مناوأة الطائفية باتت هي الأخرى سلاحاً يستعمله الطائفيون لدرء التهمة عن أنفسهم أولاً وتشويه سمعة غيرهم، لعلم الطائفي نفسه بأنه إنما يستعمل سلاحاً فتّاكاً ولكن لا يعلم بأنه هو نفسه مبتكر مكوّنات هذا السلاح..

إن الطائفية قد تتوغّل أحياناً في أصحابها فتتقيأ قيحاً وصديداً وتقذف به غيرها، مع أن المصابين بها يجهلون أو ينكرون إصابتهم بالداء نفسه، وهذا تجسيد آخر للانشغال بالآخر وتنزيه الذات.

فالطائفيون يتقاذفون تهمة الطائفية، وهم غافلون بل ومنكرون لإصابتهم بها.. بالنسبة للشيعي فإن الطعن في الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم -، وقذف أمهات المؤمنين وبخاصة عائشة وحفصة - رضي الله عنهن - يعدّ

قراءة مشروعة للتاريخ، ولعلها تدرج في إطار حرية التعبير بينما الحديث عن غلو الشيعة في الأئمة ونقد الممارسات الطقسية الشيعية تعدّ نيلاً من الوحدة الوطنية وإثارة للطائفية، وبالنسبة للسلفي فإن تكفير الشيعة وتصنيفهم في مرتبة أدنى من اليهود والنصارى، والقدح من طرف خفي في الإمام علي على طريقة الشيخ ابن تيمية والإمام الحسين في خروجه على يزيد بن معاوية، ولصق هزائم المسلمين كافة في التاريخ بالشيعة، يعدّ كشفاً للحقائق، ولعلها تدرج أيضاً في فضح أهل البدع والضلال، بينما تعدّ القراءة النقدية في التراث السلفي على طريقة الشيخ حسن بن فرحان المالكي خروجاً عن الملّة، وتأجيجاً للطائفية البغيضة.

إن التأسيس الثقافي والتاريخي للأمة معدّ في الأصل لاستدعاء وتحفيز عوامل التجزئة والانقسام، ولذلك فإن قنوات التعبير الثقافي والاجتماعي تتحوّل تلقائياً إلى قنوات طائفية في مدة قياسية. نقل زعيم حزب شيوعي في الخليج ذات مرة في بداية التسعينيات أن عناصر الحزبين الشيوعيين المتحالفين في هذا البلد قد ارتدا إلى انتماءاتهم المذهبية فصاروا شيعة وسنة بعد أن كانوا ماركسيين وماويين. ولعلنا نجد الآن ومنذ سقوط نظام صدام حسين أن الطائفية تسيّر مواقف وتوجهات الأحزاب العربية والقنوات الفضائية العربية والحكومات العربية على اختلاف تلفيقاتهم الأيديولوجية والسياسية، وكأن صدام حسين كان رمزاً دينياً وحدوياً لا يتكرر في التاريخ.

في حقيقة الأمر، إن الطائفيين يتخفون تحت أسماء كبيرة، كالأممية والقومية والوطنية وحتى الدولة بنزوعها الطائفي أو الفئوي أو المناطقي قد تجيد الرطانة الأيديولوجية الماكرة فتلوذ في أحيان كثيرة بالتلفع بالرداء الوطني كي تؤكد تمثيلها العام لأمة متشظية، وكي تستر أيضاً سر السياسات التمييزية السارية في جسدها، مع أن هذا الاستتار يصلح للتعمية على من هم خارج الحدود وليس على ضحايا

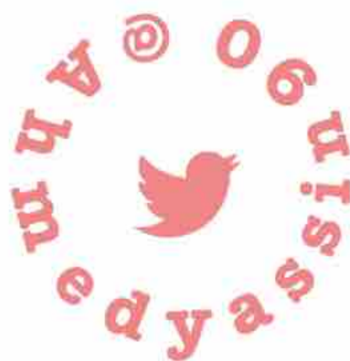
التمييز الذين يكتوون بنار الطائفية في المؤسسات الحكومية وفي التعليم والتوظيف والتمثيل السياسي... إلخ.

وفي ظل غياب معايير قيمية مشتركة متفق عليها يمكن بها اختبار سلوك الأفراد، ولأن الناس في البلاد تخضع للائحة قيم خاصة مذهبية وفئوية ومناطقية فإن السياسات أيضاً تبقى رهينة النظام القيمي.

لذلك، ما إن تبدأ الدولة بترسيخ قيمة المواطنة كخط استواء ومحك عام فإن محركات الطائفية ستظل فاعلة ما لم يمدّ ممثلو الدين يدهم لمباركة تلك القيمة الغائبة.

لو أردنا تلخيص مهمة الفريقين في هذه المرحلة وفي أي مرحلة لاحقة لأمكن تحديدها في انتزاع المخالب من جسد الآخر والانشغال التام بالذات، من أجل إعادة اكتشافها ومراجعتها ونقدها رجاء إصلاح مواطن العطب فيها، وهي مهمة كفيلة بتمهيد أرضية التعايش مع الآخر. ولابد لي في الأخير وتقديراً لجرأة مراجعة الذات من الإشادة البالغة بمن اقتحم مضمار المراجعة في الجانب السلفي أمثال عبد العزيز القاسم ومحمد علي المحمود وعبد العزيز الخضر والشيخ حسن فرحان المالكي. لقد عوّدني بعضهم على اطلاعي على ما فاتني الاطلاع عليه من نتاجات المراجعة في الجانب السلفي، ويخيّل لي أحياناً أن ما يقوم به بعضهم ليس أكثر من إبلاغي رسالة أخرى أي: بصحة ما هم عليه، بدليل أن الآخر قد شرع في مراجعة ذاته، وكنت أتطلع لأن يبدأ الجانب الشيعي مراجعة ذاته أيضاً أسوة بهؤلاء الأشخاص، ولكن مازال بعضهم مشغولاً في رصد مراجعة الآخر وإغفال الذات التي تتطلب دون ريب جهداً ذهنياً موازياً وبالقدر نفسه من المراجعة وربما أكبر.

*****



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

فهد إبراهيم أبو العصاري(*)

الشيخ الصفار - الحوار الوطني والمكاشفات

تستريح نفسك للجلوس معه ولو كنت تجالسه لأول مرة. فهو فنان في رفع التكاليف غير الضرورية عن مُجالسه. بشره وابتسامته وطيب حديثه يجعلك تحس أنك تعرفه منذ أعوام. يقفز فوراً إلى قلبك وسوف تتعجب من نفسك كيف أحببته بعد وقت قصير من لقائك معه.

إنه سماحة الشيخ الفاضل حسن موسى الصفار. التقيته مرتين قبل الحوار الوطني إحداهما في القطيف وتحديداً في مجلسه والثانية في المدينة لدى أحد أصدقائه. كان اللقاءان دافئين وفعلاً خرجت منهما وأنا أحس بأنني أعرف سماحته من سنوات.

في الحوار الوطني الأول الذي عقد في الرياض في الحقبة من ١٥-١٨/٤/١٤٢٤هـ التقيته في السكن المعد للمشاركين أول ما وصلت، وأذكر أنني كنت مسروراً للقائه وبادلني بدوره الشعور نفسه.

وفي جلسات اللقاء كان واضحاً أنه يمثل الطائفة الشيعية في المملكة مع عدد آخر من المشاركين. إلاّ أنه كان مميزاً بلباسه الديني؛ العمامة البيضاء وعباءة المشائخ. كان فارساً في ذلك الحوار بل نجماً من نجومه. كان يتحدث بلغة عربية فصيحة يرتجلها ارتجالاً. وكان حديثه دائماً مرتباً ومتسلسلاً دون أن تكون أمامه

(*) تربوي وباحث إسلامي من إخوتنا من طائفة الشيعة بالمدينة المنورة.

ورقة يقرأ منها. تحس وأنت تستمع إليه أنك أمام عبقرية فذة وشخصية متميزة وعالم جليل يسعى دائماً للإصلاح. نبرة حديثه أخوية بعيدة عن الفئوية والطائفية على الرغم من تمسكه بما يعتقده حقاً. فهو لا يغمط الآخرين حقوقهم، ويكنّ لهم كل احترام وتقدير.

أما على هامش الجلسات فيبدو لي أنه كان الأكثر نشاطاً من جميع المشاركين. فقد زار معظم إخوانه في غرفهم. استمع إلى أحاديثهم وأسمعهم مما لديه، وكان حريصاً على زيارة المخالف - إن صح التعبير - قبل المؤالف هادفاً إلى كسر تلك الحواجز الجليدية التي فصلت طويلاً بين مُثقفي المجتمع مما انعكس على أفراد المجتمع ككل دون أن تكون هناك أسباب مقنعه للجفوة الموجودة بين الناس. إن نقاط الاتفاق بين المسلمين أكثر بكثير، بل وأهم بدرجة عالية من نقاط الاختلاف. ونقاط الاختلاف على قلتها تثري منها العملية الثقافية، ومن شأنها أن تشحذ الهمم وتساعد على نتاج فكري مستنير. والشيخ الصفار - حسب ما أعتقده - يؤمن بأهمية الاستماع إلى الآخر والاستفادة من آرائه. وعليه فهو يوظف نقاط الاختلاف - إن وجدت - للتعلم والتعليم وكشف الأخطاء وإبراز وجهات النظر حولها، وتبني الصائب منها، واحترام الآراء الأخرى على كل حال. فالرجل ينصف الآخرين من نفسه قبل أن يطلب منهم أن ينصفوه، ويحترمهم ولو علم أنهم لن يحترموه. وهذا لا شك يعكس استفادته من دراسته الشرعية والعقدية والأخلاقية لمذهب أهل البيت - رضي الله عنهم -. كما أنه واضح أنه استفاد من سيرتهم كثيراً. أذكر أنه في إحدى جلسات المؤتمر قال آخر متكلم في الجلسة: إن الشيعة والسنة يكفرون الإسماعيليين، مما أثار حفيظة الإخوة الممثلين للمذهب الإسماعيلي في اللقاء. فلم يرضى الشيخ الصفار أن تقفل الجلسة بتكفير لأي مسلم؛ فأوضح بجلاء وبأدب جم في الوقت نفسه أن الشيعة الإمامية لا يكفرون الفرقة الإسماعيلية ولا غيرهم، وطالب برد الاعتبار لمن وقع عليهم الأذى، وأوضح أن مثل

هذه الأفكار لا تساعد على وحدة الصف، فكان تدخله هذا محل إعجاب الجميع. وفي ختام اللقاء التقى المشاركون بسمو ولي العهد وكان شيخنا الصفار أحد المختارين للتحدث أمام سموه، فارتجل كلمة رائعة وضافية أوضح فيها أهمية اللقاء وأجواءه، وإثر ذلك لاحظت أن كثيراً من أصحاب السمو الأمراء كان يعانقه عناقاً حاراً ويشيد بدوره في المؤتمر.

أما في اللقاء الوطني الثاني للحوار الفكري الذي عقد في مكة المكرمة في المدة من ٤-٨/١١/١٤٢٤ والذي ضم نخبة طيبة من أطياف المجتمع المختلفة فقد برز الصفار كعادته في كل جلسات الحوار بمداخلاته وأفكاره النيرة مما جعله محط أنظار رجال الإعلام من صحافيين ومراسلي قنوات فضائية وغيرهم، وواضح أن علاقاته الشخصية توطدت مع كثير من المشاركين في اللقاء، وكان يمارس دور إصلاح ذات البين بين الأعضاء في حالة اختلافهم إلى درجة غير مرضية. وحيث إن الجميع كانوا يحترمونه فقد كانوا في الغالب يستجيبون لآرائه فتهدأ العواصف ويعود الحب والانسجام إلى جميع الأفراد الذين يهدفون - والحق يقال - إلى الإصلاح وإن أخطأ بعضهم الطريقة والوسيلة إلى ذلك، والشيخ الصفار لا شك رجل حوار من الطراز الأول يحاور بوضوح وشفافية تامة مالكاً لناصية الدليل على ما يعتقد ويقول، وفي الوقت نفسه يفرض احترامه على الطرف المقابل؛ لأنه شخصياً يحترم محاوريه ويهتم بآرائهم ويناقشها بأسلوب راقٍ وأدب جمّ بعيداً عن التجريح سواء بالتصريح أو بالتلميح.

وقد استطاع بحنكته وخبرته أن يعقد الكثير من الحوارات حول كثير من القضايا سواء على هامش اللقاءات الوطنية للحوار الفكري أو بعدها. ولا شك في أن أثرت الساحة الأدبية والدينية بخطاباته ومحاضراته القيمة، فأصبح له جمهوره الذي ينتظر منه كل جديد في كل وقت وفي كل مكان من أرجاء المعمورة سواء عبر الصحف أو عبر مؤلفاته ونشراته الدورية، أو عبر الأشرطة المسجلة بصوته، أو عن طريق الأسطوانات المدمجة، أو عن طريق موقعه على الشبكة العالمية.

وقد كان لمكاشفاته عبر ملحق (الرسالة) في جريدة (المدينة المنورة) التي حاوره فيها الصحفي البارع سعادة الأستاذ عبد العزيز قاسم، ونشرت على مدى خمسة أسابيع أثر كبير على الساحة الصحفية.

وفي بعض الأماكن ربما نفدت صحيفة المدينة يوم الجمعة في زمن قياسي، وذلك دلالة على أن أعداداً كبيرة من المواطنين ومن غيرهم أيضاً يحرصون على متابعة تلك المكاشفات.

وفي نظري فإن هذه المكاشفات لا تقل أهمية عن حوارات شيخنا الصفار بل ربما فاقتها أهمية لكون الحوار كان ضمن قاعة محدودة ومع أناس معدودين، بينما انطلقت المكاشفات إلى كل أرجاء الدنيا عبر صحيفة (المدينة) الغراء وهي لا شك تفوق مداخلاته في الحوار من حيث الكم.

أما من حيث الكيف فيبقى (الشيخ الصفار) الأنموذج النادر وضوحاً وصراحة وأدباً وحرصاً على الوحدة الوطنية. كان يجيب على كل التساؤلات التي وجهت إليه بشفافية ووضوح ملتزماً خط الأدب العام الذي رسمه لنفسه. فهو يقول ما يعتقده حقاً دون تجريح للآخرين. فالإيمان بمبدأ ما لا يعني إلغاء حق الآخرين بالإيمان بمبادئ أخرى يرتضونها. واختلاف الناس لا يعني وجوب إقصاء بعضهم لبعض بل ولا استجابة.

نعم ليس من حقي أن ألزم الطرف المقابل بالأخذ بمبادئي التي أعتقدها صحيحة، وفي الوقت نفسه على الطرف المقابل أن يعرف أنه ليس من حقه ولا يجوز له إلزامي بما يعتقده صحيحاً. وفي هذه الحالة على الجميع الالتزام بمبدأ احترام الآخر والعيش في جو أخوي تظهر فيه روح المواطنة الصادقة.

إن الشيخ حسن الصفار اليوم يعد ضمن الصف الأول من رجالات الفكر الداعين للألفة والتماسك والمحافظة على الوحدة الوطنية، فسدد الله على الخير خطاه وأكثر من أمثاله، وجزاه على صنيعه لوطنه وأمته خير الجزاء، وكتب ذلك في ميزان حسناته، إنه سبحانه وليّ ذلك والقادر عليه.

محمد عطية(*)

المكاشفات من النظرية إلى التطبيق(**)

إن اللقاء الطيب الذي دعا إليه الأستاذ عبد العزيز قاسم وجمع فيه نخبة من المثقفين مع ضيف مكاشفاته الأخيرة سماحة الشيخ حسن الصفار أبرز أن المكاشفات لم تكن إثارة أو سبقاً صحفياً فحسب بقدر ما هي إحساس بالوطن وأهله ومحاولة لدراسة الواقع وتطوير إيجابياته ووضع الحلول المناسبة لإلغاء سلبياته. فالدعوة كانت لتفعيل أطروحة تبناها سماحة الشيخ حسن الصفار دعا فيها إلى الوحدة الوطنية بين أبناء هذا الوطن على مختلف أطيافه.

وعندما نناقش هذا الحدث فلا بد من أن نشير إلى جهتين:

الأولى تلك الروح الوطنية التي يحملها الأستاذ عبد العزيز قاسم التي جعلته يتابع موضوع المكاشفات وما جاء فيها بعد نهايتها ومحاولة تفعيلها وإبرازها واقعاً ملموساً على أرض الحقيقة لا على صفحات الصحيفة فحسب. وهذا دليل على ما يتمتع به هذا الطموح المخلص من تفهم حقيقي لدور الإعلامي الصادق الذي لا يكتفي بالسبق الصحفي وطرح الأخبار والأفكار دون فائدة بل قدم لنا أنموذجاً للعمل الصحفي الذي لا تخلو الأطروحة فيه من محاولة التطبيق، ولما استشعر أهمية الوحدة الوطنية في رأب الصدع وسد باب الفرقة والبغضاء ونبذ العصبية

(*) أحد طلبة العلم الشرعي الشيعة من القطيف.

(**) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ١٢ القعدة ١٤٢٥هـ - ٣ ديسمبر ٢٠٠٤م.

الممقوتة وما في ذلك من قوة لوطننا العزيز ودحر للمتربصين به شراً ما كان منه إلا أن جعل المكاشفات دراسة لمشروع يخدم الوطن والأمة.

أما الثانية فقد تمثل في ذلك الطرح الهادئ من ضيف المكاشفات سماحة الشيخ حسن الصفار وهو صاحب اللباقة والحصافة المتميزة، طويل البال عند الاستماع عميق الفكرة عند الإجابة. فما كان منه في المكاشفات كان منه في ذلك اللقاء، حتى إن المؤيد لأفكاره يفضل السكوت لتمام بلوغ الفكرة محلها، فلا هي بحاجة للبيان ولا للشرح. وكعادته حين قدم الأطروحة دعمها بما يسد الثغرات من كل جهة؛ فقد دعا أولاً أهل البيت الواحد إلى الالتفات إلى أن أرض البيت هو الوطن، وسقف البيت هو الإسلام، ولا بيت دون أرض أو سقف. والكل يعيش على هذه الأرض والكل يستظل بهذا السقف، فلا مزايدة في حب الوطن لفئة دون أخرى، فالكل للوطن حباً وانتماءً. وأما السقف فالكل يؤمن بأركان الإسلام الخمسة، وهي إشارة إلى أن المشتركات فاقت نواحي الاختلاف، وأهل البيت الواحد الذين أرضهم قبلة المسلمين وسقفهم راية التوحيد أقدر على التعايش والمحبة وتضييق هوة الخلاف بل وحجزه. وثانياً لم تفتْه الإشارة إلى أن المشروع الوحدوي لا يقوم على تنازل كل طرف عن طيفه أو مذهبه، فالمذاهب واختلافها واقع وحقيقة تاريخية قائمة إلى يومنا وإلى غد ولا سبيل لإلغائها. ولذا فلا يقل أي طيف عن الآخر في عرض أدلته وقوته وتمسكه وانطلاق الكل على تنوعهم من الإسلام الواحد، ولذا بين أننا لسنا في معرض ذلك بل في معرض توحيد الأمة في ما اتفقت عليه، وأن نحسن الظن ونعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، وذلك انطلاقاً من ديننا الإسلامي الواحد وخدمة للوطن الواحد الذي يضمنا كلنا ونحبه كلنا. ومن هنا أشار ثالثاً إلى الخصوصيات التي يختص بها كل طيف عن الآخر. فالخصوصيات حقيقة لا بد منها ولكن حتى يستثني ما يجب استثناؤه أشار إلى أن تلك التي تثير الطرف

الآخر أو تهيج مشاعره أو تطعن في رموزه فهي لم تكن من الخصوصيات يوماً بل هي مرفوضة ومحرمة، فالتعايش لا يقوم على التناحر وعلى ضرب الرموز أبداً.

لقد استغرب أحد المشاركين أن اللقاء تميز بالاتفاق بين الحاضرين ولا أجد فيمن ينطلق من فهم حقيقي للإسلام ومن حب لهذا الوطن أي استغراب من هذا الاتفاق وحتى هذه المبادرة هي انعكاس إسلامي؛ لأن ديننا الإسلامي لم يقدم لنا النظرية بل طالبنا بالعمل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾.

إن هذا المشروع الذي بدأ بالمكاشفات في ملحق الرسالة كحبر على ورق، وانطلق ليكون مشروعاً في أذهان المهتمين بشؤون الوطن بحاجة أن يتناوله العلماء والمفكرون، وأن يكون محور التناول والدراسة تحقيق الأوامر الإلهية المتمثلة في دعوته لنا بالاعتصام والوحدة ونبذ الفرقة وأثر ذلك في قوة بلادنا وتماسكها وأن نكون صفاً واحداً في وجه كل من يريد بها سوءاً.

مشكلة النص وقراءته والردود على المكاشفات

السني يشهد الشهادتين ونحن نزوجه ونصلي خلفه، ونأكل ذبيحته ومن أهل الجنة فكيف يكون كافراً؟

عند قراءة النص الشيعي لا بد من فهم تامٍّ لما يريده الشيعة من معانٍ فيه قبل إصدار الأحكام بفهم مخالف لفهمهم ومحاسبتهم عليها؟

لا بد من هجر القراءة المشبعة بسوء الظن واستبدال قراءة ملؤها حسن الظن في الغير بها، وهدفها وحدة الأمة وقوتها.

لنستفدْ من مبادرة الحوار الوطني في تعميق الفهم والتقارب لا في تعميق التفرقة.

بنود الشيخ الصفار للتقارب عرضت في المكاشفات فتركت انطباعاً توضيحاته عن المذهب بأنها غير صحيحة.

إن وحدة المسلمين سر قوتهم، واختلافهم الفكري لا يفسد اعتصامهم بحبل الله سبحانه وتعالى، فالمنهي عنه الفرقة لا الاختلاف إلا إذا كان ذلك الاختلاف يؤدي للفرقة؛ فإن ذلك مما يضعف شوكة المسلمين. وطالما اتفق المسلمون في أركان دينهم وفي عصمة نبيهم ﷺ وسلامة كتاب الله تعالى من أي تحريف لا بالزيادة ولا بالنقصان ولا بالتغيير، فما شأن الاختلاف إلا في أمور اجتهادية تعود إلى الدليل وفهمه. لكنما أحياناً نجد أن هذا الاختلاف الذي لا يفسد في الود قضية مصدراً للفرقة وعدم الوحدة، والحقيقة ليست في الاختلاف وإنما في فهم الرأي المخالف على حقيقته، ولذا فلا بد لنا من أن نفهم أدب الخلاف كما علمنا الإسلام؛ ليكون الاختلاف تنوعاً يقوّينا لا أن يكون مصدراً لفرقتنا خاصة أن المنبع واحد. ولقد لاحظت بعد نشر ملحق الرسالة في جريدة المدينة مكاشفاتها مع سماحة الشيخ حسن الصفار - حفظه الله - قد انهالت العديد من المشاركات ما بين مؤيد ومخالف لها. وعلمت أن كثيراً اعترضوا على نشرها كما أن الكثير اعترضوا على نشر الردود المخالفة لها، وكان رأي الأستاذ عبد العزيز قاسم أنه لا بد من الرأي والرأي الآخر حتى يكتمل الحوار ويظهر الصواب، ولقد أيدته مراراً وتكرارًا وقلت إن الحوار لا يكون من طرف واحد بل لكل طرف أن يقدم رأيه، ولا يتجلى الصواب إلا بعرض كل طرف ما في جعبته، وقد جاء عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «اضربوا الرأي بالرأي يتولد الصواب». ولقد لخصت تقريباً أهم ما دار في الردود على الشيخ في مكاشفاته فوجدت أن أمراً كالتقية أسهب الشيخ في توضيحها فبقيت كما هي، بل رمي الشيخ باستخدامها في أقواله، ومما لا شك فيه وجوب أن نميز بين النظرية والتطبيق فالآيات التي تحدثت عن التقية كقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ أن**

تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ والأحاديث الشريفة الواردة في هذا الشأن: «التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له» كل هذه ناظرة إلى النظرية حيث إنها تثبت أن التقية مفهوم إسلامي أثبته القرآن الكريم وأما التطبيق فقد حددته الآية الكريمة فقالت مستثنية ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ.... ﴾ وهذه حدود التطبيق، فإن استلزم أمر كما جاء بالآية الشريفة وإلا فلا وجه لتطبيقها. وعدم تطبيقها ليس له علاقة بالإقرار بأنها مفهوم إسلامي ذكرته الآيات الكريمة والعكس فإن الإقرار بها لا يعني ضرورة تطبيقها من غير وجه يستدعي تطبيقها. فكيف يرمى من هذا اعتقاده فيها بأن ما يقوله أصلاً تقية أو أنه يستخدمها في كل الأحوال أو أنها أصل من أصول الدين عندهم، وليس لي على غيري إلا ظاهره وأقواله تنفي كل ذلك، وهذه الأحكام الشرعية عند الشيعة لا تجيز العمل بها إلا في حالاتها التي تتعرض فيها النفس للخطر.

وبالتالي بعد دراسة الردود المتعارضة مع ما قاله الشيخ حسن الصفار عن المذهب الشيعي في المكاشفات وجدت أن المشكلة تكمن في قضية واحدة هي الفرق بين حقيقة النص ومراده والفهم الحاصل من قراءة النص لدى الإخوة الكرام والفهم الشيعي لهذه النصوص. وبالتالي نتجت مشكلة أخرى تمثلت بتحميل النص ما لا يحتمل والخروج عن تصريحات القوم وهم يدلون بها في كل مكان وزمان. ولتوضيح المطلب ذكر الشيخ عبد الرحمن القحطاني في ندوة عقدت في جريدة المدينة تعليقاً على الفرق بين النص وقراءته وكذلك تحميل النص ما لا طاقة له وهو ما مثله الشيخ بالحوار التشكيكي الذي لا يبنى على حسن الظن فقال: «بالنسبة للحوار فهو على قسمين مهمين: الأول إيجابي وواجب وقد تكلم الحضور عنه كثيراً والثاني تشكيكي.. وقد ورد أن رجلاً في عهد عمر كان يثير القضايا ويشكك في أمور كثيرة من أمور الدين، مما جعل عمر يضربه بالدرة، حتى يسكت؛ لأنه لا يمكن أن يستفيد

المسلم من مثل هذا الحوار التشكيكي.. القضية الثانية التفريق بين النص وقراءة النص ليس تفريقاً صحيحاً» وعقب فضيلة الشيخ عايض القرني حفظه الله على ذلك قائلاً: «الفرق كبير بين النص وقراءته، فالنص هو القرآن والسنة، وهو ثابت، وقراءة النص هو الشرح والتوضيح». ولنرَ ذات القضية النص وقراءته في زمان المصطفى ﷺ، قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء، حدثنا جويرية بن أسماء، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلّين أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي العصر حتى نأتيها. وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منّا ذلك. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدًا منهم.

فإذا كان هذا في عهد المصطفى ﷺ ولم يحمل النص معانٍ أخرى خارجة عن نطاقها، وقد ثبت النص واختلف في تفسيره كما تبين وعلى الرغم من ذلك الاختلاف لم يعنف صلوات الله عليه وآله أحداً. لكن الأمر ذكر له ليعرف المراد من خطابه الشرعي. وهذا هو الحق فلا بد عند قراءة النص من الغير من أخذ الفهم والتفسير التام له من عنده، حتى لا أفسر نصه بتفسيري، وأحاسبه بفهمي، وهو لا يريد ما وصل إليه ظني. فقبل أن نشير إلى أمر لا بد من الاطلاع التام على معناه عند القوم وليس الأخذ به وتفسيره بتفسير يخالف منهجهم في التفسير. إن المسائل الخلافية لكل مذهب لا يجب أن تبين على يد علماء المذهب، وبالعودة إلى المصادر المعتبرة عندهم فحسب بل لا بد من فهم واستيعاب منطوق أرباب المذاهب وأقوال تلك الكتب المعتبرة لا مستلزمات الأقوال وظاهرها وتفسيرها بغير طريقتهم، ومن ثم محاسبتهم عليها خاصة مع اختلاف عرف المصطلحات بين المذاهب أحياناً ودرجات استخدامها. فمثلاً كلمة (المخالف) لها درجات في استخدامها، فقد يكون المخالف في رأي قل أو كثر فلا يفسد ذلك في الود قضية، وقد تزداد درجة

المخالفة فتكون في العقيدة وهكذا، فكلمة المخالف التي وردت في بحوث الخوئي والتي نقلت من مصباح الفقاهة والقول بالتكفير للمخالف لا يمكن أن يستقيم عقلاً ولا منطقاً بأهل السنة والجماعة، والأدلة عديدة ومنها:

كيف يقول الشيعة بكفر من يشهد الشهادتين ويصلي الفروض الخمس ويصوم الشهر ويحج ويعبد الله وهي ذات الأسس في صحة إسلامهم؟

كيف يكون كافراً والخوئي وغيره من علماء الطائفة يجيزون زواج الشيعية من السني ما لم يكن ناصبياً؟ فكيف يكون كافراً وأهل القبلة بنص القرآن الكريم حرموا ذلك الزواج؟ وكيف يقول بكفرهم من يجيز الزواج منهم؟ ألا يستلزم الأمر دقة البحث وسعة النظر والتعرف على المصطلحات وعمق استخدامها؟ أوَلا يثير ذلك فينا خلقاً إسلامياً جميلاً هو حسن الظن؟

في الفقه الشيعي يحرم تناول ذبائح الكفار، ولكنهم يأكلون ذبيحة المسلم السني، وكل ما يوجد من ذبائح في أسواق المسلمين السنة هو حل لهم.

أويدخل الكافر الجنة وهاهم الشيعة يروون في كتبهم دخول السني الجنة؟ فكيف يصدق عليهم الكفر؟ ففي كتاب الخصال عن الإمام الصادق عن جده قال: «إن للجنة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب تدخل منها شيعتنا ومحبونا، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مثقال ذرة من بغضنا أهل البيت».

والعجب العجاب كيف يصح أن يقال إن معنى الكفر موجه لأهل السنة والجماعة ومراجع الشيعة يفتون بالصلاة خلف أئمة أهل السنة والجماعة، بل أفتى بعضهم بحرمة الصلاة أيام الحج في الفنادق والبيوت، وعلى الكل أن يصلوا في

الحرمين الشريفين وسائر مساجد المسلمين. وهذه رواية تثبت ذلك حيث يذكر الشيخ الصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه عن محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق أنه قال: «من صلى معهم في الصف الأول كان كمن صلى خلف رسول الله ﷺ في الصف الأول».

إنما ذلك الاستثناء في قضية الزواج يوضح من هو المخالف هنا في العبارة المنقولة فهو الناصبي، وهذا ما قاله علماء الشيعة، وقد علق أحد مراجع الشيعة وهو الشيخ ناصر مكارم الشيرازي على ذلك قائلاً: «ما ذكره هؤلاء الأعلام بالنسبة إلى المخالفين مرادهم هم المعاندون الناصبون الذين نصبوا العداوة لعليّ وأولاده ولأهل البيت) كالخوارج وغيرهم من أشباههم؛ فإنهم خارجون عن طريق المسلمين». وبالتالي اتضح أن المقصود من المخالف لا ما ذهب إليه بعض الأساتذة الكرام. ولا نحمل النصوص أكثر من طاقتها، فسلوك العلماء والشيعة دليل على عدم وجود التشنج في كتبهم نحو إخواننا أهل السنة، ولو كان الأمر فعلياً لوجدنا انعكاساً له، وإن كان موجوداً من معدودين فلا تعميم. فالتشنج والتطرف ناشئ بين المتوافقين، فكيف به بين المختلفين؟

إن دعوة الشيخ حسن الصفار للوحدة والتقارب لم تكن من خلال طرح المطالب أو إدانة المخالفين أو إلقاء التبعة على أحد، فتلك أمور والدعوة للتقارب أمر آخر، وهو مشروع دعا إليه وقدم ما يلزم لنجاح المشروع من جهته.

إنما هي دعوة لتصحيح قراءة الآخر وقبول كل طرف باختلافاته مع الطرف الآخر مع اجتناب تلك الاختلافات التي تضر أو تجرح مشاعر الآخر، إنها دعوة لأن نجتمع على ما اتفقنا عليه وأن نعذر بعضنا فيما اختلفنا فيه، وهذا العذر لا يحصل إلا بحسن الظن الذي أمرنا به، وأول مظاهر حسن الظن أن نفهم منطوق المتحدث على ما ينبغي كما أسلفنا، فحينما يقول الشيخ حسن الصفار مجيباً على سؤال

حول كتاب الإمام الخميني في كشف الأسرار (فأنا لم أقراه لكنني قرأت عن الكتاب أنه قديم ألفه الإمام الخميني في مطلع شبابه ثم رفض إعادة طبعه قبل وبعد قيام الجمهورية الإسلامية، وقد تشكلت مؤسسة لحفظ آثاره وطبعها وأهملت هذا الكتاب، وكتب الدكتور إبراهيم شتا الدسوقي من مصر وهو متخصص في الأدب الفارسي أن الترجمة العربية للكتاب مشوهة جداً وغير صحيحة) لم يقل لا أعرف، ولكنه صرح بما لديه من معلومات حول الكتاب الذي تبين أن كثيراً من المصادر طعنت في ترجمته. وأما كتابته عن فكر الإمام الخميني لا يستدعي منه أن يقرأ كل مؤلفاته، فقد يستقرئها من جملة كتبه أو من أهم مؤلفاته واتجاهاته وقراءة الآخرين له، ولا تتوقف على قراءة كتاب واحد، فماذا لو ألّف كشف الأسرار بعد كتاب الشيخ الصفار عن الإمام الخميني؟ ماذا نقول حينئذ؟ والقضية نفسها تتكرر مع عبارة أخرى تنقل عن الشيخ حسن الصفار من كتابه (الإمام الشيرازي، ملامح الشخصية وسمات الفكر): متحدثاً عن الشيرازي: «يميل إلى القبول بكل ما ورد في الكتب الأربعة، ومن النادر جداً أن يرد رواية من الروايات» ثم يقيم القارئ للعبارة قياساً مفاده أن الشيرازي مرجع لشريحة واسعة من الشيعة، فبالتالي سوف يكون أتباعه كلهم يقولون بصحة ما جاء في الكتب الأربعة!! فالمراد من الميل هنا ليس الأخذ بكل ما ورد في الكتب الأربعة على نحو الصحة، وإنما الميل بعدم رد أي رواية يمكن أن تجد لنفسها سبيلاً للقوة على سبيل تقوية الضعيف وما شابه، والدليل على ذلك أن الشيرازي قد رد روايات كثيرة ولم يقبلها، وأبرزها روايات تحريف القرآن. ولكن لنفترض أن الشيرازي له منهج في الأخذ بالرواية قريب مما قيل عنه فهذا لا يدل على قبول الكل أو تصحيحه لكل الروايات بدلالة ما ذكر سلفاً من رده لبعضها وأما القياس الذي استخدمه الأستاذ الكريم مستفيداً من الميل المذكور في عبارة الشيخ الصفار وربطها بمرجعية الشيرازي لشريحة من الشيعة فبالتالي وجب عليهم القول

بقوله، وهذا كسابقه يحتاج لفهم تام لمنهجية الشيعة في هذا الموضوع حتى نعلم أن القياس المذكور يصح أو لا يصح؟ إن أخذ الشيعي من الشيرازي أو من غيره من المراجع أخذٌ فقهي فإذا اطمئن إلى أن ما صدر عن الفقيه فيها كان ناتجاً عن الروايات المقبولة وقد تسالم عليها الفقهاء فلا بأس به، وأما لو علم أنه له رأي تاريخي في قضية ما أو أمر غير فقهي وناتج عن رواية ضعيفة فليس من الواجب على الشيعي أن يأخذ بهذه الرؤية، فمفهوم التقليد ليس بمعنى أن يكون في الفقه وغير الفقه، بل لا بد أن نلحظ فرقاً بين الحكم والموضوع؛ فالموضوع وإن أفتى الفقيه فيه فتشخيصه موكول إما لأهل الخبرة أحياناً وأحياناً موكول لذات المكلف، والحكم بناء على التشخيص.

وقد تظافرت كلمات العلماء في التصريح بعدم القول بصحة كل ما في الكتب الأربعة من الروايات بل أشار بعضهم إلى مقدمة هذه الكتب على أنها تشير إلى ذلك، وردّ على هذا أبرز علماء الطائفة وأشهرهم، ولا بد والحال هذه أن يميز القارئ الكريم الفرق بين القول بصحة الأحاديث الواردة في هذه الكتب وبين الثناء عليها أو على أصحابها، فالثناء وارد لما بذل من الجهد في الجمع والضبط والتصنيف ونحوه، وكل كتاب يتميز بسمات قد توافق غيره وقد تميزه، لكن الثناء ليس قولاً بصحة ما في الكتاب الذي قد لا يرى المؤلف نفسه صحة كل ما فيه. ولذا فالثناء عليه لا علاقة له بصحة الرواية من عدمها. ومن ذات المنطلق نناقش الروايات القائلة بالتحريف، وكما ذكر الشيخ حسن الصفار في المكاشفات وسبقه علماء الطائفة بعدم القول بتحريف القرآن وهذا قرآننا هو قرآنكم ولا مجال لمناقشة هذا القول؛ لأنه قول لا يقبله العقلاء، فكيف يقبل الشيعة قولاً بالتحريف في كتاب تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه؟ ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾، وقوله تعالى: ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾

أتوجد قوة تنازع القوة والضمان الإلهي بالحفظ؟ ذلك أمر لا يقبل النقاش، وليس محلاً للأخذ والرد بعد وجود الدليل القرآني بذلك فكفى. ولهذا فمنطلق هذه الأقوال ناتج عن عدم الاطلاع الكامل الذي حاول الأستاذ عبد العزيز قاسم أن يوضحه ولو بشكل مختصر عبر مكاشفاته مع الشيخ حسن الصفار؛ ليكون ألأمر واضحاً وترتفع الشبه ويزول الغموض، فتجد من الردود من يناقش قلة الروايات الواردة عن رسول الله ﷺ في كتب الشيعة، وإن جل الروايات عن الإمامين الباقر والصادق، وهذا من جنس تلك، فإن الرواية في كتب الشيعة تأتي من راوٍ عن راوٍ حتى تنتهي بأحد الأئمة الصادق أو الباقر أو علي بن الحسين أو الحسن أو الحسين، فإذا وصلت عند أحدهم قلنا بأنها مروية عن رسول الله ﷺ وبالنتيجة تكون كل الروايات مروية عنه، وروى الشيخ الكليني في الكافي ١/ ٤٢ بإسناده إلى هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيرهما قالوا: سمعنا أبا عبدالله يقول: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله ﷺ قول الله عز وجل».

وقول الإمام جعفر بن محمد الصادق للسائل الذي سأله: «بم يفتي الإمام؟ قال: بالكتاب، قال: فإن لم يجد؟ قال: بالسنة». «إذا حدثنا لا نحدث إلا بما يوافق كتاب الله، وكل حديث ينسب إلينا لا يوافق كتاب الله فاطرحوه».

وهذه المختارات من الأحاديث توضح اتصالها برسول الله ﷺ فلا يؤخذ على الشيعة قلة الرواية عن الرسول ﷺ؛ لأن كل الروايات التي يثبت صحة صدورها عنهم فهي واردة عنه ﷺ، وقد اتضح أيضاً أن السنة لا بد من أن تتفق مع كتاب الله الكريم. ويفسر هذا ذلك التقارب الكبير في العديد من الأحكام بين المسلمين؛ لأن المنبع واحد، والكتاب واحد، والرسول واحد، والرسالة واحدة.

وفي نهاية المطاف لست مطالباً ولا منتقداً بل أنا مسلم حالم بيوم يتوحد فيه أهل لا إله إلا الله، محمد رسول الله كما توحدوا في كلمة التوحيد ورسالة المصطفى ﷺ وفي إقامة الصلاة جمعت أو فرقت، وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، وفي قبلة واحدة، وفي قرآن واحد، وفي دعوة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي أمر بالستر والعفاف والحجاب للمرأة، وفي العودة لمكارم الأخلاق، وفي صيانة الإسلام، ورد أعدائه، فهلا تركنا تلك القراءة المفرقة لقراءة أخرى تبعث على أمل الوحدة للأمة، إننا نعيش على أرض تهيأ لها وقدر لها أن تتشرف بأن تكون قبلة المسلمين، وفيها مسجد نبيهم صلوات الله عليه وآله، ففي أرضنا كل معطيات الوحدة التي نحلم بها، فلم يسبقنا بها غيرنا ونحن نملك المعطيات بل حتى قيادياً لما علمت القيادة الحكيمة أن الحوار ليس من شأنه تقريب وجهات النظر فحسب بل من شأنه أن يطلع كل طرف على منهج الطرف الآخر فتستقيم القراءة من كل جهة، وتحسن الظن بها، فأمرت بإقامة الحوار الوطني ورعته و دفعته كمبدأ إسلامي في أصوله، فأصبح رغبة شريحة كبيرة من شعب هذه البلاد المباركة الذين ولدوا على الإسلام، وتربوا في أحضانه، فاندفعوا إليه والقيادة شجعتهم، وفتحت لهم الأبواب لذلك، فيا ليتنا نستفيد من هذه المباركة الحكومية، وندفع بعجلة الحوار لما فيه خير ديننا وبلادنا وأمة الإسلام بشكل عام حتى نصل إلى مقام قال فيه المصطفى ﷺ فيما يرويه مسلمٌ والبخاري من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: «**المسلمون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

وبعد أن قدمت الدولة ما ينبغي في مسألة الحوار بقي جزء من التفعيل من شأننا ودورنا نحن أئمة المساجد وأصحاب المنابر والأقلام ومعلمي الأجيال والوعاظ، وكل حسب قدرته إذا استشعرنا أهمية الأمر في ديننا وقوته ودفعه

للأخطار عن وطننا، وقد طرح الشيخ حسن الصفار مجموعة من البنود لم نجد من يركز عليها من خلال الردود والتعليقات إلا القلة وباختصار شديد، إذن فلنعد النظر فيها لننطلق منها لتحقيق الهدف الأسمى المتمثل في وحدة أبناء الوطن تحت سقف الإسلام وهم أهله وعلى أرض الوطن وهم أبناؤه فالدين حصن لنا ولوطننا لا ينبغي أن ننفك عنه أو نتركه، وقد أمرنا به، فالدين عند الله الإسلام، وقد أنعم الله به علينا، فلنحمد ربنا على نعمة الإسلام في بلد أهله لا يعرفون ديناً سواه، وهذه البنود أسردها هنا:

حديث ولي العهد شكل لنا إيذاناً بمرحلة جديدة، وزادت تطلعات الناس وانتعشت آمالهم.

آن لنا بعد ١٤ قرناً من الصراع والانشغال بالاختلاف والفشل في تغيير الرأي أن نجرب عصراً جديداً في التحاور والتقارب.

مستعدون لميثاق شرف إسلامي نتجاوز به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية، ونؤكد فيه على وحدة الأمة وعلى مرجعية الكتاب والسنة.

إنني أرفض وأدين سب الشيخين، ومن ينال منهما متطرف أو جاهل.

يجب أن نبدأ بإيقاف الإثارة لكل الترسبات عبر وقف التعبئة والتعبئة المضادة، وتجريم ثقافة التحريض على الكراهية.

لقد قال السنة كل ما لديهم، وقال الشيعة كل ما لديهم، ولن يضيف أحد منهم شيئاً جديداً إلى ركام السجال المذهبي، فإلى متى الانشغال والاجترار؟

وفي الخاتمة فليعلم السني أن الذي يسيء للسنة فهو يسيء للشيعة والذي يسيء للشيعة فهو يسيء للسنة؛ لأن الإساءة لهما إساءة للإسلام فلنُعِد المراجعة مرة

أخرى، ولننطلق في حوارنا، ولنعمق هذه البنود ونجعلها واقعاً نعيشه، المسلم السني أخو المسلم الشيعي. وقد قال النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقد شهد الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة بأنها أمة واحدة على اختلاف مذاهبها وتعدد مدارسها واتفاقها في جملة رئيسة أساسية كأركان الإسلام وتباينها في جملة من الفروع، ولكن كل هذا لا يوجب انقسامها أو تفرقها؛ إذ قال الله عز و جل: ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** ﴾. فلنعلق من جديد على المكاشفات، ولكن بقراءة أخرى هدفها وحدة الأمة الإسلامية ولننطلق من هذه البنود ونكتب عنها حتى نصل إلى الصيغة التي نتقارب بها مع احتفاظ كل بمذهبه المنطلق من الإسلام وباحترام كل طرف للآخر في رموزه وشعائره الخاصة.

*****

د.عاصم حمدان علي(*) :

وإني لأشهد لهؤلاء بما أتيقن وأعرف(*)

قلت منذ زمن: إذا كانت هناك دعوات تنطلق - جدية - للحوار والتقارب مع الآخر الذي يختلف عنا عقيدةً وفكراً - وهو الأمر الذي بدأ في عهد المغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز وعقدت ندوات بين بعض علماء هذه البلاد وعلماء الديانة المسيحية - فإن الأولى بهذا التقارب هم المسلمون - أنفسهم - بجميع طوائفهم، وهو ما حصل شيء منه في ملتقيات الحوار الوطني، وكان الشيخ سلمان العودة (جزاه الله خيراً) سباقاً للقاء إخوانه في العقيدة من أمثال فضيلة السيد محمد بن علوي المالكي الحسني، والشيخ حسن الصفار، ومع بداية الحلقات التي أعدها الصحافي المرموق الأستاذ عبدالعزيز قاسم مع الشيخ الصفار والتي صرح الأخير فيها بأنه يرفض سب الشيخين أي سيدنا أبا بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عاداً من ينال منهما متطرفاً أو جاهلاً، أقول: مع بداية هذه المكاشفات التي يثرى بها الفكر، وتزيل الجفوة، وتصب في جمع شمل كلمة أبناء الوطن الواحد، قام الداعية المعروف الدكتور عوض القرني بزيارة إلى منطقة القطيف والتقى في زيارته علماء المذهب الشيعي وفي مقدمتهم الشيخ الصفار، وهو بهذا أي الشيخ القرني - جزاه الله خيراً - يضرب مثالاً رائعاً في سعة الأفق، ورحابة الصدر، وحسن الظن بعقائد المسلمين، وهو أمر كان يفترض حصوله منذ

(*) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ٨ رمضان ١٤٢٥هـ - ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٤م.

(*) أكاديمي وناقد أدبي سعودي

زمن بعيد، وهو وإن جرى متأخراً، إلا أنه يفترض أن يكون أمراً شائعاً بين علماء هذه البلاد ودعاتها ومفكريها، وليسمح قراء هذا الملحق الأغر للعبد الفقير إلى الله بتدوين بعض الملاحظات بعد عقود عديدة قضيتها في طلب العلم بين المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأخذت عن بعض العلماء فيهما، وجالست بعضاً آخر، وكلهم صاحب فضل وإحسان. لقد كان فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - لا يكفر أحداً من الجماعات الإسلامية، حتى وإن اختلف معها وهو ما ذكره لي أستاذنا محمد حميدة، أطال الله عمره. وكان على صلة وثيقة بالعلماء في المدينة المنورة وسواها، وكان لمدة من الزمن مسؤولاً عن الدروس العلمية في الحرم النبوي الشريف، كما أن فضيلة المرحوم الشيخ عبدالعزيز بن صالح إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف لحوالي نصف قرن من الزمن، كان هو الآخر من أكثر العلماء بعداً عن ألفاظ التكفير والتفسيق والتبديع، وكان يختار لإمامة المسجد النبوي الشريف الأكثر إتقاناً في تجويد كتاب الله مع الورع والتقوى - وعرض إمامة المسجد النبوي بعد انتقال الشيخ عبدالمجيد بن حسن - الذي كان معاوناً له في المحكمة الشرعية وفي إمامة المسجد - إلى الرياض، عرضها على جملة من أهل البلدة الطاهرة وفي مقدمتهم السيد علي كماخي وقد اعتذر عنها هذا الأخير من باب الورع والتقوى، كما أنه قدم في المحراب النبوي المشائخ، محمد الثاني، إبراهيم الأخضر، محمد أيوب. وكان فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد - أحد أبرز أئمة المذهب الحنبلي في هذا العصر بل ومجتهداً فيه - حريصاً على جمع كلمة علماء الحرم المكي، وقد روى لي فضيلة الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان - عضو هيئة كبار العلماء - نقلاً عن أحد أقدم طلبة العلم الشرعي في الحرم المكي الأستاذ (الخراشي) بأن فضيلة الشيخ ابن حميد رأى أحد طلبة العلم يستهزئ بلباس أحد علماء الحرم المكي فنهره عن ذلك وقال له: هذا عالم من علماء الأمة إضافة إلى

انتسابه لآل البيت النبوي؛ من حثنا المصطفى ﷺ على الإحسان إليهم ومحبتهم، كما كان فضيلة الشيخ عبدالله خياط العالم السلفي المشهور وإمام وخطيب المسجد الحرام - على علاقة طيبة مع علماء المذهب المالكي وخصوصاً مع شيخنا الجليل محمد نور سيف هلال، كما كان كل من الشيخين عبدالله بن دهيش وعبدالملك آل الشيخ - رحمهما الله - على علاقة وثيقة بفضيلة العلامة - المحدث السيد علوي المالكي والد فضيلة السيد محمد علوي المالكي الذي كثيراً ما سمعته يثني على الشيخ (ابن حميد)، ومن جملة مآثره أي: الشيخ ابن حميد أنه بعد أن أخذ السيد محمد علوي مكان والده في الدرس سنة ١٣٩١هـ هنأه الشيخ ابن حميد على ذلك، ودعا له بالخير والتوفيق. وهذا صنيع أهل الفقه والدراية وأرباب العقل والحكمة. وأضيف أمراً مهماً هو أن المشائخ الذين التقيت بهم في مكة المكرمة، أو أخذت عنهم شيئاً من العلم، أو اتصل سندي في الرواية بهم وهم أصحاب الفضيلة المشائخ، حسن المشاط، حسن سعيد يماني، علوي المالكي، محمد أمين كتبي، الشيخ محمد نور سيف -، حسن فدعق، الشيخ عبدالله اللحجي، الشيخ محمد ياسين الفاداني، الشيخ ذكر يابيلا، الشيخ إسماعيل الزين، محمد علوي المالكي، وسواهم لا يتعرضون لأي من سلف الأمة وعلمائها بما يسيء، وينهون طلابهم عن فعل ذلك، كما أنهم جميعاً يترضون عن صحابة رسول الله ﷺ - دون استثناء - بل إنهم يقولون إن مشربنا وطريقنا هو عدم التعرض للصحابي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أو الطعن فيه، ويذكرون اسمه كبقية صحابة رسول الله ﷺ مسبوقاً بما يستحقه من لفظ (السيادة) أي: سيدنا معاوية، وهم أيضاً يذكرون الخلفاء الراشدين بما هو متعارف عليه عند أهل السنة والجماعة من تقديم أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي - رضي الله عنهم أجمعين - ومن هؤلاء العلماء الذين عرفت من ينتسب لأهل بيت النبوة، ولكنه لا يقدم عليّاً على أبي بكر - رضي الله عنهما -. وسمى أحمد

الرفاعي وأحمد مشيخ - أطال الله عمره - أبناءهما بأسماء أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -. لقد آن الوقت لأن يكف بعض طلاب العلم عن إخراج بعض الفرق الإسلامية من الفرقة الناجية وحصرها في جماعة بعينها، فأمة سيدنا محمد ﷺ ومن تعتقد بوحدانية الله، ونبوة سيدنا محمد ﷺ وشرع الله وقرآنه ووحيه هي بأكملها - أمتنا الإسلامية الواحدة - وهي الأمة الناجية بإذن من بيده مفاتيح السموات والأرض.. وهذه أحاديث رسول الله ﷺ تحذرنا أشد التحذير من رمي الناس بالشرك والضلال، أو أن ينصب أحد نفسه في مقام التفتيش عن عقائد المسلمين وإدخال هذا في النار، أو الآخر في العذاب المؤبد؛ ففي البخاري مروياً: «**يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها - أي: من النار - من قال: لا إله إلا الله**»، وفي صحيح ابن خزيمة أن النبي ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة**»، وفي صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**، فقلت: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق؟ قال: **وإن زنى وإن سرق**»، وفي مستدرك الحاكم أن النبي ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ووجبت له الجنة**» وأخرج ابن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه**». اللهم أرِنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرِنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

*****

صالح بن فوزان الفوزان(*) :

حوارنا مع من يخالفنا في العقيدة(**)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

قد ظهرت في هذا العصر ظاهرة الحوار بين الطوائف المختلفة. والحوار في ذاته مع المخالف إذا كان القصد منه بيان الحق ورد الباطل فهو مطلوب ومشروع. قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ فندعوهم إلى التوحيد، وهو عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه. ولا يكفي الاعتراف بالربوبية فقط، ثم بعد بيان الحق تطلب المباهلة من المخالف المصر على الباطل وهي الدعوة باللعنة عليه. قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾. وأما إن كان القصد في الحوار بيننا وبين من يخالفنا في العقيدة أننا نقبل شيئاً من باطله أو أن نتنازل عن شيء من الحق الذي نحن عليه فهذا باطل؛ لأنه مداهنة. قال تعالى: ﴿ **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ** ﴾، لكن لا مانع من أن نتعامل مع المخالف في

(*) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ١٥ رمضان ١٤٢٥ - ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٤م.

(**) عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية

العقيدة بالعدل في حدود المصالح الدنيوية، وأن نحسن إلى من لم يسيء إلينا منهم كما قال تعالى: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾، وأن نفي للمعاهد بعهده والمستأمن بأمانه ونحترم دمه وماله كما نحترم دماء المسلمين وأموالهم. قال النبي ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين سنة». وهذا أمر متقرر في الشريعة الإسلامية لا ينكره إلا جاهل أو مكابر. وأردت بهذه الكلمة الرد على طائفتين من الناس. الطائفة الأولى التي تنكر التعامل مع المخالف في العقيدة مطلقاً والطائفة الثانية هي الطائفة المتميعة التي ترى أنه لا فارق بين أصحاب العقيدة الصحيحة وأصحاب العقيدة الباطلة وهي اعتبار: (الرأي الآخر) والواجب الحذر من هذه المبادئ الباطلة ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ وهو الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ وسار عليه الصحابة والتابعون وأهل السنة والجماعة من بعدهم. وليس المراد الإسلام المصطنع المخالف لما جاء به الرسول. ونقصد بمن يخالفنا في العقيدة كل من يريد غير الإسلام ديناً سواء أكان من الكفار أم كان من الفرق الضالة المخالفة لعقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا نرضى بغير القرآن والسنة بديلاً ولا بغير الرسول محمد ﷺ قدوة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ لا نقبل التلفيق ولا التملق والنفاق.

هذا ما أردت بيانه ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ ﴾.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

حمود أبوطالب[*]:

حسن الصفار مواطناً

أجزم أن العمل الصحفي الذي أنجزه مؤخراً الأستاذ عبدالعزيز قاسم في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة عمل متميز بكل المقاييس والاعتبارات، سواء من جانب التوقيت واختيار الشخصية واختيار المحاور والتسلح بخلفية كبيرة من المعلومات، وكذلك التمكن من أساليب الحوار وبراعة الطرح. لقد كانت حلقات مكاشفات مع الشيخ حسن الصفار على قدر كبير من الأهمية، وذلك يعود إلى كونه - أي الشيخ حسن - شخصية بارزة لا يمكن إغفالها أو تجاوزها حين يأتي ذكر الشيعة والمجتمع الشيعي في المملكة، إضافة إلى ما يتوافر فيه من فكر عميق وثقافة عالية، كما أن التوقيت الذي جاءت فيه المكاشفات كان توقيتاً مهماً وحساساً، فعلى الصعيد الداخلي هناك حراك على مستويات وأصعدة عديدة، رسمية وغير رسمية، لترسيخ الوحدة الوطنية وإذابة السجالات والاتهامات والاحتقانات المزمنة التي تكرس العزلة والفرقة، وعلى الصعيد الخارجي قد تأكد لنا بجلاء التربص اللئيم الذي تمارسه قوى إدارة اللعبة العالمية الجديدة حين بدأت تعزف على أوتار الطائفية والمذهبية والأقلية وما شابهها من مصطلحات، إضافة إلى الأوتار التي سبق أن عزفت عليها ببراعة بعد أن هيأناها لهم حين لم نقدر جيداً خطورة بعض الأمور.

لقد سنحت لي فرصة التعرف على الشيخ الصفار خلال اللقاء الفكري الثاني للحوار الوطني بمكة المكرمة العام الماضي، وتلك المعرفة - سواء بما كان يطرحه في

(*) كاتب سعودي في صحيفة الوطن.

جلسات الحوار أو خارجها - هي التي جعلتني أقول ما سبق عن فكره وثقافته، وكذلك حسه الوطني، وهي العناصر التي دفعتني للكتابة عن مكاشفاته، أما التفاصيل الدقيقة - المتعلقة بالشأن المذهبي، والاختلافات المثارة مع السنة وغيرها من الأمور في هذا الجانب فإنها ليست من شأني؛ لأنني لست متخصصاً فيها ولا متعمقاً في فهمها، ويحسن بمن هو مثلي أن يدعها لأهلها.

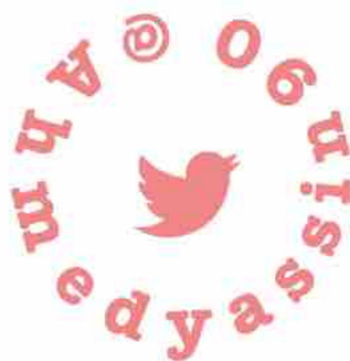
لقد أثيرت أمور في غاية الأهمية خلال حلقات المكاشفات لا نستطيع طرحها هنا أو الإشارة إليها بإيجاز لكثرتها. وأنا سوف أتجاوز كل ما قرأته لأقف عند مقطع واحد قاله الشيخ الصفار في آخر مكاشفة يوم الجمعة الماضي (١٥ رمضان)، يقول:

«الاندماج الوطني قضية ملحة، يجب أن يبذل كل الداعين أقصى جهودهم من أجل خدمتها وتحقيقها، فهذا الوطن الواسع الكبير الذي تحققت وحدته وقام كيانه على يد المؤسس الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يضم مناطق عديدة، ومجتمعات مختلفة في بعض خصائصها الجانبية، وإن كانت تنتمي لأصول عربية واحدة ولدين واحد، هو الإسلام والحمد لله. لكن الحرص الطبيعي والمشروع لكل مجتمع على خصوصياته يقتضي احترام هذه الخصوصيات واتساع بوتقة الوطن للجميع بالتأكيد على القاسم المشترك والهوية الوطنية الواحدة، وحين تضعف هذه الحالة لصالح خصوصية معينة يزداد تمسك الآخرين بخصوصياتهم، فيصبح الوطن ساحة صراع بين الخصوصيات أو الهويات الفرعية على حساب الهوية الوطنية». كمواطن حريص على وحدة وتماسك وطنه فإن ما سبق قد يكون الأهم بالنسبة لي في كل المكاشفات؛ لأننا بالفعل نبحث عن هوية وطنية واحدة صلبة لا تجيَّر لصالح هويات أخرى مهما كانت، غير قابلة للمقايضة أو المصادرة أو الإلغاء لأي سبب لا علاقة له بالوطن. وما قاله الشيخ حسن الصفار هو ما يجب أن يقال منذ زمن بعيد، وما يجب أن يستوعبه كل عاقل محب لوطنه.

وإذا كنا نريد الخير لوطننا فيجب أن تتوقف القنوات التي تثير الشحناء دون وجود أسباب مفهومة، ويجب أن نقطع أنابيب الوقود التي تغذيها، ويجب ألا نتساهل مع المقامرين بالوطن من أجل قناعاتهم الخاصة.

ألسنا ندعو إلى التسامح والحوار وعدم الإقصاء والتسفيه وتصنيف المواطنة؟ أليس ذلك ما ندعو إليه أم نحن نقول ما لا نفعل؟

*****



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

أديب عبد القادر أبو المكارم(*) :

ولكن ماذا بعد المكاشفات؟

ما نشرته صحيفة المدينة في ملحقها (الرسالة) من مكاشفات مع سماحة الشيخ حسن الصفار، يعد طفرة نوعية في الإعلام السعودي الذي كان طيلة السنوات الماضية يخفي الرأي الآخر ولا يسمح له بالظهور.

كانت الأسئلة التي تناولها المحاور العزيز الأستاذ عبدالعزيز القاسم صريحة ومكثفة وواقعية، وكانت الإجابات على هذه الأسئلة أكثر صراحة وشفافية ووضوحاً من قبل العلامة الشيخ الصفار.

لذا نحن نشكر مساعي هذه الصحيفة ونشد على أيدي القائمين عليها، فالحوار الصريح ونشر آراء الآخر وتبادل وجهات النظر إنما هي خطوة كبيرة لتقبل الآخر والانفتاح عليه.

بدا واضحاً من المحاور والمجيب الهدف الأساس من الحوار وهو التقارب وإزالة الغبار العالق بفكر بعضهم عن الآخر، عشنا حقبة طويلة من القطيعة والانغلاق وقد تجرعنا مرارات هذا الأمر، وآن لنا الآن والمؤامرات تحيط بنا من كل جانب أن نتحد ونتكاتف وننفتح على بعضنا، ويتقبل كل منا الآخر حتى نروى عذوبة الأخوة والمودة؛ لنزداد قوة وترابطاً وبذلك ندحر عدونا الذي يتربص بنا الدوائر، ونحن بهذا نطبق منهج الإسلام وتعاليمه السمحة ومبادئ رسول الله ﷺ وهو الذي آخى بين

(*) كاتب وأديب سعودي من إخوتنا من طائفة الشيعة بالقطيف.

المهاجرين والأنصار، فلْنتآخَ نحن سنة وشيعة لنكون كما وصف نبي الرحمة ﷺ المسلمين في الحديث المشهور: «**مثل المسلمون في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**».

كما أننا بتآخينا نبارك مشروع ولي العهد في إنشائه مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني الذي يؤكد على تحاور جميع الفصائل والأطياف في المملكة لكي نتقبل بعضنا بعضاً.

لقد أكد الصفار في هذه المكاشفات وفي كثير من الكتب التي ألفها والمقالات التي نشرها في كثير من الصحف وفي ندواته ولقاءاته الصحفية على أهمية الوحدة الوطنية وأنها أمانة في أعناق الجميع كما يقول، كما أكد كثيراً على التقارب بين أتباع المذاهب الإسلامية وأن على الجميع أن يتفهم الآخر لكي يستطيع أن يتقبله ويتعايش معه، وليس مطلوباً من أحد ما أن يتنازل عن مبادئه ومعتقداته لإرضاء الآخر والتقرب منه.

ما دمنا إخوة في بيت واحد وهو دين الإسلام القويم فلماذا التناحر والتباعد؟ ليعمل كل منا حسب ما يرتئيه صحيحاً متجنباً طعن الآخرين والتشكيك في نواياهم.

هناك من أهل السنة من استمع لصوت الصفار الذي بح وهو ينادي بالوحدة والتقارب، وقرأ ما كتب واستجاب لندائه ملبياً وشاكراً وداعياً مثله أيضاً أمثال: الدكتور محمد عبده يماني، والدكتور محمد علي البار، والدكتور غازي القصيبي، والدكتور الشيخ عوض القرني، ومحاور (مكاشفات) الأستاذ عبد العزيز القاسم الذي تجشم عناء السفر وجاء ليجري هذا الحوار ليدعم مشروع الشيخ حسن الصفار الوحدوي، ويشد على يديه، ويبين رؤاه وأفكاره للطرف الآخر. وقد حقق هذا الحوار كثيراً من أهدافه، إلا

أنه من المؤسف جداً أن تنحى بمسار الهدف الأسمى للحوار إلى مسار آخر غير الجادة المقصودة لتذهب كل هذه الجهود والمساعي أدراج الرياح.

الردود التي جاءت تعقيباً على بعض المكاشفات جاءت مركزة على أمور عقدية وكأنها تريد أن تصيّر الحوار سجالاً مذهبياً قد لا يجدي نفعاً، وكما قال الشيخ الصفار: «لقد قال السنة كل ما لديهم، وقال الشيعة كل ما لديهم، ولن يضيف أحد منهم شيئاً جديداً إلى ركام السجال المذهبي، فإلى متى الانشغال والاجترار؟».

وإن كان ولا بد فليكن بالأسلوب اللين اللطيف، لا بالتهجم والطعن والتشكيك. مع شفافية الإجابات التي أدلى بها الشيخ الصفار إلا أننا نجد تشكيكاً في النوايا ورفضاً لتقبل الآخر مع أن كثيراً من الأمور العقدية التي طرحت في المكاشفات لم تكن جديدة، وقد أشبعها الشيعة إيضاحاً، بل وألفت حولها كتب كثيرة، ولكن لعدم صفاء النوايا من بعض الناس لايزال يردد هذه الأسئلة ويطرحها مراراً وتكراراً حتى وصل الأمر إلى الإثبات بالقسم والأيمان المغلظة.

لماذا يشكك السنة في مصداقية ما يقوله الشيعة متذرعين بمفهوم التقية عند الشيعة، ويقولون: إن الشيعة يظهرون خلاف ما يبطنون، فتسعة أعشار دينهم تقية، ونحن لا نستطيع التعامل معهم؟!

وفي المقابل لماذا يأخذ الشيعة السنة بالصدق ويحملونهم على حسن النوايا؟ في حين أن الأولى أن يشكك الشيعة في السنة وليس العكس، فمن به عيب يحسبه موجوداً في الجميع، ومشهور عندنا في المثل الشعبي «كلن يرى الناس بعين طبعه».

نحن كلنا إخوة في دين الإسلام، والواجب علينا أن نصفي نوايانا، وأن نحمل بعضنا على محمل الخير، في الحديث عن رسول الله ﷺ «احمل أخاك المؤمن على سبعين محمل من الخير»، وفي نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«لا تظنن بكلمة خرجت من أحدٍ سوءاً وأنت تجد لها في الخير محتملاً». جربنا القطيعة ولعقنا مرارتها، فلماذا لا نجرب التقارب لنذوق حلاوته؟

ديننا الحنيف يلزمنا بالتقارب والتآخي والتآلف، والأوضاع التي نمر بها وتحيط بنا تجبرنا على ذلك، لذا نحن نطمع أن تكون نتائج الحوار الوطني مترجمة على أرض الواقع، وأن تعطى الحريات وأن يتم الاعتراف بالمذاهب الأخرى رسمياً، كما نطمع أن يأخذ العقلاء من كل المذاهب والأطياف دورهم في ترسيخ مفهوم الوحدة والتقارب في أذهان الناس وأن يمارسوا ذلك عملياً حتى يكونوا قدوة وأنموذجاً يحتذى به.

ونطمع أن يكون الإعلام بوسائله شتى منفتحاً للجميع، تجمله حرية التعبير عن الرأي بما لا يسيء لأي طرف.

ختاماً نشكر صحيفة المدينة على هذا الحوار الطيب التي أجرته مع سماحة الشيخ حسن الصفار، متمنين منها المزيد، وأن يقتفي إثرها الصحف الأخرى. والله ولي التوفيق...

*****

جميل اللويحق(*) :

زوابع في ملحق الرسالة

خرج عدد الجمعة قبل الماضية من ملحق الرسالة بهذه الصحيفة مملوءاً بموضوعات ساخنة متعددة تجبر القارئ المتابع على قراءة كامل الملحق اضطراراً، لجدة الموضوعات، وسخونتها، ولمساحة الجديد، وحدود الجرأة في الطرح، ولما فيه من تجاوز للتقليدية الطاغية على الصفحات الثقافية والإسلامية في صحافتنا المحلية.

شيخ الملحق عبدالعزيز قاسم مغامر من الطراز الأول، ويحمل في تلافيف رأسه رؤية متجاوزة في باب الصحافة الإسلامية المطلوبة، ولذلك فهو على استعداد للدخول إلى المناطق الحمراء، أو الاقتراب منها على الدوام ما دام احمرارها ليس بتلك السماكة، وما دامت حرارتها ليست بذلك الإحراق.. سيما وأن المسألة يمكن تجاوزها غالباً بشيء من الألاعيب الصحفية وبشيء من الانتقال من الموقع إلى ضده، وعلى كل حال فأعتقد أنه أخذنا معه في سياقه، ووضعنا أمام واقع ماثل يقتضي التفاعل معه، فلا خيار لنا الآن في طريقة التعامل مع هذا الملحق؛ لأن رؤى أستاذنا الكريم قد تحولت إلى واقع ممارس، وكأنه يرمقنا بطرف عينه قائلاً: لا خيار لكم، لقد تجاوزنا تحفظاتكم وتنظيراتكم، فإن أردتم فاركبوا وإلا فنحن ماضون، هذه ربما فكرته بعمومها، ولكن لا بأس، فالأمر موضع اجتهاد، وهو ارتضى أن يتحمل التبعة فله ذلك.

(*) كاتب وأكاديمي بقسم الشريعة - جامعة الطائف.

أثار عدد الجمعة المذكور بعض القضايا الساخنة، وأبرزها تلك الطروحات التي تناولت بالنقد والتحليل مجريات ملتقى المثقفين الأول الذي انفض منذ أيام، وركزت بطريقة وعبارة واضحة على الإعداد له وسير لقاءاته وفئات المشاركين، وكانت أبرز المقالات في ذلك هي ما خطه يراع الدكتور سعيد الغامدي، والدكتور حمزة الفعر والأستاذ بكر بصفر، وقد أكدت هذه الطروحات ما كنت تناولته بتوجس في الأسبوع الماضي وقرأته في ثنايا الأخبار القليلة المتناثرة عن الملتقى قبل انعقاده، وحسبي هنا أن أسمع أو أرى تعليقاً شفافاً من القائمين على الملتقى بخصوص هذه الملحوظات المطروحة، وأعتقد أن الرسالة التي سيحملها الصمت ستكون بطبيعة الحال هي الاعتراف الضمني بصدقية ما قيل أو بأكثره، والقضية قضية وطنية ليست خاصة بأحد دون أحد، ولذلك فآمل ان أرى شيئاً في هذا الخصوص يدل على روح الوضوح والشفافية والقبول بكل الآراء التي طالما كررها القائمون على الملتقى، لا أريد ان أقول الآن أكثر من ذلك، وليس من داعٍ بعد أن انفض السامر لأن نتحدث في الماضي، ولكن الحديث اليوم هو فقط من قبيل إعداد المسرح للقاءات القادمة.

وكان مما أثاره الملحق أيضاً جملة قضايا مع ضيف المكاشفات حسن الصفار، وهذه المكاشفات فيما يبدو مازالت في بدايتها، وأظن أنها ستثير عاصفة كبيرة من ردود الفعل في كل اتجاه.

ولست بصدد التعليق عليها، وهي لم تنته بعد، ولكنني آمل أن لا تؤدي هذه اللقاءات إلى عكس ما يريده معدها.

ربما كنت اليوم قد قمت بدعاية مجانية لملحق الرسالة، ولكنه على الرغم من كل ما يثيره فقد استحوذ على إعجابي بمهنيته وشفافيته.. وللحديث بقية.

*****

حمد باقر النمر(*):

قراءة خاصة لمكاشفات الشيخ حسن الصفار

آن الأوان في دعوة علنية وصريحة لمؤتمر حوار بين المذاهب على غرار مؤتمر الحوار الوطني .

أثارت المكاشفات تفاعلات وتموجات سلبية وإيجابية في الوسط الشيعي في الخليج وإيران والعراق ولبنان.

كنت أحد الشهود على السماع المباشر للحوار. في أثناء تسجيل جزء كبير من المكاشفات التي أعدها الصحفي الأستاذ عبد العزيز قاسم في ملحق الرسالة بجريدة المدينة مع الشيخ حسن الصفار ونشرت مع بعض التعليقات خلال شهري شوال ورمضان من العام الحالي ١٤٢٥هـ.

استطاع الأستاذ قاسم أن يرقى بعمله المهني كصحفي جادّ يبحث عن الفرص الصحفية بأمانة وعمّا يشبع رغبات واهتمام القراء، سيما بتلك المانشيتات ذات (البنط الغامق) وبمقدماته المثيرة كأسئلته الشفافة والإجابات التي حصل عليها في سائر المكاشفات والردود.

كما استطاع أن يكون مبلغاً ووسيطًا لإبلاغ رسالة في ظني حسنة نزيهة عبر ملحق الرسالة التي يحرص على قراءته كل جمعة العديد من المهتمين.

(*) أديب سعودي من إخوتنا من طائفة الشيعة بالقطيف.

صحيح أن بعض الأسئلة كانت ذات طابع استفزازي كما يقرأها القارئ لكن أجزم أن الأستاذ قاسم كان وفي أثناء طرح الأسئلة على الشيخ حسن تبدو وكأنها عفوية طبيعية. قسمات وجهه ونظراته وطريقة طرحه للسؤال وبشاشته وحركات رأسه كلها تنم عن صدق في النية وجدية في منطقية السؤال ونزاهته. وهذا ما ساعد كثيراً المجيب على الاسترسال والإسهاب في الإجابات بكل شفافية وصراحة وبالأسماء والأرقام كما قرأ ولاحظ القراء.

غادر القاسم مكتب الشيخ الصفار لأنطلق معه في جولة انتهت بفندق شيراتون الدمام حيث كان يسكن. في أثناء الطريق رن هاتفه الجوال ليرحب بحرارة بالمتصل به فتحدث قاسم عن انطباعه عن لقاءاته في زيارة القطيف وأهلها بكثير من الإيجابية والارتياح، وأسهب في تفاصيل لقاءاته، وسرعان ما أدركت إلمام الأخ عبد العزيز بالشأن الديني المحلي الشيعي منه والسني، سيما في الأمور العقدية وحتى السياسية. وقد أكبرت علاقته الحميمة مع من اتصل به و(هو رجل من رجالات الوطن)، للسلفيين عليه مآخذ كما على غيره.

سعة مدارك.. ثقافة واسعة.. عقلية منفتحة مصنفة على التيار السلفي. حسن المحيا بالمقارنة مع من التقيهم بين الفينة والأخرى، فكان كما لو أن ضالة قد وجدت.

فنحن هنا في القطيف لا بل نحن الشيعة في المملكة العربية السعودية لا نريد ابتداء أكثر من أن يُستمع لوجهة نظرنا المغيبة قهراً ثم نستمع له لينصف كل منا الآخر على هدى وبينة وعلم بالحاضر والشاهد ولا عبر زيد من الناس وسفر من الورق.

وفي الطريق أذكر فيما أذكر أنني تحدثت في نقطتين:

١ - سؤال: هل تستطيع أن تنشر كل ما قاله الشيخ حسن الصفار في صفحة الرسالة بجريدة المدينة وتقاوم الضغوط المحتملة بل المؤكدة أياً كانت؟؟ قال واثقاً: نعم، وأسهب في نعمه تلك. وقد فعل.

ومن تلك دخلت إلى النقطة الثانية.

٢ - لست وحدك ستواجه الضغوط، فضيفك في المكاشفات هو الآخر ليس بأحسن حالاً فعليه ضغوط من محيطه حول مختلف ما طرح.

وإن تلك الضغوط على السائل والمجيب هي ثمن الوسطية التي هما فيها ونهج الاعتدال المتبع لديهما وأمثالهما، وهو أسلوب التسامح والاعتدال الذي أمرت به رسالات السماء هو جادة الصواب.

لقد خاض الشيخ الصفار ومن معه من زملاء وأعوان آخرين من طلائع الشيعة طريقًا اتسم بالمواجهة الصارخة وفي الأثناء تلمسوا الطريق ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ حتى انتهوا إلى ما انتهوا إليه في نهجهم الحالي وبإدراك منهم.

وليس عيباً أن يستبدل المرء نهجه في أثناء مسيرته وجهاده واجتهاده بل العيب الاستمرار في طريق لا يكون هو الصحيح دائماً أو عدم اتخاذ طريق الصواب والبحث عنه والسعي إليه.

هؤلاء الرجال من ساسة وعلماء ومثقفين أدركوا الطريق مبكرًا ويلتقون في مشروع، يمكن تلخيصه في: النهوض الثقافي والفكري والديني والاجتماعي بالمجتمع الشيعي في السعودية؛ ليتواصل مع الآخر وبعلاقة إيجابية متكافئة وتساوٍ في الحقوق والواجبات على قاعدة الاحترام والاعتراف المتبادل لانطلاق وتقدم ووحدة الوطن والأمة معاً.

محافظين على روح الثقافة الإسلامية والتراث الديني بعيداً عن التعصب لأي موروثات خاطئة للسلف والأسلاف.

هذا المشروع يلاقي تجاوباً وترحيباً من قبل الواعين من أبناء الوطن كما أنه يتطلب جهداً كبيراً، فالمعوقات الداخلية والخارجية شائكة وكثيرة، وهم الآن في

أفضل مراحل عطائهم لنضج تجربتهم وهمتهم العالية وهم قادرون على نيل مبتغاهم النبيل يوماً ما.

هم الآن يدفعون بأبناء المجتمع قدماً باتجاه التجديد والإصلاح، ولعلهم يمثلون فرصة لا أعدو الصواب لو قلت إنها تاريخية للمجتمع الشيعي السعودي وللوطن عامة، يبقى أن يُحسَن الاستفادة من هذه الطاقات ومثيلاتها وهذا الفكر النير المنفتح على الآخر سنياً كان أو سلطة أو حتى مخالفاً.

أختلف (وسأبين لاحقاً) مع الأستاذ الشيخ حسن في بعض ما طرحه.

الأستاذ عبد العزيز القاسم:-

صحيفتكم وزعت بكثافة أيام الجمعة التي بها المكاشفات ونسخت بالعشرات على أجهزة الطبع، وقرأها كثيرون ليس بالضرورة جميعهم مريدون للشيخ الصفار ولكن الشيخ وبكل تأكيد جاء بجديد وبسابقة على صفحات صحيفة سعودية لأول مرة. فقد حظي الموضوع الشيعي المحلي منه خاصة بشفافية وأريحية غير معهودة بعناوين جذابة لفئة. ومثيرة لأخرى كما أن هناك من أخذ بمآخذ على الشيخ فيما قال في الشأن الديني أو السياسي. وهذا شأن من تُسلط عليه الأضواء ويأتي بجديد.

هذه المرة الأولى التي يطرح فيها النقاش بشفافية وأريحية، وسألت أنت وأجاب الشيخ عمّا هو ممنوع سياسياً، عقدياً، اجتماعياً...... إلخ.

كانت الحلقات الأولى والثانية والثالثة هامة وأسست لتفاعلات وتموجات سلبية وإيجابية في الوسط الديني الشيعي إلى خارج حدود المملكة ومنطقة الخليج وتحديداً في إيران والعراق ولبنان، فأثارت ما يعرف بالمحافظين من الشيعة خاصة موضوع عدم سب الصحابة تحت ذريعة الحفاظ على المبادئ وعدم المساس بالعقيدة والدين، إلا أنها تركت ارتياحاً في وسط المعتدلين والواعين والمتنورين في قم والنجف خاصة.

أما حلقتاك الرابعة والخامسة ذاتا الطابع السياسي والحركي فالأكثر إثارة وسخونة لدى من خاضوا التجربة عن قرب أو عن بعد في العقود الثلاثة الماضية. وفيهم من عاتب وتحامل، وفيهم من قبل ورحب، وعدّ ذلك توثيقاً وإن كان ناقصاً.

عن أحداث ١٤٠٠هـ في القطيف وعن حقبة إقامة الشيخ خارج الوطن وعن تفاصيل عودته ورفاقه. أجابك الشيخ بإجابات مقتضبة جداً لهذه المواضيع، ولي وآخرين على سماحته مأخذ لاختزاله تلك الحقبة واختصار الإجابات. وإن كنت ألتمس له العذر وظني أنه لا يمكن أن يجيب أكثر مما أجاب والله أعلم.

وقد بيّنت المكاشفات والردود المؤيدة أو المخالفة أن هناك فجوة وتبايناً بين السنة والشيعة يمكن أن تعالج بإيجابية إن شاء المتباينون. أو تشنج و سلبية إن شاؤوا أيضاً.

ينبغي أولاً تشخيص نقاط التباين ووضع أسس لحلها عبر حوار مذهبي واضح وصريح من قبل المعنيين للوصول إلى تقارب وتوادّ على قواعد سليمة وليس لأجل تسنن شيعة أو تشيع سنة.

وهذا يتم عبر إنشاء مركز حوار وطني بمبادرة ودعم من الدولة ورجال الخير، وذلك لتفعيل الحوار بين السنة والشيعة في هذا الوطن لعقد الندوات ونشر الكتابات المشتركة وتطوير المشاريع الداعمة.

تلك مقدمة وخواطر تعقيبيه لأصل حلقات المكاشفات ولي هنا تعليقات أرجو التمكن من اختصارها:

نداء

١ - أستاذ عبد العزيز قاسم/ وكل الإخوة المهتمين بالشأن الإسلامي والدعوة والمتابعين للشأن الشيعي خاصة.. رجاؤنا منكم وبعنوان المصلحة العليا للإسلام

والعقيدة والوطن والمواطنين أن تكونوا أكثر حرصاً (وأنتم حريصون) وأكثر إدراكاً (وأنتم مدركون) وأكثر وأكثر وأكثر.. أن تتجاوزوا بعض العقد والإثارات التي أكل الدهر عليها وشرب ولا تستحق السؤال كموضوع:

- تحريف القرآن. وأين التحريف الذين يدعون ومَن مِن علماء الشيعة أو زعمائهم المعاصرين اليوم يقول به، بل على العكس تماماً.

- مصحف فاطمة. وأين هو واللهم لا كتاب إلا ما بين الدفتين، ومن لديه غير ذلك فليأتِ به.

- سبّ الصحابة. وبعيداً عما هو مكتوب في كتب التراث الشيعي من إساءات لبعض الصحابة فلا أحد اليوم من مراجع الشيعة وزعمائهم يعلن السب والشتم وهو مرفوض.. أما إذا مارسه أحد من الناس فلا يعدو عن الجهل والمنفعة الشخصية، ولكن لنا أن ندرك أن من بدأ سبّ الصحابة في التاريخ هم بنو أمية بشتمهم من على المنابر للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والصحيح ألاّ يزر أحد وزر غيره.

أما التقية وما أدراك ما التقية؟ فإن تحذر الشيعي في أمر بسبب الظلم الواقع أو ارتأى المحافظة على وحدة التجمع فالتزم الجماعة قيل إنها تقية وينبذ بها وإذا ما جاهر الشيعي حتى بصلاته تارة، دون أن يمارس التقية المزعومة قيل إنه رافضي ومنشق عن صف المسلمين، فإنها الحيرة والله، ونشاهد اليوم من علماء وعموم السنة ممارستهم على أرض الواقع للتقية أشد من ممارسة الشيعة لها!!.

- وكتاب الكافي والإمامة والخلافة والمهدي المنتظر وزيارة القبور والسجود على التربة وهذه على سبيل المثال لا الحصر... ولسنا هنا في مورد السجال.

تجاوزوها يرعاكم الله فلدى الشيعة على السنة من المآخذ مثلها وأكثر، ولو قلتم لقلنا إلى أن يأتي الفجر ثم تعودوا ونعود.

وحاضرة أمامنا وحدة أوروبا شاهدة علينا بعد أن نبذت خلافاتها وأنهت حقبة الحروب الدامية الطاحنة بينها، فنهضت وهي على غير دين وعلى غير لغة وعلى غير قومية وعرق..

ها هي اليوم قلب واحد، ونظام واحد، وعملة واحدة، وحدود خارجية واحدة، لا نزال نشهد كل يوم مزيداً من الوحدة والاندماج وتجاوز المشكلات.

وعلى مقربة منا لبنان وطوائفه الذين اختلفوا واقتتلوا لأكثر من ١٧ سنة فقدمت كل طائفة أسمى ما عندها من غالٍ ونفيس من مال وجاه ورجال ظناً منها أنها الحق وأنها سوف تنتصر ثم ماذا؟؟ توصلوا إلى ما لم نتوصل إليه نحن لغاية اللحظة، فكان عليهم التعايش وقبول الآخر ومسالمة بعضهم بعضاً وإقرار كل منهم للآخر بما هو وما فيه وما عليه.

ويخشى من تكرار ذلك فلا تكتشف الحقيقة إلا بعد فوات الأوان فاعتبروا يا أولي الألباب.

إن الخطر المحدق بالأمة والظروف الصعبة التي تعيشها أكبر من مزاعم خطر التقية والتحريف المزعوم للقرآن ومصحف فاطمة الموهوم وإشكالات على كتاب الكافي وغيره.

وإن التحدي اليوم أكبر من اهتمامات ضيقة الأفق بعنوان التوحيد تارة والحرص على العقيدة تارة أخرى، وكأن التوحيد والحرص على العقيدة وقف لتلك الفئة من الأمة هي الولية والوصية والحامية لحمى الدين دون غيرها.

في لقاء عدد من أعيان القطيف بمعالي وزير العدل الشيخ الدكتور عبد الله آل الشيخ قبل أشهر لمتابعة أمور تخص المحكمة الجعفرية بالقطيف قال بالحرف الواحد: «يا إخوان إن الخطر القادم على أبناء المسلمين سنة وشيعة أكبر مما نتصوره» وتحدث بلغة قريبة من لغة الأرقام على ذلك الخطر، ليس هنا مكان ذكرها، ثم دعا الوزير إلى الاهتمام بالشأن الإسلامي العام والتعاون لحفظ أبناء المسلمين وضرورة تمسكهم بالإسلام. وخيراً دعا رعاه الله.

لمن الولاء والانتماء

٢ - بالنسبة للسؤال الذي عنونته (بالأهم: الولاء والانتماء) في هذا كلام كثير، ولدى الشيعة عشرات الشواهد التاريخية والراهنة على ولائهم وحبهم لوطنهم ليس هنا محل لذكرها. ولا أدل على ذلك من صمودهم وإقامة أفراحهم في مناطق تواجدهم بالمنطقة الشرقية تحت مفرقعات حرب الخليج الثانية. ولا يقبل من أي كان أن يضع الشيعة في مثل هذه الاتهامات، وقد شهد لهم ولاة الأمر قبل أي أحد بولائهم لوطنهم الغالي.

وشبيه بذلك الرأي حول علاقة الشيعة مع الأمريكان.

وإذا كان من إشارة صريحة أقول: في الوقت الذي كان الشيعة في لبنان وإيران في العقود المنصرمة يسلون سيوفهم على الأمريكان كأعداء للأمة كانت سيوف الآخرين في أغمادها إلى أن أصبح ابن لادن وأتباعه بقدرة قادر العدو الأول لأمريكا بعد أن كان في الأحضان!! مقاوماً للمد الشيوعي المناهض لأمريكا!

ولا يزال الشيعة في لبنان وسيبقون هم الشوكة في عنق الأمريكان.

وأجزم أن الشيعة في المملكة لا ولن يقبلوا بالأمريكان، ولا أدل على ذلك من بيان الشيخ الصفار الذي أشرت أنت إليه في مقدمة المكاشفة الأولى.

وإذا كان أحد من الشيعة لديه علاقة مع الأمريكان غير مرضي عنها فإن هناك أيضاً من السنة من لديه مثل تلك العلاقة، فلا ينبغي التعميم على من ينتمي له هذا الشيعي أو ذلك السني. فذلك إسقاط وإقحام.

ولست مدافعاً عن علاقة الشيعة في العراق مع الأمريكان إلا أن ظلم صدام وزمرته هو الذي أوصل الشيعة هناك للعلاقة مع الأمريكان للخلاص من كابوس القهر والضيم. وبالمناسبة ليسوا هم وحدهم من لديه علاقة مع أمريكا فكل الأطراف بشكل أو بآخر تتعاطى مع الشأن الأمريكي في العراق.

ومن الأجدر أن تكون هناك قراءة موضوعية لمشكلات الأقليات في البلاد الإسلامية وإيجاد الحلول المناسبة لتفويت الفرصة على الأعداء وتهشيم تلك المخاوف والتوجسات بالحلول الجذرية للمشكلات لا بالهروب إلى الأمام عنها ولا بإلقاء التهم جزافاً.

وكل ما يمكن قوله لكل النفعيين في هذين الموضعين (الولاء للوطن) و(العلاقة مع الأمريكان) هو الكف عن المزايدات والتهريج من هنا وهناك وذا وذاك.

وقد أعنت الشيخ

٣ - أراك قد أعنت الشيخ على التهرب من بعض الإجابات على أسئلتك المهمة، لعل أهمها في نظري المكاشفة الرابعة حينما سألته عن بعض شيوخ الصحوة فأجابك على سؤال سابق ثم غفلتم عنه، وليته أجابك لكي يكفيني عبء هذا التعليق.

فصاحب مذكرة واقع الرافضة (وهو مصطلح تنابزي يطلق على الشيعة) في بلاد التوحيد المطبوعة والموزعة قبل ١٥ سنة - وهي مذكرة تحريضية - لم يدخر استغاثة إلا استغاث بها مستنهضاً، ولم يدخر حكماً قاسياً إلا أصدره حتى في أرزاق الناس مطالباً بطرد المواطنين الشيعة من وظائفهم بعد أن أجهد نفسه في إحصائهم فرداً فرداً وعدّهم عدًا في مؤسسات الدولة وفي الشركات الأهلية!!

وشيخ آخر ورأيه المعلن في استكثاره على شيعة المملكة أنهم يولدون ويموتون وهم شيعة وأن هذا يكفيهم إن لم يكن كثيراً عليهم في ظنه ولا حق لهم في هذه الدنيا وهذا الوطن.

وبقي عليك أن تسأل الشيخ الصفار عن الشيخ (المعاصر) صاحب الفتوى بل الفتاوى الشهيرة بإباحة دم الشيعة وجواز قتلهم زيادة على النهي عن مصافحتهم وعن السلام عليهم أو رده؛ لأنهم في عداد غير المسلمين، وإذا أراد أحدهم التهرب من تكفيره للشيعة فيواري (ويتقي) ويقول إنهم يقومون بأعمال كفرية مؤداها للكفر!!.

كل تلك أمام مرأى ومسمع الجميع ولم يحرك أحدٌ ساكناً مخالفين ولاة الأمر وما هو معلن وصريح وصحيح من أن المملكة العربية السعودية بدءًا من عهد المؤسس عبد العزيز - رحمه الله - وإلى اليوم هي الدولة الوحيدة في العالم التي جميع مواطنيها مسلمون، ولا ديانة أخرى في هذا الوطن إلا الإسلام.

تلك الممارسات لا تنتج ولا تورث إلا الخصومة والتباغض والضغينة والنزاع بين المواطنين وهي تبديد للعدل والمساواة وانعدام الأمن والسلم في المجتمع.

أدعوهم هدانا الله وإياهم وسائر المسلمين إلى أن يعيدوا النظر ويتساءلون فيما هم فيه سيما في إصدار الفتاوى والأحكام التعسفية كما أعادوا النظر في مسالك وآراء أخرى سلكوها ورأوها.

مقارنة

٤ - أستاذ عبد العزيز ومن خلال المكاشفات والردود عليها لاحظ وقارن المفردات التي يطلقها الشيخ ولاحظ المفردات التي يطلقها المريدون والمعارضون في ردودهم لنستخلص أن:

منهم من يدعو لوحدة الأمة مقابل دعاة التفرقة باسم التوحيد، يدعو ويعمل للانتماء الوطني كجزء من الإيمان مقابل تشتيت الجهود وإضاعتها هنا وهناك، ويدعو إلى المحبة والتسامح الوطني مقابل حملة السلاح ضد الوطن، يدعو لإزالة التوتر الطائفي مقابل حرائق الفتن باسم العقيدة، يدعو إلى علاقة أفضل حتى مع السلفيين مقابل تلك التحفظات التي لا مسوغ لها. يدعو لتجريم ثقافة التحريض والكراهية مقابل من يسعى لبثها وممارستها حتى وصل الحال لناشئ لم يبلغ بعد أن يصدر حكماً بأمر أستاذه في أحد ثانويات المنطقة الشرقية مفادها إباحة دم الشيعة، ومقابل الدعوة للتعددية وللحوار وإلى كلمة سواء هناك الدعوة إلى فرض الرأي الأحادي. وهناك من ينادي الآخر المخالف له بالسيد والشيخ مقابل من ينادي المخالف له حافاً مجرداً مستكثراً عليه لقباً يكرمه به قومه وإن كان سيداً فيهم ومحترماً، وهذا يخالف رسالة الإسلام في احترام كل عزيز في قومه، والأمة التي لا تحترم بعضها ولا الآخرين ينبغي ألا تتوقع إلا المهانة من باقي الأمم..

هناك من يدعو لأموات غيره من المسلمين بالرحمة مقابل من لا يجيز الترحم على غير فئة من المسلمين. وهناك من يمد يد المصافحة والتعاون مقابل من يستكثر رد السلام علاوة على السلام على اعتبار أن هؤلاء غير مسلمين.

يجري هذا في بلادنا بلاد التوحيد، نعم، ويا للأسف، نعم.

من الردود الإيجابية

٥ - لا بد من الإشارة إلى أن الردود السلبية التي وردت ونشرت قابلتها ردود إيجابية وعاقلة ومعتدلة من أقلام ذات غيرة وطنية وحرصاً على مصلحة الإسلام لا يمكن إلا أن تحترم، وهي موضع تقدير في وسطنا الشيعي لا بل الوطني.

خاصة أول تلك المبادرات مقالة د.عزيزة المانع في صحيفة عكاظ في عددها ١٣٩٣٩ في ١١/ رمضان/١٤٢٥هـ التي أكدت على ضرورة الإصغاء بعناية وتحكيم العقل لاستيعاب أبعاده العميقة والابتعاد عن بناء الأحقاد وبث روح الفتنة بين أبناء المجتمع الواحد.

أخي قاسم:

أول الطليعة

٦ - الشيخ حسن الصفار إنما هو ليس طليعة وحده في ميدان العمل، ودعواه بالأمس واليوم ليست فردية على الرغم من أن صياغة الأسئلة والإجابات كانت توحي بفردية الشيخ إلا أن التجربة سيما فيما يتعلق بالمرحلة من العام ١٤٠٠هـ وما قبلها قليلاً إلى ما بعد العودة في عامي (١٤١٣هـ - ١٤١٤هـ) إنما هي جهد وتعاون ونشاط واضح ومعلن ومكشوف للعيان قدر لي أن أكون جزءاً منه يعتز القائمون عليه ولا يتنكرون له ويعدّ الشيخ فيه رائداً.

وأختلف مع الشيخ الصفار في إجابته عن سؤالك: الصفار والثورة.

فما حدث هو نقمة على أوضاع صعبة مذهبية واقتصادية متراكمة منذ عشرات السنين، وهناك سعي حثيث الآن لمعالجتها.

ممارسة الطائفية من قبل ضعاف النفوس متراكمة قبل الثورة الإيرانية، وما كتاب الجبهان (تبديد الظلام وتنبيه النيام) إلا شاهداً. وهناك شواهد أخرى.

كان هناك فقر وتخلف في بلادنا العزيزة قبل ثورة إيران، إنما الثورة كانت عاملاً مساعداً لخروج شبيبة معبرين عن غضبهم وسخطهم على ما يجري، وثم تشنج الوضع لعقد ونيف من الزمان وفيه تفاصيل كثيرة ليس هنا مكان لذكرها إلى

أن أتت مبادرة كريمة من لدن خادم الحرمين الشريفين شخصياً ليضع حداً لتلك التشنجات وحسم الأمر بكل شجاعة ودعوة من هم في الخارج بعد أن استقبل ممثلين عنهم إلى العودة بأمن وأمان، وهذه تسجل في تاريخه أمد الله عمره. أتمها سمو ولي العهد حفظه الله بأكثر من لقاء خاص تبع ذلك لقاءات مع سمو الأمير نايف والأمير محمد بن فهد وأمراء آخرين ليتم تتويج عودة من هم في الخارج والبدء بسلام في صفحة جديدة نأمل أن تطوي الماضي ليستلهم منه الدروس والعبر.

نحن الآن في مرحلة حساسة وفي غاية الخطورة، والأمة في وضع لا تحسد عليه، والجميع معني ومسؤول للحفاظ على أي مكتسب من مكتسبات الأمة والوطن.

والأمة التي تعجز عن التحاور والتشاور الجاد والهادف بينها لن تستطيع النهوض والتقدم والتحضر وإن ادعت، ولا يرجى منها ولها إلا الخزي - معاذ الله.

الحوار اليوم بين الأمم والحضارات سمة من سمات العصر لتقليص الاختلافات والوصول إلى الأهداف الإنسانية النبيلة. وحري بإخوتنا السلفيين خاصة أن يعدلوا عن شروطهم التعجيزية للتحاور، وأن يتجاوزوا الخلافات الجانبية والهامشية، ويفوتوا الفرصة على الأعداء الذين ينخرون بالأمة ويكيدون بالمسلمين، فلا يمكن وألف لا يمكن للأمة أن تكون على منهج أهل السنة والجماعة!.

وأخيراً وليس آخراً أدعو - ومن خلال هذه الأسطر - حكومتنا الرشيدة وشخص صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد - حفظه الله - إلى دعوة علنية وصريحة لمؤتمر حوار بين المذاهب على غرار مؤتمر الحوار الوطني وغيره بمشاركة كل المذاهب القائمة بالمملكة، وتجاوز فردية المذهب الواحد أو المذاهب الأربعة، ففي المملكة مذهب خامس هو الجعفري، ومذهب سادس هو الإسماعيلي ليسا بدعاً ولا نكرات، لهم ثقلهم السكاني والجغرافي وتاريخهم العريق. ولهم إسهاماتهم بمقدار ما أتيحت لهم الفرص في بناء ووحدة هذا الوطن.

إن الدول الأخرى التي عقدت مؤتمرات بهذا العنوان ليست أولى من المملكة في دعوتها تلك كما أنها ليست الأكثر حاجة.

وإن التعددية المذهبية والعرقية لهي عامل قوة للوطن والأمة، وهي مصدر فخر واعتزاز إذا ما أحسنت الاستفادة منه، أما والحال الذي ندركه الآن فهي من عوامل التشرذم لطالما هناك سوء توظيف لهذه الحالة. نتضرع إلى الله أن يجمع ويوحد كلمة المسلمين تحت راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

*****

الدكتور محمد علي الهرفي(*):

مع حسن الصفار في مكاشفاته(**)

أحسب أن عبدالعزيز قاسم من الكفاءات الصحفية المتميزة، هذه الكفاءة جعلت (الرسالة) التي تولى عبء الإشراف عليها ذات طابع متميز، وأحسب أن (المدينة) لا يمكن لها أن تكون شيئاً دون (الرسالة) التي حملتها.. السيد عبدالعزيز يتحفنا بين الحين والآخر ببعض المكاشفات الجيدة، وآخر ما قرأت من مكاشفاته تلك المكاشفة التي أجراها مع الشيخ حسن الصفّار، وفي هذه المكاشفات نقاط تستحق الوقوف عندها، ولأن هذه النقاط كثيرة فإنني سأختار بعضها بحسب أهميتها من وجهة نظري.. وفق عبدالعزيز في اختيار الشيخ حسن الصفار؛ فهو شخصية اجتماعية معروفة ومتميزة، وله طروحات ينبغي الوقوف عندها وكثير منها يتجه لتقوية الوحدة الوطنية وإزالة ما يمكن إزالته من الفوارق بين الطائفتين السنية والشيعية وله كتابات كثيرة في هذه الموضوعات أحسب أننا بحاجة ماسة لمثلها في هذه الأيام.. من النقاط التي تحدث فيها الشيخ قضية الولاءات والانتماءات وما يثار من حديث حولها، وأن الشيعة في بلادنا يتجه ولاؤهم للخارج بسبب الحالة التي يعانونها.. الشيخ أوضح أن هذه المسألة تدخل في نطاق الإساءة للطائفة الشيعية، وذكر أن بعض الأفراد قد يوالون غير بلادهم من الطائفتين وهنا يجب عدم التعميم والاكتفاء بذكر الأشخاص فقط. لعلي هنا أتفق مع الشيخ وأؤكد أن

(*) أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(**) صحيفة الوطن، العدد ١٥٢٣ السنة الخامسة، الثلاثاء ١٨ شوال ١٤٢٥هـ - ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٤م.

أعداء بلادنا يستغلون كل ثغرة تتاح لهم لاختراق حصوننا والدخول معها للوصول إلى أهدافهم السيئة، وهنا لا يفرق هؤلاء الأعداء بين طائفة وأخرى، فالمهم حصولهم على مآربهم ثم يضربون الجميع، فالذي يخون وطنه لا يستحق الاحترام حتى من الذين خان وطنه من أجلهم. وأمامنا ظاهرة أفغانستان والعراق، فالذين تعاونوا مع الاحتلال الأمريكي في كلا البلدين كانوا من جميع الطوائف، وعندما تمكن العدو من بلادهم ضربهم جميعاً وأبقى على من يتماشى مع رغباته ويحقق له أهدافه. إن كل فرد ينبغي أن يدرك وبوضوح شديد أن التعاون مع العدو لن يحقق له شيئاً غير الاحتلال والدمار، وأن الإصلاح يجب أن يكون بإرادة المواطنين ومنهم وحسب عقائدهم.. ومن هنا فإنني أحيي الشيخ حسن عندما أكد على هذه المسألة بصورة عملية في بيانه الذي أصدره رداً على ادعاء الأمريكان بوجود تفرقة دينية في المملكة، وأحسبهم يعنون بهذا البيان الطائفة الشيعية، وذكر صراحة أنهم لا يعانون أي لون من التفرقة وإذا حصل شيء من هذا فإنهم سيبحثونه مع حكومتهم وليسوا بحاجة إلى الآخرين لتحقيق أهدافهم..

وفي هذا السياق فإنني أستغرب حديث السيد علي الأحمد الذي ألقاه أمام لجنة في الكونجرس الأمريكي وطالب فيه الأمريكان بالتدخل في بلاده لحل مشكلاتها حسب فهمه مركزاً على التفرقة الدينية. وأعجب من طريقة طرحه وهو يرى أكثر من سواه ما فعله الأمريكان في العراق، وكيف يمارسون الإبادة الجماعية في الفلوجة، فهل يتوقع من أمثال هؤلاء أن يحققوا له شيئاً؟ وهل هذا هو الطريق للإصلاح؟ الشيخ حسن قالها صراحة: "أريد أن أقول وأعلنها بصوت واضح لكل المسلمين ولكل أبناء المنطقة بمختلف اتجاهاتهم بأن المراهنة على الأمريكيين مراهنة على سراب". ثم ذكر الشيخ - وفقه الله - أن من واجب الحكومات العربية أن تبادر لكسب شعوبها وأنها لن تصل إلى ذلك دون إصلاحات شاملة تجعلها مع شعوبها في

خندق واحد، وهي إن لم تفعل ذلك فستقدم خدمة جليلة للأمريكان ولكل أعداء الأمة أكثر مما يقدمه أي شخص آخر.. نقطة أخرى تستحق الوقوف عندها وهي مسألة التحريض الذي يمارسه بعض الأشخاص من الفئتين ضد الفئة الأخرى.. الشيخ وقف عند هذه النقطة طويلاً وأحسبه محقاً في هذه الوقفة، فمجتمعنا لا يتحمل هذه الأفعال، وهو في ظرف أحوج ما يكون فيه إلى الالتحام والوفاق. أعرف - كغيري - أن هناك نقاط اختلاف بين السنة والشيعة، وأعرف أن هذا الاختلاف سيبقى إلى قيام الساعة، وأعرف أنه لم يظهر الآن ولهذا كله أحسب أن المصلحة أن يتجاوز الجميع هذه النقاط ويبحثوا عن نقاط الالتقاء وهي كثيرة جداً، وإذا كان هناك أفراد من الطائفتين يرون استحالة تجاوز نقاط الاختلاف فإن هناك أعداداً لا ترى ما يرى أولئك، ولديها من التفاؤل بتحقيق أكبر قدر ممكن من التلاحم الذي يخدم الوطن بأفراده كافة. نقاط الالتقاء تحدث عنها الشيخ كثيراً كما تطرق مع مكاشفه عن نقاط الاختلاف وأبدى رأيه فيها. ومرة أخرى لا أجد من المناسب في مقال كهذا أن أقف عند تلك النقاط وعليّ أن أقول إن المصلحة المشتركة أن نوقف استعداء كل طرف على الآخر، ومن هنا فإنني أستغرب - مثلاً - من هيئة الإغاثة أن تصدر كتاباً تكفر فيه الشيعة، كما أستغرب من صحيفة سعودية أن تنشر مقالاً لأحدهم يرى فيه استحالة الانتصار على الأمريكان ما دام فيهم مبتدعة وخارجون على الدين، ويضرب مثلاً لذلك بالشيعة والبعثيين.. وفي الوقت نفسه يجب أن يوقف معتدلو الشيعة كل الأصوات النشاز التي تكفر السنة أو رموزهم. هذه الأصوات لا تحقق للوطن إلا الإساءة والتفرقة.. لقد أعجبت بما قاله الشيخ في قناة (الأوائل) وهو يشبه المسلمين عموماً بأنهم يعيشون في بيت واحد فيه حجرات بعضها يسكنها شيعة وأخرى يسكنها سنة. وقال: لا أرى مانعاً أن يخرج أحد ساكني هذه الحجرة ليدخل في الحجرة الأخرى.. أي إنه قال بطريقة أكثر وضوحاً: إنه لا

يرى مانعاً أن يتحول الشيعي إلى سني والعكس ما دام الجميع يعيشون تحت لواء الإسلام.. تمنى الشيخ كثيراً أن يكون هناك لقاءات وحوارات بين مختلف المذاهب، وأن يتولى العلماء والمثقفون هذه المسألة ليفهم كل طرف الآخر على حقيقته، ومن ثم يستطيع التعايش معه بصورة صحيحة بعيداً عما يسمعه كل طرف عن الآخر إما من خلال كتب لا يتفق الجميع على صحتها أو من خلال إشاعات لا تهدف إلى مصلحة أحد. وأجد أن هذا الطرح في غاية الموضوعية وينبغي على علمائنا أن يبادروا إلى تفعيله فتكثر لقاءاتهم مع الآخرين، وليتحدثوا بكل صراحة عما يجول في خواطرهم، فهم يعيشون في بلد واحد ولا ينبغي أن يحمل أبناء هذا البلد عداء لبعضهم بعضاً ما دامت هناك فرصٌ حقيقية للتفاهم والتعايش.. هناك نقاط كثيرة جاءت في هذه المكاشفات ولكن ضيق المساحة يمنع من تناولها.. ويكفي أن أقول إن الهدف الأسمى الذي يجب أن يسعى إليه كل فرد هو العمل على تقوية وحدتنا الوطنية تحت مظلة الإسلام، وأن نبتعد عن الفرقة والاختلاف، فهما أول طريق يوقعنا في ذل الضعف والعبودية للأعداء.. الخلاف سيبقى ولكنه يجب أن ينحصر في أضيق الأماكن، والخلاف ليس مشكلة فهو موجود بين كل طوائف الدنيا وأفرادها وموجود بين العائلة الواحدة. المهم أن نجعل منه عامل قوة وليس عامل ضعف، فالتنوع قد يكون طريقاً للقوة والتلاحم والبناء.. هل يمكن أن نفكر بهذه الطريقة؟ دعونا نجرب.

*****

د.سهيل بن حسن قاضي(*):

لصحيفة (المدينة) رسالة(**)

تحرص بعض الصحف المحلية على لفت انتباه القارئ من خلال بعض العناوين المثيرة، ثم سرعان ما يكتشف القارئ أن المضمون مختلف نسبياً أو كلياً. ولعل عنوان هذه المقالة أحد هذه العناوين التي أشرت إليها، حيث إن رسالة صحيفة المدينة عظيمة وجليلة يصعب الحديث عنها عبر هذه السطور، ولكنني أردت أن أزجي الشكر والتقدير لصحيفة المدينة الغراء وملاحقها اليومية والأسبوعية وبالأخص (الرسالة) التي تستحق تقدير كل منصف، فصفحاتها الثماني بدءاً من منبر الرسالة على الصفحة الأولى حتى الصفحة الأخيرة المشتملة على (نص وتعليق) والزوايا الثابتة: قبل الطبع، عيون، بارقة، أفق، وملامح إضافة إلى قضية الأسبوع وندوة الأسبوع. أو المكاشفات التي حملتها الرسالة على مدى أربعة أسابيع.. تدلل بحق على أن الرسالة إسلامية المنهج وعصرية الطرح بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى.

وأريد اليوم أن أتوقف قليلاً مع ضيف جريدة المدينة فضيلة الشيخ حسن الصفار والحوار الساخن الذي أجراه معه الأستاذ الكريم عبدالعزيز قاسم وكان من أبرز ما قاله الشيخ الصفار: «مستعدون لميثاق شرف إسلامي نتجاوز به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية ونؤكد فيه على وحدة الأمة وعلى مرجعية الكتاب

(*) أكاديمي ومدير جامعة أم القرى السابق.

(**) المدينة: صحيفة يومية تصدر عن دار المدينة للطباعة والنشر، العدد ١٥٢٠٣ السنة السبعون، الثلاثاء ٢٥/١٠/١٤٢٥هـ - ٧/١٢/٢٠٠٤م.

والسنة»، وقال: «يجب أن نبدأ بإيقاف الإثارة لكل الترسبات عبر وقف التعبئة والتعبئة المضادة، وتجريم ثقافة التحريض على الكراهية». ومن أبرز ما قاله: «أراهن على الجيل الواعي من العلماء والدعاة في الصحوة الإسلامية والاتجاه السلفي بأن إدراكهم للتحديات الخطيرة يجعلهم أكثر مرونة تجاه الآخرين».

أحسب أن الشيخ الصفار قد وضع النقاط على الحروف، وأزال عن الأذهان كل ما علق في السابق بكل صدق وموضوعية، ولوحظ على الشيخ الصفار تمسكه الثابت فيما أبداه من آراء، وهذا ما أكده رفاقه في الحوار الوطني الذي شارك فيه الشيخ الصفار بكل فعالية، ولقي هذا الأمر ترحيب كل الأوساط، راجياً أن نقطف ثمار هذا التقارب عبر الأطروحات التي عرضها في الحوار الوطني ولقاءات جريدة المدينة ممثلة في ملحقها (الرسالة) والمؤمل أن توضع هذه الأطروحات موضوع التنفيذ.

إن ما ذكر آنفاً يقودنا إلى التساؤل: هل نملك بالفعل الإرادة للتعايش؟

قال أحد الأئمة (صلاح شأن الناس التعايش): لدينا مجتمعات عديدة كان بعضها ومازال مضرباً للمثل في عملية التعايش والانصهار في المجتمع في مقدمة هذه الدول أكبر دولة في العالم وهي الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى المستوى العربي كان لبنان أنموذجاً للتعايش قبل أن ينجح الشيطان في منتصف السبعينيات ليقوض كل ما بني في السابق.

وفي هذا السياق فقد كنت في زيارة لدار الساقي ببيروت في العام الماضي فجاءت سيدة تسأل عن كتاب التنوع والتعايش للشيخ حسن الصفار وهو بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية، فطلبت من مسؤول المبيعات أن يزودني أيضاً بهذا الكتاب، فقال الرجل: لقد جاءت هذه السيدة يوم أمس تسأل عن كتاب شخصية المرأة للشيخ الصفار. وزودناها بطلبها وأفدناها أن للمؤلف كتاباً آخر في

التنوع والتعايش فقالت: لست مهتمة بهذا الأمر، فإذا بها تجيء اليوم وهي ترغب في الحصول على مجموعة من النسخ بغرض الإهداء. لقد تسنى لي الاطلاع على كتاب شخصية المرأة وعلى كتاب التنوع والتعايش، وسعدت بالطرح الجيد والفكر المستنير بدءاً من شرحه التنوع كظاهرة كونية اجتماعية بأنواعه من تنوع عرقي ولغـوي وديني وقـومي إلى الرؤية الإسـلامـيـة التي طرحـهـا المؤلف عن التنوع والاختلاف والتي وفق في شرحها أيما توفيق زاده الله حكماً وعلماً، إلى أن انتهى في خاتمة الكتاب بكيفية الانتقال من زمن التعصب إلى زمن التعايش، وهو موضوع يحسن إثارته ومناقشته في المرات القادمة. ولا بد أن نرجع الفضل لأهله ولكل من أسهم في تعريفنا بالشيخ حسن الصفار في مقدمة هؤلاء مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، وصحيفة المدينة الغراء، ثم لقاء في منزل الأستاذ محمد سعيد طيب وآخر في منزل الأستاذ عبدالمقصود خوجة وبعض من كتبه التي تسنى لي الاطلاع عليها. والحديث موصول.

*****

د. محمد رزق الطرهوني(*):

ملف السنة والشيعة لن يغلق(**)

أحب أن نتكلم عن نقاط جوهرية تتعلق بفتح هذا الملف الساخن الذي نعلم علم اليقين من خلال دراستنا الشرعية ومن ضمنها دراسة تفاسير الشيعة ومعتقداتهم من كتبهم وأقوال أئمتهم أنه لن يغلق مع محدودية فائدته فأقول:

أولاً: لقد مضى على الخلاف بين أهل السنة والشيعة أربعة عشر قرناً كان فيها أئمة من أهل السنة أفضل وأعلم وأتقى وأكرم على الله وأكثر إنصافاً وحباً لاجتماع كلمة المسلمين ونبذ الفرقة والشقاق من كل من ينادي بالتقارب والتعايش والتآلف من صغار زماننا وفيها أئمة من طائفة الشيعة وأساطين علم في دينهم هم أعلم وأفهم وأتقن لدينهم من أمثال الصفار ومن قد يوافقه، ولكن لم يحدث شيء من ذلك؛ لأن الجميع كان يعرف الحقيقة ويعلم أنه لا يوجد نقطة اتفاق يمكن أن ينطلق منها الحوار أساساً كما سيظهر مما نسوقه.

ثانياً: الصفار واحد من مئات مثله وهذه القضايا مصيرية تتحدث عن أمتين متباينتين ولا يمكن لفرد أن يتكلم باسم أمته ولم تخوله الأمة حتى وإن كان يمثل مرجعية علمية وكلنا نعلم الصراع الكبير بين السيستاني الذي يمثل مرجعية للصفار وأمثاله والصدر وأنصاره، وهم أبناء طائفة واحدة.

(*) أستاذ علوم القرآن بالمدينة المنورة.

(**) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ٥ ذي القعدة ١٤٢٥هـ - ١٧ ديسمبر ٢٠٠٤م.

والصفار نفسه ربما كان مرفوضاً من بعض أبناء جلدته، وما فتوى أحد كبار مرجعياتهم التي أقر بها في مكاشفاته الحلقة الرابعة وهو الخوئي بخافية على المطلعين.

رابعاً: قد يخالف فرد من الأفراد جماعته ويخرج عن طريقها وهذا لا يعني أنه ما زال منتمياً إليها، والعبرة في معرفة منهج وفكر وعقيدة طائفة كلام علمائها المعتمدين ومؤلفاتهم المشهورة، وكم من رجل ينسب زوراً وبهتاناً لأهل السنة، وأهل السنة منه براء حيث خالف منهجهم وكلام علمائهم وما قضايا الأزهر ومحاكمته لبعض الكتاب من المنتسبين إليه الذين عبثوا في دين الله ببعيدة ولو صح ما ادعاه الصفار في قضايا عدة فهو ربما سيكون مارقاً خارجاً عن دين الشيعة.

خامساً: محاولة التمسح بأن الدافع للصفار وأمثاله الوطنية ومصلحة أبناء الأمة والاستجابة لدعوات ولاة الأمر هي محاولة ربما تكون فاشلة يكذبها الواقع الأليم، فعلى شبكة الإنترنت يوجد موقع طائفي يسمى شبكة راصد الإخبارية يعرفه الصفار جيداً وفيه من الطعن في ولاة الأمر الشيء الكثير، وفيه نشر لأفكار المجرمين أمثال علي الأحمد وتلميع له وثناء عليه إلى غير ذلك من الفضائح المخزية، ولو كانت مثل هذه المقالات للطعن في أئمتهم أو مرجعيتهم لحذفت تلك المشاركات فوراً.

وقد قام ولاة الأمر مشكورين بحجب هذا الموقع الفاسد المفسد عن أبناء المملكة حتى لا يخرب عليهم دينهم ويمكن لأهل العلم الاطلاع على طوامه لمعرفة الحقيقة المرة عن طريق بعض البرامج.

سادساً: إن كلمة مكاشفات تستلزم من الشخص أن يكشف لنا عن حقيقته، ويستلزم ذلك أيضاً أن يكون ذا مصداقية لدينا، ولكن للأسف نجد أن الصفار يقرر ويؤكد على صحة مذهب التقية وأنه يدين به ويستدل له بأدلة كبيت العنكبوت ضعفاً ووهاء وبناء عليه كيف يمكن لنا أن نأمن أن يكون كل أو جل ما ذكره إنما هو

من باب التقية في دولةٍ الزمام فيها للأعداء أهل السنة كما هو منهج الشيعة المؤكد وديدنهم الدائم، وهذا ما فهمه أبناء طائفته ممن علق على مكاشفاته في موقع راصد المشار إليه، وأنقل هنا تعليقاً من هذه التعليقات للاطلاع:

يقول أبو زينب من القطيف:

الشيخ الصفار هو من الناس الذين يؤمنون بأنه بمجاملتهم إلى الوهابيين على حساب أبناء مذهبهم سوف ينالون حقوقهم السياسية والاقتصادية، وهذا ما لم ولن يحصل! انتهى.

لذا فإنه لا يمكن أن تؤخذ هذه المكاشفات على محمل التصديق إلا إذا تنصل الصفار من عقيدته في التقية وأن المسلم الحق هو الذي يجهر بما يعتقد، فالحمد لله لا يوجد سيف مصلت على رقبته وهو يتحدث حتى يتعلل بالخوف على النفس من قول ما يعتقد.

سابعاً: إن للصفار دينًا وهذا الدين له علماؤه ومراجعه التي استقى منها الصفار عقائده وعباداته ومعاملاته، وقد ذكر منها طائفة في أثناء حديثه، ولذا فنحن سنناقش الصفار في دعاواه المزعومة من خلال كتب دينه المعتمدة وعلماء ملته المعتبرين؛ لنثبت أن ما بين العقيدتين كما بين المشرقين لا كما صوره هو إما تقية وإما مروقاً من عقيدته وتمهيداً لدخوله في عقيدة أهل السنة، ونحن نأمل الأخير وإن كانت جماعته تعرف أنه الأول.

إن هذه الوقفات سوف تكون حول مسائل محددة تطرق لها الصفار وحاول إظهار خلاف حقيقة مذهبه تجاهها، وهي الأصول التي تؤكد المفارقة بين العقيدتين ونجملها فيما يأتي:

القرآن

السنة

الصحابة

عقيدة الإمامية

الرافضة في بلاد أهل السنة وأهل السنة في بلاد الرافضة

ولا شك في أن بيان عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية قد قتلها العلماء بحثاً وفضحاً في مؤلفات كثيرة أشهرها مؤلفات العالم الرباني إحسان إلهي ظهير المقتول ظلماً الشهيد بإذن الله في مجلدات عدة، ومنها الكتاب الفاضح وجاء دور المجوس في مجلدين الذي انتشر انتشار النار في الهشيم، ومنها رسالة لطيفة لمحب الدين الخطيب تسمى الخطوط العريضة وهي مفيدة جداً ومختصرة، وكذا كتاب قراءة في عقيدة الشيعة الإمامية للشلهوب، ومن الرسائل الجامعية الجامعة رسالة الدكتوراة لفضيلة الدكتور ناصر القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد. وله أيضاً: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة.

ومن آخر ما كتب في ذلك مذكرة مركزة دقيقة كتبها فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن سعد الشثري يسّر الله نشرها.

كما توجد محاضرات ومناظرات من أواخر ذلك مناظرة قناة المستقلة التي أقيمت هذا العام وأظهرت عوار هذه العقيدة المشوهة كما يوجد شريط صوتي مسجل لمجموعة من علماء الشيعة في العراق والكويت والبحرين والمملكة فيه مقاطع صوتية لهم ينفثون فيه عقائدهم الباطلة ويشهد عليهم بإنكارهم للتقارب، ولعنهم لأبي بكر وعمر وتكفيرهم لهما وتسويتهم في إجابة الدعاء بين الله وآحاد آل البيت وغير ذلك.

هذا خلا مواقع الإنترنت المتخصصة في ذلك مثل منتديات السرداب وموقع البرهان وغيرها.

*****

د.سميرة عبد الله أحمد البيات(*) :

من وحي الحوار والمكاشفات القاسمية الصفارية(**)

طالعتنا جريدة المدينة الغراء بدءاً من تاريخ ١/١٠/٢٠٠٤م وعلى مدى حلقات خمس بحوار ماتع وجديد في نوعه على صحافتنا بين الصحفي اللامع عبد العزيز محمد قاسم وبين سماحة الشيخ الجليل حسن الصفار، وقد توقعت وأنا أطالع هذه السلسة الذهبية من الحديث أن أجد فيها هذا الزخم الكبير من الأفكار والموضوعات التي تطل برأسها من ثنايا كلمات كلا المتحاورين، فالصحفي يعي تماماً عواقب ما سيقدم عليه من عواصف وأعاصير ما بعد مواجهة الشيخ ولذا فقد راح يجيش جيشه ويحشد جنده ليضع معارضيه في خندقه نفسه ليدافعوا معه أو عنه، والشيخ رأى في ذلك فرصة لا تعوض لعرض معاناة أمة من الناس لا ذنب لهم إلا أنهم يختلفون في ممارسة بعض شعائرهم (مع وجود أدلة شرعية تؤيد هذه الممارسة وإن كانوا غير مطالبين بتقديمها) وهو يريد بهذا العرض أن يفرض واقعاً جديداً يستفيد منه أبناء طائفته، ويؤسس لسنة حميدة تضعهم في المكانة التي يراهم جديرين بها في مجتمعاتهم وبين أبناء وطنهم، فاختار يوم الزينة أقصد يوم مجلسه الأسبوعي، وأن يحشر الناس مساءً ليشهدوا مولداً جديداً لِلَبِنة تقوي جدار الأمة وتشد من عضده في مواجهة سهام الأعداء الطائشة التي تريد تمزيق وحدة أمتنا وتقسيمها إلى فرق وطوائف متناحرة.

(*) إخصائية طب الأسنان، وكاتبة سعودية من أخواتنا من طائفة الشيعة بالقطيف.

(**) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ٥/١١/١٤٢٥هـ - ١٧/١٢/٢٠٠٤م.

وفي البداية لا بد من التوقف أمام خطوة هذا الكاتب الكبير التي اختصر بها الألف ميل وأخذ بها زمام المبادرة، وحاز قصب السبق بين أقرانه من أبناء مهنته التي أعدها السلطة الرابعة بما لها من نفوذ وسطوة على أطياف المجتمع وتوجيه تياراته الفكرية المختلفة، بل وبناء رأي عام مؤثر في توجهات صانعي القرار. ولا يعني توقفي أمام تقديمه لمكاشفاته تقليلاً لجهده ولا تقليلاً من شأن حججه وبراهينه التي سأتعرض لها بالنقاش والتحليل، بل على العكس تماماً أقدر كل فكرة طرحها مهما سأختلف معها؛ لأنه كاتب واعٍ لهموم وطنه وعلل مجتمعه وأساليب تفكير رموزه الفكرية، وأرى أن كل ما ذكره ليس بالضرورة معبراً عن قناعاته الشخصية وإنما هو ككاتب لا بد من أن يقرأ رد فعل قرائه على ما سيكتب حتى لا يفاجأ به، كما أود الإشارة هنا إلى أن ما هو آت من تعليقي على عموده بجوار المكاشفة الأولى هو أكبر دليل على عمق وثراء ما طرح من أفكار بدليل أنها من وجهة نظري وضعت أيدينا على أمور كنا نعدها من الأمور غير المؤثرة، ومجرد تسليطه للضوء عليها وتفكيرنا فيها وجدنا أنها بالفعل مما ينطبق عليه قول معظم النار: من مستصغر الشرر. ودعوني أدخل مباشرة في صلب ما كتب في عموده بتاريخ ١ /١٠ /٢٠٠٤م. والحق أنني أريد أن أستطرد في تحليلي لما بين السطور ولا أريد أن أتوقف؛ فالموضوع أكبر من أن نمر عليه مرور الكرام، وهو ليس مجرد حوار مع أحد المواطنين في المجتمع، فكثير من الحوارات يمكن أن تعتبر أكثر إثارة من هذا الحوار (أقصد الإثارة بالمفاهيم الدارجة في الصحافة) سواء بسبب المتحاورين أو موضوع الحوار أو زمن الحوار ومناسبته التاريخية، لكن لأنها البداية، ولكون كلا الطرفين متحفزاً لفك رموز الاشتباك بين أبناء الأمة الناتج عن تراكم المداميك المذهبية المتمنعة بهدوء وسلام ودون حدوث أي أضرار قد تنتج من تساقط هذه المداميك على رؤوس من يحاولون ذلك، كان لا بد من أن يقدم كلا المتحاورين لنفسه

وللآخرين ما يكوِّن جدار حماية له من ردود الأفعال غير الموضوعية، أو بأسلوب آخر غير المتوقعة، والأمر بحق يستحق الحكمة في التعامل، فمعاول الهدم كثيرة، والأيدي التي تمسك بها أكثر، والموضوع عميق في جذوره التاريخية.

وليسمح لي المتحاوران أولاً بالغوص في أعماق الموضوع لسبر الحقيقة، لماذا هذا الحوار؟ إنني أرى أن الهدف الرئيس لهذا الحوار هو ما ذكره الأخ الفاضل والصحفي البارز في عموده وأشير لهذه الأهداف فيما يأتي:

الحوار استجابة لدعوات صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمين الأمير عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله. وأتساءل: هل كان هناك قرار من ولي العهد بمنع الحوار ثم وافق أخيراً على فتح باب الحوار؟ وهل نحن بحاجة إلى انتظار توجيه من ولي الأمر ليمارس كل مسؤول عمله على الوجه الصحيح؟ وهل نحن مقصرون لدرجة أخجلتنا من أنفسنا فرحنا نبحث عمن نلصق به هذا القصور؟ وهل هناك قوى خفية لها بأس شديد من صالحها منع هذا الحوار ونبحث عمن نحتمي فيه لنبرر هذا العمل؟ وهل كل حوار مع مخالف لنا في الرأي أو الفكر أو العقيدة يحتاج لهذه التبريرات؟

الحوار وسيلة لبناء مجتمع متماسك النسيج ومترابط البنيان. هذه حقيقة مهمة لا يختلف عليها، وأشكر الكاتب الكبير على إبرازها، هنا فالحوار معناه الحياة والتعايش ونشر الثقافة حتى لو لم نتّفق، فليس الهدف من الحوار هو الاتفاق الكامل والتطابق التام، فهذا ضد طبيعة الأشياء.

الحوار يهدف للبحث عن صوت معتدل بين الآخر الطائفي شريكنا في الوطن للوصول لأرضية مشتركة نتعايش من خلالها تحت مظلة الوطن الواحد. لعلي هنا يحق لي التساؤل: هل الآخر الطائفي في المجتمع كما يسميه الأخ الفاضل يقف على

قدم المساواة معه؟ وله من الصلاحيات والقرارات ما يمكنه من فرض أطروحاته وقيمه للتعايش؟ أم إن الهدف هو التعرف منه على ما يحتاجه ليكون مواطناً فاعلاً في مجتمعه ويعالج به سلبيته وتقصيره؟ إنني أشكر الكاتب على إثارة هذه النقطة المهمة فكلنا أمام العَلَم سواسية نلبس ثوباً رحيباً اسمه ثوب المواطنة الذي لا يفرق بين مواطن وآخر بسبب جنسه ولا لونه ولا طائفته المذهبية، ولا يعني ذلك أن لنا مطالب استثنائية بل على العكس من ذلك تماماً نطالب أن يكون نصيب كل مواطن من العَلَم مثل الآخر تماماً من غير تمييز.

الحوار وسيلة للتعامل مع اللعبة السياسية العالمية، وجدار عازل يمنع من الصدام مع عواقبها (يشير لتقرير لجنة الحريات بالكونجرس الأمريكي) أرجو أن لا يفهم بعض الناس أن المقصود بذكر هذا السبب أن هذا الأمر لم نشعر به حتى نبهنا إليه بيان الخارجية الأمريكية، كما أنني لا أعتقد أن الهدف من وراء هذا السبب هو تهدئة للخائفين لما سيترتب على مثل هذه الحوارات من نتائج قد تهدد مصالحهم وامتيازاتهم، بمعنى أنه مجرد انحناء أمام الريح ويبقى الأمر على ما هو عليه! وأرى أن الهدف من ذلك هو بيان أن ظروف التغيرات العالمية تدفعنا لإعادة النظر في ممارساتنا تجاه أنفسنا والآخرين، وهذا أمر رائع يدل على كوننا أحياء في هذا العالم نؤثر فيه ونتأثر به، كما أود الإشارة إلى أن التفاؤل الشديد بنتائج سريعة للحوار ليس أمراً موضوعياً، وإنما يجب علينا السعي والأخذ بالأسباب لعلاج الواقع والرقي به للأفضل.

الحوار وسيلة للتأصيل التاريخي الموضوعي للحراك السياسي في المجتمع وتأثير ظروف المجتمع على توجهات أفراده وتشكيل اتجاهاتهم. وتلك قضية أخرى على قدر كبير من الأهمية وإلقاء الضوء عليها بشكل موضوعي يساعد بدور كبير على علاج كثير من مشكلاتنا الاجتماعية بموضوعية ويجعلنا نضعها في مكانها

الصحيح فلا نحاسب أجيال اليوم على ظروف اضطرتهم لممارسات طبيعية كرد فعل لما تعرضوا له، وكذلك نلتمس العذر لمن يقع تحت تأثير هذه الظروف فيما يصدر منه. وأقول إننا بحق في حاجة ماسة لكتابة تاريخنا كما حدث لا كما يراد لأحداثه الماضية أن تكون تجملاً أو تطرفاً.

والذي أراه في مثل ظروف مجتمعنا أن الهدف الرئيس للحوار هو التعرف على الآخر والعوامل التي أثرت في نشأته وعلاقة ذلك بظروف مجتمعه بصفة عامة ومنهجه الفكري وتوضيح ما يثار حول مذهبه الذي يدين به لا للحصول على براءة وصك بالموافقة على ممارسة شعائره، ولكن لكشف الافتراءات والأكاذيب التي تلصق به والتي يراد بها قيام حواجز نفسية بين أبناء الأمة، ليس بسبب ممارسة شعيرة بعينها وإنما بسبب تعدي أتباع مذهب على رموز مذهب آخر، وبالطبع فأنا أرى الأمر إلى هذا الحد أمراً طبيعياً، لكن بعضهم يصر على محاكمة فكر الآخر ومعتقده وإصدار أحكام عليه وكأنه مفوض من الله تعالى بما لم يفوض به رسول الله ﷺ، فمهمة الرسول هي البلاغ المبين وليس عليه من حساب الناس على معتقداتهم من شيء، ولا أحسب أن هناك عاقلاً يعطي لنفسه سلطات إلهية بمحاسبة الناس على ما يؤمنون به مهما رأى في نفسه من قدرات علمية أو غير ذلك؛ لأن الحساب في النهاية هو لله وحده.

السؤال الثاني: ماذا يتوقع الكاتب من نتائج لهذا الحوار؟

لقد توقع الكاتب الكريم أن تواجه مكاشفاته في هذا الموضوع بردود أفعال غير إيجابية، وساق لذلك أسباباً أراها جديرة بالمناقشة، أعرضها فيما يأتي:

عدم اعتياد الناس لمثل هذا الحوار: وبالفعل أشاطره القول بأن إلف الناس للشيء يكسر من حدته والعكس صحيح، فكثرة هذه الحوارات في وسائلنا

الإعلامية، وما أكثرها! خاصة الإعلام المرئي والمسموع تجعل الأمر طبيعياً للعامة والخاصة، فليس من المعقول أن تظل البرامج الدينية قاصرة على فئة دون أخرى.

الترسبات التاريخية و تشمل:

أ - الجذور التاريخية التي تقف حائطاً صلباً أمام قبول الآخر:

ويحق لي هنا التساؤل: كم من الأمة تعرف تاريخها لا أقول كما حدث بل حتى كما سجله المؤرخون بغض النظر عن رؤيتنا له؟ نحن أمة لا تقرأ، وهي بهذا فريسة لأصحاب الأهواء، ولا أحسب أن هناك من يقر التعامل مع الآخرين على أساس ماضٍ رسمه في ذهنه ونسج خيوط أحداثه في خياله، لنحرر التاريخ من هذه القضية، وأرى في تصحيح مناهج التاريخ التي يدرسها أبناؤنا أهم وسائل تبرئة التاريخ.

ب- التحالف التاريخي بين الشيخ والإمام:

حقيقة أنا لا أدري من أين أتى هؤلاء بمثل هذه الفرى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود؟ وهل يقصدون أن هذا التحالف قام على تقسيم الأمة إلى فرق متناحرة؟ أم أن هذا البناء العظيم أقيم على تقسيم أبنائه إلى طبقات سادة وعبيد؟ بمعنى أن هذا البناء أسس على الظلم، حاشا لله أن يكون الأمر كذلك، وإنما الأمر من وجهة نظري لا يعدو كونه بحثاً عن الأعذار، وتحايلاً على الأسباب الحقيقية، والتاريخ يخبرنا أن التعامل بين أبناء المجتمع السعودي كان في أفضل حالاته، ولم تطفُ مثل هذه القضايا على السطح من أي مسؤول عبر تاريخنا، ويشهد تاريخ الآباء والأجداد بالتعاون بين أبناء الوطن بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية وليت الإعلام يجعل من ذلك مادة لموضوعات توحد الأمة بزيارات لكبار السن ومناقشاتهم في الواقع الاجتماعي لبلادنا قديماً، ولماذا طفت هذه الأمور بهذه الشدة في هذه الأيام؟ وما هي الأوساط المستفيدة من ذلك وتغذيه؟

عوائق الاعتراف بالآخر والناتج عن الأسباب السابقة:

هذه معضلة كبرى في فهمنا لعلاقتنا بالآخر فنحن نفترض دائماً أننا نتحاور لنحصل على حق الوجود من الآخر، ولعل هذه النقطة بالذات تفتح باباً كبيراً من النقاش، فلا شك في أننا نهدف أيضاً من وراء مثل هذه الحوارات والمكاشفات لإثارة دافعية أبناء الأمة على مختلف مذاهبهم ليحققوا مراد الله تعالى من خلقهم ليكونوا خلفاء له في الأرض، وليتعارف بعضهم على بعض، وليعمروا الأرض التي أنشأهم الله منها، وليبرز كلٌ منهم كوامن إبداع الله تعالى فيه كمخلوق فرد لا يتكرر في غيره ليحققوا بإبداعاتهم سنة الاختلاف في الكون.

كثرة العوائق التي تحول دون التعايش تحت مظلة وطن واحد:

حقيقة أنا أختلف مع هذا السبب كثيراً؛ لأن الواقع لا يقول ذلك ولا التاريخ ولا الجغرافيا، ولكن الكاتب يستشرف بهذا السبب - من وجهة نظري - الواقع الاجتماعي المتأصل من ممارساتنا مع بعضنا، ولعل في هذا فرصة سانحة لأذكر بعض العوامل التي تسهم في التعايش والانتماء، وقد فصلت ذلك في كتابي: الهرم التربوي وتحديات العصر (تحت الطبع) وأشرت لذلك في كتابي: موسم الحصاد الفائز بالجائزة الثانية في مهرجان أبها الثقافي، وذلك في الفصل الخاص بأسباب الإرهاب، ومن هذه العوامل التي تؤثر في الانتماء (وهو دافع للتعايش بين أبناء الأمة) لشيء ما بصفة عامة، وللدين والوطن بصفة خاصة ما يأتي:

أ. **العلم** بهذا الشيء علماً نافياً للجهالة به، وبالطبع فالعلم بالدين الإسلامي هو من الأمور التي يجب على المسلم أن يتقنها، إذ كيف يعبد ربه بغير علم؟ ويشمل العلم هنا معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، ومعرفة النبي ﷺ، ومعرفة الدين الذي جاء به من حيث أوامره ونواهيه، ومعرفة الكتاب الذي أُنزل عليه، ومعرفة

الرجال الذين حملوا هذا الدين إلينا) وحتى يكون العلم صحيحاً فلا بد من تحري الدقة فيمن نأخذ عنه ديننا، غير متأثرين في ذلك بما ورثناه من ممارسات الآباء والأمهات حتى يثبت لنا أنهم كانوا يعبدون الله على علم.

ب. الحق في تعلم وتلقي الدين من المصادر التي يفضلها وبالطريقة التي يراها مناسبة دون أن يفرض عليه رأياً، أو مذهباً معيناً. وكذا نشر كتب العلم التي تساعده على التعلم دون تضييق عليه في ذلك لأي سبب من الأسباب، ولعلي هنا أشير إلى سعة الإسلام في التفاعل مع تنوع المذاهب الفقهية، فجميع المذاهب الإسلامية تتفق في أصول الدين، والاختلافات فقط في بعض الفروع، وهذه الاختلافات ليست فقط بين المذاهب، بل تجدها داخل المذهب الواحد، وقد تنوع أصحاب الرسول من بعده في فتواهم في المسألة الواحدة بأكثر من رأي، ولم يعب أحدهم على الآخر، وهناك الكثير من الأبحاث المعنونة بأدب الخلاف، عرَّف فيها الباحثون الخلاف، وعددوا أنواعه، وأفاضوا في ذكر أمثلة من مسائل الخلاف بين الصحابة.

ج. **الحرية**: فحرية الإنسان في ممارسة شعائر دينه حسب الطريقة التي يراها صحيحة من وجهة نظره، وفي الأماكن والأوقات التي يفضلها ووفق ما يميل إليه من مصادر علم، مادام لا يضر بذلك أحداً.

د. **الاحترام**: من الآخرين عندما يمارس الإنسان شعائره الدينية فلا يتعرض له أو به أحد، وهذا الشعور لا يتأتى من طرف لطرف منّة منه عليه وإنما هو حق لكل إنسان، وقد أوجب الإسلام ذلك الحق لغير المسلمين، فمراعاته للمسلمين أولى، وآي القرآن صادحة بالتزام المسلمين بذلك تجاه غيرهم ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ** ﴾. ولنتذكر جميعنا أننا دعاة ولسنا قضاة.

هـ. **التعاون**: فالمسلمون مأمورون بالتعاون على البر والتقوى، ونهوا عن التعاون على الإثم والعدوان، ولا بد للمسلمين من أن يتصفوا بالموضوعية في تعاملهم مع بعضهم ثم مع غيرهم، فأوجه الاتفاق بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أكثر من أن تحصى، وأوجه الاختلاف أقل من أن تعد، فلمَ نرغب عما اتفقنا عليه إلى ما يجب علينا أن يعذر بعضنا بعضاً فيه؟!.

و. **العدل** في التعامل بين أبناء الدين الواحد وإن اختلفت مواردهم، فالمشرب واحد، والله تعالى يقول: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾، ألا تثير فينا هذه الآية الحنين إلى السمو في انتمائنا للإسلام ليرقى على المذهبية؟ الله تعالى أسمانا مسلمين وهو يعلم أننا سنتنوع في موارد تلقينا لعلوم الدين، فلم ننزع عن بعضنا لباس الإسلام وقد ألبسنا إياه ربنا؟ والمقصود بالعدل هنا، هو العدل في مستوى المعيشة، والتعليم، والعمل في الوظائف التي توفرها الدولة، وغير ذلك مما يتوجب العدل فيه من خدمات.

ز. **الحكم** بما أنزل الله تعالى بين المنتمين لدين أو لوطن هو صمام الأمن والأمان، وقد منّ الله تعالى علينا بوجودنا في هذا الوطن الغالي الذي يطبق شرع الله تعالى، ويعين بعضه بعضاً على طاعة ربه، فأعظم بها من نعمة أدامها الله علينا!

تفاجأ الكاتب بالوطنية الحقيقة لأبناء المنطقة ومعايشتهم لآمال الوطن وتطلعاته:

حقيقة أنا التي تفاجأت من مفاجأة الأخ الكريم بهذا الأمر، فلا التاريخ ولا الواقع يقول بأن بيننا من يهمل في عمله أو يهرب من وطنه حين يجد الجد، ومن يراجع سجلات الهيئات والمصالح الحكومية والخاصة إبان حرب الخليج يجد أن أبناء هذه المنطقة لم يتركوها ولم يتركوا أعمالهم في الحكومة أو القطاع الخاص،

كما أن من بيننا رجال أعمال وأطباء ومهندسين ومعلمين وفنيين تقنيين وماهرين وبارعين في كل التخصصات يخدمون وطنهم بتفانٍ وإخلاص، فهل هناك معيار للوطنية أعظم من ذلك؟

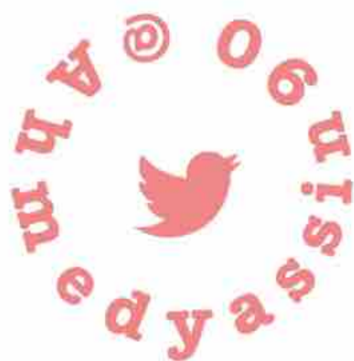
ولا أريد إنهاء هذا الموضوع دون أن أطرح سؤالاً، لماذا لا نفعّل الاحتفال باليوم الوطني لبلادنا؟ ألم تتوحد فيه بلادنا بعد فرقة؟ لمَ لا يكون يوماً نتعرف فيه أكثر على بلادنا وتراثها وطموحاتها؟ لمَ لا نجعل منه يوماً يولد فيه وطننا في نفوسنا من جديد؟ لمَ لا نجعله يوماً خالصاً للوطن أقصد أن تعطل فيه المصالح ونُشعر فيه كل من يقيم على أرضنا أن لنا يوماً كأيامهم نزهو ونفخر به، وحق لنا ذلك؟ فليكن هذا يوماً تتعرف فيه كل أسرة على المنطقة التي تعيش فيها والثقافات التي تنتشر في هذه المنطقة والمذاهب الفكرية والعقدية.

أختم مشاركتي هذه بالشكر والثناء الجميل لكلا المتحاورين، أولاً لشخص الأستاذ الفاضل عبد العزيز محمد قاسم على شجاعته وخرقه لجدار الصمت بل والحصار الخانق المفروض من الإعلام في عصر المعلومات على طائفة من أبناء الأمة واقتحامه لمشكلاتهم وتصديه لعرض أفكارهم، وتوفيقه في اختيار أحد رموزهم ثم لسعة اطلاعه ووعيه بما يثار حولهم من افتراءات وأكاذيب، وصدقه وأمانته في العرض، ووقوفه عند حدود ما يعلم، وعدم خوضه فيما لا يعلم، وترك الأمر فيما يشكل عليه لأصحاب العلم وطلابه، ويجمل ذلك كله بأمر عظيم هو بلاغته في العرض، ومفرداته الراقية في الحوار مع سخونة ما عرض من قضايا، وقوة ما طرح من فكر، وهو أمر ليس غريباً عليه. فإذا أضفنا لذلك وعيه لسير الحوار ومعرفته لهدفه تشكل لدينا أنموذج لما يجب أن يسود إعلامنا من قضايا ومناقشات تبني ولا تهدم، تجمع ولا تفرق، توضح الأمور والأفكار ولا تزيدها غموضاً.

ثم الشكر موصول للشيخ الجليل والعالم العامل على تواضعه ونسبته الفضل في حياته لأهل الفضل عليه، وعدم تجمله في وصف واقع نشأته وأمانته في عرض مراحل حياته، وأسلوبه الراقي في الحوار، ومنطقه الإقناعي، ومعرفته بحدود دور رجل الدين، وعلمه باختلاف المذاهب الفقهية، وسمو دعوته، وحرصه على تشخيص الداء ووصف الدواء مستفيداً من خبرات وتجارب الآخرين من المجتمعات المحيطة بنا، وموضوعية منطقه وأطروحاته، وحكمه على واقع مجتمعه وطائفته، ينكر المنكر ولا يبرره، ويظهر المعروف وإن كان مراً ولا يجمله، وشفافية أفكاره، وحفاظه على هدوئه على الرغم من عنف ما طرح عليه من اتهامات، وإصراره على التواجد على الرغم من محاولات التهميش والتحييد، ورؤيته الواضحة لواقع الأمة على المستوى الخاص والعام، لا يتشوش في رؤياه بمذهبية، ولا يتسلح في طرحه بطموح لمنصب أو امتياز خاص، غارقاً في هموم أمته، عاملاً جاداً على فك رموز طلاسم قضاياها، فجزاه الله خيراً.

وجزى الله كل من أسهم في تقوية وتماسك أبناء هذه الأمة وأسهم في بناء المجتمعات بروح الملتقى على شعائر الإسلام وتغليب روحه على الصلات الخاصة والعامة.

*****



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

د. عزيزة المانع(*):

مكاشفات حسن الصفار(**)

على مدى أسابيع أربعة وصحفينا الشاب المتألق عبد العزيز قاسم، يواصل حواره الساخن مع الشيخ حسن الصفار على صفحات صحيفة (المدينة) في بابه الشهير (مكاشفات). وعلى مدى أسابيع أربعة والناس مقبلة على قراءة تلك المكاشفات بحماس اشتركوا فيه وإن اختلفت دوافعهم إليه، وكنت واحدة من أولئك المتحمسين لمتابعة الحوار.

ولعلها هذه هي المرة الأولى التي يُتاح فيها لشيخ من شيوخ إخواننا الشيعة أن يتحدث بهذا التوسع والوضوح، فيشرح لهم وجهة النظر الشيعية، ويصحح كثيراً من المفاهيم الخاطئة لدى بعض الناس عن الشيعة، وينفي بعض ما نسب إليهم من أقوال أو أفعال شوهت صورتهم لدى أهل السنة. وأشهد أن الشيخ حسن الصفار، بدا لي من خلال حديثه شخصاً مميزاً يتسم بسمات فكرية وخلقية لا تتوافر لكل أحد. فقد لفت نظري في حديثه عمق الوعي وبعد النظر والتعامل مع الواقع بعقلانية مطلقة، مع رقي في أسلوب الحديث وأدب جم عند ذكر من يختلف معهم، وقد لمستُ في حديثه دفاعاً منطقياً مقنعاً حول كثير مما يتداوله الناس عن الشيعة، وقد ساعده على ذلك ما يتمتع به من ذكاء ولباقة وحصافة بارزة جعلته يحتفظ بهدوئه واتزانه على مدى الأسابيع الأربعة على الرغم من مداخلات محاوره

(*) أكاديمية وكاتبة سعودية.

(**) عكاظ: جريدة يومية تصدر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، العدد ١٣٩٣٩، الاثنين ١٤٢٥/٩/١١هـ - ٢٠٠٤/١٠/٢٥م.

المستفزة في كثير من الأحيان.

إن ما جاء في حديث الشيخ الصفار عبر المكاشفات هو كلام في غاية الأهمية ومن المصلحة الإصغاء إليه بعناية، وتحكيم العقل في التعامل معه لاستيعاب أبعاده العميقة. وتجاهل ما قد يثور في النفس من الانفعالات التي لا ينتج من الانسياق وراءها سوى بناء الأحقاد وبث روح الفتنة بين أبناء المجتمع الواحد.

لقد أفلح صاحب المكاشفات في أن يضمن مكاشفاته حواراً غنياً وعميقاً من خلال ما يطرحه من تساؤلات تتردد في أذهان الناس، واستوقفني منه تلك السعة في الاطلاع على التاريخ الشيعي والسني وما خاضته الفئتان من معارك الخلاف المادي والمعنوي. وغوصه في طرح قضايا حساسة، وهو بلا شك يحمد له خوضه هذه التجربة الشائكة ودخوله هذه المغامرة التي تهرب منها كثيرون.

شيء واحد أتمنى أن يحرص عليه صاحب المكاشفات، وهو أن يصر على تنقية ما يصل إليه من مداخلات مما يعلق بها من شوائب اللفظ المخل بالذوق والأدب، وما قد تتلبس به من تجريح وأذى، وذلك كي لا تتحول المكاشفات إلى منبر للإساءة ودعم الشقاق، وذلك عكس ما يرجى منها.

*****

جعفر محمد الشايب(*):

التسامح الديني وضرورة التعدد المذهبي(**)

لا شك في أن العمل الجريء الذي قدمه الأستاذ عبد العزيز قاسم في مكاشفاته مع الشيخ حسن الصفار يضاف إلى رصيده المهني وحواره الرصين في سلسة (مكاشفات) مع أبرز القيادات الدينية والشخصيات الاجتماعية والسياسية في المملكة. وتبرز أهمية ذلك في استنطاق التجربة من أصحابها الذين عايشوها وبصورة مباشرة بهدف إطلاع الرأي العام عليها وتنمية الحراك الفكري والثقافي عبر مناقشة ونقد أطروحاتهم وأفكارهم ومواقفهم حول الآخر. ومن أجل الوصول بقارئه إلى أقصى آفاق القضايا المطروحة، وتقليب ما خفي منها، سعى قاسم إلى استفزاز محاوره من أجل تحريك التجربة في فضاءاتها المتعددة بتفاصيلها العملية والفكرية وعرضها بكل ما تحتويه، ومواجهته بكل القضايا المثارة حوله.

لعل ما يميز هذه المكاشفة عن سابقاتها أنها تناولت - إضافة إلى تميز الضيف وصراحته الجريئة - قضية من أكثر القضايا حساسية في المجتمع السعودي، وهي قضية العلاقة بين السلفيين والشيعة، حيث إن هذه المكاشفة أسهمت وبكل تأكيد وجرأة في طرح الملف الشيعي وقضاياه المتعددة كأحد هموم الوطن والمخلصين له، بعيداً عن المواقف المتشددة والحساسيات المفرطة. كما أن ضيف هذه الحلقات هو

(*) كاتب سعودي وناشط سياسي حقوقي من إخوتنا من طائفة الشيعة بالقطيف.

(**) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ١٤/١٠/١٤٢٥هـ - ٢٦/١١/٢٠٠٤م.

من تبنى مشروع التعددية والتسامح والتنوع في أطروحته الشاملة التي دشنها قبل أكثر من عقد من الزمن، وألف حولها العديد من الدراسات والأبحاث والمحاضرات العامة.

لقد بينت هذه المكاشفات - وعلى مدار حلقاتها الخمس - عن الحاجة الملحة إلى التوعية الثقافية للجميع بالاتجاهات المذهبية والفكرية المختلفة السائدة بينهم، حتى لا يعيشوا غرباء عن بعضهم بعضاً، وتقوم اختلافاتهم على الجهل المطبق بحقائق الأطراف المختلفة. بالطبع فإن موضوعاً كهذا، بكل ما يحتويه من خلفيات تاريخية ومذهبية واجتماعية، لا يتوقع له أن يمر بهدوء دون زوبعة وإثارات؛ لأنه يحرك المياه الراكدة ويدفع باتجاه طرح المسكوت عنه علناً عسى أن يسهم في تعرية ما علق بهذا الموضوع من قضايا هي إلى الأوهام أقرب منها إلى الحقيقة.

رأيت في المكاشفات اتجاهين حاول أن يتقمصهما المحاور يعبران عن الحالة السائدة في المجتمع السعودي، الأول اتجاه نمطي يتسم بالتعالي وإلصاق التهم وينطلق من مسلمات غير قابلة للنقض، ويدين كل معتقدات وأفكار الآخر، ويشكك في منهجيته ووطنيته ومسلكه السياسي بصفته صاحب الحق المطلق. والثاني اتجاه منفتح باحث عن المعرفة والحقيقة يعطي لنفسه حق السؤال والاختلاف والاعتراض بهدف التعرف والفهم، كما يعطي للآخر حق الرد والحرية في التعبير عن ذاته وأفكاره ومواقفه، بكل عقلانية وموضوعية واحترام، وضمن ثوابت دينية ومصالح وطنية محددة.

الاتجاه الأول لا يهمه أن يفهم الطرف المقابل؛ لأنه لا يبحث عن أرضية مشتركة بينه وبين الآخرين، ولا يملك مشروعاً للتلاقي والحوار من أجل تطوير علاقة التعاون والتآلف بين عناصر المجتمع ومكوناته المختلفة. يرى بأنه يمتلك الحقيقة كاملة، وعلى البقية - مهما كانوا - الانصياع له والاتباع لنهجه والتوبة من

التفكير في أي مسلك آخر. فكل ما عداه شر، وما سواه خاطئ. يدفع الآخرين دوماً باتجاه الزوايا الحادة والمناطق الحرجة. لديه مجموعة إشكالات ومواقف جاهزة منذ زمن، يرفعها كلافتات متى ما احتاج إليها. لا يقبل بالتعددية والتنوع والتعايش مع الأفكار الأخرى؛ لأنه يراها تأخذ حيزاً من مواقعه، فبدلاً من أن يحولها إلى روافد لفكره ونشاطه، يتعامل معها بكل فظاظة وعنف وشدة، ويقمعها حتى تتقوقع على ذاتها، وتتكفئ على نفسها، ويحرم الوطن من إسهاماتها.

الانكفاء والتقوقع يولد بطبيعة الحال تطرفاً مقابلاً كرد فعل على القمع والتشدد، فالأفكار لا يمكن سجنها، والمعتقدات لا يمكن تطويعها بالقوة، بل تزداد تطرفاً وحدة عندما تحاصر وتقمع. وهكذا يتولد تشدد مزدوج وتطرف متشعب، يتعقد أكثر وأكثر مع مرور الزمن وتتابع الأحداث. وتتحول الاجتهادات الفرعية إلى خلافات أصلية، ثم تصاغ حولها نظريات تجعلها في حكم المسلمات النهائية والمطلقة.

هذا الاتجاه هو الذي ساد في معظم العلاقة بين الفرق والمذاهب الإسلامية، وطغى على لغة الحوار والتقريب، ووأد أي محاولات إصلاح في هذا المجال في مهدها. وبالطبع فإن ذلك أضر بالأمة الإسلامية كثيرًا وشتت جهودها وفرق صفوفها، بل وأتاح فرصاً ذهبية لأعدائها كي يتمكنوا من اختراقها والسيطرة عليها وعلى خيراتها.

في مقابل ذلك، يسعى الاتجاه الثاني الداعي إلى الانفتاح والحوار إلى تعزيز وجوده في الساحة الإسلامية عامة والوطنية خاصة - وتحديداً في ظل التحديات التي يمر بها المجتمع - وذلك من خلال الجهود الكبيرة والجريئة التي يقوم بها المثقفون المتنورون - ومنهم الأستاذ عبد العزيز قاسم - أملاً في إعادة صياغة الخطاب التقليدي ورسم صورة جديدة للذات وللآخر، وخاصة بعد أحداث سبتمبر التي دفعت بالجميع إلى إعادة قراءة الوضع الاجتماعي والخطاب الديني بنفس مختلف تماماً.

وعلى ضفتي نهر الحوار الإسلامي الإسلامي، ينبري هؤلاء المثقفون حاملين لواء الوحدة ومبادئ التعايش والحوار والتسامح الديني والتعدد المذهبي، يؤصلون لهذه المبادئ من صلب الدعوة المحمدية، ويبحثون عن المشتركات بين جميع الأطراف، ويدفعون باتجاه وحدة الصف والموقف الوطني الثابت. إن ما نشره أبناء هذا الوطن من الإسلاميين المعتدلين طوال الحقبة الماضية يعد رصيداً ثرياً لخلق أرضية مناسبة للتواصل والحوار. فكتابات كل من زكي الميلاد، ومحمد محفوظ، ومحمد الهرفي، وعبد الله العتيبي، وعبد الله اليوسف، وإبراهيم البليهي - كنماذج شاخصة -، كلها تصب في خدمة هذا الاتجاه وتعزز التوجه إلى معالجة أزمة الحوار المذهبي.

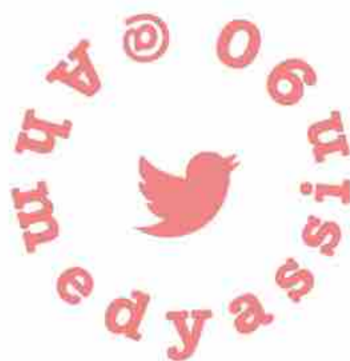
ليس من شك في أن هنالك تحديات كبيرة أمام هذا المشروع الحضاري والإنساني، أبرزها تأثير الشارع وعموم الأتباع على من يتبنى مثل هذا الاتجاه، ويدعو إلى التواصل والحوار وتجاوز تعقيدات المسألة المذهبية، ويبحث عن المصالح الكبرى. فالتيار الشعبي العام قد عُبئ لسنوات طويلة بأفكار متشددة ومغالية لا تقبل الآخر وتتعاطى معه، ولذا فهو يرى في مثل هذا التحول خيانة بالرسالة التي سلم إياها، والمبادئ التي اعتنقها. كما أن هنالك رموزاً وشخصيات عاشت طوال حياتها تبث هذه الأفكار وتعبّئ نحوها، فهل يمكن أن تتنازل عن أفكارها بهذه السهولة وخاصة أنها ألفت هذا المنحى وتعودت عليه؟ كما أن هنالك من يغذي هذه التوجهات المتشددة، كي يبقي جذوة الخلافات قائمة، وما الأحداث الطائفية التي تترى في مناطق العيش المشتركة كالباكستان والعراق إلا نماذج للنية في استمرار التوتر قائماً بين الطرفين.

على الصعيد الوطني، نحن في أمس الحاجة إلى تعزيز حالة الانفتاح والتواصل التي ينبغي أن تبدأ من خلال التعارف المباشر والواضح. ووسائل الإعلام الرسمية تتحمل مسؤولية كبرى في توظيف إمكانياتها لخدمة هذا الغرض، وتوفير

الفرص أمام الجميع للبحث عن المشتركات حتى مع وجود الاختلافات. الصحافة، الكتاب، المؤتمرات، المحطات الإذاعية والتلفزيونية كلها يمكن أن تلعب دوراً محورياً في هذا المجال. كما أن مناهج التعليم تتحمل جزءاً من المسؤولية عبر تعريف الناشئة بالتوجهات الفكرية والمذهبية القائمة واحترامها والتعاطي الإيجابي معها.

في مدينة تورنتو بكندا حضرت فتاة سعودية لمدرستها الابتدائية في أيام شهر رمضان، وفي وقت الفسحة لاحظ زملاؤها وزميلاتها أنها لم تأكل معهم كالمعتاد. فسألوها فأخبرتهم بأنها صائمة، ولا يجوز لها أن تأكل. نقل الطلاب كلامها إلى مدرستهم، فاهتمت بالموضوع وطلبت من الطالبة السعودية أن تشرح لزملائها ذلك، ومبرراته، وأهدافه. ترددت الطالبة ولكنها أعطت فكرة مبسطة حسب فهمها للموضوع. المدرسة اهتمت أكثر بالأمر، واتصلت بوالدة الطالبة ودعتها للحضور، وطلبت منها أن تلقي كلمة على جميع مدرسي ومدرسات المدرسة بخصوص هذا الموضوع حتى يستطيعوا نقله إلى طلبتهم، ليتفهموا الموضوع ويتعاملوا معه باحترام. هكذا تحترم المراكز التربوية الاختلاف والتنوع وتتعايش معه.

*****



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

أحمد الكاتب (*):

أتمنى من الشيخ الصفار أن يقوم بمراجعة موضوع الإمام الغائب وبقائه حياً بعيداً عن الضغط الشعبي.

لقد شعرت في البداية بسرور كبير لإجراء الحوار بينكم وبين سماحة الشيخ الصفار الذي عرفته أخاً وصديقاً منذ أيام دراسته في الكويت في السبعينيات من القرن الماضي، وذلك نظراً لرفض بعض الإخوة السلفيين مجرد الحوار مع الشيعة. وقد اطلعت قبل شهور على ردود فعل بعض منهم على لقاء الشيخ عوض القرني به، وأعتقد أن الكثير من الناس الرافضين للحوار يحمل تصورات عن الآخر وخاصة عن الشيعة من الكتب الصفراء القديمة أكثر مما يأخذها من الناس مباشرة ومن الواقع، ولذلك فإنه يحمل تصورات كلية عامة خاطئة ويطبقها على الأفراد بصورة صحيحة، وأذكر أنني كنت أتحدث قبل أسابيع مع أخ عزيز فذكرت اسم الشيخ الصفار عرضاً، فعلق الشيخ بسرعة:

إنه شيخي، من الفرقة الشيعية المغالية، فقلت له: هل رأيت الشيخ الصفار؟ أو التقيت به؟ أو قرأت له؟ فقال: كلا: فقلت متعجباً: ولكن كيف تحكم عليه دون أن تراه؟

وكنت ذات مرة أصلي في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة، فتعرفت على شيخ من بريدة وسألني عن بلدي، فقلت له: إنني من العراق ومن كربلاء، فأجاب بسرعة: من الذين يعبدون الإمام علياً؟ فقلت له: ومن قال لك إن الشيعة يعبدون الإمام علياً؟

(*) باحث في الفكر الإسلامي من إخوتنا من طائفة الشيعة بالعراق.

هل رأيتهم؟ أو تعرفت عليهم؟ وهل تعرفني شخصياً وتعرف آرائي وأفكاري؟ وإذا كنت أعبد الإمام علياً فلماذا أنا في مسجد الرسول أصلي الجماعة معك؟ فقال: إنه يحمل تصوراته من مشايخه الذين لا يمكن أن يخطئوا. فقلت له متعجباً: كيف تقبل تصديق اتهامات خطيرة بحق طائفة كبيرة من المسلمين إلى حد تكفيرهم بناءً على أقوال شخصية غير دقيقة؟

إن الحوار مع الآخر يتأثر أحياناً كثيرة بالأجواء السياسية، فيتوتر إذا كانت متوترة ويهدأ إذا كانت هادئة، ويقوم في أحيان كثيرة بتضخيم الصورة الذاتية، فإذا كان الشخص أو الفريق يعتقد أنه على الحق مائة بالمائة، فإنه سوف يعتقد بصورة أوتوماتيكية أن الطرف الآخر مبطل مائة بالمائة، وقد ابتلي المسلمون قديماً وحديثاً بمدارس وأشخاص يضيقون باب الدين إلى درجة كبيرة بحيث لا يدخلون ولا يستطيع أن يدخلها غيرهم أو بضعة أشخاص معهم، ويكفرون بالتالي عامة المسلمين أو يبدعونهم ويضللونهم، ويتخذون مواقف سلبية منهم.

إن الحوار مع الشيعة مثلاً يتم على ضوء قراءة قديمة للشيعة من خلال الكتب التي كتبت أيام السجالات الطائفية في القرون الوسطى، ولا ينظر إلى واقع التطورات الكبيرة والكثيرة التي حدثت في صفوف الشيعة، ودون النظر إلى فرقهم المختلفة أو التفريق بين العام المعتدل والخاص المتطرف، ويتم أحياناً الخلط المتعمد بين الجميع ،وهذا لا يجوز شرعاً ويسيء إلى الجميع سياسياً.

يذكرني الحوار بين المسلمين، بالحوار العقيم الذي يجري أحياناً في الغرب بين الأوربيين والعرب والمسلمين، على أساس ما يحمله الإنسان الغربي من صور نمطية جاهلة وظالمة وغير دقيقة عن العرب والمسلمين والخلط بين جماهيرهم وبين المتطرفين والإرهابيين الذين لا يشكلون نسبة يعتد بها بين المسلمين. كما قال الشيخ حسن الصفار: «إننا نعاني كثيراً من الصور النمطية ومن الأحكام التعميمية حينما

تحصل أعمال إرهابية من قبل جهات سنية يقال شرذمة من الإرهابيين والمغرر بهم، ولا تعمم على كل السنة أو السلفيين، ولكن حينما يحصل شيء من قبل أفراد من الشيعة تصدر الأحكام الشاملة والتعميمية، هل هذا من العدل؟» إن معظم علماء السنة علاوة على عامتهم يجهلون التطورات الجذرية التي حصلت عند الشيعة منذ ألف سنة وحتى الآن، ويحاسبون الشيعة على مرحلة القرن الرابع الهجري التي تم فيها جمع كتاب الكافي وكتب الحديث الأخرى، والتي تعرضت إلى نقد الشيعة قبل غيرهم، وخاصة عندما فتح الشيعة باب الاجتهاد في أيام الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي في القرن الخامس الهجري، وما سببه ذلك التطور من تقارب كبير بين الشيعة والسنة، أما التطور الآخر المهم جداً الذي حصل عند الشيعة فهو قولهم بنظرية ولاية الفقيه والشورى، وتخليهم عن اشتراط العصمة أو النص في الإمام، وقبولهم بولاية المؤمن أو الفقيه العادل، على أساس الشورى، وهو ما جرى في إيران ويجري الآن في العراق حيث يؤمن الشيعة بقيادة المرجعية الدينية بالنظام الديمقراطي الإسلامي، وهو نظام مشترك بين الشيعة والسنة، لا بل إنه يقضي على أي فوارق بين السنة والشيعة في المجال السياسي، وكما تعلمون فإن الخلاف السياسي حول الإمامة كان أساس الخلاف بين الشيعة الإمامية الذين كانوا يعتقدون بنظرية النص والتعيين من قبل الله، وبانتقال الإمامة في ذرية علي والحسين إلى يوم القيامة، وبين أهل السنة الذين كانوا يعتقدون بنظرية الشورى وانتخاب أهل الحل والعقد للإمام، ولا يشترطون العصمة ولا النص في الإمام.

وهو ما قبله الشيعة الإمامية اليوم، وأحدث ثورة فكرية في داخلهم جعلتهم في الحقيقة صورة أخرى عن السنة، وأزال الفوارق القديمة التاريخية التي كانت بينهم في القرون الأولى.

وما يوجد الآن من مشكلات بين الشيعة والسنة ما هي إلا مخلفات لتلك الصراعات التاريخية المنقرضة والبائدة، ومنها مسألة الموقف السلبي من بعض الشيعة من الصحابة أو الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -، حيث يعتقدون أن النبي ﷺ قد عين الإمام علياً خليفة من بعده، وأن الآخرين قد اغتصبوا الخلافة منه، وأود أن أوضح أن الشيعة قديماً وحديثاً لم يكونوا يعتقدون كلهم بهذه النظرية التي كانت محل جدل ونقاش، ومبنية على روايات ضعيفة، وقد كان ينكرها كثير من الشيعة في السابق واللاحق.

لقد كان هناك في التاريخ الشيعي تياران يؤمن أحدهما بالعقل والاجتهاد والتحقيق، ينظر في الروايات الواردة في كتب التراث نظرة شك وتحقيق، ويرفض أن يصدق كل ما جاء في الكتب القديمة، وتيار آخر كان يسمى التيار الإخباري الأقرب إلى الحشوية عند أهل السنة الذين يصدقون بكثير من الروايات الضعيفة والمختلقة. ونحمد الله على قيام المدرسة الأصولية عند الشيعة في القرون الأخيرة التي قامت بمجابهة التيار الإخباري ونقد كثير من الروايات، على الرغم من وجود بعض المواضيع التي تحتاج إلى مزيد من التحقيق والمراجعة والنقد، مثل موضوع الإمامة والإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) وإذا كنت أتفق مع الشيخ الصفار في كثير من الأمور التي طرحها في حواراته، وأعجب بها، وخاصة دعوته لوضع ميثاق شرف إسلامي يضع حداً للمهاترات بين الطوائف.

حيث أؤكد ما قاله من أن «مراجع الشيعة وعلماءهم مستعدون لميثاق شرف إسلامي نتجاوز به الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية، يؤكد على وحدة الأمة، وعلى مرجعية الكتاب والسنة، وعلى الاحترام المتبادل، وخدمة المصلحة العامة». و«إن الخلاف بين الشيعة والسنة ليس خلافاً في الأصول، وإنما هو في الفروع» فإنني أختلف معه في قوله: «إن الخلاف بين الطائفتين قديم ولا يمكن إضافة شيء

عليه، إذ اعتقد أن الحوار بين الطرفين والحوار الذاتي في داخل كل طائفة يمكن أن يقرب أكثر، ويمكن أن يزيل الكثير من عناصر التوتر والخلاف».

وفي هذا المجال أعتقد أن مراجعة الشيعة لموضوع وجود الإمام الثاني عشر وولادته في القرن الثالث الهجري وبقائه على قيد الحياة إلى اليوم، من المواضيع الخلافية المهمة التي يمكن الحوار حولها داخلياً وخارجياً، أي: في داخل الشيعة أنفسهم؛ لأنه موضوع يهم العلاقة السياسية داخل الشيعة وبينهم وبين قيادتهم المرجعية، وفيما إذا كان المرجع الديني نائباً عن الإمام المعصوم الغائب أم لا. وبالتالي فإن له ولاية سياسية على الناس أو لا وبكلمة أخرى إن مراجعة موضوع وجود الإمام الثاني عشر يؤثر على الموقف من نظرية ولاية الفقيه التي تستمد شرعيتها من النيابة عن الإمام، وتعدّ نفسها امتدادًا لخط السماء، وأن التوصل إلى عدم صحة وجود ذلك الإمام وولادته يحرر الشيعة من هيمنة المرجعية الدينية، ويعطيهم جرعة كبيرة من الحرية والديمقراطية، إضافة إلى أن الموضوع يؤثر على نظرية الإمامة، والموقف منها، وبالتالي يمكن أن يقود الشيعة إلى نظرة معتدلة جداً عن أهل البيت وكونهم معينين من قبل الله أو ليسوا كذلك.

وكنت أتمنى من الشيخ الصفار أن يقوم بمراجعة هذا الموضوع، بعيداً عن الضغط الشعبي الذي يفرض أحياناً مواقف فكرية على العلماء، في حين يجب أن يقود العلماء العامة ويطرحون ما يرونه صحيحاً من الأفكار والعقائد بغض النظر عن قبول العامة لهم أو عدم قبولهم.

لقد تحدث الشيخ الصفار - حفظه الله - عن اتفاق المسلمين الشيعة والسنة حول ظهور إمام مهدي آخر الزمان من عترة الرسول من ولد فاطمة يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وورود أحاديث صحيحة متواترة عن رسول الله بالإخبار بذلك.

ثم تحدث الشيخ الصفار عن انفراد الشيعة بالإيمان بولادة الإمام المهدي، وجاء ببعض الروايات من كتب أهل السنة، وتمنيت على الشيخ أن يقوم بدراسة أعمق للروايات الشيعية الواردة حول الموضوع قبل أن يستشهد بروايات السنة الناقلة لرأي الشيعة أو المعتمدة تقليداً عليه.

ومع اتفاقي مع الشيخ الصفار في أن الاعتقاد بالإمام الغائب جزئية عقدية يؤمن بها من ثبتت لديه بالدليل والبرهان، ومن يرفضها لعدم ثبوتها لديه لا يخرج عن الإسلام. إلا أنني أدعوه للتوقف أكثر عند الأدلة التي ساقها حول وجوده من مثل حديث: «إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة» لكي يتضح لديه أن هذا ليس دليلاً علمياً على ولادته بقدر ما هو افتراض فلسفي كلامي يتناقض مع نظرية الإمامة التي تشترط وجود إمام حي ظاهر، كما كان يقول الشيعة السابقون.

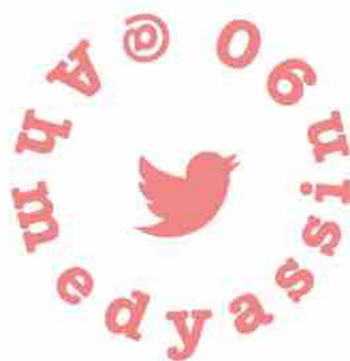
وأختلف مع الشيخ الصفار في أن الإيمان بوجود الإمام الغائب أضر كثيراً بالشيعة حين غيبهم عن الحياة قروناً طويلة من الزمن، وإن نهضة الشيعة المعاصرة تمت بعد التخلي عن انتظار الإمام الغائب، وأخذ المبادرة لقيادة الشيعة ومحاربة الأنظمة الظالمة كنظام الشاه ونظام صدام حسين.

وأود الإشارة في النهاية إلى ما قدمه الشيخ الصفار من نظريات شيعية متقدمة مثل نظرية الشورى وولاية الأمة على نفسها، بأنها تشكل ثورة شيعية على الفكر السياسي القديم: الفكر الإمامي الذي يشترط وجود الإمام المعصوم المعين من قبل الله لإقامة الحكومة الإسلامية، وبالتالي فإنني أؤيده بضرورة تجاوز الفكر التاريخي والنظر إلى الأمور نظرة معاصرة، ومحاولة حل المشكلات السياسية الراهنة حلاً عقلياً.

وفي الحقيقة إن الحل السياسي العادل لمشكلات المجتمع كفيل بالقضاء على أي توترات طائفية، إذ إن التوترات الطائفية ما هي إلا غطاء للصراعات السياسية المتطرفة والمنحرفة.

وإذا كان بعض الناس في السعودية والخليج يتوجس من قيام الشيعة في بلدانهم بعد تولي الشيعة للسلطة في العراق، فإنني أقول له إنه يشبه أهل الكهف، في خروجهم بعد قرون من وفاتهم؛ إذ إن السنة اليوم ليسوا سنة ولا الشيعة شيعة كما كانوا في القرون القديمة أيام البويهيين والصفويين والعثمانيين والعباسيين، وإنما هم شعب واحد غير طائفي، يؤمن بالشورى أو الديمقراطية الإسلامية.

*****



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الشيخ: عبدالله أحمد اليوسف(*):

المكاشفات خطوة نحو تأسيس التعارف المذهبي في بلادنا

قرأت باهتمام مكاشفات سماحة الشيخ حسن الصفار مع الأستاذ عبدالعزيز قاسم في جميع حلقاتها وبعض الردود عليها، وقد عكست هذه الخطوة مبادرة غير مسبوقة في صحافتنا المحلية، وهي مبادرة جريئة من الأستاذ عبدالعزيز القاسم ومن ملحق الرسالة، ونأمل أن تتبع هذه الخطوة خطوات أخرى للحديث عن المسكوت عنه في صحافتنا المحلية.

وانطلاقاً من هذه المكاشفات الجريئة والماتعة... أسجل بعض الملاحظات المهمة:

إن هذه المكاشفات قد فتحت الباب واسعاً نحو فهم أفضل للمذاهب الإسلامية الموجودة في بلادنا؛ فالمواطنون الشيعة الموجودون في المملكة العربية السعودية هم جزء لا يتجزأ من هذا الوطن الكبير، ومن الضروري أن يتعرف إخوتهم من أهل السنة والجماعة على معتقداتهم وأفكارهم، وقد أسهمت هذه المكاشفات في توضيح وتصحيح بعض الأفكار الخاطئة العالقة في أذهان بعض إخوتنا نتيجة للصورة النمطية الخاطئة عن الشيعة، ولعدم الاطلاع المباشر على فكر الشيعة من خلال كتبهم وعلمائهم، وقد جاءت هذه الخطوة من الأستاذ القاسم لتضع القارئ لملحق الرسالة أمام ما يراه الشيعة من خلال ما قاله أحد رموزهم في السعودية. فهذه

(*) باحث سعودي في شؤون الفكر الإسلامي من إخوتنا من طائفة الشيعة بالقطيف.

المبادرة التي قادها الصحفي اللامع تعد خطوة نحو تأسيس معرفي للتعارف المذهبي، ونأمل أن تكون البداية نحو انفتاح حقيقي لمعرفة مختلف المذاهب الإسلامية والتعرف عليها من خلال مصادرها، إذ كثيراً ما يساء فهم كل مذهب للآخر نتيجة للاعتماد على ما كتبه خصوم ذلك المذهب وليس أتباعه. ولذلك أدعو كل مهتم بمعرفة عقائد وأفكار المذاهب الأخرى لأن يتعرف عليها من خلال ما كتبه علماء المذهب نفسه وليس من طريق خصومهم.

إن هذه المكاشفات الجديدة من نوعها في صحافتنا المحلية قد فتحت ملف التعددية المذهبية في مجتمعنا السعودي، فأبناء المجتمع السعودي - ولله الحمد - ينتمون إلى دين واحد وهو الإسلام، وفي دائرة الإسلام توجد مذاهب إسلامية، وظاهرة التعدد المذهبي ليست بالشيء الجديد؛ فقد بدأت المذاهب الإسلامية في التكون منذ بداية القرن الأول الهجري، ويحكي لنا التاريخ عن نشوء الكثير من المذاهب والفرق والمدارس الفقهية، ولكن بعضها لم ينتشر ولم يكثر أتباعها، مما أدى إلى انقراضها، أما الذين تأصلت مذاهبهم وبقيت إلى يومنا هذا .. فأهمها ما يأتي:

السنّة بمذاهبها الأربعة: الحنفي، الشافعي، المالكي، الحنبلي.

الشيعة بطوائفها الثلاث: الإمامية الاثني عشرية، الزيدية، الإسماعيلية.

الخوارج والمعروف منهم حالياً: الإباضية.

نستنتج من ذلك... أن ظاهرة (التعددية المذهبية) ظاهرة طبيعية، وسمة لازمة في جميع الأديان والعقائد، وأن الإسلام ليس بخارج عن تلك القاعدة، كما يؤكد على ذلك التاريخ الماضي والواقع المعاصر، وأنه لا يمكن إلغاء تلك المذاهب، ولكن من الممكن الاتفاق على (القواسم المشتركة) التي تجمع بين المذاهب الإسلامية المتعددة، والتسامح في الفروع الفقهية شتى ووجهات النظر المذهبية الأخرى.

ومن الطبيعي جداً أن يكون هناك تعدد في المذاهب، ومن ثم في الآراء والأفكار والتصورات، ولكن الشيء غير المنطقي هو أن يدّعي أحد أن له وحده حق فهم الإسلام، ومصادرة هذا الحق من الآخرين، وأن له حق تفسير النصوص حسب فهمه، وليس للآخرين إلا أن يكونوا نسخاً مكررة عنه، واتهام مخالفيه بمخالفة السنّة، والخروج من دائرة الدين، والوقوع في حبائل الشرك والكفر والضلال!!

إن التعصب بجميع أشكاله، ومحاربة فكر وآراء الآخر، والعمل على فرض آراء الذات بأي وسيلة لن يحقق إلا تمزيق الأمة وتفتيت وحدة المجتمع المسلم، وإضعاف الروح المعنوية، وخلق الفتن والصراعات والمعارك الجدلية، والحروب العبثية.. وهي عملية هدم لكيان الأمة كله.

ولا خيار أمام الأمة الإسلامية كي تتوحد، إلا بالتزام التعددية، ووحدة التنوع، فالأمة الإسلامية وحدة واحدة، تتفق كلها على أن دينها الإسلام؛ من هنا يمكن القول إن الوحدة بين أبناء الأمة ممكنة، ولكن في إطار التعددية، فهي وحدة واحدة في الدين ومتعددة مذهبياً في إطار هذه الوحدة!

فالتعددية المذهبية تعني: التعدد المذهبي في إطار الدين الواحد.

ومفهومها يعني أولاً: الاعتراف بوجود تنوع في الانتماء المذهبي في مجتمع واحد أو دولة تضم مجتمعاً أو أكثر.

ويعني ثانياً: احترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من اختلاف أو خلاف في الفروع أو غيرها.

ويعني ثالثاً: إيجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك في إطار مناسب وبشكل يحول دون نشوب صراعات مذهبية تهدد سلامة المجتمع.

ومفهوم التعددية المذهبية يتضمن الإقرار بأن (أحداً لا يحق له نفي أحد) و(ضمان حرية التفكير والتعبير المذهبي للجميع) و(المساواة في ظل سيادة القانون).

ويجب التأكيد هنا على أن تعدد الفرق والمذاهب داخل الدين الإسلامي يشكل ظاهرة طبيعية، بل هي سمة ثابتة في جميع الأديان السماوية والوضعية.

وما دامت التعددية المذهبية شيئاً واقعاً في الأمة الإسلامية، فيجب ألا ينظر لهذه الحقيقة على أنها مشكلة أمام وحدة الوطن، أو وحدة الأمة، كما يحاول بعضهم إثبات ذلك، بل إن التعدد المذهبي هو عنصر إثراء وتكامل في الفكر الإسلامي، والمشكلة ليست في الاختلاف المذهبي وإنما في كيفية التعامل مع المخالف، وإدارة الاختلاف، فبدلاً من البحث المستميت عما يثبت خطأ المذهب المخالف دعونا نبحث عن القواسم المشتركة بين جميع المذاهب الإسلامية، فما يجمع بين مختلف المذاهب الإسلامية كثير، وما هو محل خلاف قليل، ومن المؤسف حقاً أن يتمسك بعضهم بهذا القليل ويتجاهل نقاط الاتفاق بين مختلف المذاهب!

إننا بحاجة - كمواطنين يجمعنا هذا الوطن الكبير - لأن ننفتح على بعضنا بعضاً، وأن نزيل الحواجز الوهمية التي تأسست بفعل التقاطع والجفاء، وقد أسهمت هذه المكاشفات - فيما أظن، وكذلك تأسيس مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني - في فتح الباب أمام مختلف المذاهب والمدارس الفكرية في مجتمعنا للتعبير عن نفسها، ونأمل ألا يتوقف الأستاذ عبدالعزيز القاسم عن مكاشفاته الجريئة، آملين أن يفتح لنا مكاشفات أخرى مع رأي آخر، وليكن بنكهة أخرى!

*****

د. عوض القرني(*)

من وحي مكاشفات الصفار(**)

- لا يمكن أن نضع الشيعة في سلة واحدة، وعلى عقلاء السنة والشيعة أن يتقاربوا

- استشرت العديد من العلماء والدعاة في زيارتي لأهل القطيف، واتفقوا على أن فيها مصلحة للأمة والوطن.

- قلت لطائفة الشيعة إن العلمانيين ليس لهم قاعدة شعبية وسيستخدمون طوائف الأقلية الدينية ليمزقوا الوطن.

- أقسم لي الصفار بالأيمان المغلظة إنه لم يسبّ الصحابة، وأعلن براءته إلى الله مما نشر باسمه.

- أقول لعقلاء الشيعة: لا تبقوا أسرى أحداث تاريخية مضت وانقضت، واتجهوا إلى القواسم المشتركة بينكم وبيننا.

- فتوى تحريم الحوار مع المبتدع وليدة ظرف تاريخي، وهي غير مستندة للكتاب والسنة.

حاوره: ياسر باعامر وسلطان حمزي:

على خلفية الزيارة التي قام بها الشيخ الدكتور عوض القرني إلى القطيف بناء على دعوة من الشيخ حسن الصفار (أحد أبرز رموز المذهب الشيعي بالقطيف) تنامت حدة التفاعلات - إيجاباً وسلباً - بين مؤيد ومعارض، حملنا أوراقنا التي حفلت باعتراضات المعترضين، ونشرناها على طاولة الشيخ لنسمع رأيه فيها،

(*) مفكر سعودي وأحد رموز التيار الإسلامي بالسعودية.

(**) الرسالة: ملحق أسبوعي يصدر عن صحيفة المدينة، الجمعة ١ رمضان ١٤٢٥هـ - ١٥ أكتوبر ٢٠٠٤م.

والشيخ عوض علاوة على أنه أصولي في تخصصه فهو مفكر ورمز من رموز التيار الإسلامي في المملكة، ومشرف على مجلة الجسور السعودية، ومجموعة من المجلات الأخرى هي المنار والفتيان، عرف بتناوله المؤصل العلمي للمسائل الفكرية كما أنه صاحب آراء جريئة، ففي حوارنا معه أكد بأن الحوار مع الآخر أياً كان مبدأ شرعي معتمد على الكتاب والسنة وفعل الصحابة، وأي فتوى غير تلك لا تقوم على أساس. وأنه لا يجامل الشيعة في أنهم أصحاب بدعة، كما يؤكد بأن الحوار غير الإقرار، وأن الشيعة ليسوا على رأي واحد.. وندعك قارئنا العزيز لتقرأ الحوار بنفسك:

هل كانت زيارة الشيخ عوض للقطيف مبنية على اجتهاد شخصي منه؟ وهل استشار الشيخ أياً من العلماء خصوصاً من هيئة كبار العلماء؟

- التواصل مع الشيخ حسن الصفار بدأ في مؤتمر الحوار الوطني الأول، وكنت أتابع بعض نتاجه سابقاً ويظهر أنه أيضاً يتابع بعض نتاجي، لكن لم يسبق المؤتمر أي اتصال بيننا وحين التقينا في مؤتمر الحوار حصلت هناك بعض الحوارات المعمقة والمكثفة، ثم كان هناك تواصل، كذلك عبر العديد من الوسائل، وكان يلح في الدعوة لزيارة القطيف، وعزمت على تلك الزيارة بعد أن استشرت العديد من العلماء والدعاة في الأمر، واتفق على أن الغالب على الظن أن الزيارة ستكون إيجابية، وفيها مصلحة للأمة والوطن، والنبي ﷺ قال عن قريش في يوم الحديبية: لا تدعوني قريش إلى خطة رشد تعظم بها حرمات الله إلا أجبتها إلى ذلك. هذا أمر. الأمر الثاني أن مبدأ الحوار مبدأ شرعي، وأنا أؤمن به، فالله سبحانه وتعالى حاور أصنافاً شتى من الخلق؛ حاور الملائكة، وحاور إبليس، وحاور الأنبياء، والأنبياء حاوروا أقوامهم، والمصطفى ﷺ حاور المشركين، وحاور المنافقين، وحاور اليهود، وحاور النصارى، والقرآن مليء بقصص الحوار، فالحوار بالنسبة لي مبدأ شرعي

ولا غبار على شرعيته عندي مع أي إنسان كائناً من كان، إنما تطبيقه في ظرف زماني ومكاني وفي حالة معينة يحتاج إلى اجتهاد وتقدير لمدى المصالح المتوقعة التي تترتب على هذا الأمر، وهو ما حاولت من خلال الاستشارة والاستخارة تقديره، وبالتالي قررت أن أستجيب للرجل وأزوره، وهي في الواقع اجتهاد شخصي أتحمل نتائجه وحدي.

من هم العلماء الذين استشرتهم إن أمكن ذكرهم؟

- العديد من المشايخ من أصناف شتى، بعضهم كبار وبعضهم من الجيل المتوسط، ولقد استأنست برأيهم في هذا وطبعا ما استشرتهم على اعتبار أن لهم وصاية على فكري وعلى رأيي وعلى قناعاتي، لكن أستأنس برأيهم، والإنسان يشاور من يظن أن في مشاورتهم خيراً فشاورتهم وشاورت بعض الناس الذين لهم صلات سابقة مع الشيعة وزيارات في المملكة وخارج المملكة وغلب على ظني أن الزيارة سيكون فيها بإذن الله مصلحة راجحة.

لكن توقيت الزيارة هل كان مناسباً في الوقت الحالي؟

- كما قلت قبل قليل توقيت الزيارة قضية اجتهادية قد يخالفني فيها غيري، ومن حقه أن يخالفني، وأن يقول: الظرف غير مناسب، لكن مخالفته لي لا تلزمني باتباع رأيه في هذه القضية، أنا ظني أن الظرف مناسب لأسباب عدة، أولاً: أصبح هناك تواصل بيننا وبين القوم، ثانياً: المنطقة كلها مستهدفة من أمريكا ومن غيرها، والعقلاء من أهل المنطقة يعلمون أنه لا يمكن أن نقف في وجه العدو إلا إذا تجاوزنا خلافاتنا ومشكلاتنا ووصلنا إلى حلول وكلمة سواء، والأمر الثالث أنه حصل على مستوى المنطقة وعلى مستوى العالم اتصال فكري عبر وسائل الإعلام وعبر الإنترنت، مثلاً أنا أفكاري أصبحت منشورة في الفضائيات في الإنترنت في الصحافة، والشيخ الصفار مثل ذلك أيضاً أصبحت أفكاره منشورة، فعنده مواقع،

وعنده كتب، وعنده حوارات، فهذه أوجدت شيئاً من المعلومات السابقة لدى كل فريق عن الآخر إلى حد تجعله يقدم على هذه الخطوة وهو يمتلك شيئاً من الثقة والجرأة بأنه يفهم الآخر إلى حد ما، ويستطيع أن يخطو خطوات إيجابية في الحوار معه، أيضاً ما تمر به بلادنا نحن من ظروف خاصة بشكل عام سواء أكان في حوادث الإرهاب أو التطرف أو في الانفتاح أو الإصلاح أو جوانب أخرى متعددة، كل هذا يستدعي منا ألا نبقي هذه المشكلات التاريخية عقبات في طريق الإصلاح وحل المشكلات.

عفواً دكتور: تنزيل الواقع العراقي على الواقع السعودي بمعنى أن الأمريكان موجودون الآن في العراق بشكل كبير وهم فسحوا المجال للشيعة..! هل تخشى أن يتكرر في السعودية ما حصل في العراق أي: أن يمسك الشيعة بزمام الأمور؟ وهل يكون هذا السبب هو الدافع لهذه الزيارة؟

- لا، حقيقية لم يكن هذا هاجسي، كان الهاجس السياسي متأخراً جداً في التفكير، كان هاجسي بالدرجة الأولى فكرياً ثقافياً علمياً، وظني أنه هو العقبة الكؤود التي يجب أن نبحث حولها فيما بيننا وبين الشيعة، ولذلك أكدت أنا في حديثي معهم على أن نبتعد عن المناورات السياسية، والألاعيب السياسية وأن يكون حديثاً علمياً ثقافياً فكرياً مبرهناً عليه بالدليل والبرهان من الكتاب والسنة والعقل والحس والفطرة، وأن نتحاور في هذا الإطار، صحيح أن الشيعة في العراق في مجملهم وأكثرهم استخذوا أمام المحتل الأمريكي، وانفرد أهل السنة بالمقاومة، لكن أيضاً وجد من الشيعة بعض التيارات التي تقاوم المحتل الأمريكي، فأنا لا أريد أن أجعل الشيعة كلهم في سلة واحدة في العراق ثم لا أريد أيضاً أن أنزل الحال العراقي على الشيعة لدينا، فالأمر مختلف، فالشيعة يقولون: إنهم في العراق أكثرية وإن كان غيرهم لا يسلم لهم بذلك وهم الذين يشكلون أقلية قليلة جداً عندنا، فالمخاطر الموجودة هناك لو افترضنا أن الشيعة وضعوا أيديهم في يد أمريكا.. هذه المخاطر غير موجودة لدينا بالصورة نفسها.

يا شيخ أستأذنك في العودة إلى الوراء قليلاً، فأنت تقول إن الزيارة قامت على اجتهاد شخصي وأيضاً استشارة لبعض المشايخ.. فهل نعد هذه الزيارة رؤية صحوية جديدة أم إنها تبقى رؤية شخصية؟

- أنا أتحمل مسؤوليتها شخصياً ولا أحمل مسؤولية عملي لأي شخص آخر لا سابقاً ولا الآن ولا مستقبلاً، ولكنني أقول: أنا لكي أتوخى السلامة أكثر لخطواتي إذا أتيح لي عادة أن أستشير من أثق بعقله وعلمه وإخلاصه فعلت ذلك، وهذا ما حصل في هذه الخطوة، هذا جانب، الجانب الثاني في هذا السؤال الذي أشرت عندما تقول: هل هذه تعد رؤية صحوية؟ أنا أقول: إن مبدأ الحوار كما قلت قبل قليل مبدأ شرعي، وبالتالي لا يحتاج إلى تطور جديد لنأخذ به، إنما الجديد في أي حالة حوار هو متى وأين وكيف ينزل هذا المبدأ في الواقع الحياتي المعاش؟

إذن ما ا لرسالة التي تريد أن توجهها من خلال هذه الزيارة؟

- أنا أردت أن أوجه الرسالة ابتداء إلى من التقيت بهم من نخب الشيعة من طلبة علم ومثقفين ثم أنقل رسالة بعد ذلك إلى نخبنا نحن ومثقفينا، ثم بعد ذلك إلى الجماهير من الجانبين، فأما الرسالة التي أردت أن أرسلها إلى نخب الشيعة فهي أنني أردت أن أقول لهم إن مواجهة المشكلات والخلافات ينبغي أن تعتمد على منهجية علمية حقيقية صحيحة ترتكز إلى عصمة الوحي المنزل من الله إلى محمد ﷺ وإلى البرهان العقلي الذي لا يختلف عليه حين نواجه الخلافات والمشكلات بهذين الأمرين، فسنكتشف أن كثيراً مما نظنه خلافات هو في الحقيقة متوهم سنكتشف أيضاً أن هناك الكثير من المشكلات الحقيقية التي تحتاج منا أن نقوم بعملية تفكيك لها وتجزئة واستخراج مواطن الاتفاق فيها إلى أن نحصرها في أضيق نقطة ممكنه، ثم نرى موقعها في سلّم التدين لدينا ولدى الشيعة، وما يشكل اختلاف وجهة النظر فيها من خطورة، وحينئذ نكون أولاً قد فهم بعضنا بعضاً، وثانياً نكون قد قللنا

المشكلات والخلافات إلى أقصى حد ممكن، وحاولنا أن نجمع الأمة حول كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

لكنك يا شيخ عوض بهذا تهدم قناعة رُبينا عليها سنين ولُقنا إياها عبر المنهج الدراسي، ومازال لها أصوات تنادي بها إلى الآن تتمثل في أن الحوار مع المبتدع لا يجوز حتى يعود عن بدعته؟

- أولاً هذه القناعة هي نتيجة ظروف تاريخية، ولم تكن في يوم من الأيام مستندة للكتاب ولا للسنة فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يدعون قومهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً بينما أقوامهم الذين خالفوهم كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم، ويصرون ويستكبرون استكباراً كانوا يجعلون القطن في آذانهم، وكانوا يقولون: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، فالحقيقة أن الذي يبحث عن الحوار ويحاور هو متبع الأنبياء، وهو الواثق مما لديه، وهو المطمئن إلى منهجه، وأن الذي يرفض الحوار هم الذين خالفوا الأنبياء وحاربوهم، أين نضع أنفسنا؟ وفي أي موقع؟ هذا أولاً، ثانياً: كيف يمكن للمخالف لنا أن يهتدي على أيدينا ويقبل ما نعرضه عليه إذا لم نتحاور معه ونتحدث معه، هل نملك القدرة القدرية لكي نسكب الحق في قلبه قناعات فيمسي ويصبح وقد اقتنع بما لدينا وعلم به دون أن يكون هناك حوار وأخذ وعطاء؟ طبعاً لا يقول بهذا عاقل، الأمر الثالث: أن ما نقل في ظروف تاريخية معينة عن بعض أئمتنا وبعض مشايخنا كان فتوى منهم في ظروف محددة، ولا يجوز أن نعطيها أكثر من حجمها؛ لأن الأصل ما كان في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما عداه فهو استثناء، وبالتالي ما أظن أن قضية الحوار- ونحن أمة دعوة حتى مع اليهود أو النصارى أو البوذيين أو الهندوس - تكون محل خلاف عند العالمين بدين الله، وهانحن نذهب للدعوة في جميع بقاع الأرض، ونقيم مراكز دعوة الجاليات في كل مدينة، وفي كل حي، نحن أرباب دعوة، ولا نخشى من الحوار مع الآخرين.

ما دمت ترى أن مبدأ الحوار مبدأ قديم ومعتمد على الكتاب والسنة.. فلماذا إذن تأخرت منك هذه الخطوة إلى الآن؟

- هو ما ذكرته قبل قليل من أن تنزيل هذا المبدأ في الواقع هو قضية اجتهادية يتجاذبها ويؤثر فيها العديد من المؤثرات، ظروف الزمان وظروف المكان وقدرة المحاور وإمكانياته العلمية وعلمه بالآخر، ومدى استعداد الآخر أيضاً إلى أن يحاور، وقبوله للحوار، هذه كلها عوامل تؤثر في توقيت الحوار، ولكل أجل كتاب.

كيف لنا أن نفسر الحفاوة التي استقبلتك بها القطيف؟

- هذه تسألوهم عنها، يعني لم هذا الاحتفاء وقد لقيني من الشيعة سبعون وقبلها مباشرة لقيني من أهل السنة آلاف مؤلفة في مسجد من أكبر مساجد المنطقة الشرقية؟ لماذا ينظر إلى حفاوة السبعين ولا ينظر في حفاوة آلاف مؤلفة من أهل السنة.

يعني.. هل ثمة دلالات أخرى ممكن قراءتها؟

والله أرجو أن تكون دلالاتها الاستبشار بالحوار والانفتاح على الآخر وقبول الاستماع إليه، وظني أنه إذا استمع الإنسان إلى غيره فهو جدير بأن يصل معه إلى خير كثير.

في حوارك مع مجلة الجسور قلت:" ينبغي على أهل السنة ألا يلجئوا الشيعة للتعاون مع العلمانيين " ثم استضافت المجلة ذاتها - وأنت مشرفها - المرجع الشيعي حسن الصفار.. هل نفهم من هاتين الخطوتين أنهما مقدمة لهذه الزيارة؟

- لا، لم يكن الأمر بهذه الصورة، وأنا قلت بشكل صريح عندما التقيت بهم: إن العلمانيين ليس لهم قاعدة شعبية وسيستخدمون طوائف الأقلية الدينية ليمزقوا الوطن ويصعدوا على أكتاف هذه الطوائف، ثم يدمروا الجميع، وقلت: إن كنتم أصحاب دين فلا تسمحوا لهم بهذا مهما كان اختلافنا معكم، ووجدت تجاوباً جيداً

في هذا الباب، وقالوا: نعم هذا الكلام حق، ولا يجوز في حال من الأحوال أن نسمح للعلمانيين المتطرفين في عمالتهم أن يتخذونا وسيلة وجسراً يعبرون عليه إلى أهدافهم وغاياتهم في تمزيق الوطن وتفريق الأمة.

وهل ثمة خطوة قادمة تتلو هذه الزيارة؟

- نرجو.. لكن ما هنالك شيء متفق عليه، لكنني أرجو أن تتلو هذه الزيارة خطوات قادمة.

أضحيت علماً في فضح الحداثة والعلمانية في الحقبة الماضية غير أننا نراك الآن تزور من يسبون صحابة الرسول ﷺ ويحرفون القرآن الكريم.. فكيف نجمع بين النقيضين؟

- أظن أن هذا السؤال يصلح لأن يكون أربعة أسئلة أو خمسة لكن دعني أجب عليه قضية قضية:

أولاً: بالنسبة للحداثة وفضح الحداثة فقبل تأليف الكتاب عن الحداثة حاولنا أن نحاورهم مراراً وتكراراً، وكنا نلقى الصدود والاستهزاء والسخرية وتكميم الأفواه، ولعل عقلاءهم اعترفوا بذلك بعد زمن كسعيد السر يحيى وأحمد عائل فقيهي وعبد الله باهيثم وعبد الله سلمان قبلهم اعترف بذلك، فهم الذين كانوا يرفضون الحوار ويفرضون الحصار، ثم بعد صدور الكتاب أيضاً حرصت على الحوار وسلكت له طرقاً شتى، وتحاورت مع العديد منهم، وكان لهذا الحوار أثر في كثير من القضايا مع من تحاورت معهم، هذا الجانب الأول، والجانب الثاني: كيف أتحاور مع من يسبون الصحابة ويقومون بتحريف القرآن؟ فأولاً كما ذكرت: مبدأ الحوار مبدأ شرعي مع أي إنسان إذا غلب على الظن أن في الحوار معه مصلحة فيجوز كائناً ما كان موقفه، فمن هذا المنطلق يبقى تقديره كما قلت زماناً ومكاناً

وظرفاً قد أصيب فيها وقد أخطئ، وللآخرين الحق في أن يخالفوني فيها. القضية الثانية قضية تحريف القرآن وهو ليس دفاعاً عن الشيعة لكن في الحوار معهم قالوا لي: نحن نكفر من يعتقد أن القرآن محرف وناقص، وعدت إلى بعض كتبهم فوجدت هذه المقولة في كتبهم القول بأن القرآن محرف وناقص لكن وجدت أيضاً في كتبهم من ناقش هذه الأقوال فأثبت أن أسانيدها ما بين زنديق وكذاب ومجهول ووجدت من علمائهم الأقدمين من أفتى بكفر من قال: إن القرآن محرف، هذا بالنسبة لهذه القضية ومع هذا أقول: لو قالوا بها فيجب أن نحاورهم لنثبت لهم أن هذه المقولة باطلة، الأمر الثالث بالنسبة لقضية سب الصحابة فهي القاعدة نفسها، يجوز أن أتحاور معهم إذا كان في الأمر مصلحة، وأتحاور معهم حول هذه القضية وأبين لهم عدم صحتها وهذه القضية أيضاً بالذات ذكّرت الشيخ حسن الصفار أنه سب الصحابة في أشرطة رائجة بين الناس، فأقسم بالأيمان المغلظة إن هذا لم يحصل ثم قال: لقد أعلنت في الفضائيات ونشرت في الصحف، وذكر الصحف وأعدادها، ونشرت في الإنترنت في موقعي وفي مواقع أخرى، والبيانات مازالت موجودة، براءتي إلى الله مما نسب إلي وإنني لم أقل ذلك وإنني أحرم سب الصحابة، وأرى أن ذلك من الكبائر، وأنا أعتقد أن صدور هذه المقولة من الصفار هو مكسب، أضيف إلى هذا أيضاً أنه في زمن الرسول ﷺ وجد من الكفار من نال من النبي ﷺ ومنهم من نال من الله سبحانه وتعالى، ومع هذا عرضت عليهم الدعوة وحاورهم المصطفى ﷺ بل في أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم نال بعضهم من بعض، فهل يعني أن نرفض الجميع؛ لأن بعضهم نال من بعض؟ نسأل الله أن يغفر لهم. وطبعاً هناك تفريق بين سب الصحابة في الجملة وبين سب بعضهم، وهو بلا شك كبيرة من الكبائر وفي حال بعضهم مثلاً: من رمى عائشة رضي الله عنها وأرضاها بما برأها الله منه في كتابه فهو كفر، ولدينا في مذاهب أهل السنة جمهور الحنابلة

والإمام مالك وجمهور الشافعية يقولون: إن سب الصحابة كبيرة من الكبائر والحنفية وبعض الحنابلة وبعض الشافعية يقولون: سب الصحابة كفر، وشيخ الإسلام ابن تيمية في آخر الصارم المسلول قسم هذه القضية أو حلل هذه القضية فقال: إن السب ذاته أو النيل لا يعدّ كفراً لا يعتبر كفراً، ولكنه قد يكون كفراً لأمور أخرى قد تصحبه أما هو في ذاته فهو ذنب من الذنوب الكبيرة. نعم، هذا هو المنطلق أن الرجل تنصل من قضية سب الصحابة وتنصل من قضية تحريف القرآن، وثانياً أقول: لو ثبت هذا عليه فيجوز أن تتجاور معه.

طيب، هل سنرى من نتائج؟ مثلاً هذه الزيارة وزيارة قبلها لبعض المشايخ جديدة فعلاً تثبت ذلك؟ هل تتوقع أن نرى لقاء مثلاً بمثل لهذا اللقاء يستضيف الصفار مع مجموعة من العلماء والمثقفين من أهل السنة؟

- أنا أتوقع أن هذا الأمر سيتسع أكثر وأكثر، وأنا أريد حقيقة من القراء الكرام أولاً ألا يبنوا عليه آمالاً عريضة مع أننا نتمنى أن نحقق هذه الآمال، لكنني أقول: لا تبنى عليه آمالٌ عريضة، فمئات السنين من الخلافات والتراكمات قد لا تسمح لهذا الجيل بأن يرتقي ويتجاوزها، وكما قال أحد المتحدثين في تلك الليلة عندما قال: لماذا نحمل أوزار الذين اختلفوا وهم قد أفضوا إلى ربهم سبحانه وتعالى ونحن نعيش في عصرنا نلتجئ أو نلتف حول كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ وننطلق في عصرنا لما يستدعيه الأمر؟ فأنا أقول: لا يكن هناك تفاؤل مفرط هذا الأمر الأول، والأمر الثاني أتوقع أنه سيكون هناك لقاءات مع العديد من المشايخ بل هناك أحد المشايخ وهو الشيخ صالح الدرويش التقى قبلي مع الشيخ الصفار ومع غيره من الشيعة والعلماء وتحاور معهم كثيراً، وهو صاحب خبرة ومعرفة بهم، وكان بيني وبينه مهاتفة قبل الذهاب في ذلك اليوم من اللقاء، وكان بيني وبينه لقاء في

اليوم الآخر بعد لقائنا أي: بعده بيومين، فلست أول من طرق الباب، ومن أمثلة ذلك الدكتور محمد علي الهرفي الذي حضر اللقاء تلك الليلة وقال: إنه من سنين طويلة وهو يطرق هذه المجالس، ويحاور القوم، وحضر معنا أيضاً أحد الأئمة للمنطقة الشرقية في تلك الليلة اسمه الشيخ عبدالرقيب مهيوب وقال: إنه منذ عشرين سنة وهو يلتقي بهم ويحاورهم وإنه لا يرى بديلاً هناك للحوار.. فلست أول من طرق هذا الباب، وظني أنه سيأتي بعدي الكثير ممن يطرقون هذا الباب، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق الخير على أيدي الجميع.

في ظل كلامك - دكتور عوض - الداعي بأن لا نبني آمالاً عريضة.. ما هي الآمال الإيجابية التي تتوقع بشكل واضح جداً أن تكون موجودة؟ في المقابل ما هي الأمور السلبية التي قد تكون؟

- أنا أؤمل أن يفهم بعضنا بعضاً فهماً حقيقياً أي: لا نقبل أن نخمن من هؤلاء القوم ويخمنوا من نحن بناءً على ما كتب في أزمنة مضت مع أن التطورات البشرية تمر كل قرن بمنعطفات حادة، فكيف وهي قرون؟ فأملي أن يفهم بعضنا بعضاً فهماً جيداً، أملي أن نقلص الخلاف في بعض ما نتوقع أنه خلافات حقيقية ثم نكتشف أن الرؤى متقاربة فيه، وننقل ذلك للجماهير ليقرب بعضها من بعض. أنا لست من أنصار تجميد الخلافات التاريخية؛ لأن ذلك غير ممكن لكنني أطالب بتفكيكها ووضع كل مكون في موقعه الطبيعي من حيث أهميته وأولويته بالنسبة لنا نحن من جانبنا وأكيد أيضاً لهم من جانبهم، فإذا عملنا بهذه الكيفية فسيبقى الخلاف الذي لا يمكن تجاوزه محدوداً، سنجد خلافات فقهية، وسنجد خلافات لا يتبناها إلا فريق محدود جداً والبقية يرفضونها، وسنجد خلافات حقيقية، وظني أننا بعد ذلك إذا بدأنا التعامل مع هذه الخلافات بدليل وبرهان وعقل مستنير وإنصات وإخلاص فإننا سنتجاوز الكثير من هذه.

دكتور عوض.. هل الشيعة مبتدعون؟

- بلا شك إن الشيعة لديهم من البدع ما لا نقرهم عليه، وهذه لا أجامل فيها، لكن هناك سؤالين: السؤال الأول: ما هو حجم هذه البدع على الحقيقة لا على ما قرأت في التاريخ أو ما نتوهم؟ السؤال الثاني: ما هو المنهج الأمثل من الناحية الشرعية في التعامل معهم؟ وكيف نعرف هذا؟ ثم أمر ثالث أنهم ليسوا كلهم على سمت واحد ولا على نمط واحد.

وكيف نعرف حجم البدعة من الحقيقة في ظل ما يؤمنون به من تقية؟

- بالحوار والنقاش والخطاب والقراءة، وأرجو أن لا نبالغ في قضية التقية وفي نسبتها إلى القوم، فنحن لو عدنا إلى سيرة النبي ﷺ لوجدنا أن المنافقين الذين أضمروا الكفر بداخلهم وليست مجرد بدع وكان ينزل القرآن كاشفاً لخبايا نفوسهم فيأتون النبي ﷺ فيحلفون: ما قلنا كذا فيقبل منهم، على ذلك إذا كان الناس في مواقع الإنترنت وفي المساجد وفي المجلات وفي الفضائيات وفي مؤلفاتهم يقولون كذا وكذا أقول: لا، أنتم لا تعتقدون هذا، هذا ليس صحيحاً على الإطلاق، وليس بإنصاف، وما أمرنا أن نشق عن قلوب الناس.

ألا تعتقد يا دكتور عوض - وأنت رمز من الرموز الإسلامية في المملكة - أن ذهابك إليهم هو بمثابة إقرار لهذه البدع التي هم فيها؟

- لو كان هذا صحيحاً لكان ذهاب النبي ﷺ إلى المشركين إقراراً لهم على شركهم، ولكان ذهابه للعرب في أسواقهم إقراراً لهم على كفرهم، ولكان إرساله أصحابه إلى المدينة وذهابه إلى اليهود في ضواحي المدينة إقراراً لهم على كفرهم، لا، ليس إقراراً على الإطلاق، يعني بل من حيث المبدأ لا أقر أي إنسان على خطأ يخطئه، لكنني لا أمتلك سلطاناً عليه يجعلني أختلس قناعاته من قلبه من غير دليل

ولا برهان ولا إثبات، فليس الالتقاء دليلاً على الإقرار، وإلا لكان أيضاً لقاؤهم لنا دليلاً على قناعتهم بما لدينا وإقراراً لنا على ما نفعل.

إذن كيف نفرق بين الحوار والإقرار حوار المبتدع وإقراره؟

- الإقرار هو الذي يقول للإنسان: أنت تعتقد كذا وكذا، فإذا قال: نعم، قال: أنا أقرك على هذا. والحوار هو الذي يذهب إليه يحاوره ليستجلي ويكتشف حلول المشكلات والمعضلات التي يعيشها الجانبان.

هل كان ثمة لقاء خاص مع النخبة الشيعية؟

لا، لم يكن هناك أي لقاء خاص في غير ما أعلن عنه.

هل تعتقد أن الصحوة بحاجة إلى صدمات حالية مثل هذه الحوارات حتى تعيد إستراتيجيتها وتعيد بناء مسيرتها على المعطيات الواقعية؟

- أنا أظن الصحوة كما يقال شبت عن الطوق، وأصبحت تتعاطى مع الأحداث والأمور برؤية وعقلية أشمل وأكمل وأكثر إحاطة مما كانت سابقاً، وأصبحت أيضاً رموزها أكثر علمية واطلاعاً ومعرفة بقواعد الشريعة مما كانوا عليه سابقاً نتيجة السن والتجربة والخبرة، أما قضية الصدمات فلا أظن أن في هذه صدمات، أنا أعلم أن من شباب الصحوة من شن حملة على اللقاء والزيارة، بل ليس على اللقاء وعلى الزيارة بل على شخصي أنا، وبعضهم قبل أن تبدأ الزيارة ظن أن الزيارة قد انتهت، فكتبوا في الإنترنت افتراءات أن فلاناً زار فلاناً وقال كذا وكذا، وهذا قبل أن أصل إليهم بثلاث ساعات، وطبعاً هذه كارثة أن يصبح الإنسان تحت رداء الدين والتدين كاذباً ومفترياً.. له الحق أن يختلف معي وأن يقول: أصل الحوار معهم لا يجوز، وحينئذ علي إما أن أقبل أو لا أقبل هذا أو يبين له شرعية الحوار بالدليل وله الحق أن يقول، لا أنكر مبدأ الحوار، لكنه في هذا الظرف غير مناسب أو مع هذا

الشخص غير مناسب، لكن أن يصادر حقي في أن أمارس قناعاتي وفق فهمي لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويريد مني أن أتحول إلى صدى قناعاته هو فهذا مرفوض أولاً. وثانياً أن يتحول -كما قلت قبل قليل - إلى كذب وافتراء ومزايدات فهذا ليس له حق، وظني أن من سيقبل به فيجب أن يرثي لحاله وأن يبكي على نفسه، وأنا أعلم أن بعض الناس لقناعات فكرية معينة، وبعض الناس لرؤية منهجية معينة محددة في الفهم والتعامل، وبعض الناس ربما لرؤى فئوية أو حزبية بمعنى لو أن الزيارة جاءت من فلان لقبلوا بها، لكنها حينما لم تأتِ إلا من أناس خارج دائرته ومن عموم المثقفين وأبناء الصحوة الذين لا يتأطرون في إطاره فهي مرفوضة جملة وتفصيلاً، وبعد ذلك من خلال استطلاعي فإن الكثرة الكاثرة من أصحاب الصحوة كانوا مستبشرين بهذه الزيارة ويرجون فيها خيراً وبعضهم كان متوقفاً حتى سمع ما دار في الزيارة وحينئذ أصبح موقفه إيجابياً.

عفواً دكتور هناك من يؤكد على قضية أن أغلب من حاور الشيعة في التاريخ المعاصر هم حركة الإخوان المسلمين، وهذا أقره الدكتور عصام العريان في مقال له بجريدة الحياة، وعلى هذا الأساس فسروا زيارتك للشيعة.. فما تعليقك؟

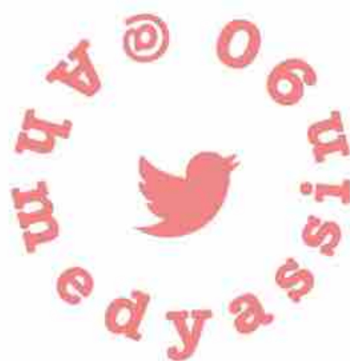
- نحن حقيقة واقع حالنا في السعودية يؤكد أن كلام الدكتور عصام العريان أو غيره ليس صحيحاً، فكثير من المدارس الإسلامية في السعودية أو في الهند أو في العراق مما لا تنطوي تحت لواء مدرسة الإخوان وبعضها أسبق تاريخياً من الإخوان تحاورت مع الشيعة، تحاوروا مع غير الشيعة، وهناك العديد من العلماء لدينا ممّن تحاوروا مع الشيعة بحقب مختلفة، بعضهم في الخليج، وبعضهم في السعودية، وبعضهم التقوا معهم وتناقشوا معهم وتحاورا معهم، بعض هذه الحوارات كانت على صفحات الصحف، بعضها كانت كتباً وكتابات، بعضها كانت حوارات هادئة، بعضها

كانت حوارات عنيفة، أنا ظني أن الحوار - لأنه مبدأ شرعي - مشاع بين جميع الطوائف والمذاهب والفرق الإسلامية، وليس محصوراً على فرقة وطائفة.

هل ثمة رسالة أخيرة عبر هذا الحوار؟

- أنا أوجه رسالة أخيرة أولاً إلى عقلاء أهل السنة: أنتم الأكثرية من أمة الإسلام، ولن تستطيعوا القضاء على غيركم مادياً، ولا يجوز ذلك لكم، فكروا كيف تستطيعون أن تكسبوهم وأن تقنعوهم بأن يقتربوا منكم أو يقفوا في جانبكم. وأوجه كلمة إلى عقلاء الشيعة وأقول: لا تبقوا أسرى أحداث تاريخية مضت وانقضت ولم يعد لها وجود، واتجهوا إلى القواسم المشتركة بينكم وبين أهل السنة؛ الإيمان بالله وبكتابه وبرسله وملائكته واليوم الآخر والقدر وأركان الإسلام الخمسة ومرجعية الكتاب والسنة والمصير المشترك للناس في هذا الزمان، وحاولوا أن تنطلقوا من هذه القواسم المشتركة لتجاوز تلك الخلافات التاريخية والبحث عن حلول لها، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمع أمة محمد ﷺ على الحق الذي يرضاه سبحانه.

*****



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

محمد حسين فضل الله (*):

ما يدعو إليه المخلصون الوحدويون هو البعد عن التراشق بالاتهامات غير الصحيحة في التخاطب المذهبي بين المسلمين

للحوار في التجربة الإنسانية أكثر من دور، فهناك التفاهم الذي يفهم فيه المختلفان في الآراء وجهة نظر كلٍّ منهما بشكل واضح دقيق مما يبتعد بهما عن حالة سوء التفاهم التي تؤدي إلى بعض السلبيات في النظرة والعلاقات، وهناك التعارف الذي يحقق المعرفة التفصيلية لما يتميز به الطرفان أو الأطراف من انتماء أو خطٍ فكري عندما ينفتح العقل أو القلب على ما يختزنانه من فكر أو موقع أو شعور، وهناك المحاولة الجادة لتحقيق الاقتناع في تجربة الدعوة والإبلاغ عندما يدعو صاحب الفكر أو الموقف أو الرسالة الإنسان الآخر إلى موقعه ليلتزمه في الأسلوب الحواري الذي يقدم الحجة المقنعة التي تجذب الآخر إليه.. وهكذا يمثل الحوار الانفتاح الإنساني على الإنسان الآخر في عملية تخطيط للتقارب الفكري والشعوري على مستوى التنوعات الدينية والسياسية والاجتماعية في محاولته لتفادي المشكلات المعقدة التي تنتجها الاثنينية في الانتماء أو الموقف أو الواقع.

وقد كان القرآن في خطوطه الفكرية وأساليبه الفنية وانفتاحاته الروحية حركة في الحوار بالدرجة التي توحي بأنه لا مقدسات في الحوار، فهناك الحوار العقدي في مسألة التوحيد والشرك وفي مسألة النبوة واليوم الآخر وفي أكثر من قضية تتصل بالحياة وبالإنسان، وذلك من أجل الإيحاء بأن قضية العقيدة في أصولها لا بد من أن

(*) مرجع شيعي لبناني.

تخضع للتفكير الذي ينفتح على التنوع في الفكر الموافق والمضاد لترتكز على أساس العمق الذي ينطلق على قاعدة العقل لا على أساس السطح الذي يتحرك في دائرة الشعور والإحساس. وقد تميز الحوار القرآني بالأفق الرحب في قضايا حركية الفكر، وبالتأكيد على مواقع اللقاء من خلال الوقوف على الكلمة السواء التي تمتد إلى كل اختلاف ينطلق من موقع وفاقي وقاعدة مشتركة في الأساس؛ لينتهي - بعد ذلك - إلى موقع الخلاف في روحية التجربة الوفاقية في البداية..

ويرتفع الأسلوب القرآني الحواري ليبتعد بالحوار عن الحالة الذاتية التي يختزن فيها كل طرف من المتحاورين النظرة إلى صاحبه بأنه المخطىء وهو المصيب في نظرةٍ مسبقة إلى المسألة قبل الدخول في الحوار بحيث يعيش حالة من العدوانية الفكرية ضد فكره، فنقرأ في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾، (سبأ :٢٤)، لنستوحي منه أن الله يوصي نبيّه - والمؤمنين معه - بأن لا يحكموا على الفريق الآخر - الكافر أو الضال بالخطأ، ولكنه يساوي بينه وبينه في الحيرة بين الهدى والضلال المحتملة في كلا الفكرتين، ليكون الحوار رحلة مشتركة متفاوتة في البحث عن الحقيقة الضائعة بينهما.. وهذا هو المنهج الحضاري الذي لم يقترب إليه أي منهج آخر في الحوار.

وفي ضوء ذلك فلا بد للقائمين على شؤون الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي المتحرك في ساحة الصراع من الأخذ بأسباب الحوار مع التيارات الأخرى سواء أكانت دينية أم علمانية؛ لأن ذلك هو السبيل للدخول إلى الموقع التاريخي والديني والسياسي للعالم المعاصر بحيث ندخل في حركته الفاعلة؛ ليكون الإسلام قوة منفتحة على القوى الأخرى في عملية تأثر وتأثير في التجربة الحضارية التي توحي للآخرين بالروح الإسلامية الحضارية على صعيد الفكر والواقع مما قد يقوّي اجتذاب الآخرين إليه وانتماءهم إلى فكره.

وإذا كانت الفئات المعادية للإسلام قد تحركت بالطرق السلبية العدوانية في إثارة الشبهات ضد الفكر الإسلامي والمفاهيم الإسلامية في خطته لتشويه صورة الإسلام، إذ تعمل على نسبة الإرهاب والعدوانية إلى الإسلام، فإن ذلك ينبغي أن يدفع القائمين على العمل الإسلامي إلى المزيد من الاندفاع بالحوار في توضيح الإسلام للآخرين وإسقاط كل الحواجز التي تحول بين الناس وبينه؛ لأن الواقع الذي نعيشه هو واقع الحرب الثقافية ضد الإسلام لإبعاد العالم عن أصوله وفروعه وأساليبه ووسائله وتحريك الجو العدواني الشعوري ضده.

ولعل من أخطر المشكلات التي واجهها الإسلام هو غياب الحوار الإسلامي - الإسلامي وامتداد الأحكام الظالمة التي يطلقها بعض المسلمين ضد بعضهم الآخر بلحاظ ما ينسبه هذا البعض من هذا المذهب إلى المذهب الآخر، ولاسيما ما ينسبه جماهير أهل السنة ولاسيما العلماء منهم إلى المذهب الإمامي الشيعي من عقائد ومفاهيم قد تنتهي بهم إلى الحكم عليهم بالكفر، وقد لا تقتصر القضية - في أبعادها السلبية - على تكفير أهل مذهب لمذهب آخر، بل قد تتحرك في الخلافات الكلامية والفقهية في داخل المذهب الواحد مما قد نراه في المذهب الشيعي أو السني وربما تنطلق هذه المسألة إلى فقدان القراءة العلمية لكلٍّ منها، أو نسبة رأي شخص من أهل المذهب إلى المذهب كله، أو دراسة نصّ في مرحلة معينة لينسب إلى المذهب بينما تجاوزت المراحل الأخرى ذلك كله.

إننا ندعو إلى الحوار الشامل في كل العناوين المختلفة والتدقيق في مفرداتها، وقراءة كل الإثارات الفكرية التي تحركت في توضيح بعض الإشكالات ودفع بعض الشبهات، وربما كانت قيمة هذه الحوارات أنها تسهم في تصحيح بعض أخطاء هذا المذهب أو ذاك بالبراهين القوية التي يثيرها الجدل الديني المذهبي أو انحرافات بعض القواعد الفكرية العقدية أو الفقهية في داخل المذهب الواحد في الخلافات

بين مفكريه، الأمر الذي يوفر على المسلمين الأحكام الظالمة في التكفير والتضليل مما يضعف مواقعهم الثقافية والسياسية على صعيد الصراع العالمي في معركة الإسلام مع الاستكبار والكفر العالميين.

وقد لاحظت الحوار الذي تضمنه هذا الكتاب، فرأيت فيه تجربة جيّدة في توضيح الكثير من العناوين التي يثيرها بعضهم ضد المذهب الشيعي وأهله، وذلك من خلال المنهج الموضوعي الصريح في الحوار الثقافي الذي أداره صاحب الفضيلة العلامة الشيخ حسن الصفار - حفظه الله - على الرغم من أسلوب الإثارة الذي كان يحاوله محاوره في مداخلاته الصريحة ناقلاً للهواجس التي يختزنها بعض الناس حول خط التشيع.. وهذا هو ما يدعو إليه المخلصون الوحدويون الإسلاميون في البعد عن التراشق بالاتهامات غير الصحيحة في التخاطب المذهبي بين المسلمين. إننا نقدر هذا الحوار راجياً أن تمتد هذه التجربة وأن تسهم في تحقيق التفاهم والتعارف، وإعادة الأخوة بين المسلمين على مستوى الوحدة على خط التنوع.

ولا يفوتني تقدير الأسلوب الذي اتبعه الأستاذ عبدالعزيز محمد قاسم في التأكيد على إثارة الفكرة الحوارية بطريقة فنية جيدة في مفرداتها وإيحاءاتها من أجل مستقبل حواري إسلامي ينفتح على العقل والعلم والمحبة الإسلامية.

والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

محمد حسين فضل الله

١٩جمادى الأولى ١٤٢٦هـ

*****

الشيخ محمد علي التسخيري(*):

ليتنا نشهد أمثال هذا الحوار في مختلف أرجاء عالمنا الإسلامي مما يغنينا عن كثير من التحمل والتنطع وإثارة الإحن والأحقاد

بسم الله، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين وصحبه الميامين، وبعد،

لقد سنحت لي الفرصة أن أطالع هذا الحوار الشائق بين سماحة العلامة الشيخ الصفار والأخ الكريم الأستاذ عبد العزيز قاسم؛ فوجدته حواراً أنموذجياً جميلاً، برع فيه الأخ السائل أيما براعة، فجسد أنموذج الصحفي النبيه الفطن بمداخل الأمور ومخارجها، اللبق الكيّس الذي يتقيد بقواعد الحوار ومن أهمها: الروح العلمية، والذهن الوقاد، والاحترام والهدوء والموضوعية.

كما برع فيه العلامة المجيب تماماً؛ إذ إتصف حديثه بالصراحة التامة، والمعلومات الموثقة، والصدر الرحب، والتقيد الجميل أيضاً بقواعد الحوار القرآنية؛ وهي قواعد لو جرت في حياتنا لأكسبتنا الخبرة المطلوبة، والمنطقية في الحجاج، والوسطية في السلوك، ولأبعدتنا عن الحالات العصبية والطائفية العمياء، وأبقتنا على سنن الحق بعيداً عن جواد المضلة، فهي الجادة المطلوبة؛ عليها معالم القرآن وآثار النبوة.

وأود أن أقولها بصراحة: إنني - مع غالب ما تفضل به الشيخ المجيب - لا أجدني أختلف معه إلا في بعض الجزئيات.

(*) أمين عام مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية - طهران.

وليتنا نشهد أمثال هذا الحوار الموضوعي في مختلف أرجاء عالمنا الإسلامي مما يغنينا عن كثير من التحمل والتنطع وإضاعة الأوقات والجهود وإثارة الإحن والأحقاد، وينقلنا من حدية (الإيمان والكفر) إلى موضوعية (الحقيقة والخطأ)، ويخلصنا من ادعاء امتلاك الحقيقة وأن ما سواها الباطل الصريح.

إنني أشعر بالارتياح حينما أجد فكرة التقريب بين المذاهب تسري كالعافية في عروق هذه الأمة، وخصوصاً بين علمائها وباحثيها، لترجع العلاقة بين المذاهب إلى حالتها الطبيعية، فتعود اختلافاتنا المذهبية رحمة وثراء، ومجالاً رحباً يستقي منه ولاة الأمور الرأي الأكثر مناسبة لتحقيق مصالح المجتمع والأمة، فيطبقونه باعتباره ناتجاً عن اجتهاد إسلامي سليم.

وبهذه العودة إلى المذهبية الإيجابية ننبذ عهود الطائفية المقيتة التي أجرت أنهار الدم والدموع إرضاء للشيطان وإغضاباً للرحمن.

إنني أستحضر تاريخاً طويلاً مترعاً بالآلام يوم كان أتباع المذاهب (وحتى مذاهب السنة) يكفر بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض، وأنظر إلى الواقع القائم والتآلف الموجود فأشكر الله - تعالى - كل الشكر على هذه النعمة.

وهنا أذكر بأن بعضهم اليوم يحاول إثارة الفتنة القديمة بين الأشاعرة والمعتزلة، والشيعة والسنة، بل يحاول أن يُخرج الأشاعرة من الدائرة الإسلامية، وهذا من أغرب الأمور خصوصاً إذا كان يصدر من علماء يدعون أنهم يحملون هم الأمة، ويعملون على تعبئة كل الطاقات لمواجهات التحديات الضخمة التي تحيط بهذه الأمة من قبل: العولمة والعلمانية والتخلف بأنواعه، والهجوم على ثقافة الأمة، بل والعمل على محو وجودها.

ولكن ليعلم هؤلاء أن مسيرة الصحوة الإسلامية تتقدم، وأن الوعي الإسلامي يتطور، وأنهم إنما يشكلون حجر عثرة ستتخطاه هذه الأمة المرحومة. أسأل الله تعالى لسماحة الشيخ الصفار النجاح في مسعاه المقدس، وللأستاذ عبد العزيز التقدم في نشاطه الإعلامي الهادف، والله ولي التوفيق.

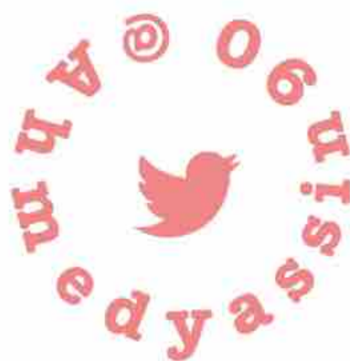
محمد علي التسخيري

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب

بين المذاهب الإسلامية

٢٠٠٥/٦/١٢م

*****



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الشيخ حسن الصفار معلقاً على المداخلات:

التعارف يجب أن يكون هو هدف الحوار وليس التبشير برأي المذهب، أو تسجيل نقاط غلبة وانتصار

تحديد هدف الحوار بين أطرافه شرط مهم لإنجاحه، ولترشيد مساراته. حيث ينطوي الحوار على إمكانية الخدمة لأهداف متعددة. فإذا لم يتجه المتحاورون نحو هدف محدد، أو اختلفت الاستهدافات بين أطراف الحوار، فلن يكون الحوار ناجحاً مثمراً، ولن تنتظم إيقاعاته بشكل موضوعي سليم.

فهناك من يحاور الآخرين لإقناعهم بأحقية رأيه ومذهبه، وبطلان آرائهم وتوجهاتهم.

وهناك من يحاور لإفحام الطرف الآخر وتحقيق الغلبة عليه.

وهناك من يحاور الآخرين طلباً للمعرفة وبحثاً عن الحق.

وهناك من يحاور للتعارف وترسيم حدود الاتفاق والاختلاف مع الآخر، للتأسيس لعلاقة إيجابية بين الطرفين.

إن لكل حالة من حالات الحوار دوافعها ومبرراتها عند المتحاورين، كما أن نهج الحوار ومساراته قد تختلف بين هذه الحالات. لذلك من الأهمية بمكان أن تتحدد غاية الحوار ليتحدد نهجه ومساره. وليكون موجهاً باتجاه الهدف المنشود، حتى يحقق أعلى نسبة ممكنة من النجاح والإنجاز.

وحين عرض عليّ الأخ الكريم الأستاذ عبد العزيز قاسم - حفظه الله - إجراء حوار يتسم بالصراحة والمكاشفة، حول وضع المواطنين الشيعة في المملكة، لينشره في جريدة المدينة، ضمن ملحقها الأسبوعي المتميز (الرسالة)، بادرت إلى قبول عرضه الكريم؛ لأنني وجدت فيه فرصة طيبة لخدمة هدف عظيم، ذلك الهدف هو التأكيد على وحدة الأمة الإسلامية بشكل عام، وحماية وحدتنا الوطنية في المملكة العربية السعودية بشكل خاص.

إن الوحدة ضرورة ملحة لكل أمة ومجتمع، في كل وقت وآن، لكنها عند المنعطفات الخطيرة وأمام التحديات الصعبة تصبح أكثر ضرورة وإلحاحاً.

ونحن نعيش الآن هذه اللحظة الحرجة، فلا بد لنا من الاهتمام بجمع الشمل، ولمّ الصفوف، وتجاوز الخلافات والصراعات، لتتركز جهودنا واهتماماتنا.

واتفقت مع الأستاذ عبد العزيز على أن يكون هدف الحوار توفير فرصة التعارف المباشر بين أبناء الوطن من السنة والشيعة، لتجاوز مرحلة الظنون والنقولات، وآثار الحقبة السابقة التي أنتجتها عوامل سياسية مرت بها المنطقة الخليجية خلال العقدين الماضيين.

لقد رُسمت صور وانطباعات عند كل طرف عن الآخر، فيها الكثير من التشويش والتشويه، وتكرست تلك الصور والانطباعات في ظل أجواء القطيعة والتباعد، وتأكدت ألوانها القاتمة بفعل التعبئة والتحريض المتبادل على الكراهية.

وهنا يأتي دور المبادرات الواعية المخلصة التي تكسر الحواجز، وتقتحم الأسوار، وتنزع فتيل التشنج والحساسيات، عبر فتح الملفات بحكمة، ووضع قضايا الخلاف على طاولة النقاش الهادئ، وتناول المسائل بموضوعية تستند إلى الإقرار بحقوق الإنسان وحقوق المواطنة، ثم الاعتراف بحق اختلاف الاجتهاد والرأي، في إطار مرجعية الكتاب والسنة لمذاهب الأمة الإسلامية.

لكن هذه المبادرات لن يقوم بها إلا من كان مهتماً بمصلحة الوطن وأمنه واستقراره، ومسكوناً بهاجس الوحدة وتحصين الجبهة الداخلية، وشجاعاً يتجاوز إرهاب الأجواء المحيطة، التي تعد القطيعة مع الآخر ديناً، والخصومة مع المخالفين تكليفاً شرعياً.

وقد توسمت في أخي الكريم عبد العزيز قاسم هذه المواصفات الطيبة، من خلال متابعتي لكتاباته وحواراته السابقة، مع بعض الشخصيات الدينية والوطنية، لذلك لم أتردد في الاستجابة لطلبه الكريم، وشرفني بزيارته في القطيف، بتاريخ ٢٤ رجب ١٤٢٥هـ الموافق ٩سبتمبر ٢٠٠٤م، وأمضيت معه ساعات طويلة من الحوار، لمست فيها سعة أفقه، وحسن أدبه، وتركيزه على المصالح العليا للإسلام والوطن.

كان يطرح أسئلته الحساسة الصريحة على أساس أنها تساؤلات مطروحة في الساحة التي يعيشها، ويرى أن الإجابة عليها من الطرف المعني بشفافية ووضوح يساعد كثيراً على جلاء الصورة، وتنقية الأجواء، ويخدم توجهات الوحدة الوطنية والتقارب الإسلامي.

ولأنني مقتنع بأن التعارف يجب أن يكون هو هدف الحوار، وليس التبشير برأي المذهب، أو تسجيل نقاط غلبة وانتصار، فقد التزمت في إجاباتي بما يخدم هذا الهدف، مكتفياً بإيضاح الموقف، مع الإشارة إلى مبرراته أحياناً دون الانسياق إلى دائرة الجدل المذهبي، والتوغل في تفاصيل سجالات الخلاف العقدي والفقهي.

وأعتقد أن جهوداً كبيرة قد استهلكت من علماء الأمة وطاقات أبنائها في متاهات الجدل المذهبي الذي لا طائل خلفه، والذي شغل الأمة عن مسارات التنمية والبناء في جوانب الحياة المختلفة.

لقد استقر واقع المذاهب الإسلامية في ساحة الأمة منذ قرون، وعلينا الإقرار والاعتراف بواقع التعدد المذهبي، وتجاوز سياسات الإقصاء والتهميش والتمييز بين أبناء الأمة والوطن، وعدم المراهنة على سراب تغيير القناعات المذهبية لأي طرف من الأطراف، والمطلوب هو الاحترام المتبادل، والتعاون في بناء الوطن، وخدمة المصالح المشتركة للأمة.

وإذا كان العدل هو سياسة حكم الإسلام بين الناس على اختلاف أديانهم وأعراقهم ﴿ **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ** ﴾، وإذا كان الحيف على أي حق معنوي أو مادي لأحد من الناس مرفوضاً في منطق الإسلام ﴿ **وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ** ﴾، وإذا كان التخاطب مع أتباع الديانات الأخرى مشروطاً بالتزام أحسن الآداب، ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ فإن التعامل الداخلي بين أبناء الأمة يجب أن يكون في أفضل صيغ التعايش والتعاون مهما اختلفت المذاهب والتوجهات.

وانطلقت من هذه القناعات في المكاشفات مع الأخ العزيز عبد العزيز، وقد نشر كل الإجابات بأمانة وإتقان، في حلقات خمس على صفحات ملحق (الرسالة)، مفرداً صفحتين كاملتين لكل حلقة، من تاريخ ١٤٢٥/٨/١٧هـ إلى تاريخ ١٤٢٥/٩/١٨هـ. وسعدت جداً بالأصداء الطيبة التي أثارتها حلقات المكاشفات، وكان لمداخلات بعض الباحثين والكتاب دور في إثراء ما طرحته المكاشفات من آراء ومقترحات، لكن بعض المداخلات كانت باتجاه الاستغراق في الجدل المذهبي، والتركيز على ضرورة تغيير القناعات والتوجهات العقدية والفقهية لدى الشيعة، وتناول بعض ما ورد في كتب الشيعة وتراثهم، ولأنني لست مقتنعاً بجدوى هذا النهج من الحوار، لم أجد نفسي معنياً بمناقشة ما ورد في هذه المداخلات أو الردّ عليها.

وأخيراً فإنني أجدد الشكر للأستاذ عبد العزيز قاسم، وللإخوة الأعزاء في رئاسة تحرير جريدة (المدينة)، وملحقها (الرسالة)، على إتاحة هذه الفرصة الثمينة

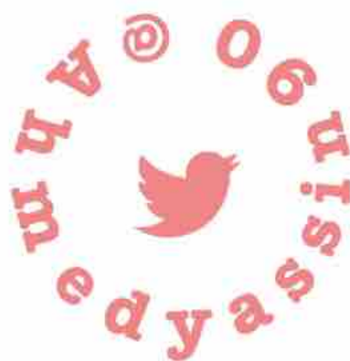
للحوار الهادف، الذي شاركنا فيه كل القراء داخل المملكة وخارجها، كما أشكر كل من تفاعل مع هذا الحوار وأسهم في إثرائه مشجعاً وناقداً، من خلال المداخلات، والكتابة في الصحافة، أو على شبكة الإنترنت، وعبر جلسات النقاش والبحث، التي بلغني انعقاد كثير منها في مختلف أرجاء الوطن متزامنة مع نشر حلقات المكاشفات.

وكذلك من خلال الاتصالات التليفونية، ورسائل البريد الإلكتروني التي تلقيتها من داخل وخارج المملكة.. إلى الجميع أتقدم بخالص الشكر والامتنان، وأرجو أن يكون نشر هذه المكاشفات تكريساً لنهج الحوار والموضوعية في معالجة قضايا الاختلاف، إسهاماً إيجابياً في تطوير العلاقات بين شرائح الوطن وفئات الأمة، باتجاه التواصل والتقارب والوحدة، لخدمة الأهداف العليا، والمصالح المشتركة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

القطيف:
١٤٢٦/٥/٢٠هـ
٢٠٠٥/٦/٢٧م



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

الفهـــــرس

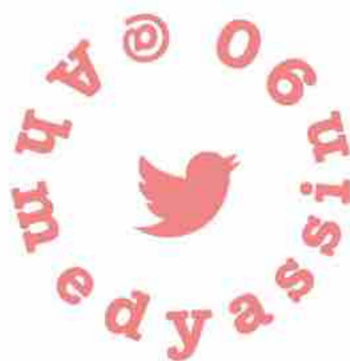
الموضوع	الصفحة

تصوير أحمد ياسين

تصوير أحمد ياسين

تصوير
أحمد ياسين

تصوير
أحمد ياسين



تصوير
أحمد ياسين
تويتر
@Ahmedyassin90

د. عبد العزيز قاسم

الحوار والتقارب المذهبي
في المشهد السعودي

مكاشفات الشيخ
حسن الصفار أنموذجا



تصوير
أحمد ياسين



العبيكان
Obeikan

د. عبد العزيز قاسم
الحوار والتقارب المذهبي
في المشهد السعودي
العبيكان